

يَتِيْمَةُ الدَّهْرِ

فِي مُحَاسِنِ أَهْلِ الْعَصْرِ

تَأَلَّفَ

أَبِي مَنْصُورٍ عَبْدِ الْمَلِكِ الشَّعَالِيِّ النَّيْسَابُورِيَّ
الْمُتَوَفَّى ٤٢٩ هَجْرِيَّةً

شَرَحَ وَتَحَقَّقَ

الدُّكْتُورُ مُفِيدُ مُحَمَّدٍ قَمِيحَةَ

الْجُزْءُ الثَّالِثُ

دار الكتب العلمية

بيروت - لبنان

جميع الحقوق محفوظة
لدار الكتب العلمية
بيروت - لبنان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

يطلب من: دار الكتب العلمية - ص ب: ٩٤٢٤ - ١١ بيروت - لبنان
نيو ملكارت سنتر - الرملة البيضاء - قرب محلات سبينيز
هاتف: ٨٠١٣٣٢ - ٨٠٠٨٤٢

بسم الله الرحمن الرحيم

١ - ابن سكرة الهاشمي

أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد

شاعر متسع الباع ، في أنواع الإيداع . فائق في قول الملح والظرف ، أحد الفحول الأفراد ، جار في ميدان المجون والسخف ما أراد^(١) . وكان يقال ببغداد : إن زماناً جاد بآبن سكرة وآبن الحجاج لسخيٍّ جداً . وما أشبههما إلا بجرير والفرزدق في عصريهما ، فيقال : إن ديوان ابن سكرة يربى على خمسين ألف بيت ، منها في قينة سوداء يقال لها خمرة أكثر من عشرة آلاف بيت ، وكانت عرضة نواذره وملحه ، كطيلسان بن حرب ، وهن أبي حكيمة ، وحمار طباب ، وضرطة وهب .

وحكى أبو طاهر ميمون بن سهل الواسطي أن ابن سكرة حلف بطلاق امرأته - وهي ابنة عمه - أنه لا يخلى بياض يوم من سواد شعره في هجاء خمرة ، ولما شعرت امرأته بالقصة كانت كل يوم إذا انفتل^(٢) زوجها من صلاة الصبح تجيئه بالدواة والقرطاس وتلزم مصلاه لزوم الغريم غير الكريم ، فلا تفارقه ما لم يقرض ولو بيتاً في ذكرها وهجائها ، وقد أخرجت من عيون ملحه ما يجمع الحجول والغرر^(٣) ، ويمتع السمع والبصر .

* * *

(١) جار : أي جرى معه ما أراد .

(٢) انفتل : عاد إلى منزله بعد الانتهاء . (٣) الحجول والغرر : أي الناصع الجميل من شعره .

الغزل والنسيب

قال في غلام بيده غصن لوز قد نور^(١) [من الخفيف] :

غصنُ بانٍ بدا وفي اليد منه غصنُ فيه لؤلؤ منظومُ
فتحيّرتُ بين غصنين في ذا قمرٌ طالعٌ وفي ذا نجوم

وقال [من الخفيف] :

وغزالٍ لولا تميمة شعرٍ ذكّرته لقلت بعض الجوّاري^(٢)
شاربٌ أشرب الصبابة قلبي وعذارُ خلعت فيه عذارى^(٣)

وقال [من الوافر] :

ويومٍ لا يقاس إليه يومٌ يلوحُ ضياؤه من غير نارٍ
أقمنا فيه للذاتِ سوقاً نبيع العقلَ فيها بالعقار^(٤)

وقال [من الخفيف] :

من عذيري من شادنٍ لا يراني وهو روعي أهلاً لردّ السلام؟
أنا من خدّه وعينه والثغر ومن ريقه البعيد المرام
بين وردٍ ونرجسٍ وتلالي أقحوانٍ وبابليّ مدام

وقال [من السريع] :

الغصن منسوبٌ إلى قدّه والورد منشورٌ على خدّه
بدرٌ يودُّ البدر في حسنه بأنّه يُعزى إلى عبده^(٥)

(١) نور : أزهر .

(٢) التميمة : خرزة أو نحوها تعلّق في العنق دفعاً للعين وهنا « الضفيرة » .

(٣) الصبابة : الوجد والحب ، والعذار : الخدّ .

(٤) العقار : الخمرة .

(٥) يعزى : ينسب .

سألته في صحوة قبله فردني والموت في رده
حتى إذا السكر لوى رأسه قبلته ألفاً بلا حمده

وقال في غلام يهواه وهو سمي [من الوافر] :

إذا باسمي دعيتُ حننتُ شوقاً وذكرني به الداعي حبيبي
فليت كما اتفقنا بالأسامي وألفتها اتفقنا بالقلوب

وقال [من الخفيف] :

الليالي تسوء ثم تسرُ وصروف الزمان ما تستقرُ
غير أنني عن الحوادث راضٍ بعد سخط والعيش حلٌّ ومرُّ
كنت صَباً بواحد ثم ثَنِيْتُ فلي بالجميع وصلٌ وهجرُ
من كمثلِي وعن يميني شمسٌ تتجلَّى وعن شمالي بدرُ
ذا على خدِّه من المسك سطرُ وعلى طرف ذا من الغنج سطرُ
بتٌ يجري عليّ من ريق هذين وكأسي شهدٌ ومسكٌ وخمرُ
لي من ريق ذا ومقلّة هذا مع كأسِي سكرٌ وسكرٌ وسكرُ

وقال [من المنسرح] :

حذار من وصل من بليت به فقد لقيت الردى بجفوته^(١)
دنوت منه كيما أقبله فلم تدعني نيرانٌ وجنته

وقال [من البسيط] :

قالوا التحى وستسلو عنه قلتُ لهم
هل التحى طرفه الساجي فأهجره
هل يحسن الروض ما لم يطلع الزهر
أم هل ترحزح عن الحاظه الحور^(٢)

(١) الوصل : اللقاء ، والردي : الموت .

(٢) الساجي : الساكن . والحور : شدة بياض العين وشدة سوادها .

وقال [من المنسرح] :

يا ضاحكاً يستهلُّ مضحكهُ
عن بردٍ واضحٍ وعن شنب^(١)
أعطيتني قبلةً رشفت بها الـشَّهد مشوباً بعبرة العنبِ
كأنني إذ لثمتُ فاك بها لثمت تفاحةً من الذهب

وقال [من المتقارب] :

| | |
|------------------------|------------------------------------|
| فديتُ من الناس من لحظه | بلا خنجرٍ كاد أن يجرحا |
| كتمت هواه زمان الصبا | وصرحت بالحب لما التحى |
| وقيل محا الشعر لما بدا | محاسنه منه واستقبحا |
| فقلت لهم ما محا حسنه | ولكن صبري عنه محا |
| بنفسي عذارُ بدا طالعا | على ناضر الورد ما أملحا |
| فصير في رزة أصبعي | وأوثق كفي تحت الرحي ^(٢) |

وقال [من الوافر] :

| | |
|----------------------------|--------------------------------------|
| أشبههُ وحاشيةٌ لديه | ثقلاً كلهم رخمٌ وبوم ^(٣) |
| بيدر التمُّ إشراقاً وحسناً | وقد سترت محاسنه الغيوم |
| عهدت البدر تكنفه نجومٌ | وذا بدرٌ تطيف به رجوم ^(٤) |

وقال [من مixel البسيط] :

| | |
|------------------------|---------------------|
| عابوا وقالوا تسلَّ عنه | فقلتُ هذا أوان حيي |
| إن الذي عبتموه منه | هو الذي يشتهيه قلبي |

(١) الشنب : صفاء الأسنان وبيضاضها .

(٢) الرزة : حديدة يدخل فيها القفل ، والرَّحَى : الطاحون .

(٣) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر .

(٤) الرجوم : شهب تظهر في السماء وكأنها نجوم تتساقط .

وكَلَّمَا عَبتُموه عَندِي زَادَ جَنونِي بِهِ وَعَجَبِي
وَقَالَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

أَحْبَبْتُ بَدْرًا مَا لَهُ مِثْبَةٌ
أَحْوَرُ فِي مَقْلَتِهِ حَجَّةٌ
وَفِي ارْتِجَاجِ الرَدَفِ دَاعٍ إِلَى
سَأَلْتَهُ الْوَصْلَ فَلَمْ يَحْتَشِمُ
وَقَالَ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

يَا سَيِّدِي وَمَوْمَلِي
دَمْعِي عَلَيْكَ مَوْرَدٌ
قَدْ شَفَّنِي شَوْقِي إِلَيْكَ^(١)
فَكَأَنَّهُ مِنْ وَجْتِيكَ

وَقَالَ فِي غِلَامٍ أَعْرَجٍ [مِنْ الْكَامِلِ] :

قَالُوا بَلَيْتَ بِأَعْرَجٍ فَأَجَبْتَهُمْ
مَاذَا عَلَيَّ إِذَا اسْتَجَدْتَ شِمَائِلًا
إِنِّي أَحَبُّ جُلُوسِهِ وَأُرِيدُهُ
فِي كُلِّ عَضْوٍ مِنْهُ حَسَنٌ كَامِلٌ
وَلَهُ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

لَيْسَ شَرِبَ الْمَدَامَ لِلْمُسْتَهَامِ مُذْهِبًا مَا بِهِ مِنَ الْأَسْقَامِ
كَلَّمَا دَبَّتِ الْمَدَامَةُ فِي الْأَعْضَاءِ دَبَّ اشْتِيَاقُهُ فِي الْعِظَامِ
وَقَالَ فِي غِلَامٍ رَشَّ عَلَيْهِ مَاءُ الْوَرْدِ [مِنْ الْخَفِيفِ] :

لَيْتَ شَعْرِي عَنْ مَاءِ وَرْدِكَ هَذَا هُوَ مِنْ وَجْتِكَ أَمْ شَفْتِيكَ

(١) الرَدَفُ : الْمُؤَخَّرَةُ .

(٢) شَفَّنِي : أَمْرَضَنِي وَأَنْحَلَنِي .

(٣) الْكَثْبَانُ : الرَّمْلُ الْمُرْتَفِعُ .

رَقُّ حَسَنًا وَطَابَ عَرَفًا فَقَدْ دَلَّ بِأَوْصَافِهِ الظَّرَافُ عَلَيْكَ^(١)
وقال [من الخفيف] :

بات سكران لا يحيرُ جواباً عن كلامي وبِتْ أَلْثَمُ فَاهُ^(٢)
وأَتَانِي إبليسُ يَأْمُرُ بالسُّوءِ فما كان ذاك لا وهواه
شِيمَةُ الظَّرَفِ أَنْ أَصُونَ حَبِيبِي عَنْ قَبِيحٍ يَرَاهُ أَوْ لَا يَرَاهُ
أَيُّ فَرْقٍ بَيْنَ الْحَبِيبِ إِذَا نِيكَ وَلَمْ يَحْتَشِمُ وَبَيْنَ سِوَاهُ
وقال [من المنسرح] :

فِي وَجْهِهِ إِنْسَانَةٌ كَلَفْتُ بِهَا
الْخَدَّ وَرَدُّ، وَالصَّدْغُ غَالِيَةٌ
لِكُلِّ جُزْءٍ مِنْ حَسَنِهَا بَدْعُ
أَرْبَعَةٌ مَا اجْتَمَعْنَ فِي أَحَدٍ^(٣)
وَالرَّيْقُ خَمْرٌ، وَالثَّغْرُ مَنْ يَرُدُّ^(٤)
تَوَدَّعَ قَلْبِي بِدَائِعِ الْكَمَدِ^(٥)
وقال [من الرمل] :

يَا نَظِيرَ الْبَدْرِ فِي صُورَتِهِ
وَالَّذِي يَنْتَسِبُ الْوَرْدَ إِلَى
مَا تَرَى فِي عَاشِقٍ مَكْتَتِبٍ
وَاقِفٌ بِالْبَابِ يَشْكُو مَا بِهِ
وَشَبِيهِ الْغَصَنِ فِي قَامَتِهِ
رُوضَةٌ تَضْحَكُ فِي وَجْنَتِهِ
دَمْعُهُ وَقَفٌ عَلَى مَقْلَتِهِ
فَمَتَى تَنْظُرُ فِي قِصَّتِهِ
وقال [من الخفيف] :

بِأَبِي الْأَسْمَرِ الَّذِي فَزَتْ مِنْهُ
قَدْ سَقَانَا فَمَا شَفَانَا مَدَاماً
بِهَلَالٍ يَبِينُ لِلنَّاضِرِينَ
وَشَرَبْنَا مِنْ رَيْقِهِ فَرَوَيْنَا

(١) العرف : الرائحة الطيبة .

(٢) لا يحير جواباً : لا يدري .

(٣) كلفت : همت وعشقت .

(٤) الغالية : أخلط من الطيب .

(٥) الكمد : الحزن .

وقال [من المتقارب] :

غزالٌ فؤادي إليه صباً وهشٌ ولولاه لم يهش
أجلٌ نظراً في نقا خده وفي خديّ الأصفر الأنمش^(١)
تجد صحن خديه تفاحةً وخديّ من أجله مشمشي
وقال [من الخفيف] :

خذُ من الدهر ما صفا لك منه ودع الفكر في بنات الطريق
أيُّ شيءٍ يكون أطيب من كَأ س رحيقٍ شييتُ بريقٍ عشيق^(٢)
وقال [من المجتث] :

تظنُّ أنّي أسلو كلاً وربُّ البنيّه
الآن تيمّ قلبي باللحية السجيّه^(٣)
الخدُّ حمرةً فضلٍ على الخدود النقيّه
فيه بقية حسنٍ لم تبق منّي بقيّه
وله [من مجزوء الخفيف] :

أنا والله تالفٌ آيسٌ من سلامتي
أو أرى القامة التي قد أقامت قيامتي

وقال [من المنسرح] :

وشادن ما رأيت غرّته الغراء إلا شككت في القمر
قد قلت لما رأيت صورته تبارك الله خالق الصّور

(١) الأنمش : من النمش ، وهي بقع صفار في الجلد تخالف لونه .

(٢) شييت : مزجت .

(٣) السبحية : السوداء ، والسبح خرز أسود .

وقال في غلام زطي زامر [من السريع] :

ظبيُّ من الزطِّ تعلَّقه فصار معشوقي ومولايَ
أحسن والإحسان لم يجمعا في حسنٍ إلَّا لبلاويَ
إذا نأت روعي عن جسمها ردَّ لي النَّأي بالنأي

وقال في غلام يعرف بابن برغوث من مشاهير الملاح [من الوافر] :

بليت ولا أقول بمنْ لأني متى ما قلت من هو يعشقه
حبيبٌ قد نفا عني رقادي فإن غمضتُ أيقظني أبوه

وقال [من المديد] :

مستهامٌ ضاق مذهبه في هوى من عزَّ مطلبه^(١)
كلُّ أمري في الهوى عجبٌ وخلاصي منه أعجبه
لي حبيبٌ كلُّه حسنٌ فعيون الناس تنهيه
صيغ من ماءٍ ولي نظراً ليس يُروى حين يشربه
ضاع من عيني فمقلتها في بحار الدمع تطلبه
منعتني من مقبله حين أدنومنه عقربه^(٢)
واستدارت فهي تحرسه من فمي بخلاً وترقبه

وقال [من البسيط] :

أهلاً وسهلاً بمن زارت بلا عذو تحت الظلام ولم تحذر من الحرس
تسترت بالدجى عمداً فما استترت وناب إشراقها ليلاً عن القبس
ولو طواها الدجى عتاً لأظهرها برق الثنايا وعطر النحر والنفس

(١) مذهبه : طريقه وحيلته .

(٢) العقرب : حشرة معروفة لسعها شديد الألم « ويشبه الصدغ بها » .

المجون وما يجري مجراه

قال [من السريع] :

قد قلتُ لما مرَّ بي معرضاً كالبدْر تحت الغسق الداجي^(١)
يهتزُّ في حشيتِه مُتعباً من كفلٍ كالـموج رجراج^(٢)
ويلي على حلٍّ سراويله فإنَّه شدُّ على عاج

وقال في غلام تركي شرب معه [من مجزوء الرمل] :

أيها التركيُّ ما عندك للصَّبِّ النحيلِ
هل إلى ما يستر القُرُّ طق عني من سبيل؟
أشتهي ذاك وأخشى صولة اللَّيث الثَّقلِ

وقال [من المجتث] :

يا ليلةً ليس فيها إلى الفقاح سبيل^(٣)
طالت على ذي احتياجٍ له قمدٌ طويل^(٤)
مسكُرجٌ تتوالى دموعه وتسيل^(٥)
رقاده في الدياجي حتى ينيك قليل
موتَرٌ مستقيمٌ عليه رأسٌ ثَقِيل
أنزلته خان سوءٍ عنه يطيب الرحيل

(١) معرضاً : صاداً غير مكتوث ، والغسق : الظلام .

(٢) الكفل : الردف ، ورجراج : متحرك متموج .

(٣) القرطق : كجندب ، لبسٌ ، معرب كرتة وقرطقة : ألبسته .

(٤) الفقاح : جمع فقحة ، وهي حلقة الدَّبر .

(٥) القمد : الطويل الضخم العنق .

(٦) مسكُرجٌ : من صفات القضيبي « والسكرجة » الإناث الصغير .

وقال [من المجتث] :

قل للكويكب عني بأيُّ أيرٍ تنيكُ؟
والأيرُ منك صغيرٌ نضوٌ ضعيفٌ ركيكٌ^(١)
شاركُ بأيرك أيري ونكُ فنعَم الشريك

وقال [من الكامل] :

إنِّي بليت بشادنٍ غنجٍ حسن الشماثل وافر الكفلِ
يبغى الدراهم وهي معوزة عندي فحبلي غير متصلِ
مستعجم الألفاظ أجهل ما يبدي ويجهل فهمه غزلي
وإذا مدحت فليس يفهمه والفراسية ليس من عملي
فبحق ما بيني وبينك من ودٌ بلا زيغٍ ولا ميلٍ^(٢)
أمنٌ عليَّ بقربه فعسى أحيا بزورته ويسمح لي
الجود منك سجيّة أبداً والمدح والتقريظ من قبلي

وقال [من الطويل] :

إذا لم يكن للأير بختٌ تعذرت عليه جهات النيك من كل ناحية
حرمت الغزال الواسطي لشقوتي قدمعة أيري فوق خصيه جاريه
وفاز به كل البرايا ، وربّما غدت عقدي في خدعة المرد واهيه^(٣)
أقول لأيري وهو يرقب فتكةً به خيبتَ يا أيري وغالتك داهيه^(٤)
عزاءً فقد خاس الرجال بسيدي عليَّ ولأذوا بالدعي معاويه^(٥)

(١) نضوٌ : الضعيف المهزول .

(٢) الزيغ : الابتعاد .

(٣) عقدي : حيلي والأعبي ، وطُرقِي واهية : ضعيفة .

(٤) غالتك داهيه : أصابتك مصيبةً قضت عليك .

(٥) خاس : أخلف وغدر ، وفسد .

وقال [من الكامل] :

لما رأت كلفي بها وصابتي
قالت أكلت جناك ثم أتيتنا
أفحين نام الأير منك وصلتنا
لا تعرضنْ لمهرقٍ إن لم تُرضْ

وقال [من الطويل] :

وجاهلة هبت سفاهاً تلومني
توبخني بالشيب والشيب مرشدٌ
فقلت لها كفي ملامك إنني

وقال [من السريع] :

وبات في السطح معي واحدٌ
أفسو فيفسو وهو لي مسعدٌ

وقال [من المنسرح] :

عشقت للحين قينةً عطفتُ
ورمت نيكاً لها فكيف به
قلت ارفقي بالشريف فابتسمتُ
عجباً وأبدت كالقعب غضّ له
وصفقت فوقه تحسّرني

(١) الشمط : اختلاط بياض الشعر بسواده .

(٢) القصف : الخلاعة والمجون .

(٣) اعتزى : غمي ونسب .

(٤) القعب : النقرة « يريد بضع المرأة » .

وطال حتى علا على كتفي
تولج في ذا بالشعر والشرف
ولا بفخر فانسِلْ أو فففر
أملك سلواً ولجَّ بي كلفي
بيتاً ويكي بأدمع ذرف^(١)
فمن حذار الرقيب لم أقف

حتى إذا ما رنا له ذكري
قالت بحقي عليك تطمع أن
تالله لا نكتني بقافية
وأسبلت ثوبها عليه فلم
فعجت عنها والأير ينشدني
قال لي الشوق قف لتلثمه

وقال [من مجزوء الوافر] :

وكلُّ لحاظه حورُ
وأيامي بها قصر
تزيّف ويهدر الذكر^(٢)
يطير لنارها شرر

أيا من كلُّه قمرُ
لقد طالت عداتك لي
متى في البرج تحصل كي
وتنشر بيننا قبلُ

وقال [من المتقارب] :

ولا نال يؤساً فما أضيّقاً^(٣)
بأن لها كعثناً محرقاً^(٤)
ومن شدّة الضيق أن أخنقا
لمبصرنا شبحاً أبلقا
وإن تَمَمّت ولدتْ عققاً^(٥)

وسوداء بورك في بضعها
نزوت عليها ولا علم لي
وكدت من الحرّ أن أشتوي
وألفيت من جسدينا معاً
فإن أخذشتْ قرطستْ بالمنى

(١) عجت : ملت عنها .

(٢) تزيّف : تبتخّر، والذكر : عضو التناسل .

(٣) البضع : الفرج .

(٤) الكعثن : « الفرج » .

(٥) قرطست : أصابت الغرض ، وعقق : طائر كالغراب ذو لونين أبيض وأسود .

وقال [من المتقارب] :

لخمرةً عندي حديثٌ يطول رأنتي أبول فكادت تبولُ
فلما نهضت أتاني الكتاب وجاء الهدايا ووافى الرسول
وقالت تقولُ بنا يا فتى فقلت وأنعظت لم لا أقول^(١)

وقال [من السريع] :

وأجر غلماني في واسطٍ وجوعٌ ، وكانوا لا يرامونا
جادوا بما كنت ضنيناً به فاتسعوا ممّا يناكونا
لو أنّ رزقي مثلُ أدبارهم كنت من الإثراء قارونا^(٢)

* * *

ملح من أهاجيه لخمرة

قال [من البسيط] :

غشّت خميرة يوم العرس حاجبها بريقها وأتنتي وهي مختضبة
فقلت للزوج لا تغرك حُمرتها فإنّها القفل موضوعٌ على خربه

وقال [من السريع] :

يا سائلي عن ليلةٍ لي مضتُ وطيبها عند أبي الجيشِ
وكيف غنّت خمرةً لا تسلُ غنّت فأغتننا عن الخيش^(٣)
كفُّ على الطبل لإيقاعها وكفُّها الأخرى على الفيش^(٤)
وربّما مرت لها فسوةٌ من فمها عفتُ على العيش

(١) أنعظ الذكر : أي قام وانتصب .

(٢) قارون : أحد الكفرة الأغنياء في زمن موسى عليه السلام وردت قصته في القرآن الكريم .

(٣) الخيش : ثياب في نسجها رقة وخيوطها غلاظ .

(٤) الفيش : رأس الذكر .

وقال [من السريع] :

| | |
|-------------------------------------|--------------------------|
| سَلْقِيَّةُ اللّون سلوقيه | ربّ عجوزٍ مستعنيه |
| أبدت ثنايا أبنوسيه | عاجية الشعر إذا استضحكتُ |
| كمقربٍ في وسط برّيه ^(١) | ذات حرّ عنبْلُهُ بارزُ |
| كالودع في عقصة كرده | وشعرة بالقمل منظومة |
| كقنفذٍ عضّ على ريه ^(٢) | يفترّ ذاك الصدغ عن بظرها |
| فهي على العاهة لوطيه ^(٣) | مُسِنَّةٌ تصبو إلى أمرٍ |

وقال [من الوافر] :

| | |
|---------------------------------------|------------------------|
| أقامت مع مؤاجرها زمانا ^(٤) | عجبت لخمرة البخراء أتى |
| ينيكُ به فيردفه لسانا ^(٥) | وليس لأيره طولٌ ولكنْ |
| لساناً ربّما درس القرانا | لحاه الله كيف يدس فيها |

وقال [من السريع] :

| | |
|---------------------------------------|-------------------------|
| مربحةٍ ما مثلها تجره | هل لك يا خمرة في تجرة |
| ربّك بالنكهة في البصره | صيري إلى البصرة واسترزي |
| لابتيعت التفلة بالبدرة ^(٦) | فلو عرضت الريق في سوقها |
| غير أوان الحمرة البسره ^(٧) | تزكو بها النخل وتحمر في |

(١) الحرّ: الفرج .

(٢) ريه : يعني على شفته حيث يبدأ الارتواء .

(٣) لوطية : من اللواط وهو الاتيان من دُبر .

(٤) البخراء : أي أن رائحة فمها كريهة .

(٥) يردفه : يضمّ إليه .

(٦) البدره : كيس توضع فيه كمية من الدراهم .

(٧) البُسْر : ثمر النخل الذي لَوْن ولم ينضج .

وقال [من المنسرح] :

لا تسمعوا خمرة فقد هربت
رثٌ غناها ورثٌ كعثنها
وانكسرتُ تلکم القواريرُ
وكلُّ بازٍ يمسُّهُ هرمٌ
والخلق المسترثُ مهجور^(١)
تخرى على رأسه العصافير

وقال [من الطويل] :

وقد كنت قبل الشيب أعشق خمرةً
إلى أن عفا حرّها ودبّب منعظي
وتفرطُ في عشقي وتضرطُ من حبي
وصارت قفا نبك وصرت ألا هي^(٢)

وقال [من البسيط] :

حسبي سواك وبسّي من وصالك لي
لا تعذّليني على ما كان من مللٍ
شغلّت عنك بمن أهواه فاشتغلي^(٣)
هرمت حتى تناسيت اللحون معاً
من ذا يراك فلا يصبو إلى الملل
إن كنت أبصرت أسي منك في بصري
وصرت مفرغةً الألحاظ والمقل
البحر أنت وأيري ليس من سمكٍ
فلا بلغت الذي أهواه من أمني
وليس بيني وبين البحر من عمل

وحصل معها في دعوة فغنت . فقال ابن سكرة [من السريع] :

ذنبى عظيمٌ ما أرى يُغفرُ
فالحمد لله على حكمه
في وصل من نكبتها مبعر^(٤)
هذا دليلٌ أنني مدبر
قد قلت لما لاح لي ثغرها
ولا ح منه الخزف الأخضر
وانثر السوسن من صدغها
وثار منها نفس أبخر

(١) رثٌ : بلي ، والكعثن : الفرج .

(٢) عفا : انمحى ، ودبّب منعظي : أي ضعف الذكر منّي .

(٣) بسّي : ابتعدي وتنحّي .

(٤) المبعر : المخرج .

وشفَّ قلبي نتن أباطها يا معشر الناس قفوا فانظروا^(١)

* * *

ما أخرج من سائر أهاجيه

قال [من مخلع البسيط] :

| | |
|-----------------------|-------------------------------------|
| تهت علينا ولست فينا | وليَّ عهدٍ ولا خليفه |
| فيه وزد ما عليَّ جارٍ | يقطع عني ولا وظيفه ^(٢) |
| ولا ثقل ليس فيَّ عيبٌ | قد تقذف الحرَّة العفيفه |
| الشعر نارٌ بلا دخانٍ | وللقوافي رقيٌّ لطيفه ^(٣) |
| كم من ثقل المحل سامٍ | هوت به أحرفٌ خفيفه |
| لو هجى المسك وهو أهلٌ | لكلِّ مدحٍ لصار جيفه |

وقال [من البسيط] :

| | |
|-------------------------------|--|
| أمَّا الصيام فشيءٌ لست أعدمه | مدى الزمان وإن بيَّتُ إفطارا |
| أغشى أناساً فأغشى في منازلهم | جوعاً عليَّ ولا أغشى لهم ناراً |
| قد أجموا القمل أن ترزأ دماءهم | وأجموا في الكوى الجرذان والفارا ^(٤) |

قال [من الوافر] :

| | |
|--------------------------|-------------------------|
| وهنوا بالصيام فقلت مهلاً | فأنِّي طول دهري في صيام |
| وهل فطر لمن يمسي ويضحى | يؤمِّل فضل أقوات اللثام |

(١) التَّن : الرائحة الكريهة والأباط : جمع إبط .

(٢) ما عليَّ جارٍ : أي رزقٌ أو مالٌ شهري .

(٣) الرُّقي : النفث .

(٤) الكوى : الخرق في الخائط .

وقال [من السريع] :

أكره أن أدنو إلى داركم لأنني أخشى على نفسي
ضرسي طحونٌ وعلى خبزكم من أكل مثلي آية الكرسي
وهو الذي أقعدني عنكم فكيف آتي ومعني ضرسي ؟
وقال [من الوافر] :

عليلٌ لا يعاد من الخساسة له نفس تحيد عن النفاسة^(١)
دخلت أعوده فازورٌ عني كأني جئته لأدقّ راسه^(٢)
وقال [من السريع] :

قام إلى كلبٍ له مثله فلم يزل يعلوه بالسيفِ
فقلت ما ذنب أخيك الذي يقنع من زادك بالطيفِ
فقال لي لا عفوَ عن ذنبه حاف علينا أيّما حيف^(٣)
صانعه الضيف بعظمٍ له فنحن في ريبٍ من الضيف
وقال [من الكامل] :

كلُّ العجائب قد سمعت وما أرى أني سمعت لشاعرٍ قرنان
قرن يحكُّ به السماء ومثله ذنبٌ يزور الحوت في الأزمان
وإذا تحدّث أحدثت لهوائه فترى الأنوف تلوذ بالأردان^(٤)
وترى أخادعه تعطُّ كأرنبٍ عكفت عليه مناسر العقبان^(٥)

(١) الخساسة : الضعة ، والنفاسة : من النفيس وهو الثمين الغالي .

(٢) ازورٌ : أشاح مغضباً .

(٣) الحيف : الانتقاص والظلم .

(٤) أحدثت : من الحدث وهو الريح والغائط من الانسان ، والأردان : أطراف الأكام .

(٥) تعطُّ : تشنّى ، وعطّ الثوب : شقّه .

وقال [من السريع] :

لا قدّستُ أرضُ أقمنا بها قريةٌ من طبرستان
ليست خراسان ولكنّها تقرب من أرض خراسان
لا سقيت جرجان من وابلٍ قطراً ولا ساكن جرجان
قومٌ إذا حلَّ غريبٌ بهم مات من الشوق إلى البان^(١)

وقال [من السريع] :

لا وصل الروح إلى تربةٍ تضمّنت روح أبي روح
والضرطُ والفسو على قبره أولى من التأبين والنوح

وقال [من الخفيف] :

يا جوّ أمرد يا حليف البلاده لك في الفسق عادةٌ أي عادة^(٢)
أنت لا تعرف الصلاة فقل لي لم تأنّقت في شرا سجّاده

وقال [من الكامل] :

يا شاعراً جمّت مصائب دبره وتكاثفتُ لوداقه أوجاعه^(٣)
طلب التطبّع في القريض بجهد فجرت طبيعته وقام طباعه^(٤)

وقال [من البسيط] :

علامة النحس والخذلان والشوم إغراض وجهك عن صقرٍ إلى يوم
كراغبٍ في بنات الزنج من أفنٍ وزاهدٍ في بنات الترك والروم^(٥)

(١) ألبان : شجر لين ورقه طويل ، أبيض الزهر، وبان : بعد ، وانفصل .

(٢) كذا وقع صدر هذا البيت .

(٣) جمّت : كثرت .

(٤) القريض : الشعر .

(٥) الأفن : الحمق والجهل .

وقال [من المتقارب] :

تجشأتُ في وجهه بوابه ليعرف شعبي فلا أُمْنَعُ
وقلت له إنَّ بي تخمَةً فهل من دواءٍ لها ينفع ؟
فقال لقد غرّني معشرُ بهذا الحديث الذي أسمع
فلما نذرت بهم صاحبي ولاحت موائده أوجعوا
فراحوا بطاناً ذوي كظّةٍ وأقبلت من أجلهم أصفع^(١)

وقال [من الوافر] :

يطيل المكث في الإصطبل حتّى يرى أير الحمار إذا أسبطراً^(٢)
فيمرسه ويكثرُ قولَ طوبى لغمدٍ ضمّ هذا النصل شهراً^(٣)

وقال [من الوافر] :

لنا شيخ يصلي من قعودٍ وينكح حين ينكح من قيامٍ
صموت فمٍ أخو عيٍّ ولكنَّ له دبرٌ يطفّل بالكلام^(٤)

وقال لكاتب وعده كاغداً فلم ينجز [من المنسرح] :

كددنتي أن سألتك الورقا فكيف حالي إن قاسمتك الورقا^(٥)
يا كاتباً برزت كتابته فصار فيها مقدماً لبقا
أسلم في مكتب المروءة والظرف وكسب العلا فما حذقا

(١) البطان : كثرة الأكل : والكظّة : امتلاء البطن حتى لا يطبق التنفّس .

(٢) أسبطراً : ظهر وانتصب .

(٣) يمرسه : يعركه بيديه أو يلوّكه .

(٤) العيّ : صعوبة النطق : يطفّل : يتدبّر .

(٥) كددنتي : أتعبتني وبخلت عليّ والورق الأول يقرأ بفتح الواو والراء جميعاً وهو ما يكتب فيه والورق

الثاني يقرأ بفتح الواو وكسر الراء وهو الفضة .

حتى إذا أسلموه في مكتب اللؤم جرى كيف شاء وانطلقا

* * *

ما أخرج من خمرياته ، وما يتصل بها من الأوصاف

قال [من البسيط] :

إشربُ فلليوم فضلٌ لو علمتَ به بادرتَ باللهو واستعجلتَ بالطرب
ورد الخدود وورد الروض قد جمعا والغيم مبتسمٌ والشمس في الحجب
لا تحبس الكأس واشربها مشعشةً حتى تموت بها موتاً بلا سبب

وقال ، وقد شرب في الغمر بواسطة [من مجزوء الرمل] :

ليلتي في الغمر دهري أو يقضي العمر عمري
مرّ لي في العمر يومٌ لا أجازيه بشكر
بين غزلان النصارى أمزج الريق بخمر

وقال ، وقد شرب عند الأمير أحمد بن ورقاء [من مجزوء الخفيف] :

للأمير الجليل لا حطّ من نبيل قدره
قهوةً أشبهت سجا ياه في كلّ أمره
ذات صفو كودّه ونسيم كنشره
قد حصلنا بمجلسٍ فيه ريحان ذكره
فشربنا بحمده وانتقلنا بشكره
وسمعنا غرائباً من أفانين شعره
فكأنّا في الخلد نر تع في طيب زهره

وقال [من مجزوء الكامل] :

قم يا غزال من الكرى روحي فداؤك من غزال

هذا الصبح وأنت أنت وهذه بكر الحجال
لا تخذعن عن الشمو ل يشوبها ماء الشمال
وقال سامحه الله تعالى [من الخفيف] :

قد بدا الصبح مؤذناً بسفور وفرى الفجر حلة الديجور^(١)
فاسقني قهوة تترجم بالرقة عن دمع عاشق مهجور
وقال [من المنسرح] :

يا ساهر الطرف قد بدا السحر ورق جلاب ليلنا ودعا
فما ترى في اصطباح صافية رقت فراقت وفات ملمسها
فهي لمن شم ريحها أثر ترى الثريا والغرب يجذبها
كف عروس لاحت خواتمها أو عقد در في الجو ينثر
قصر في وشي بردها المطر^(٢) حيث نأى الناي بالعقول وقد
وقال ، وكتب بها إلى يحيى بن فهيد يستهديه نبذاً [من المجتث] :

رسالة من مكداً وشاعر وشريف
إلى فتى مستبداً بكل فعل ظريف
إليك يحيى اشتكائي صحوي بيوم طريف

(١) السفور : الوضوح ، وفري : شق .

(٢) جمش : داعب .

(٣) راضها : حل بها وقادها .

ولست مضمّر نسك ولو أسام بديني
 موت الوزير دعاني إلى التماس طفيف
 ولم أزل وهو حي وأنت منه اعتياضي
 وأنت منه اعتياضي على الزمان العنيف
 وفي النبذ سلو عن الغرام المطيف
 فامنن عليّ بضخم من الدنان كثيف
 مستودع ذات لون ومطعم حرّيف^(١)
 كأنّها وهم حسّ أتى بحدس لطيف^(٢)
 فقد تبدّد شملي وأنت للتأليف^(٣)

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا من ثناء وذكره بين الورى مسك وعنبر
 إني كتبت وزائري ظبيّ مليح الدلّ أحو^(١)
 متمنّع في الصحو يسمح بالبضاعة حين يسكر
 وأرى تعذّر أمره في الكفّ إن سكر تعذّر
 فامنن عليّ بقهوة أنف الحبيب بها يُعفّر
 فأنال منه أنا المنى وتحوز أنت ثناً وتؤجر

وقال [من مجزوء الكامل] :

إن كنتَ تشطّ للمديح وللثناء عليك منّي

(١) أسام : من السوم وهو المفاصلة عند البيع والشراء .

(٢) المنيف : الشامخ المشرف .

(٣) الحرّيف : الحاد الطعم ، الذي يلذع الفم واللسان .

(٤) الدلّ : الجرأة في تلفظ ، الغنج .

فابعث إليّ مع الرسو لَ إذا أتاك بملء دَنٍّ^(١)
ومتى رضيت بأن أقطّع أو أهجّن أو أزنّي^(٢)
فاصرف رسولي خائباً وادفع بقبحك حسن ظنيّ

وقال [من مجزوء الرمل] :

يا فتى الجصاص قد أعـدمتني الإحسان دفعه
ولزمت الشحّ بالراح فما تسخو بجرعه
قد أتى العيد وصحوي فيه يا مولاي بدعه
أملني فيك قريبٌ ليس فيه لي منعه
شربةً من خمرك الصا في ومن ندك قطعه^(٣)
ينبذ الحبّ فيستنفده الشعر برقه

وقال [من المجتث] :

لنا على النار قدرٌ بخاتم النار بكرُ
وعندنا من بقايا صيحة العيد خمر
وقد دعونا غلاماً كالغصن أعلاه بدر
فاطلع علينا وساعدُ أو لا فما لك عذر

وقال [من مخلع البسيط] :

على الأثافي لنا قدورٌ ساكنةُ النَّبْضِ لا تفور^(٣)
قامتْ على سوقها لأكلٍ ونحن من حولها ندورُ
وعندنا من شراب عمرو دنٌ رحيبُ الحشى كبيرُ

(١) أهجّن : أعاب .

(٢) النّدّ : عود طيب الرائحة يُتخَرَّبُ به .

(٣) الأثافي : الحجارة التي توضع عليها القدر ، واحدها أثفية « الموقد » .

لما فضضناه فاح منه نسيم مسكٍ ولاح نور
فكن لنا مسعداً وبادر يكملُ بك الحسن والسرور
واغنم من الدهر صفو يومٍ فهو بتكديره جدير

وقال يستهدي نبذاً في ذكره^(١) [من الطويل] :

وزنجيةٍ لم تعرف الزنج طفلةٍ خميسة بطنٍ مسّها عندك العطشُ
فجاءتك تستسقي من الخمر ريثاً فترجع كالجلى من النسوة الحبشُ
فكم من هزيلٍ مثلها في ضمورها غيت به حتى تضلّع وانتعشُ

وقال [من المجث] :

للورد عندي محلٌّ لأنّه لا يملُ
كلُّ السرياحين جندٌ وهو الأمير الأجلُ
إن غاب عزّوا وباهوا حتى إذا عاد ذلّوا

وقال من قصيدة^(٢) [من الوافر] :

ويومٍ لا يقاس إليه يومٌ يلوح ضياؤه من غير نار
أقمنا فيه للذات سوقاً نبيع العقل فيه بالعقار

* * *

الشكوى والتفجع

وقال [من الوافر] :

أرى حلاً وديباجاً حسناً فألحظها بطرفٍ المستريب^(٣)

(١) الذكرة : الكتاب .

(٢) تقدم ذكر هذين البيتين « انظر ص ٤ من هذا الجزء » .

(٣) الطرف : العين ، والمستريب : الشاك .

وأعرف قصّتي وأردُّ طرفي وفي قلبي أحرُّ من اللهبِ
 جنى نسبي عليّ وصدّ رزقي وأثكلني من الدنيا نصيبي
 فوا أسفاً على كستيح قس ويا لهفاً على قوس الصليب^(١)
 وقال [من مجزوء الخفيف] :

قد أتى العيد لا أتى فلقد أنهج المهج^(٢)
 ليس فيه لهاشمي سرور ولا فرج
 إنّه عيد أهل قم وقاشان والكرج^(٣)
 يتلاقى بياضهم بقلوب من السبج^(٤)

وقال يتأسف على أيام المهلي الوزير [من الكامل] :

يا صاحبي قفا أثبُكما ما قد منيت به من النوبِ
 وافى الربيع وقد ألفت به درر السقاة بدائر النخب
 في روضة صبغ الربيع بها ورد الخدود بعصفر العنب^(٥)
 وإذا الغلام أدار في يده صفراء بعد المزج كالذهب
 حمراء يضحك فوق مفرقها ثغر الحباب كثغر ذي شنب^(٦)
 أسجدت فوق الخد منه فمي شكراً لما أوليت من طرب^(٧)
 هذا حديث كان لي ومضى كالأمس ولّى ثم لم يثب^(٨)

(١) الكستيح : خيط غليظ يشده الذمي فوق ثيابه تحت الزنار .

(٢) انهج المهج : أبلاها .

(٣) قم وقاشان والكرج : أسماء بلاد في إيران .

(٤) السبج : الخرز الأسود .

(٥) العصفر : نبات يصبغ به وصبغه أصفر .

(٦) الشنب : عذوبة ورقة في الأسنان .

(٧) أسجدت : طأطأت وانحنيت .

(٨) لم يثب : يعود من جديد .

أيام كنت من المهالب في
فبمن أعوذ اليوم من كمد
والورد قد وافى بنضرته
طلّقتُ لذاتي الثلاث فما
فاذا بصرت بوردة قنعتُ
فعلى السرور وكلُّ فائدة
وقال [من الطويل] :

مضى ملكٌ عمّ البرية جوده
سكرت بنعماء وجود وزيره
وقال [من البسيط] :

لا عذب الله ميتاً كان ينعشني
طواه موتٌ طوى منّي مكارمه
وقال لبعض الوزراء [من المنسرح] :

يا سيدي أنت إن لي خيراً
هاك حديثي فإن نشطت له
مستأنسٌ زارني وحسبك بال
باكرني جائعاً فهتكني
وهو على البخت ناقةً فمتى
لم يبق في روح برمتي رمقاً

(١) راع : أخاف .

(٢) الحدقة : سواد العين .

(٣) الفمحة الشبقة : النقحة : حلقة الدبر والشبقة : من الشبق ، أي حبّ الجنس .

(٤) البخت : الحظ . والفرت : ما يكون في الكرش .

وعاث في سفرتي كمشيلةٍ
قلعاً وبلعاً بلا مراقبةٍ
قل للرئيس الذي أنامله
حلت لي الميتة التي حُرمتُ
وقال [من البسيط] :

يا سيداً ظلّ فرداً في سيادته
الشوق يُنهضني والعدم^(٣) يُقعدي
وقال [من السريع] :

جملة أمري أنّني مفلسٌ
وكلُّ ذي عيشٍ بلا درهمٍ
وقال [من مجزوء الرمل] :

قيل ما أعددتَ للبر
قلتُ درأعةً عريً
وقال [من البسيط] :

وجاهلٍ قال لي : لا بدّ من فرجٍ
فقال من بعد حينٍ قلت يا عجباً
لو كان ما قلت حقّاً لم أكن رجلاً
فقلت للغيط : لم لا بدّ من فرجٍ ؟
من يضمن العمر لي يا بارد الحجج
مُقَسَّمُ العمر في الروحات والدكج

(١) المشيلة : المسبعة . وغرثى : جائعة .

(٢) منخرقه : متكرمة متلطفة .

(٣) الجلل : العظيم .

(٤) العدم : الفقر : شناك : أبغضك .

أَسْعَى لِأَدْرِكْ حَظًّا لَوْ حَظَّيْتُ بِهِ مَا كُنْتُ أَوَّلَ مُحَظَّوْظٍ مِنَ الْهَمَجِ
ذَنْبِي إِلَى الدَّهْرِ أَنِّي أَبْطَحِيُّ أَبِ وَلَسْتُ أَعْزَى إِلَى قَمٍّ وَلَا كَرَجٍ^(١)
وقال [من البسيط] :

أَمْسَى يَسَائِلُ عَنْ حَالِي لِيُخْبِرَهَا وَكَيْفَ أَمْسَيْتُ فِي أَهْلِي وَفِي بَلَدِي
فَقُلْتُ حَالِي بِحَالٍ مِنْ رِثَائِهَا وَعَلَّةُ الْحَالِ تُنْسِي عَلَّةَ الْجَسَدِ

* * *

المدائح وما يقترن بها

قال من قصيدة في الفرج [من السريع] :

وَقَائِلٍ لَمْ غَبَتْ عَنْ لِحْظِهِ وَأَنْتَ مِنْ أَصْغَرِ غُلَمَانِهِ
فَقُلْتُ مَا أَجْهَلُ فَخْرِي بِمَنْ تَسْمُو بِهِ سَادَاتُ أَزْمَانِهِ
هَيْبَتُهُ تَمْنَعُ مِنْ قَرْبِهِ وَحُبُّهُ يَغْرِي بَغْشِيَانَهُ^(٢)
وَقَدْ تَبَلَّدْتُ فَهَلْ حِيلَةٌ تَبْسُطُ أُنْسِي عِنْدَ لَقْيَانِهِ

وقال لابن لوزة ، وقد أهدى إليه دواة [من البسيط] :

أَخٍ مَزَجْتَ بِرُوحِي رُوحَهُ جَرَى مَنِّي كَمَجْرَى دَمِي فِي الْجِسْمِ أَفْدِيهِ
ثُمَّ اتَّفَقْنَا عَلَى الْقَابِ سَالِفْنَا فَصُرْتُ فِي كُلِّ حَالٍ مَا أَضَاهِيهِ
أَهْدَى إِلَيَّ دَوَاةً لَوْ كَتَبْتَ بِهَا دَهْرِي أَيَادِيهِ لَمْ تَنْفُدْ أَيَادِيهِ

وقال في أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى [من الوافر] :

لَقَدْ أَمْسَكَتَ مِنْ عَمْرِ بْنِ يَحْيَى بِجَبَلٍ لَا أَخَافُ لَهُ انْبِتَاتًا^(٣)

(١) أعزى : أنسب .

(٢) غشيانه : إتيانه وقصده .

(٣) انبتاتاً : انقطاعاً .

جبانى فى الحىة ورمّ حالى وأوصى بى أبا حسنٍ وماتا^(١)
فكنت مجاوراً للبحر منه فلمّا مات جاورت الفراتا
وقال يهنى بالعيد [من الوافر] :

عماد الدين قابلك السعود وعشتَ كما تريد لمن تريدُ
وأظهرك الإله على الأعادي ومات بدائه فيك الحسود
أتاك العيد مقبلاً جديداً وجدُّك فيه مقبلاً سعيد^(٢)
يُهنّي الناس بالأعياد فينا وأنت لنا برغم العيد عيدُ
وقال [من الخفيف] :

ولعمر الإله لولا أياديك لماتت خواطر الشعراءِ
عشت تطوي الأعياد طيَّ الأعادي في سرورٍ ونعمةٍ ورخاءِ

* * *

سائر الملح والنوادر

قال [من الوافر] :

أقرّ الله عينك يا جفوني فقد أعتقت من رقّ السُّهادِ
ويا عيني لك البشرى فنامي وتهنيك السلامة يا فؤادي
نزعت عن الهوى وبرئت منه إليك وكنت دهري في جهاد^(٣)

وقال [من مجزوء الكامل] :

يا شاعراً نمتار من أفكاره الفقر الدُّفاق^(٤)

(١) رمّ حاله : أصلحه وأقامه .

(٢) الجدّ : الخطّ .

(٣) نزعت عن الهوى : تخلّيت وفارقت .

(٤) نمتار : نشترى ونستخلص ، والفقر : القطع من القصائد .

شعرُ لو أنَّ الشَّهْدَ قيس به وجدناه زعاقاً^(١)

وقال يصف رمكة شقراء^(٢) [من المنسرح] :

شقراء إلاَّ حبولٌ مؤخرها فهي مدامٌ ورسغُها الزَّبْدُ
تعطيك مجهودها فراحتها في السير فالحضر عندها وتد^(٣)

وقال [من مجزوء الرمل] :

قلت للنَّزلة حُلِّيْ وانزلي غير لهاتي
واتركي حلقي بحقي فهو دهليز حياتي

وقال في غلام له كبر فأخرجه [من مجزوء الرمل] :

ما تركناه وفيه لمحِبٌّ من طباخ
هدر الطير ومن عا داتنا أكل الفراخ

وقال [من السريع] :

وهامةٍ نيطت بها لحيَةٌ يظلم من قد قاسها باللَّحْيِ
قد نصل الخضب إلى نصفها فهي كمثَل النمل إذ أجنحنا^(٤)

وقال [من المتقارب] :

فإن كنت من هاشمٍ في الذَّرى فقد ينبت الشوك وسط الأَقاحي

وقال [من الطويل] :

هو البحر إلاَّ أنَّه عذب مورِد ومن عجبٍ أنَّ العذوبة في البحر

(١) الزعاق : الماء المرّ الغليظ الذي لا يطاق شربه .

(٢) الرمكة : المهرة أو الفرس .

(٣) الحضر والاحضار : ارتفاع الفرس عند العدو .

(٤) الخضب : من الخضاب وهو الصباغ ، ونصل أي ذهب قسمٌ منه .

وقال [من الكامل] :

الجوع يطرد بالرغيف اليابس الموت أنصف حين عدل قسمة
فعلام تكثر حسرتي ووساوسي بين الخليفة والفقير البائس

وقال [من السريع] :

كنت فقيراً ثم أغنييتني كمثل من بخره أهله
وعدت في الفقر من الراس وهو على مجمره فاسي^(١)
وله [من السريع] :

أما ترى الروضة قد نورت كأنما الأرض سماء لنا
وظاهر الروضة قد أعشبا نطف منها كوكباً كوكبا
وقال [من المنسرح] :

أطعمني في خروفكم خرفي غدوت أرجو طرافه فغدت
فجئت مستعجلاً ولم أقف في طرف السماك في طرف
وقال [من الوافر] :

لقد بان الشباب وكان غضاً وكان البعض منك فاعلم
له ثمر وأوراق تظلك^(٢) متى ما مات بعضك مات كلك
أخذه من قول الخريمي [من الوافر] :
إذا ما مات بعضك فابك بعضاً فبعض الشيء من بعض قريب

(١) المجرم : ما يوضع فيه الجرمع البخور .

(٢) بان : مضى وذوى .

وقال في الزهد يخاطب نفسه [من الطويل] :

| | |
|---------------------------------|-------------------------------|
| وللملكين الواقفين على القبر؟ | محمدٌ ، ما أعددت للقبر والبلى |
| ولا ترعوي عمّا يذمُّ من الأمر | وأنت مصرٌّ لا تراجع توبةً |
| وتصبح مخموراً مريضاً من الخمر | تبيت على خمرٍ تعاقر دنّها |
| فقدّم له زاداً إلى البعث والحشر | سيأتيك يومٌ لا تحاول دفعه |

* * *

الباب السابع

٢ - نذكر فيه محاسن أبي عبد الله الحسن بن أحمد بن الحجاج
وغرائب

هو وإن كان في أكثر شعره لا يستتر من العقل بسجف^(١) ، ولا يبيّن رجل قوله إلا على سخف . فإنه من سحرة الشعر ، وعجائب العصر . وقد اتفق من رأيتهم وسمعت به من أهل البصيرة في الأدب وحسن المعرفة بالشعر على أنه فرد زمانه في فنه الذي شهر به ، وأنه لم يسبق إلى طريقته ، ولم يلحق شأوه في نمطه ، ولم ير كاقتراده على ما يرده من المعاني التي تقع في طرزه ، مع سلاسة الألفاظ وعذوبتها ، وانتظامها في سلك الملاحاة والبلاغة . وإن كانت مفصحة عن السخافة ، مشوبة بلغات الخلدیین والمكدين وأهل الشطارة^(٢) . ولولا أن جد الأدب جد وهزله هزل كما قال إبراهيم بن المهدي لصنت كتابي هذا عن كثير من كلام من يمد يد المجون فيعرك بها أذن الحرم . ويفتح جراب السخف فيصفع بها قفا العقل . ولكنه على علاته تنفكه الفضلاء بشار شعره ، وتستملح الكبراء بينات طبعه ، وتستخف الأدباء أرواح نظمه ، ويحتمل المحتشمون فرط رفته وقذعه^(٣) . ومنهم من يغلو في الميل إلى ما يضحك ويمتع من نوادره ، ولقد مدح الملوك

(١) السجف : الستار .

(٢) مشوبة : ممزوجة ، والمكدين : الذين يستعطون الناس .

(٣) الرفث والقذع : أي فحشه وإساءته .

والأمراء ، والوزراء والرؤساء ، فلم يخل قصيدة فيهم من سفاتج هزله^(١) ، ونتائج فحشه ، وهو عندهم مقبول الجملة غالى مهر الكلام ، موفور الحظ من الإكرام والإنعام ، مجاب إلى مقترحه من الصلات الجسام ، والأعمال المجدية التي ينقلب منها إلى خير حال ، وكان طول عمره يتحكم على وزراء الوقت ورؤساء العصر ، تحكم الصبي على أهله ، ويعيش في أكنافهم عيشة راضية ، ويستثمر نعمة صافية ضافية . ودويان شعره أسير في الأفاق من الأمثال ، وأسرى من الخيال . وقد أخرجت من ملحه الخالية من الفحش المفرط ، الحالية بأحسن المقرط ، ونوادره التي تسر النفس ، وتعيد الأنس .

ما يستغرق وصف ابن الرومي [من الكامل] :

شرك العقول ونزهة ما مثلها للمطمئن وعقله المستوفز^(٢)
 إن طال لم يملل وإن هي أوجزت ودَّ المحدث أنها لم توجز

فمن ذلك وصفه لشعره ولسخفه كقوله [من المجث] :

فإن شعري ظريف من بابة الظرفاء
 الذُّ معنى وأشهى من استماع الغناء

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قرمٌ إذا أنشدته شعري البديع تهلاً^(٣)
 فحسبت أن أبا عبا دة يمدح المتوكلا

(١) السفاتج : هي أن تعطي رجلاً مالاً فيعطيك وثيقة تستردُّ بها مالك من عميلٍ له في بلدٍ آخر أنت قاصده « من السفتجة » .

(٢) شرك العقول : نظمها وحبكها . والمستوفز : المتيقظ الوافر .

(٣) القرم : السيد القوي .

وقوله [من المجتث] :

إن عاب ثعلب شعري أو عاب خفة روعي^(١)
خريت في باب أفعلت من كتاب الفصيح

وقال [من السريع] :

يا سيدي هذي القوافي التي وجوها مثل الدنانير
خفيفة من نضجها هشة كأنها خبز الأباير

ومن أخرى يصف فيها نفسه [من الخفيف] :

حدث السن لم يزل يتلهى علمه بالمشايخ الكبراء^(٢)
خاطر يصفع الفرزدق في الشعر ونحو نيك أم الكسائي
غير أنني أصبحت أضيع في القوم من البدر في ليالي الشتاء
ومن جملتها :

رجل يدعي النبوة في السخف ومن ذا يشك في الأنبياء
جاء بالمعجزات يدعو إليها فأجيبوا يا معشر السخفاء
وقال [من مخلع البسيط] :

بالله يا أحمد بن عمرو تعرف الناس مثل شعري
شعر يفيض الكنيف منه من جانبي خاطري ونحري^(٣)
نسيمه متنن المعاني كأنه فلتة بجحر
لو جد شعري رأيت فيه كواكب الليل كيف تسري

(١) ثعلب : أحد النحاة المشهورين .

(٢) حدث السن : صغيره .

(٣) الكنيف : المرحاض .

وإنما هزله مجونٌ يمشي به في المعاش أمري
وقال من قصيدة [من المجتث] :

ألست تعلم أنني في غيبتني وحضوري
ما زلت فيك بمدحي أنيك أم جرير
ومن أخرى [من الخفيف] :

ويدُ تخرج العرائس في مد حك بين الأقلام والأدراج
فاستمعها مني الذَّ وأشهى من سماع الأرمال والأهزاج
بمعانٍ بخورها لك طيبٌ وفساها في لحيه الزَّجَّاج^(١)
حلقت في الطوال ذقن جرير والأراجيز لحيه العجَّاج
وكتب إليه بعض الرؤساء [من مجزوء الرمل] :

يا أبا عبد الإله بك أصبحت أباهي
غير أن السخف في شعرك قد جاز التناهي
ولقد أعطيت من ذا ك ملاحات الملاهي
أقدم الآن على القو ل ولا تصغ لناهي

فأجابه [من مجزوء الرمل] :

سيدي شكرك عندي مثل شكري لإلهي
سيدي سخفي الذي قد صار يأتي بالدواهي
أنت تدري أنه يد فعن مالي وجاهي
ليت من عاداك عندي وهو ساهي الذقن لاهي

(١) الزَّجَّاج : أحد النحويين .

فترى لحيته في استي إلى الصدغ كما هي^(١)

وقال [من الوافر] :

وشعري سخفه لا بدّ منه فقد طبنا وزال الاحتشامُ
وهل دارٌ تكون بلا كنيفٍ فيمكن عاقلاً فيها المقام

وقال [من الوافر] :

تراني ساكناً حانوت عطري فإن أنشدت ثار لك الكنيفُ

وقال [من مجزوء الكامل] :

شعري الذي أصبحت فيه فضيحةً بين الملا
لا يستجيب لخاطري إلا إذا دخل الخلا^(٢)

ومن أخرى [من الطويل] :

ألا أيّها الأستاذ دعوة شاعرٍ طريقتيه في الشعر لا تتبرج
إذا أنت وظّفت القوافي فخيرها وإن قلّ ما يرجو وما يتروّج
ومن كان يحوي العطر دكان شعره فإني كنّاسٌ وشعري له مخرج^(٣)

وقال من قصيدة في بعض الوزراء خالية من السخف [من المتقارب] :

وهذي القصيدة مثل العروس موشحةً بالمعاني الملاح
بلا نفحة من فسا عارضٍ ولا وزن خردلةٍ من سلاح
فلو أنّها جعلت خطبةً لكانت تحلّ عقود النكاح
بعثت بها عنبراً في الشتاء وفي الصيف كافور خرطرياحي^(٤)

(١) الأمت : فتحة المؤخرة .

(٢) الخلا : أي المرحاض .

(٣) الكنّاس : بيت الغزال في الشجر .

(٤) الخرط : اللبن المتعقد ومعه ماء أصفر من داء .

فما مسحت خفشلنج الخصى ولا حنكت بلعوق الفقاح^(١)
وشعري لا بدّ من سخفه ولا بدّ للدار من مستراح^(٢)

ولما غلب على شعره هذا الفن من ذكر المقاذر ، وما ينضاف إليها ، سئل يوماً ابن سكرة عن قيمة ديوان شعره ، فقال « قيمته بربخ »^(٣) أي لكثرة ما يشتمل عليه مما يقع فيه ، وبلغني أن كثيراً ما بيع ديوان شعره بخمسين ديناراً إلى سبعين ، وأنا كاسر فصلاً على ذكر ما أشرت إليه ، والحديث شجون .

* * *

قطعة من نوادره في ذلك

كتب إلى أبي أحمد بن ثوبة ، وقد شرب دواء مسهلاً [من الخفيف] :

يا أبا أحمد بنفسي أفديـك وأهلي من سائر الأسواء
كيف كان انحطاط جعسك في طاعة شرب الدواء يوم الدواء^(٤)
كيف أمسى سبال مبعرك النذل عريقاً في المرة الصفراء
يا أبا أحمد ونصحك عندي واجب في الإخاء فاحفظ إخائي
ربّ ريح يوم الدواء دبورٌ شوّشت في عصاعص الأغبياء^(٥)
قدّروها فساء وقد كمن الجعس لهم في مهب ذاك الفساء
فإذا الفرش في خليج سلاح ذائب في قوام جسم الماء
فاتق الله أن تغرّك ريحٌ عصفت في جوانب الأحشاء

(١) خفشلنج : « يريد المنى » ، ولعوق انعقاع : يريد الغائط .

(٢) المستراح : المرحاض .

(٣) البربخ : منفذ الماء ومجره ، والبالوعة من الخرف .

(٤) الجعس : اسم الموضع الذي يقع فيه الجعموس وهو القصير الدميم .

(٥) الدبور : الريح الغربية والعصاعص : جمع عُصَص : عظم الذنب أو المؤخرة في الإنسان .

لا تنفسُ خناقَ سَرمك عنه أو تخلي سبيله في الخلاء^(١)
والغذاء الغذاء فاحذر بأن تفسو فوق الفراش بعد الغذاء
احترس إنها نصيحة شيخ حنكته تجارب الآراء
وأهدى إليه صديق له نبذاً وكتب له [من السريع] :

مدامةً تمريةً صافية تلبس من يشربها العافيه
زفتها طوعاً إلى شاعرٍ ما وقفت قطُّ له قافيه
فصادف وصول النبذ خلفه عرضت له فكتب إليه [من السريع] :

مولاي قد أحسستُ لما أتى شعرك بالعافية الشافيه
لكنني في صورةٍ للخرا جملتها مقنعةٌ كافيه
قد كتبت سطرًا على عصعصي هذا لسلطان الخرا ضافيه
وقال يهجو [من مجزوء الكامل] :

ولقد عهدتك تشتهي قربي وتستدعي حضوري
وأرى الجفا بعد الوفا مثل الفسا بعد البخور
يا خرية العدس الصحيح النيء والخبز الفطير
في جوف منحلّ الطبيعة والقوى شيخ كبير
يخرى فيخرج سَرمه شبرين من وجع الزحير^(٢)
يا فسوةً بعد العشا بالبيض واللبن الكثير
وفطائرٍ عجنّت بلا الملح الجريش ولا الخمير
يا ضرطة الشيخ المبجل بين حسامٍ حضور

(١) السُرم : عنق المخرج .

(٢) الزحير : مرض يستطلق معه البطن فيخرج منه دم ومخاط مع ألم .

يا ربح سرقين البغا ل يداف في بول الحمير^(١)
 يا نتن رائحة الطيخ إذا تغير في القدور
 يا عش بيض القمل فرّخ في السوالف والشعور
 يا بول صبيان الفطا م ويا خراهم في الحجور
 يا بغض تدخين الجشا في الصوم من تخم السحور^(٢)
 يا حرّ قولنج البطون وبرد أعصاب الظهور
 يا ذلّة المظلوم أصبح وهو معدوم النصير
 يا سوء عاقبة التعقّد عند تمشية الأمور
 يا كلّ شيء متعب متعقّد صعب عسير
 يا حيرة الشيخ الأصم وحسرة الحدث الضرير
 يا قعدة في دجلة والريح تلعب بالجسور
 يا قرحة السّل التي هدّت شراسيف الصدور^(٣)
 يا أربعاء لا تدور به محاقات الشهور^(٤)
 يا هدة الحيطان تنقض بالمعاول والمروور
 يا قرحة في ناظر غلطوا عليها بالذرور^(٥)
 فتسلّخت مع ما يليها في الجفون من البثور
 يا خيبة الأمل الذي أمسى يُعلّل بالغرور
 يا غلمة المتخدرا ت وراء أبواب القصور
 يا ملتقى سعف الأيو ر على عراجين البطور
 يا وحشة الموتى إذا صاروا إلى ظلم القبور

(١) سرقين البغال : زبلها . ويداف : يخلط .

(٢) الجشا : الصوت الذي يخرج من الفم عند الشبع وامتلاء المعدة .

(٣) الشراسيف : جمع شرسوف ، وهو طرف الضلع اللّين المشرف على البطن .

(٤) المحاقات : الأوقات التي يكون فيها القمر محتجباً .

(٥) الذرور : ما يذرّ في العين من دواء يابس .

يا ضجرة المحموم بالـغدوات من ماء الشعير
يا شؤم إقبال الشتا ء أضرّ بالشيخ الفقير
يا دولة الحزن التي خسفت بأيّام السرور
يا ضجّة الصخب المصدّ ع ذي التنازع والشرور
يا عثرة القلم المرشّش بين أثناء السطور
يا ليلة العريان غـبّ عشية اليوم المطير^(١)
يا نومةً في شمس آ ب على التراب بلا حصير
يا فجأة المكروه في الـيوم العبوس القمطير^(٢)
يا نهشة الكلب العقور رونكة الليث الهصور^(٣)
يا عيش عانٍ موثقٍ في القيد مغلولٍ أسير^(٤)
يا حدة الرمد الذي لا يستفيق من القطور
يا حيرة العطشان وقت الظهر في وسط الهجير
من لي بأن تلقاك خيلُ بني كلاب بلا خفير
وأرى بعيني لحمك المطبوخ في نار السعير
في الأرض ما بين السبا ع وفي السما بين النسور

وقال في المهلي الوزير [من الخفيف] :

قل إنَّ الوزير قد قال شعراً يجمع الجهل شملهُ ويعمُّهُ
ثم أخفاه فهو كالهَرَّ يخرا في زوايا البيوت ثم يطمُّهُ
ليتني كنت حاضراً حين يرويه فأفسو في راحتي وأشمُّهُ

(١) غبّ : بعدَ وعقب .

(٢) القمطير : الشديد .

(٣) العقور : الذي يعضّ .

(٤) العاني : الفقير الموضع .

وقال [من المتقارب] :

وذي همّة في حضيض الكنيف وقرنين في فلك المشتري
دخلت عليه انتصاف النهار على غفلة حين لم يشعر
وبين يديه رغيفان مع سكرجة كان فيها مري^(١)
فلما قعدت فسا فسوة فلم تخط عصفتها منخري
وأقبل يضطر في إثرها فقلت أقوم وإلاّ خري

وقال في شيخ بني بعجوز [من مخلع البسيط] :

أفصح ودعني من الرموز قد دخل الشيخ بالعجوز
من لي بها حين ضاجعته في ذلك الموضع الحرير
فكنت أخرا على زليخا وهي إلى جانب العزيز

وقال وقد ركب إلى قوم فوجد بعضهم نائماً وبعضهم شارب دواء [من مجزوء
الرجز] :

قد أصبحوا كما ترى ما بين نوم وخر
قوم برئت منهم لأنّهم مني برا
ما إن أرى مثلاً لهم ولا أرى أني أرى

وقال وقد عاتب إنساناً على زلة فجاء بأكبر منها [من مجزوء الخفيف] :

لي صديقٌ جنى عليّ مراراً فأكثر
ثم لما عتبه غسل البول بالخر

وقال [من مجزوء الرجز] :

فقدت بختي إنّه ما زال بختاً قدرا

(١) السكرجة : الإناء الصغير يؤكل فيه الشيء .

لو كان شيئاً ناطقاً لكان شيخاً أبخراً
من حيث ما درتُ به لَطَخَ وجهي بالخرا

وقال [من السريع] :

يقول قومٌ أبصروني وقد تلفتُ ما بينهم سِكرًا
قم بالحق الظهر ولو ركعةً فالناس قد صلّوا بنا العصرا
فقلت ما أحسن ما قُلْتُمُ أقوم حتى ألحق الظهر
أقوم والركعة من عند من نعم وإن قمت فمن يقرأ
قالوا فلا تسكر فلسنا نرى لعاقلٍ في سكره عذرا
والله لولا السكر يا سادتي ما ذقت مطبوخاً ولا خمرا
قالوا فهذا السكر ما حدهُ فقلت حدُّ السكر أن أخرا

وقال [من المنسرح] :

قومي تنحّي فلست من شاني قومي اذهبي لا يراك شيطاني
لا كان دهرٌ عليك حصّلي ولا زمانٌ إليك ألجاني
قعدت تفسين فوق طنفتي ما بين راحي وبين ريحاني
فما عدنا من الكنيف إذا حضرت إلا بنات وردان^(١)

سمعت ميمون بن سهل الواسطي يقول : حضرت مجلس صاحب ليلة
بجرجان في جماعة من الفقهاء والمتكلمين كالعادة كانت عنده في أكثر ليالي
الأسبوع ، فلما امتد المجلس وخالط النعاس بعض الأعين وجد صاحب رائحة
تأذى بها وتأفف منها ، فأنشد هذه الأبيات المتقدمة :

* قومي تنحي فلست من شاني *

(١) بنات وردان : دواب .

وجاء الفراشون بالندّ فتلافوا تلك الفرطة ، وتقوّض المجلس .

وقال في شهر رمضان وقد جاء في آب [من مخلع البسيط] :

شهرٌ أراه يلجُ مع منْ يغتاز من طوله ويدرد^(١)
فالبول قد جفَّ من حماه في الجوف والجعس قد تقدّد^(٢)

وكان ضمن فرائض الصدقات بسقي الفرات ، واستخلف على نواحي فم النيل .
خليفة فكتب إليه [من السريع] :

| | |
|---------------------------|---|
| الحمد لله وشكراً له | والله أهل الحمد والشكر |
| يا أيها الذئب الذي اخترته | خليفة ينظر في أمري |
| أوصيك بالأغنام شراً وهل | يوصي أبو جعدة بالشر ^(٣) |
| امش إليها مشية الليث أو | فاحملْ عليها حملة البر |
| ولا تدع في النيل من إثرها | إلا بقايا الصوف والبر |
| أنظر إلى السكباغ من شمها | أو مرّ مجتازاً على القدر ^(٤) |
| فاقبض على لحيته واحترزْ | من حيلة في أمرها تجري |
| أريد أن تحصي طاقاتها | وكلّ ما فيها من الشعر |
| اعمل بها لي عملاً جامعاً | مستظهِراً فيه كما تدري |
| واحذر إذا وفيتها في غل | أن ينقص الكيل عن الحزر ^(٥) |
| حتى إذا جئتكَ سلّمتمها | بذلك الإحصاء إلى جحري |
| أوصيك في القوم بهذا الذي | عقدته في السرّ والجهر |

(١) يدرد : يغتاط ويحرد .

(٢) الجعس : القصير الدميم « يعني قضيه » .

(٣) أبو جعدة : من كنى الذئب .

(٤) السكباغ : مرق يتخذ من اللحم والخل .

(٥) الحزر : التقدير والتخمين .

وكيف لا أوصي بهذا وقد بليت منهم بيني البظر
واضطرنني جور زمانني إلى معيشة تزري على الحر
والدهر قد صارت به هيضة فنحن غرقى في خرا الدهر^(١)

وقال في ابن سكرة [من مجزوء الخفيف] :

سلحةً بعد قرقه من سلاح المزوره^(٢)
باتت الليل كله جوف بطني مخمره
ثم رامت تخلصاً فاغتدت ذات ططره
ثم سارت كأسهم عن قسي موثره
فأصابت بوثة جوف ذقن ابن سكره

وقال لأبي الفضل الشيرازي لما تقلد الوزارة، وعرض بأبي الفرج بن فسابخس
[من مخلع البسيط] :

سعدك للحاسدين نحس وهم ظلام وأنت شمس
ارفق عليهم فلن يعودوا إليك حتى يعود أمس
فأنت تحت الظلام تسعى وذاك تحت اللحاف يفسو

وكان يوماً جالساً بجانب الدست في دار أبي الفرج فسابخس ، فعرضت له حاجة
إلى الخلاء فبادر ورجع ، فسئل عن مبادرته فقال [من مجزوء الرجز] :

يا سائلي عن خبري زاحم جوفي قذري
فكدت أن أخرى على دست الرئيس الطبري
فقممت أعدو حافياً وقد تغشى بصري
حتى خريت خرية مثل الخييص الجزري

(١) الهیضة : انطلاق البطن .

(٢) المزوره : المؤخرة .

كأنها من عظمها روثه كرش بقرى
وقال [من المجتث] :

أبا الحسين بن نصر أبشر بعز ونصر
فأنت في الصدر أحلى من المنى جوف صدري
وليت لحيّة من لا يهواك في جوف حجري
من أين مثلي حرّ أو سفلة غير حرّ
خراي عند القوافي وذقن غيري بشعري
ومن تكلف في الشعر نظم سبحة درّ^(١)
نظمت من مثل طبعي الخسيس سبحة بعري
وجملة القول أني إحدى عجائب دهري
قد درّ ضرعي على ما ترى فلله درّي^(٢)

وقال في إنسان طبري مات بالقولنج [من مجزوء الرجز] :

يا غصّة الموت افغري فاك لروح الطبري^(٣)
حتى تمجيها على علاتها في سقر
يا أيها الثاوي الذي أفلح لو كان خري
لمثل ذا اليوم يقا ل من خري فقد بُري

وقال يستميح شراباً [من الوافر] :

ألا يا إخوتي وذوي ودادي دعاء فتى إجابته مناه
زيادة دجلة والورد غض قد استولى على قلبي هواه

(١) السبحة : عقد من الخرز أو غيره يحمل في اليد للتسليّة أو للتسبيح « المسبحة » .

(٢) درّ ضرعي : الدرّ : خروج اللبن ، والضرع : في الحيوانات حيث يجتمع الدرّ « الثدي » .

(٣) افغري : افتحي .

فهذي ليس يفتتنني سواها وهذا ليس يسبيني سواه
أما فيكم فتى يرثي لصحوي فيسقينني المشوم ولو خراه^(١)
وقال [من السريع] :

يا عيني السفلى لحي سادتي قد شهدت بالزور فاستعبري
أبكي عليها كلما سرحت في استي بدمعٍ سلسٍ أصفر
واتخذ دعوة كبيرة في أيام عز الدولة ، ودعا إليها أقواماً شتى من رجال الدولة وقال
[من مجزوء الرجز] :

| | |
|-------------------|---------------------------------|
| قل للأمير المرتجى | من جاءني فقد نجا |
| ومن أبى فذقنه | في عصصني قد لججا |
| يسبح في بحر خرا | إذا جرى تموجا |
| وها هنا حكمٌ إذا | كوى لحاهم أنضجا |
| من لم يجيء فذقنه | في است الذي استدعي فجا |
| فقل لمن لجج في | جوابه أو مجمجا ^(٢) |
| سبالك المحفوف قد | حرّك مني مخرجا ^(٣) |
| مؤزراً بالجعس في | حافاته مصهرجا |
| فيه خراً معتق | كالبن حين كرجا ^(٤) |
| تدفعه مقعدتي | بعد العشا ملهوجا ^(٥) |
| من قبل أن تطبخه | طبيعتي فينضجا |

(١) المشوم : الشراب .

(٢) لجج : تردد في الكلام ، وجمع الحديث : لم يبينه .

(٣) سبالك : الشارب « ما فوق الشفة العليا من الشعر » .

(٤) كرجا : فسّل وعلته خضرة .

(٥) ملهوجا : مخلوطاً ، أو لم ينضج .

من كل من سرمي إلى لحيته قد التجا
عاشرت باستي ذقنه فامتزجا وازدوجا
وصعدا ونزلا ودخلا وخرجا
ولن ترى أحسن من ذقني تواخي شرجا^(١)

وقال من أخرى [من السريع] :

أنظر لهرون وقد جاءني يطمع أن يبتزني ضيعتي
جذبت قوس استي في وجهه فقرطست لحيته ضرطتي^(٢)

ومن أخرى في قائد من الأتراك أراد أخذ داره [من الخفيف] :

إن أطفالي الذين تراهم حول ناري في الليل مثل الفراش
أترى ما شملت ريح فسامهم حين باكرتني وهم في الفراش
وجعيساتهم خلال الزوايا مثل ذرق الفراخ في الأعشاش^(٣)
لا ترمهم واقبل نصيحة رأيي لك واحذر مغبة العُشَّاش

وقال من أبيات وقد دخل على رجل اسمه عمرو والمزين يحفى شاربه [من الخفيف] :

قد لعمرى فارت طبيعة حجري منذ أحفى المقرض شارب عمر
كلما قصر شعرة صر منها عصعصي النذل أو تفرقع ظهري

وقال من قصيدة في الوزير وقد أراده على الخروج معه لقتال أهل البطيحة [من المنسرح] :

يا سائلي عن بكاي حين رأى دموع عيني تسابق المطرا

(١) الشرج : مخرج الغائط .

(٢) قرطست : أصابت .

(٣) ذرق الفراخ : سلحها .

ساعة قيل الوزير منحدرٌ
وقلت يا نفس تصبرين وهل
شاورتَه والهوى يفتِّه
أهوى انحداري والحزم يكرهه
لأنني عاقلٌ ويعجبني
الخيـش نصف النهار يعجبني
والشرب في روشني أقول به
ولا أقود الخيل العتاق بلى
من كلِّ جاموسة لعنـبـلها
قد نفخ الشَّحم جوفها فغدا
لما أتني بالليل مقبلةٌ
تركض مثل الحصان نافرةٌ
مدّ ذراعي في سـرمـها لـبـاً
أحسن في الحرب من صفوفكم
وأنتف الشعر من جبين حرّ
أو مبعرٍ جعسه يطالعني
هيهات أن أحضر القتال وأن
بل الذي لا يزال يعجبني السـدـيب بالليل خائفاً حذرا

(١) الغـرا : الجهل .

(٢) الخيش : الشراب البارد ، والخصر : البارد .

(٣) الروشن : الكوة .

(٤) العنبل : البظر الطويل .

(٥) العُشراء : الحامل من النوق التي مضى على حملها عشرة أشهر .

(٦) اللَّبب : ما يشدّ من سيور السرج في صدر الداية ليمنع تأخر السَّرج أو الرَّحل .

(٧) زحرا : أخرج صوته أو نفسه مع أنين .

أنا إلى تلك وهي نائمة
وضجّة النيك كلّما ضرطت
وقول بعض المميّزين وقد
في جعس هذا فطورة وأرى
الدفّ يوم الصبوح دبّدتني
وخريتي كلما رميت بها
هذا اعتقادي وهكذا أبداً

وذا إلى ذاك بعد ما سكرنا
واحدةً تحت واحدٍ نخرا
شمّ فسانا بأنفه سحرا
أنّ خرا تلك بعد ما اختمرا
وبوقي الناي كلّما زمرا
مقتل ذقنٍ خضبتّها بخرا
أرى لنفسي فأنت كيف ترى

وقال [من المجتث] :

إذا تغنّى سليمٌ عاق المسرّة عني
وافى بذقنٍ سخيّف الـمغني وجئت ببطني
فلحية التيس منه وسلحة الفيل سنّي

* * *

ملح مما يتمثل به من أحوال السلف

قال من قصيدة في أبي الفضل الشيرازي [من مخلع البسيط] :

الناس يقدونك اضطراباً منهم وأفديك باختياري
وبعضهم في جوار بعضٍ وأنت حتى أموت جاري
فعش لخبزي وعش لمائي وعش لداري وأهل داري
يا من بإحسانه بلغت السـماء في العزّ واليسار
فالיום قارون في غناه عبدي وكسرى ركاب داري

وقال [من السريع] :

يا من يدي من خيرهِ فارغهُ ملّيت لبس النعمة السابغة^(١)

(١) السابغة : الوافية الفضفاضة ويقال : درع سابغة .

ألفاظك الهاشمة الدامغة
رفقاً أبيت اللعن بالنابغة

قد هشمتُ رأسي بأحجارها
فيا أبا قابوس في ملكه

وقال [من السريع] :

من ناظري في جوف إنسانه^(١)
فيك يرى أول ديوانه
ذكرك فيه نورُ بستانه
وسرهُ فيك كإعلانه
شكر أياديك بإيمانه
بضاعةُ عادت بخسرانه
في معدن الملك وأوطانه
صفعته في وسطِ إيوانه

إنك إنسانٌ له موقعٌ
فكيف تخشى هجو من مدحه
ومن له في شعره مذهبٌ
تمضي ليليه وأيامه
ولست ممن يخلط الكفر في
قلٍّ للذي جهّز في السعي بي
لا تغترّر أتك من فارسٍ
لو حدثتُ كسرى بذا نفسه

وقال في بختيار [من المنسرح] :

يجلو القذى نوره عن البصر
في أنه من سلاله البشر
ملئتُ إلى الحشر لذة النظر
نجم السهى لا يقاس بالقمر
هربت منها ينقذُ من دُبرٍ^(٢)
لم تك من تهمة العزيز بري
شممت ريًا نسيمها العطر
ما بين تلك البيوت والحجر^(٣)

فديت وجه الأمير من قمر
فديت من وجهه يشككني
إن زليخا لو أبصرتك لما
ولم تقسُ يوسفاً إليك كما
وكان يا سيدي قباك إذا
بل وحياتي لو كنت يوسفها
لأنني عالمٌ بأتك لو
سبقتها وانزبقت تتبعها

(١) إنسان العين : البؤيؤ .

(٢) قباك : ثوبك .

(٣) انزبقت : دخلت .

ولم تزل بالكدين تقصرها من قبل وقت العشا إلى السحر^(١)
وقد علمنا بأن سيدنا ال أمير ممّن يقول بالبطر
ولم تكن تلك تشتكي أبداً ما كان من يوسف من الحذر
طبعك كالماء في سهولته لكن أبو الزبرقان من حجر
إن الملوك الشباب ما خلقوا إلا صلاب الفياش والكم^(٢)

وقال [من السريع] :

إن بني برمك لو شاهدوا فعلك بالغائب والشاهد
ما اعترف الفضل بيحي أباً ولا انتمى يحيى إلى خالد

وقال [من المنسرح] :

وكاتب بارع بلاغته تجلو علينا كلام سحبان
وخطه والكتاب في يده ينثر درأً أمام مرجان
لو كان عند المأمون جوهرة أهده أو بعضه لبوران^(٣)

وقال في رجل سقطت امرأته من السطح فماتت [من الطويل] :

عفا الله عنها إنها يوم ودّعت أجل فقيد في التراب مغيب
ولو أنها اعتلت لكان مصائبها أخف على قلب الحزين المعذب
ولكن رأيت في الأرض أفعى مجدلاً على قدر غرمول الحمار المشغّب^(٤)
فظنته أيراً والظنون كواذب إذا أخبرت عن عام ما في المغيب
وأهوت إليه من يفاع ودونه ثمانون باعاً في علو مصوّب^(٥)

(١) الكدين : من الكيد ، الشحم واللحم ، والكذن : ثوب للخدر ومركب للنساء .

(٢) الفياش : الذكور . والكم : العقدة التي في الذكر .

(٣) بوران : زوجة المأمون وابنة الحسن بن سهل وزيره .

(٤) غرمول الحمار : ذكره .

(٥) اليفاع : التل وما ارتفع من الأرض .

فصارت حديثاً شاع بين مصدّقٍ تحقّقه علماً وبين مكذّبٍ
سعى الطمع المردي إليها بحتفها ومن يمثل أمر المطامع يعطب
فأعظم يا هذا لك الله ربّها وربُّك أجر الثّكلِ في شاة أشعب

قيل لأشعب : هل رأيت أطمع منك ؟ قال : نعم ، شاة كانت لي على
سطح فنظرت إلى قوس قزح فظنته حبل قت^(١) ، فأهوت إليه واثبة ، فسقطت من
السطح فاندقت عنقها .

وسأل الهنكري مغني سيف الدولة ابن حجاج أن يصنع شعراً يغني به بين
يدي صاحبه فقال [من المتقارب] :

أميري يا من ندى كفه يزيد على العارض الممطر
أرى يومنا يوم كأسٍ تدو ر من يد ذي دعجٍ أحور^(٢)
وأبيض يحدوك سكر الغرام على لثم شاربه الأخضر
بحمرة وجنته تستدلُّ على أنه من بني الأصفر^(٣)
وأنتك من دونه قد ضربت هامة ذي لبدٍ قسور
وشعر ابن حجّاج يا سيدي يغني به عبدك الهنكري
غناءً وشعرٌ لنا يجمعان ما بين زلزل والبحتري
وقال [من البسيط] :

غداً أراه على عبل الشوى مرجٍ والخيل من حوله مثل الحصى عدداً
في خلعةٍ لو رآها يوم يلبسها نمرود قبّل وجه الأرض أو سجداً

(١) القت : الفصفصة اليابسة ، أو القتات وهو نوع من النبات .

(٢) الدعج في العين : سعتها مع اشتداد سوادها وبياضها .

(٣) بني الأصفر : الروم .

وقال [من المنسرح] :

يا من إذا ما اختللتُ أيديني ومن إذا ما ضعفت قوّاني
ابق لي اليوم ضعف ما بقيتُ أمس نسور الحكيم لقمان

وقال [من السريع] :

يا درّة الملك ويا غرّة في وجه هذا الزمن الأدهم^(١)
تراب نعليك على ناظري أعزُّ من عيسى على مريم

وقال [من السريع] :

فتى له عزمٌ إذا كلّت السيوف مثل المرهفِ الصارمِ
وراحةٌ لو صفعت حاتماً تعلّم الجود قفا حاتمِ

ومن أخرى [من المنسرح] :

هذا حديثي تنمي عجائبه بكثرة القول فيه والقليل
أعجزني دفنه فشاع كما أعجز قابيل دفن هابيل^(٢)

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

وأبرصٍ من بني الزواني ملّمعٍ أبلق اليدين^(٣)
قلت وقد لجّ بي أذاه وزاد ما بينه وبينه
يا معشر الشيعة الحقوني قد ظفر الشمر بالحسين

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

كلٌ خفيف الرجلين ثقلٌ خفةً رجلية بالحديدِ

(١) الأدهم : الأسود .

(٢) قابيل وهابيل : إبن آدم عليه السلام .

(٣) الأبلق : ما كان في لونه سواد وبياض .

أَذَقَهُ مِنْ غَبٍّ مَا جَنَاهُ مَا ذَاقَ يَحْيَى مِنَ الرَّشِيدِ
وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ السَّرِيعِ] :

وَاسْتَوَفَ عَمَرَ الدَّهْرِ فِي نِعْمَةٍ دُونَ مَدَاهَا مَوْقِفَ الْحَشْرِ
مُصِيبَةً الْحَاسِدِ فِي مَكْنَهَا مُصِيبَةَ الْخُنْسَاءِ فِي صَخْرِ
وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الْبَسِيطِ] :

يَا مَنْ يَعَادِي الْهَوَى جَهْلًا بِمَوْقِعِهِ وَلَا يَزَالُ يَعَادِي الْمَرْءَ مَا جَهْلًا
أَمَّا رَأَيْتَ الْهَوَى اسْتَوْلَى بِفِتْنَتِهِ عَلَى النَّبِيِّينَ وَاسْتَعْوَى بِهَا الرِّسْلَا
فَإِنْ شَكَّكَتْ فَسَلُّ زَيْدًا بِقَصَّتِهِ وَأُورِيَاءَ يَقُولَا الْحَقَّ إِنْ سَثَلَا^(١)
لَمْ يَبْتَ هَذَا طَلَاقًا حَبْلَ زَوْجَتِهِ وَذَاكَ فِي رَقْعَةِ التَّابُوتِ لَمْ قَتَلَا
وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ السَّرِيعِ] :

مَوْلَايَ يَا مَنْ كُلُّ شَيْءٍ سِوَى نَظِيرِهِ فِي الْحَسَنِ مَوْجُودُ
إِنْ كُنْتُ أَذْنَبْتُ بِجَهْلِي فَقَدْ أَذْنَبَ وَاسْتَغْفَرَ دَاوُدُ
وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الرَّمْلِ] :

مَلِكٌ لَوْ لَمْ يَكُنْ مِنْ مَلِكِهِ غَيْرِ دَارٍ وَشَحَّتْ^٢ بِالنَّعَمِ
لَوْ رَمَى شِدَادٌ فِيهَا طَرَفَهُ زَهْدَتَهُ بَعْدَهَا فِي إِرْمِ
وَلَهُ ، وَقَدْ خَرَجَ هَارِبًا مِنْ غَرَمَائِهِ [مِنَ الْمُنْسَرَحِ] :

هَرَبْتُ مِنْ مَوْطِنِي إِلَى بَلَدٍ قَدْ صَفَّرَ الْجُوعُ فِيهِ مَنَاقِرِي
يَقُولُ قَوْمٌ فَرَّ الْخَسِيسُ وَلَوْ كَانَ فَتًى كَانَ غَيْرَ فَرَّارِ
لَا عَيْبَ لَا عَيْبَ فِي الْفِرَارِ فَقَدْ فَرَّ نَبِيُّ الْهَدْيِ إِلَى الْغَارِ

(١) يزعم القصاصون أن أوريا جندي من جند داود عليه السلام ، وأن داود فتن بامرأته ، وأنه طلبها لنفسه ، واحتال لذلك فبعثه في قتال ليموت فيه .

ملح من سائر أمثاله في الجد والهزل الواقعة في فنون نوادره

قال [من مجزوء الرجز] :

| | | |
|---------------------|---------------------------------|----------------------|
| جميع ما لي صدقة | لأكسرن | فستقه |
| فبسرّ كم تهذين يا | سندية | مطلقه ^(١) |
| لا بدّ للسندان أن | يصبر تحت المطرقة | |
| وفيشتي لا بدّ أن | أسبكها في البوتقة | |
| لا بد أن أظعن بال | مردي صميم الدرقه | |
| وأن أمرّ الميل في | جوف سواد الحدقه | |
| تريد مني أترك الد | حم وأحسو المرقه ! | |
| ليس الثريد بابتي | بسّي من الملبقه ^(٢) | |
| أريد من لحم است من | أعشقها مدققه | |
| أح! ب أن لا تشفقي | عدمت هذي الشفقه | |
| وكلّ شاة في غد | برجلها معلقه | |
| لا بدّ من أن يقع ال | زرفين جوف الحلقة ^(٣) | |

وقال [من المنسرح] :

أخشى على حسبتي العدو وفي الناس لمثلي أصادق وعدي
هرّ يراني وفي فمي غدد والهرّ بالطبع يألف الغددا
وإن تغافلت عنه غافصني واستلب الكرش من يدي وغدا^(٤)

(١) بسّ : صوت للزجر .

(٢) الثريد : طعام من خبز مفتّت مبلول بمرق ، وبابتي : الغاية والشرط والصنف .

(٣) الزرفين : حلقة للباب .

(٤) غافصني : فاجأني على حين غرة .

وقال [من السريع] :

قد وقع الصلح على غلتي فاقسموها كارةً كاره^(١)
لا يدبر البقال إلا إذا تصالح السنور والفاره

وقال ، وقد سأل صديق عن حاله والعمال يصادرونه [من الرمل] :

أيها السائل عن حا لي أنا المضروب زيدُ
وأنا المحبوس لكنّ ليس في رجلي قيدُ

وقال [من المجتث] :

وقائل هو رأس ال عمال بين الناس
والرأس يصلح إن لم ينفعك للرواس
هذا هو الحق والحق ما به من باس

وقال [من السريع] :

فقرّ وذلّ وخمولٌ معاً أحسنت يا جامع سفيان^(٢)

وقال [من المنسرح] :

الحمد لله إنّ لي أملاً أنا إلى الخصّ منه أستند^(٣)

وقال [من الكامل] :

إن كنت تحتقر العتاب تكبراً فالفيل يعمل فيه قرصُ البرغش^(٤)

(١) الكارة : حل معلوم الوزن والمقدار من الطعام .

(٢) جامع سفيان : مثل يضرب لكثرة الاحاطة .

(٣) الخصّ : العناية والفضل ، والخصّ بالضم : البيت من القصب .

(٤) البرغش : البعوض .

وقال [من المتقارب] :

وما الشيء للمرء يحتاله ولكنّه للفتى يرزقه

وقال [من الوافر] :

دعوت نذاك من ظمئي إليه فعناني بقيعتك السراب^(١)
سرابٌ لاح يلمع في سباحٍ فلا ماءٌ لديه ولا شراب^(٢)
وليس الليث من جوعٍ بغادٍ على جيفٍ تحيط بها كلاب

وقال [من الخفيف] :

مستحيل المعنى يصلّى إلى الحشر ويجرى في جانب المحراب

* * *

أنصاف أبيات له وأبيات في الأمثال

قال [من الطويل] :

* وربّ كلامٍ تستار به الحرب * *

وقال [من السريع] :

* حتّى متى ترقص في زورقي ؟ *

وقال [من الكامل] :

* خودٌ تزفُ إلى ضريرٍ مقعدٍ *

(١) عناني بقيعتك السراب : أي أتعبني الأمل الكاذب .

(٢) السباح : من الأرض : ما لم يفلح ولم يعمّر الملوحة .

وقال [من الكامل] :

* أصبحت أخلقُ منك بالزُّبدِ *

وقال [من المنسرح] :

* تفور من نصف خوصةٍ قَدري *

وقال [من الرجز] :

* فقلتُ من يفسو على الكنيف *

وقال [من الوافر] :

عجبت من الزمان وأيَّ شيءٍ عجيبٍ لا أراه من الزمانِ
أأخذ قوت جردانٍ عجافٍ فتجعله لأوعالٍ سمانٍ^(١)

وقال [من الوافر] :

وقد غمزوا مع العيدان عودي ليختبروا الصحيح من المريب^(٢)
فلان الخروج الخوار منّا وبان تكرمُ النبع الصليب^(٣)

وقال في بوابِ أعور حجه عن رئيس [من السريع] :

سمعت فيمن مات أو من بقي بمقبلٍ بوابه أعورُ
واللّوزة المرة يا سيدي يفسد في الطعم بها السكر

وقال [من المنسرح] :

ولي شفيعٌ إليك شرفني إيجابه لي وزاد في قدري

(١) عجاف : هزال .

(٢) غمزوا : جسّوا وعصروا .

(٣) النبع : شجرٌ تصنع منه القسي ، والصليب : الذي لا يسهل كسره .

نَهَتْ مِنْهُ لِحَاجَتِي عَمراً ولم أعولَ فيها على عمرو
يريد قول بشار [من المتقارب] :

إذا أيقظتك حروب العدا فنبّه لها عمراً ثم نم
وللآخر [من البسيط] :

المستجير بعمرو عند كُرْبته كالمستجير من الرمضاء بالنار^(١)
وقال [من الوافر] :

عذرتُ الأسد أن صليت بناري مخاطرةً فما بال الكلاب
وأزواج الحرائر لم يجابوا لديّ فكيف أزواج القحاب ؟
وقال - وقد قال له بعض الرؤساء : ما أشبهك في الإبرام إلا بابن أبي رافع - [من
السريع] :

ضربت في الإبرام يا سيدي لي مثلاً بابن أبي رافع^(٢)
فقلت في ذلك : لا تعجبوا من متخمٍ يفسو على جائع
وقال [من البسيط] :

إنّي بليت بأقوامٍ مواعدهم تزيدني فوق ما ألقاه من محنٍ^(٣)
ومن يذقّ لسعة الأفعى وإنّ سلمت منها حشاشته يفرّغ من الرسن



(١) الرمضاء : الحرّ الشديد .

(٢) الإبرام : العقد .

(٣) الحشاشة : الروح والنفس .

الشكوى ووصف سوء الحال

قال في ابن العميد [من الوافر] :

فداؤك نفس عبد أنت مولى له يرجوك يا خير الموالى
حديثي منذ عهدك بي طويل فهل لك في الأحاديث الطوال
وجملة ما يعبره مقالتي حصول استي على حرّ المقالى
وأني بين قوم ليس فيهم فتىً ينهى إلى الملك اختلالى
فلحمي ليس تطبخه قدوري وحتي ليس تقيه المقالى
ومائي قد خلت منه جبابي وخبزي قد خلت منه سلالى
وكيسي الفارغ المطروح خلفي بعيد العهد بالقطع الحلال
أفكر في مقامي وهو صعب وأصعب منه عن وطني ارتحالي
فبي مرضان مختلفان حالي السعليلة منهما تمسي بحال
إذا عالجت هذا جفّ كبدي وإن عالجت ذاك ربا طحالي^(١)
وكان يكتب في حديثه لرئيس ، فتأخر عنه ، فكتب يسأله عن حاله في تأخره فكتب
إليه [من السريع] :

سألت يا مولاي عن قصتي وما اقتضى بالرسم إخلالي^(٢)
ليست بجسمي علة تشكي وإنما العلة في حالي
وذاك داء لم تزل ضامناً من سقمه برئي وإيلالي^(٣)
وقال [من المتقارب] :

خليلي قد اتسعت محتتي عليّ وضاقَتْ بها حيلتي

(١) ربا : انتفخ وازداد .

(٢) الرسم : الإيضاح والتبيان ، والإخلال : عدم الوفاء بالعهد .

(٣) إيلالي : شغائي .

عذرتَ عذارِي في شبيه
إلى كم يخاسنني دائماً
تحيفني ظالماً غاشماً
وكنْتُ تماسكتُ فيما مضى
إلى منزلٍ لا يوارى إذا
مقيماً أروح إلى منزلٍ
إذا ما ألمَّ صديقي به
فرشت له فيه بسط الحديد — من باب بيتي إلى صفتي^(١)
ومعدته في خلال الكلا
وقد فتّ في عضدي ما به
وأغدو غدواً ملياً بأن
فأيةً دارٍ تيمّمها
وإن أنا زاحمتُ حتّى أموت
فيرفعني الناس عند الوصول
وإن نهضوا بعد للانصرا
وإن قدّموا خيلهم للركوب
وفي جمل الناس غلمانهم
ولا لي غلامٌ فادعوا به
ركنت مليحاً أروق العيو
يعرق خدي جفاف الهزال

وما لمت أن شمطت لمتي
زماني المقبح في عشتري
وكدّر بعد الصفا عيشتي
فقد خانني الدهر في مسكتي
تحصّلت فيه سوى سوائي
كقبري وما حضرت ميتي
على رغبة منه في زورتي
م تشكو خواها إلى معدتي^(٢)
ولكنّ عليه غلبت علتي
يزيد به الله في شقوتي
تيمّم بوابها حجتي
دخلتُ وقد خرجتُ مهجتي
إليهم وقد سقطت عمّي^(٣)
فأسرعت في إثرهم نهضتي
خرجت فقدمت لي ركبتني
وليس سوائي في جملي
سوى من أبوه أخو عمّي
ن أيضاً فقد قبّحت خلقتي
وحاف الشناج على وجنتي^(٤)

(١) الصفة : الاستراحة أمام البيت .

(٢) الخواء : الفراغ والجوع .

(٣) العمّة : أي العمامة توضع على الرأس .

(٤) الشناج : تقبض الجلد .

فصرتُ كأنّي أبو جدّتي
 تكسِرُ أمشاطهُ طرّتي^(١)
 فقد صرت أصلع من فيشتي^(٢)
 ب كانت تحنُّ إلى وصلتي^(٣)
 مشيبي وتغضب من صلعتي
 وقد أمضت العزم في هجرتي
 فإنّ جمالي ورا تكتّي^(٤)
 طويلٌ عريضٌ على دقّتي

وقوّسني الهمُّ حتى انطويت
 وكان المزيّنُ فيما مضى
 وكنت برأسٍ كلون الغداف
 ويا ربّ بيضاء رود الشبا
 فصارت تصدُّ إذا أبصرتُ
 على أنّني قلت يوماً لها
 دعي عنك ما فوقه عمّتي
 هنالك أيرُّ يسرُّ العيون
 ومنها :

ه في شغله بالأسى عطّتي
 فغلّت بأجمعها غلّتي
 تعدّت فأنضت إلى حنّطي
 أزال بحيلته نعمتي

سوى أنّ قلبي قد صرفت
 وكانت بتكرّيت لي غلّة
 أغاروا على سمسمي غارة
 فلا أزال في نقمةٍ كلُّ من
 وقال [من الخفيف] :

أنا من شدّة الخوى في السّياقِ
 هم ولو كان من فسا مرّاقِ

قد قنعنا فهات خبزاً بلحمٍ
 فرجي أن أشمّ رائحة اللح
 وقال [من السريع] :

أرفقُ منه المسجد الجامعُ

ما حال من يأوي إلى منزلٍ

(١) الطرّة : الشعر أو مقدمه الذي فوق الجبين .

(٢) الغداف : الغراب والشعر الأسود الطويل على سبيل الاستعارة .

(٣) رود الشباب : أي الشابة الحسناء .

(٤) التكتة : رباط السراويل .

لا يرتوى العطشان فيه ، ولا يلحق ما يقتاته الجائع
وسوقه كاسدة بينكم لا مشتر فيها ولا بائع

وقال [من الخفيف] :

أتعشى بغير خبز ، وهذا خبري منذ مدو في غدائي
فأنا اليوم من ملائكة الدو لة وحدي أحيا بغير غذاء
آية لم تكن لموسى بن عمرا ن ولا غيره من الأنبياء

* * *

نبذ من لطائف نوادره في أنواع الكدية

قال [من المجتث] :

هذا وأيام أكلي عند الملوك الكبار
ما كنت أفطر إلا على كبود القماري
مشوية وقلايا فاليوم سنور داري
إذا أرادت تعشى تنغصت لي بفار

وقال بواسط ، وقد باع ثيابه [من المجتث] :

يا سادتي قول ميت في مثل صورة حي
لم يبق في الخرج شيء أتأذنون بشي ؟

وقال ، وقد تولى أقطاعاً وخرج إليها فوجدها خربة [من السريع] :

سيدي عبدك في الزيت فر من الموت إلى الموت
حالي وأقطاعي خراب فقد فررت من بيتي إلى بيتي

وقال [من البسيط] :

مالي أرى بيت ما لي حلّه زحلّ وحسبه من بعيد أن يرى زحلا^(١)
فما ترى لا رأيت السوء في رجلٍ قد شبّ تحت خطوب الدهر واكتهلا

وقال ، وقد رأى كلاب عز الدولة بختار تطعم لحوم الجدا [من الوافر] :

رأيتُ كلابَ مولانا وقوفاً وربضةً على ظهر الطريق
فمن ورد له ذنبٌ طويلٌ يعقّفه وملهوبٌ خلوقي^(٢)
تغذى بالجداء فوددت أني وحقّ الله خرکوش سلوقي
فيا مولاي رافقني بكلبٍ لأكل كلّ يومٍ مع رفيقي
أرى القصاب قد أضحى عدوي لشؤم البخت والملحي صديقي^(٣)
فلو أني اقتصدت لما وجدت من سوى الحلتيت داخل باسليقي^(٤)
جفاني اللحم وهو شقيق روعي فمن يعدي على ذاك الشقيق
كأنّ اللحم في صوم النصارى توهمني ابن عمّ الجائليق
وأحسن ما رآه الناس لحمٌ جرايته تضاف إلى الدقيق

وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا سيّد الناس عشت في نعمٍ تأوي إليها ممالك العجم
بديهتي في الخصام حاضرها أشهر في الفيلقين من علم
والخطّ خطي كما تراه ولا الـ زهرة بين القرطاس والقلم
هذا وخبزي حافٍ بلا مرقٍ فكيف لو ذقت ثرة الدسم^(٥)

(١) الرّحل : التعب أو الجفاء والبعد وزّحل : أحد الكواكب السيارة .

(٢) المهلوب : المتوف .

(٣) الملحي : اللاتم .

(٤) الحلتيت : الصمغ . والباسليق : ويريد يمتدّ في الدّراع .

(٥) اثردة الدسم : من الثريد وهو الخبز المقتت المزوج بالمرق .

ما لي وللحم إنَّ شهوتهُ
وما لحلقي والخبز يجرحه
قد تركتني لحماً على وضم^(١)
بالملاح يشكو حزونة اللقم^(٢)
وله في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا من رأى البدر حسن صورته
نحن سنانيرُ أهل دولتكم
فإن في البدر موضعُ الحسدِ
فأنصفونا من صاحب الغددِ
والم الله لولاك لم تبت مرق اللد
ولم يحوّر لي الدقيق ولا
وكتب لبعض الوزراء ، وقد أراد عمارة مسناة داره [من السريع] :

خفي فما أنت بمعذوره
أذاك كم يصدع قلبي به
ولا على نصحك مشكوره
وإنما قلبي قاروره
في كل شيء أنت يا هذه
حتى مسناتي التي أصبحت
أيتها المرأة لا تقلقي
لي سيدٌ أضحت عناياته
ناهدته فيها على أنها
منّي أنا لا شيء ومن سيدي الـ
على مسناتي موفوره^(٣)
تجعل بالصاروج كافوره^(٤)
وأي خرابٌ غير معموره
من قبل أن تستعملي الصورة
آجر والصنّاع والنُّوره^(٥)

وكتب إلى بعض الرؤساء يلتبس منه عمامة [من مخلع البسيط] :

يا من له معجزات جود
توجب عندي له الإمامه

(١) الوضم : الطاولة التي يضع اللحم عليها قطع اللحم .

(٢) الحزونة : الصعوبة .

(٣) المسناة : أحباس للمياه .

(٤) الصاروج : النورة وأخلاطها .

(٥) النُّوره : حجر الكلّس .

ما لي إذا ما الشمال هبَّت قامت على رأسي القيامة
ودميت في القفا عيونٌ بالطول في موضع الحجامه
أظنُّ هذا من أجل أنني في البرد أمشي بلا عمامه

وقال لبختيار حين عاود الحضرة بعد هزيمة الأتراك والحجاج معه [من
المنسرح] :

الحمد لله جاءت النعمُ وانصرفت مع مجيئها النقمُ
واطلع البدر بعد غيبته فانكشفت عن وجوهنا الظلم
فأيُّ شيءٍ تريد تعمل بي فأنسي منك لست أحتشم ؟!
أريد مما آفثتحتهُ عملاً يثرد في دغباجه اللقم^(١)

وقال لسهل بن بشر يعرض بطلب مركوب [من الخفيف] :

يا ابن بشرٍ يا سيدي يا ابن بشرٍ يا معيني على ملّات دهري
خلق الله ذقن من يتشّنّا ك وألقاه في غيابة حجر^(٢)
أيُّ شيءٍ تريد تعمل بي اليو م فهذا أنا وأنت وشعري ؟!
أنا في واسطٍ أروح وأغدو بين مدٍّ من الظنون وجزر
تارةً يسنح الغنى لي فأرجو ه ، وطوراً أرى دلائل فقري
راجلاً أعزباً فرجلي وأيري بين بطنٍ قد أعوزاني وظهر
غير أنني أرى عميرة بالليل يمشي بجلدها بعض أمري
وكعابي التي يرضضها المشي على من أحيلها ليت شعري^(٣)
أنت تدري وحسب عبدك فيما يرتجي منك قولُهُ أنت تدري

(١) الدغياج : النعيم والأكل .

(٢) يتشّنّاك : ييغضك ، وغيابة حجر : قعر سجن .

(٣) يرضضها : أي يترك بها رضوض وأوجاع .

وكتب إلى ابن قرة يقتضي مركوباً وعد به وهو على جناح السفر [من السريع] :

| | |
|-------------------------|--------------------------------------|
| يا سيدي دعوة ذي رحلة | مقصّر في الجري مسبوق |
| والقوم قد صحّ بهم عزمهم | وضربوا بالطبل والبوق |
| وضمّروا للسير أفراسهم | وفرسي الأشهب في زريقي ^(١) |
| بل لي كميّة ما رئي مثله | يا سيدي قطّ لمخلوق |
| كأنّني في منته راكب | دالية في رأس زرنوق ^(٢) |
| ما في فضل لا ولا فيه لي | لأنني وهو على الريق |

وقال يتنجز رداء شرب [من الخفيف] :

| | |
|--------------------------------|---|
| ويحك اسكت فضحتني يا راسي | أنت بالضدّ من رءوس الناس |
| أنت والله فارغ القحف إلّا | من كنوز الخباط والإفلاس ^(٣) |
| بسك اقطع فقي ضماني الرّداء الـ | شرب الأميريّ عن أبي العباس ^(٤) |
| أبيض الغزل فيه خطّ سواد | مثل خطّ الرئيس في القرطاس |

وقال يتنجز دراهم [من المنسرح] :

| | |
|-----------------------------|---------------------------------------|
| يا قمراً في تمامه طلعا | هذا رسولي إليك قد رجعا |
| في غاية الحسن والدمائة والـ | نعمة والظرف والجمال معاً |
| عن طيب معناه في لطافته | كأنّه في الكنيف قد وقعا |
| وهو يحب الصرار يفتقها | ويشتهي أن يجمّش القطعا ^(٥) |
| فاحسم بختم القرطاس مقطعه | وامنع يديه عليه أن تقعا |

(١) الزيّق : ما أحاط بالعنق من رباط .

(٢) الزنوق : منارتان تبنيان على جانبي رأس البئر .

(٣) الخباط : الزكام ، أو مرض كالجنون .

(٤) كذا ورد هذا البيت .

(٥) الصرار : جمع صُرّة ، ما تجمع فيه الدراهم أو غيرها وتشدّ .

واردده من همة بختمكه كأنه بالفلوس قد صفعا

وقال يتنجز شعيراً لدابته [من المنسرح] :

كميتي أصهل واضرط فقال نعم بالسمع يا سيدي وبالطاعة
نعم ولكن أين الشعير ترى فقلت هو ذا يجيهم الساعه
قال فممن فقلت من رجل قد صار في الجود حاتم الباعه

وقال وقد بعثه إليه [من مجزوء الخفيف] :

كال لي ابن المعدل بالقفيز المعدل^(١)
من شعير بلا ترا ب نقي مغربل
ما أرى مثله فلا ن قضيماً لدلدل^(٢)

وقال يطلب خيشاً [من السريع] :

يا أحرص الناس على مبعر يدق مستجاء بالفيش
حتى متى تتركني في لظى حر حزين بلا خيش

وقال يستعين بأبي قرة على تطهير ابنه [من السريع] :

يا سيدي دعوة من لم تزل تعديه بالجود على دهره
إن لي ابناً أمس خلفته في منزلي كالفرخ في وكره
يبكي إذا ما عن ذكرى له وفي فؤادي النار من ذكره
والعزم بي قد جد يا سيدي في شهرنا الأدنى على طهره
فقوئي إنني ضعيف القوى على الذي أنويه في أمره
فأنت ستر الله في وجه من أصبح ذاك الطفل في ستره

(١) القفيز : المكيال .

(٢) لدلدل : بغلة شهباء كانت للنبي ﷺ .

وقال لبعض بني حمدان [من السريع] :

فتىٌ يُغَيِّرُ المَدَحَ في داره على صناديقٍ وأكياس
ذقت ندى راحته مرةً فطعمه في جوف أضراسي

وقال لرجل دعاه إلى عرس ثم بداله [من المنسرح] :

يا وقح الوجه جَيِّدَ الحَدَقِ خست بوعدِي وكنت غير ثَقَّة^(١)
أين نصيبي من الطعام وما طمعت في لعقةٍ من المرقه
أشفقت مني وكان يقنعني عندك ما ليس يوجب الشَّفَقه
قطعة لحمٍ في وزن خردلةٍ على رغيفٍ كأنه ورقه^(٢)

وقال يطلب مشروباً [من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت لي وبعدي وأرضُ نعليك صحن خدِّي
عندك يا سيدي نبيذٌ وليس لي منه رطل دردي^(٣)
تروى وأظماً وذاك بين الـ أحرار ضربٌ من التَّعْدِي
وقد تناهى أمري إلى أن بكَّرت من منزلي أكدي^(٤)

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

أبا الحسين الزمان ذو دولٍ أسبابها عند علّة العللِ
والعيش كالصَّاب في مرارته طوراً، وطوراً أحلى من العسلِ^(٥)
ودار هذي الحياة مذ بنيت لم تخل من ساكنٍ ومنتقلِ

(١) خست بالوعد : لم تفرِّبه .

(٢) الخردلة : حبة صغيرة سوداء تستعمل في التوابل وفي الطب .

(٣) الدُردي : من الزيت ونحوه : ما يبقى راسباً في أسفل الإناء من الكدر .

(٤) أكدي : أطلب واستعطي .

(٥) الصاب : نبات شديد المرورة .

والنَّاسَ فِي طيِّهِمْ وَنَتْنِهِمْ ضِدَّانِ مِثْلُ التُّفَاحِ وَالْبَصْلِ
وَهُمْ مَلِيحٌ وَأَخْرُ وَحِشٌ مَا بَيْنَ رَامِشَةٍ إِلَى جَعَلٍ^(١)
فَوَجْهَهُ هَذَا لِلسَّيْفِ وَحِشَتُهُ وَجْهَهُ ذَاكَ الْمَلِيحُ لِلْقَبْلِ
وَلَيْسَ هَذَا وَقْتُ الْخُطَابِ عَلَى جَرَايَةٍ تَقْتَضِي وَلَا عَمَلٍ
الْوَقْتُ وَقْتُ الْأَرْطَالِ تَعْمَلُهَا مَا بَيْنَ ثَانِيِ الثَّقِيلِ وَالرَّمْلِ
وَقَحْبَةٍ تَبْلَعُ الْقَضِيبَ وَلَا يَعْجِبُهَا غَيْرُهُ مِنَ الْحَمْلِ
فَابْعَثْ بِقَفْصِيَّةٍ تَحْدِثُنَا عَنْ حَرْبِ صَفِينٍ أَوْ عَنِ الْجَمْلِ^(٢)
غَزِيرَةِ الْوَرْدِ إِنْ بِي ظَمًا لَا يَرْتَوِي مِنْ صَبَابَةِ الْوَشْلِ^(٣)
وَلَا تَجَادُلْ أَخَاكَ مُعْتَذِرًا فَلَسْتَ مَمَّنْ يَقُولُ بِالْجَدْلِ

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

يَا نَدِيمِي قَدْ خَلَوْتُ بَحْرًا لَيْسَ مِنْهُ ثَقْلٌ عَلَى مَلِكِيهِ
اسْقِنِيهَا وَحْدِي سُرُورًا يَبْدُرُ يَعْلَمُ اللَّهُ كَيْفَ شَوْقِي إِلَيْهِ
يَا ابْنَ يَحْيَى الَّذِي أَمُوتَ وَأَحْيَا فِي مَوَالَاتِهِ وَبَيْنَ يَدَيْهِ
مِنْكَ هَذَا النَّيْذُ وَالْخَبْزُ وَاللَّحْمُ الَّذِي يَشْرَبُ النَّيْذُ عَلَيْهِ

وقال في مثل ذلك [من الخفيف] :

اسْتَمِعْ شَرْحَ قِصَّةِ أَنَا مِنْهَا بَيْنَ وَصَلٍ مَمَّنْ أَحَبُّ وَهَجَرٍ
لِي وَعَدُّ عَلَى غَزَالٍ غَرِيرٍ يَنْجِزُ الْوَعْدَ كُلَّ غَرَّةٍ شَهْرٍ^(٤)
وَمَغْنٌ يَحِيطُ بِالْحَالِ عِلْمًا فَهُوَ يَأْتِي وَلَا يَقُولُ بِحَذَرٍ
وَعَلَيْكَ انْتِهَاءُ سَكْرَهُمَا الْيَوْمَ إِلَى غَايَةِ الْمَرَادِ وَسَكْرِي

(١) الرامشة : الطاقة من الريحان ونحوه ، والجعل : الدميم الأسود .

(٢) القفصية : إناء يجعل فيه الخمر .

(٣) الوشل : الماء القليل .

(٤) غرة شهر : مطلعه .

فأرحني من الهموم براحٍ تصدر الهم عن موارد صدري^(١)
وابق حياً يضاف قسماً إلى عمرك طول الحياة من كلِّ عمر

* * *

ما أخرج من خمرياته وما ينضاف إليها

قال [من الوافر] :

وليس العيش إلا شرب راحٍ إليّ بشربها الساقى يشيرُ
وكأسٍ يعدل الساقون فيها ولكنَّ حكم سورتها يجورُ
وشدو صغيرة كالخشف يحدي بصوت غنائها الرطل الكبير

ومن أخرى [من الخفيف] :

أسقني بالكبار إمّا بطاسٍ أو بكأسٍ محرورة أو بجام^(٢)
لا تكلني إلى الصغار التي تحكي قوارير جونة الحجام^(٣)
وتقلد ديوان عشتري اليو م بلا مشرفٍ وغير زمام

ومن أخرى [من المنسرح] :

الشرب لا الحرب عادتني ومعى ستة رهطٍ جندٍ صناديدُ
الذنُّ والرطل والمشمة والنَّ قُل وطبلُ التكريع والعود^(٤)

(١) الراح : الخمر ، وتصدر الهم : تبعده .

(٢) الجام : الإناء الكبير .

(٣) القوارير : إناء مستطيل من زجاج يجعل فيه الشراب والطيب .

والجونة : سلّة صغيرة مستديرة مغطاة بالجلد تكون مع العطارين ويوضع فيها الطيب .

(٤) الثقل : ما يؤكل على الشراب من فاكهة أو فستق وما إلى ذلك .

ومن أخرى [من مجزوء الخفيف] :

| | |
|--------------------|---------------------------------|
| سیدی ما أظنُّهُ | بعد يدري بما جرى |
| ما درى أنَّ عبْدَه | فلسه قد تقشّرا |
| عند قومٍ معروفهم | فيَّ قد صار منكرا |
| كنتُ كالمسك مرةً | بالدنائير أشتري |
| فأنا اليوم بعد ما | صرت شيخاً كما ترى |
| عبدٌ من عنده نبيد | ذُ إذا كان أحمرّا |
| خمرةً دُنْها يضد | من مسكاً وعنبراً ^(١) |
| كم فمٍ ذاقها فطا | ب وقد كان أبخراً ^(٢) |
| وغلامٍ بكأسها | راح يسعى وبكراً |
| هو فينا بريحها | عبقٌ قد تعطّرا |
| ظلٌ يفسو وعندنا | أنّه قد تبخرا |

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

أيلول والعيد واعتدال الهواء في اللَّيل والنهارِ
وشهر شوال في تكافي ساعات أيامه القصارِ
أربعةٌ تقتضيك دين السّماع واللّهُ والعقار
فاشربْ لها بالكبير إنّ السّكبير للسّادة الكبار

ومن أخرى [من البسيط] :

والكأسُ تسلبني عقلي ، وأهون ما
حمراء يمسي بناني وهو فوق يدي
لهوتُ عن ذكره عقلي إذا سلبا
منها بمثل شعاع الشمس مختضبا

(١) الدنّ : الزق أو وعاء الخمرة .

(٢) الأبخر : ذو الرائحة الكريهة .

ابتعتها غير مغبون ولو طلب الخمار روي بها أعطيت ما طلبا
وأربح الناس عندي في تجارته محصلٌ يشتري بالفضة الذهباً
ومن أخرى [من الكامل] :

يا صاحبي استيقظا من رقدة
هذي المجرة والنجوم كأنها
وأرى الصبا قد غسلت بنسيمها
قوما اسقياني قهوة رومية
تزي عقل الليب الأكيس
نهر تدفق في حديقة نرجس
فعلام شربي الراح غير مغلس^(١)
مذ عهد قيصر دنها لم يمس
موت العقول إلى حياة الأنفس^(٢)
صرفاً تضيف إذا تسلط حكمها

ومن أخرى [من الخفيف] :

من شروط الصبح في المهرجان
وحضور الطعام قبل طلوع الشمس
والعروس التي ترف إلى الأر
رسموا طين دنها وهو رطب
وترى سوسن الكؤوس عليها
ثم خفق الطبول بين الأغاني
والسماع الذي يمل على الأسماع
كل صوت من اقتراحات إسحا
لا أعد الصبح إلا غبوقاً
يا خليلي قد عطشت وفي الخمرة ري للحائم العطشان
خفة الشغل مع خلو المكان
مذ أمس بارد الألوان
طال في ثوب صبغها الأرجواني
باسم كسرى كسرى أنوشروان
كسوة من شقائق النعمان
واصطكاك الأوتار في العيدان
ق التي زينت كتاب الأغاني
إن جعلت الصبح بعد الأذان^(٣)

(١) غير مغلسة : أي غير قديمة العهد .

(٢) صرفاً : صافية غير ممزوجة .

(٣) الصبح والغبوق : شرب الخمرة صباحاً ومساءً .

فاسقياني محض التي نطق الوحشي بتحريمها من القرآن
والتي ليس للتأول فيها مذهبٌ غير طاعة الشيطان
واعدلا بسي عن التي هدت النا ر قواها وحنقت بالدخان
إنني خشيةً من النار أخشى كلُّ شيءٍ يُمسُّ بالنيران^(١)
لا تخافا عليّ دقة كشحي لاتكال الرجال بالقفزان^(٢)
فاسقياني بين الدنان إلى أن ترياني كبعض تلك الدنان
مقعداً بعد خفتي في نهوضي أخرساً بعد كثرة الهذيان
سكرةً بعد سكرةً تثبت اسمي في المفاليج أو مع العميان
اسقياني فقد رأيت بعيني ن لخمسٍ بقين من رمضان
أنا حوادة وزهني صديدٌ في قرار الجحيم أين مكاني
كلُّ شيءٍ قدّمته لي فيه تحت خصي فرعون أو هامان^(٣)
غير حبّي أهل الحواميم والحشر وطه وسورة الرحمن^(٤)
خمسَةٌ حبّهم إذا اشتدّ خوفي ثقتي عند خالقي وأماني
قد تيقنت أنّهم ينقلوني من يدي مالكٍ إلى رضوان
بهمٌ قد أمنت خوف معادي وبهذا الوزير خوف زماني
يا أبا طاهرٍ ولولاك ما كا ن لبدر السماء في الأرض ثاني
لك يا سيدي دعا الفطر والأضحى ويوم النيروز والمهرجان
ومن أخرى في بختيار يهنئه بالأضحى [من السريع] :

قد صحّب البمّ مع الزيرِ فقم قليلاً غير مأمور

(١) خشية النار : خوفها .

(٢) الكشح : ما بين الخاصرة والصرة ووسط الظهر من الحسم . والقفزان : جمع قفيز وهو المكيال .

(٣) حوادة : أي العنيد .

(٤) أهل الحواميم : أهل الكساء « الرسول وآل بيته » .

قم هاتها أصفى إذا رقرقتُ
من يدٍ عذراء لها وجنةٌ
تحدثت فانتشر الدرُّ من
وعبرت أنفاسها نكهةً
الليل والعشر يقولان لي
أمسلمٌ قلت نعم ظاهري
من أجل هذا أنا مذ جئتما
فأسعد بيوم العيد واجلس له
وضحٌ فيه بالدنان التي
من كلِّ دنٍّ دمٌ أوداجه
واستحضر العود ووجه به
الركعة الأولى سريجية
وهي صلاة العيد لا يستوي
والله لو كنت لها حاضراً
فاشربُ على ملكٍ تملّيته
في قدحٍ أزرقٍ أو ساذجٍ
واستجل مع ذاك وذا أوجهاً
كأنما عينك ما بينهمُ

في الكاس من دمعَةٍ مهجور
تचार فيها أعينُ الحور
مشمةُ التّرجس والخيري^(١)
تبسم عن نفحة كافور
مذ أمس قولاً غير مستور
وباطني في الخمرنسطوري^(٢)
ما بين سكرانٍ ومخمور
في خلوةٍ جلسة مسرور
تخرُّ بين البمِّ والزير
أحلُّ من لحم الخنازير
حتى نصلي بالطناير^(٣)
وركعة التسليم ماخوري^(٤)
تجوّزي فيها وتقصيري
لحير العالم تكبيري
موشّحٍ بالعزّ منصور
أبيض مثل الثلج بلّور
صبيحةً مثل الدنانير
تدور في زهرة مشور

ومن أخرى في أبي الفتح بن العميد ، وكان قد هجر النبيذ بعد القبض على

(١) الخيري : زهر المشور الأصفر .

(٢) نسطوري : من السّاطرة طائفة من النصارى .

(٣) الطناير : من الطنبور آلة موسيقية .

(٤) سريجية : نسبة إلى سريج أحد المغنّين . وماخوري : من الماخور : وهو بيت الرّيبة .

بختيار . وكان ابن بقية الوزير قد شرب وابن الحجاج إذ ذاك يتولى الحسبة ببغداد
[من الكامل] :

| | |
|----------------------------|--------------------------|
| حقّي على الأستاذ قد وجبا | فإليه قد أصبحت منتسبا |
| مولاي ترك الشرب ينكره | من كان في بغداد محتسبا |
| إن كان من غمّ الأمير فلمْ | وزيره بالأمس قد شربا |
| إنّ الملوك إذا همّ اقتتلوا | أصبحتُ فيهم كلب من غلبا |
| فلذاك أسكر غير مكترث | وألف مع خيشومي الذنبا |
| يا سادتي قد جاءنا رجبٌ | فتفضّلوا واستقبلوا رجبا |
| بمدامة لولا أبوتها | ما كنت قطّ أشرف العنبا |
| حمراء مثل النار موقدة | لم تلق لا ناراً ولا حطبا |
| من قال إن المسك يشبهها | ريحا فلا والله ما كذبا |

ومن أخرى في بعض الوزراء [من السريع] :

| | |
|--------------------------|------------------------------------|
| فُديتَ بي يا سيدي وحدي | وعشت ألفي سنة بعدي |
| قد رحل النرجس فاشربْ على | محاسن المثنور والورد |
| من لي بها عندك مشمولةٌ | قد أصبحت معدومةً عندي |
| يمزجها لي رشاً أغيدٌ | بريقة أحلى من الشهد ^(١) |
| نهاية الحرّ مجسّ استه | وريقه في غاية البرد ^(٢) |
| جنى من البستان لي وردةٌ | أحسن من إنجازهِ وعدي |
| وقال والوردة في كفّه | مع قدحٍ أذكى من الندّ |
| اشرب هنيئاً لك يا عاشقي | ريقي من كفّي على خدّي |

(١) الرشأ : الغزال .

(٢) مجسّ استه : أي وضع اليد عليها .

ومن أخرى [من المنسرح] :

يا من حقوق النيروز تلزمه رسمك يوم النيروز مشهور
فاسكر من الليل واصطبج سحراً غداً تراني وأنت مخمور
واستنطق الزير إنني رجل يعجبني ما يقوله الزير^(١)

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

قم فاسقني الراح أو تراني مبلبل العقل واللسان
إذا تكلمت لم يُفسر قلتي إلا بترجمان

وله يهنئ نصرانياً بفصحته [من السريع] :

أوجع دماغ القرع بالسلق اليوم يوم القطع والبلق^(٢)
اليوم يوم الراح يا سيدي فاشرب من الراح كما تسقي
كل سيدي واشرب ونك إنما الحياة بين الشرب والفسق
وافطر من الصوم على فقحة زبدتها في طرف الزق^(٣)
وابق سليماً ودع الموت لا يجنو على الخلق ولا يبقي

* * *

ما أخرج من خرافاته في مجونه ومفاحشاته

قال [من الوافر] :

سرى متعرضاً طيف الخيال فسوف لا محالة بالمحال^(٤)

(١) الزير : وتر العود .

(٢) البلق : الفتح ، بلق الباب فتحه .

(٣) الفقحة : الحسنة الخلق ، أو حلقة المؤخرة .

(٤) سوف : أدخل وماطل .

ولكنني انتهت فكان حزني على ما فاتني أسوأ لحالي
وما خلق النساء البظر إلا وبالأ حيث كن على الرجال
عذيري في الزنا من كل تيسر عتيق قد تمرّد في الضلال
يحسن لي الحلال فنحن طول السـ نهار إذا اجتمعنا في جدال
وليس سوى الزنا همّي ورأيي فينكار الخصى نيك العيال
وفي النيك الحرام خزعبلات قليلاً ما تراها في الحلال
وسرم مرّ مجتازاً بأيري كما صلى العشا والدرب خالي
فقال له إلى كم تزدريني وتكشف بالقبيح إليّ بالي
ولم تختار وصل الحرّ دوني وتكرهني وتعرض عن وصالـي
ألم تر أن شكل البدر شكلي وأن الحرّ معكوس الهلال
تأمل تكتي فوقي وأين السـ وهاد من الروابي والتلال
فنكس رأسه أيري طويلاً وفكر في الجواب عن السؤال
وفكر ثم قال له إذا لم توفّق للصواب فما احتيالي
أبا الدراق ما للحرّ ذنب إذا فكرت في عذري ولالي
ولكنني رأيت الحرّ فينا يسام الخسف حالاً بعد حال^(١)
فيقطع أنفه طفلاً وينشو كبيراً وهو متوف السبال
ويلكم شذقه في كل وقت بغير خصومة وبلا قتال
وأنت فسيء الأخلاق جداً كما تدري قليل الاحتمال
بأول خاطر من غير فكر تشرّس من لقيت ولا تبالي
ومدخلة لها ردف سمين وخصر كالهلال من الهزال
يؤذن في استها أيري أذان الضحى ويقيم في وقت الزوال
وتعصف ريح عصعصها شمالاً وهل ريح أرق من الشمالي

(١) يسام الخسف : يصيبه النقصان والاجحاف .

وقد بادلتها فمبالها لي بمشورة استها ولها قذالي^(١)
كما لابن العميد جميع شكري ودنيا ابن العميد جميعها لي
ومن أخرى [من السريع] :

فحمية السرم ولكنها البظراء شيرازية المفرق
قالت لأيري بعد ما صبّ في دواتها أكثر من دورق^(٢)
أوحشت عشّ استي فقل لي متى تؤنسه يا عنق اللقلق
فقال هيهات وهل يرجع اللصّ إذا فرّ من المطبق
ومن أخرى في حسبه [من السريع] :

يا معشر الناس اسمعوا دعوة دخالة بالنصح خراجه
من منكم طار على حسبي قطعت بالدرّة أوداجه^(٣)
لأنه أقرنّ ليست له بعدي في زوجته حاجه
كانّ أيري في آستها زمجّ يطلب بين الشوك درّاجه^(٤)

ومن أخرى [من السريع] :

جارية أرض نبات استها رقيقة التربة خواره
تسيح في جانب مفساتها عين خرا بالعرض خواره
كانّ لي منها على عاتقي كراع شاة فوق قنّاره^(٥)

(١) القذال : يعني ذكره .

(٢) الدروق : مكيال للشراب .

(٣) الحسبة : منصب كان يتولاه مسؤول عن مراقبة الأسعار .

(٤) الرّمج : الغضب ، وزمج على القوم دخل بغير إذن منهم .

(٥) القنّاره : القنور : الضخم الرأس ، والطويل .

ومن أخرى [من المنسرح] :

وقينة كل من يعاشرها
مبرودة الرِّيق بعد هجعتها
كأن تنورها الشديد حمى
تشم ريح استها الزناة كما
فجوفها قربة وفي حرها

ومن أخرى [من السريع] :

ولم أزل وهي إلى جانبي
أنب مثل التيس فوق استها

ومن أخرى [من الوافر] :

صمدت لها وجنح الليل داج
وأولع بالمباعر من قراذ

ومن أخرى [من الوافر] :

فتاة ما عرفنا قط منها
فما تهوى سوى أيار شهرا

ومن أخرى [من السريع] :

قالوا رأيناك بما فيك من
تحبو إلى باب آستها مثل ما
فأي شيء كان قلت الذي

(١) مسجور : موقد .

(٢) الدَّيس : الغابة المتلبدة « أو الوطه والجِيع » .

وقال [من مخلع البسيط] :

| | |
|------------------------|-----------------------|
| يا سادتي ما استرق ديني | شيء كمثل الحر السمين |
| لما أراه يزول عقلي | عني ويعتادني جنوني |
| وأشتهي أن أغوص فيه | من مشط رجلي إلى جيني |
| وكلما شلت منه رأسي | رزقت قوماً يغوصوني |
| أغيب شهراً فلا تراني | العيون والناس يطلبوني |
| حتى إذا كان بعد شهر | دل على موضعي أنيني |
| فديته كالعروس يجلي | في دست ورد وياسمين |
| جبينه الصلت من حديد | وشدقه الرخو من عجين |
| وخير ما يقتنيه أيري | صلاية بطنت بليين |

وله [من مجزوء الرجز] :

| | |
|---------------------|----------------------------------|
| يا صاح فاشرب واسقني | من الشراب العكبري ^(١) |
| مع أمرٍ عصصه | يجيد بلع الكمر |
| أوقينة طنبورها | المحفوف صلب الوتر |
| حورية قد شربت | بالرطل ماء الكوثر |
| من الجنان وجهها | وسرمها من سقر ^(٢) |
| لها حر كأنه | وجه غلام خزري ^(٣) |
| ذو شعرة أطرافها | شبه رءوس الأبر |
| أصبح في نيكي لها | تقدمي تأخري |

(١) العكبري : من العكبر : شيء يجيء به النحل على أفخاذها وأعضادها فتجعله في الشهد مكان العسل .

(٢) سقر : جهنم .

(٣) الخزر : جماعة من التتار .

أحسنَت لي هم، هكذا مُدِّي وشدِّي واعصري
العيش ما أطيب ذا يا مهجتي يا بصري
لمثل ذا الوقت انتفي أو احلقي أو نورِي

ومن أخرى [من مخلع البسيط] :

صبيّةٌ بظرها بجنبي يبيت مثل الصبيّ المخضّبُ
مفعول باب استها بأيري الـ فاعل فوق الفراش ينصبُ
وسرمها كان أمس غراً لم يتفقّه ولا تأدّبُ
فالיום قد صار منذُ قاسي أمور أهل الزّنا وجربُ
إذا رأى الأير من بعيدٍ بوق في وجهه ودبدبُ

ومن أخرى [من البسيط] :

تبول من شفق مهزول به عجفٌ وقد تفقّا عليه بظرها سمنا^(١)
ترغي وتزبد شذواه إذا اختلفا كأنّه شفق مفلوجٍ حسى لبنا^(٢)

ومن أخرى [من الخفيف] :

ذات حمٍ يسقي الفراغات صرفاً من عصير الخصي بغير مزاج
بات دكشاب فيشتي في خراها يخلط الدوغباج بالزيرباج^(٣)

وقال [من مجزوء الرجز] :

لو أنّ سرمأ كان في يديه ملكُ اليمن

(١) تفقّا : تشقّق .

(٢) حسى : شرب .

(٣) الدكشاب : رأس الذّكر ، والدوغباج والزيرباج : لغة فارسية . الدوغباج : تعني : المنّي والمخيطي ، والزيرباج : المختّر الذي في أمعائها .

لَكَانَ أَوَّلَى مِنْهُ بِي قِطْعَةً بَظَرٍ عَفْنِ
وَقَالَ [مِنْ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ] :

عَمْرُكَ اللَّهُ يَا ابْنَ عَمْرٍو عَمْرٌ ثَلَاثِينَ أَلْفَ نَسْرٍ
وَجْهَكَ عِنْدَ الصَّبَاحِ شَمْسِي وَأَنْتَ عِنْدَ الْمَسَاءِ بَدْرِي
مَوْلَايَ ذَا الْيَوْمِ يَوْمَ سَعْدٍ أَشْرَفَ عِنْدِي مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ
نَذَرْتُ فِيهِ إِذَا التَّقِينَا سَكْرًا إِلَى اللَّيْلِ بَعْدَ سَكْرٍ
مَعَ قِينَةٍ لَا تَرِيدُ غَيْرِي فَهِيَ تَجِينِي بِغَيْرِ حَذَرٍ
أُبْرِي عَلَى أَنَّهُ طَوِيلٌ أَقْصَرَ مِنْ بَظَرِهَا بِشَبْرٍ
لِصَوْفِ شَعْرِ اسْتَهَا مَدَادٌ يَعْجَنُهُ بَوْلُهَا بِحَبْرٍ
فَأَيَّ شَيْءٍ تَقُولُ هُوَ ذَا أَقُومُ حَتَّى أَفِي بِنَذْرِي
وَقَالَ [مِنْ مَجْزُوءِ الْكَامِلِ] :

ضَرَطْتُ وَنَحْنُ بَعَكِبْرَا فَتَشَوُّشْتُ سَفْنَ الْغُرُوبِ
وَفَسْتُ عَلَى رِيحِ الشَّمَا لَ فَأَلْحَقْتُهَا بِالْجُنُوبِ
وَمَسَحْتُ مَبْقَلَةً اسْتَهَا فَوَجَدْتُهَا أَلْفِي جَرِيبِ
جَاءَتْ إِلَيَّ وَجُوفُهَا يَغْلِي وَلَا قَدْرُ الزَّيْبِ
فَسَلَقْتُ بِيضِي فِي آسْتَهَا وَشَوَيْتُ فِي حَرْهَا عَسِيْبِي^(١)

وَمِنْ أُخْرَى [مِنَ الْمَنْسَرَحِ] :

وَكَمْ حَدِيثٍ كَأَنَّهُ سَمْرٌ قَدْ مَرَّ لِي فِي الزَّوْنَا مَعَ السَّمْرِ
وَافِرَةِ الرَّدْفِ فَهُوَ يَثْقُلُهَا لَطِيفَةُ الْكَشْحِ نَضْوَةُ الْخَصْرِ^(٢)
طَعْمُ خَرَاهَا مَعَ طَعْمِ فَيْشَلْتِي يَشْبَهُ طَعْمَ اللَّبَا مَعَ التَّمْرِ

(١) العسيب : عظم الذنب « ويعني به قضيبه » .

(٢) نضوة الخصر : هزيلته .

لو لم أَشَبَّ بشعر عانتها ما طاب للناس كلهم شعري^(١)
 قيل لأيري وقد رأوه ولا الهارب بعد الحصول في الأسر
 يشتدُّ بعد العشا إلى حرِّها عدواً بلا حشمة ولا فكر
 ما لك هوذا تطير قال لهم أطيّر مستعجلاً إلى وكري
 ولي خصي لو خرجت أعرضه اشــــتراه منّي بروحه دري
 ايري عليه كأنه وتدٌ قد علقت فيه دبة البزر^(٢)

ومن أخرى [من مجزوء الكامل] :

يا ويحكم واللحم يعرض والبزاة على الكنادر^(٣)
 قوموا بنا نحشو البظو ر بفيشنا حشو المساور
 نبدا بكراعاتهم ونعود نعثر بالزوامر
 ثم الحوافظ إنهنَّ عجائزُ شمطٌ عواهر
 أحرّاهم بيض العنا فق واللحي سود المباعر^(٤)
 كشيخ أصحاب الحديث إذا تمشّوا بالمحابر

ومن أخرى [من السريع] :

أنا ابن حجاج إليه أبي ينمي وقلبي من بني عذره
 لم يخل جسمي في الهوى من ضنيّ قطّ ولا عيني من عبره
 حبابٌ مثل حصي عكبرا والرقبا مثل نوى البصره
 حامضة البول ولكن لها مستنَعِظٌ أحلى من التمره^(٥)

(١) العانة : الشعر الذي ينبت حول الفرج .

(٢) دبة البزر : ظرفٌ للبزر والزيت .

(٣) الكنادر : مجثم البازي .

(٤) الأحرّاح : جمع حر ، والعناقق : شعرات صغار بين الشفة السفلى والذقن .

(٥) المستنَعِظ : يعني به « بضع المرأة » .

لها حرٌّ درّته جرّة ومبعرٌ روثنه صخره
فما تلاحظنا سوى مرّة حتى أتى الشيخ أبو مرّة^(١)

* * *

نبذ من ملحہ القصار من أخباره

كان قد دعا مغنية ، فلما دارت الكؤوس تساکرت عليه وتناومت وهو جالس ، فقال [من مجزوء الرمل] :

غَطَّتِ البِظْرَاءَ لَمَّا عَايَنْتَ مِفْتَاحَ دِيرِي
وَرَجْتَ مِنِّي خَيْرًا قُلْتَ لَا تَرْجِينِ خَيْرِي
أَقْعِدِي عِنْدِي وَهَذَا فَاغْلِيهِ عِنْدَ غَيْرِي
أَنْتِ فِي دَعْوَةٍ أَذْنِي لَسْتُ فِي دَعْوَةٍ أُبْرِي

وحصلت عنده مغنية كان يتعاشق لها . ونام ابن حجاج ، ففرقع ظهره فغضبت وانصرفت ، فقال [من السريع] :

قَدْ غَضِبْتَ سَتِي وَقَدْ أَنْكَرْتَ قَرَقَعَةً تَظْهَرُ فِي ظَهْرِي
وَلَيْسَ لِي ذَنْبٌ وَلَكِنِّي أَضْرَطُّ بِاللَّيْلِ وَلَا أُدْرِي
فَلَيْتَ شَعْرِي وَهِيَ غَضْبَانَةٌ مِنْ حَجَرِهَا أَضْرَطُّ أَمَّ حَجْرِي

وأنا أستظرف كنايةته بالفرقة عن الضراط .

ودعا مغنية ، فخلا بها ، فهجمت عليه صديقه له ، فتضاربتا وتجارحتا وطال بينهما الشر . فقال [من الخفيف] :

رَحِمَ اللَّهُ مَنْ أَتَانِي بِمُوسَى فَتَقَصَّى بَحْدَهُ جَبًّا أُبْرِي^(٢)

(١). أبو مرّة : هو إبليس ، وكُنِيَ بِمَجِيئِهِ عَلَى حُصُولِ مَا يَغْضِبُ اللَّهَ .

(٢) جَبًّا : قَطَعَ .

كلُّ يومٍ أغضي له عن جنايا تِ كأنَّ الحديثَ فيها لغيري
ولعمري كم من صباحٍ بشرٍ كان لولاه قد جرى لي بخير
ووردت عليه رقعة صديقين له يدعوانه للشرب وابنه قد جدر وملح فكتب
إليهما [من المنسرح] :

يا سيدي النيذ موجود وبابُ شرب النيذ مسدودُ
قد ملَّح ابني فكيف يشربُ مَنْ أمسى ولحم ابنه تمكسود^(١)
وعرض له صداع ، فانفرد إخوانه بالشرب مع مغنية كان قد اشترطها ، فكتب
إليهم [من الوافر] :

حصلت أنا الشقيُّ على الصداع وأنتم بالتمثُّع والسُّماعِ
خلوتُم بالتي قلبي إليها شديدُ الشوق مشهور النَّزاعِ^(٢)
فتاةٌ أصبح الإجماع فيها يقرُّ بأنَّها شرطُ الجماعِ^(٣)
وحصل مع رجل يكنى أبا الحسين في دار رجل بخيل ، فالتمس أبو
الحسين العشاء بعد الغداء ، فقال ابن حجاج [من مخلع البسيط] :

يا سيدي يا أبا الحسين أنت رفيعُ بنقطتينِ
يا كلب الضَّرْس ما يداوي ضرسك إلَّا بكلبتينِ
ويلك قل لي جنت حتَّى نلتمس الخبز مرتينِ
في دار من خبزه عليه ألف رقيبٍ بألف عينِ

وحضر في دعوة ، وآخر الطعام ، فقال [من الكامل] :

يا صاحبَ البيت الذي أضيفه ماتوا جميعا

(١) كذا ، ولم يتجه لي عجزه .

(٢) النزاع : الميل .

(٣) شرط الجماع : أي صالحة للمعاشرة .

حصَلْتنا حتّى نمو تَ بدائنا عطشاً وجوعاً
مالى أرى فلك الرغيف لـديك مشرفاً ربيعاً^(١)
كالبدّر لا نرجو إلى وقت المساء له طلوعاً

ونظر إليه يذهب ويجيء في داره ، فقال [من السريع] :

يا ذاهباً في داره جائياً بغير معنى وبلا فائده
قد جُنْ أضيافك من جوعهم فاقراً عليهم سورة المائدة
وكان بعض أصحاب الدواوين يطالبه بحساب ناحية وليها ، فكتب إليه [من
الوافر] :

أيا من وجهه قمرٌ منيرٌ يضيءُ لنا وراحته السحابُ
إذا حضر الحساب أعدت ذكرى وتناسى إذا حضر الشرابُ
أجبنى بالقناني والمثاني ووجهك إنّه نعم الجواب
وكلّني في الحساب إلى إلهٍ يسامحني إذا وضع الحساب^(٢)

وركب إلى بعض الرؤساء يهتته بعيد النحر ، فلم يصادفه ، فكتب إليه [من
الوافر] :

أيا من وجهه كالشمس توفي فيمحق نوره بدرُ التمام
لعيد النحر أيامٌ قصارٌ تلمُ بنا اجتيازاً كلَّ عامٍ
أمرنا كلنا بالنيك فيها وأكل الطيبات وبالمدام
فقبل لنا اشربوا وكلوا ونيكوا حلالاً أو على وجه الحرام
وما قيل اقطعوها بالتهاني وتكرار التحايا والسلام

(١) المشترف : أي المشرف العالي .

(٢) كلني : دعني ووكل بي .

فيا طوبى لمن صلّوا قعوداً وناكوا في الكواشل من قيام^(١)
وقد بكرتُ أمسٍ على كميته يقصّر خطوه طول المقام^(٢)
جريح الجنب من ضغط الحزام قريح الفك من مضغ اللجام
فإن أنا لم أعد فالله أولى بعذري ثم أنت بلا كلام

ووردت رقعة رجل على بعض الرؤساء وهو جالس يعرض عليه جارية رباها
ويصف حسننها . فأمره بالإجابة فقال [من السريع] :

يا إذا الذي جاء بحرّاً له في السرّ يهديه إلى أيري
عليّ شغلٌ بالمهمّ الذي تراه فاطلب نايكاً غيري
وكان له صديق ولذلك الصديق ابن يكنى أبا جعفر ، وكان مستهتراً بالقحاب
فسأله أن يعاتبه ويشير عليه بالتزوج ، فقال [من السريع] :

إيّاك والعفة إيّاك إيّاك أن تفسد معناكا
أنت بخير يا أبا جعفر ما دمت صلب الأير نيّاكا
فنيك ولو أمّك واصفع ولو أباك إن لامك في ذاكا
وكان الوزير أبو الفضل والوزير أبو الفرج قد خلوا في الديوان لعقوبة
أصحاب المهلي عقب موته ، وأمر أن تلوث ثياب الناس بالنفط إن قربوا من
الباب ، وقد كان المهلي فعل مثل هذا ، فحضر ابن الحجاج فحجب وخاف النفط
فانصرف فقال [من مخلع البسيط] :

الصفح بالنفط في الثياب ما لم يكن قطّ في حسابي
ليس يقوم الوصول عندي مقام خيطين من ثيابي
يا ربّ من كان سنّ هذا فزده ضعفاً من العذاب

(١) الكواشل : الفياشل الضخمة ، وكاش جاريته : جامعها .

(٢) الكميته : من الخيل الذي بين الأسود والأحمر .

في قعر حمراء ليس فيها غير بني البظر والقحاب
تفعل في لحمه المهري ما يفعل الجمر بالكباب
فالقرد عندي يجلُّ عمَّن يسنُّ هذا على الكلاب

ووردت عليه رقعة خصم له بما يسوءه فكتب على ظهرها أبياتاً منها [من
الكامل] :

إنِّي جعلت إجابتي في ظهرها عمداً ليتمكن فضُّها في المجلس^(١)
كانت كنيفاً فائضاً فزرعت في ظهر الكنيف حديقةً من نرجس

وكان ابن شيراز قد صارع السبع فقتله ، ثم عاد لمثله ، فكتب إليه ابن
حجاج [من مخلع البسيط] :

يا من إلى مجده انقطاعي ومن به أخصبت رباعي
قد زاد خوفي عليك جداً وعظَّم الأمر في ارتياعي
في كلِّ يومٍ سبعٌ جديدٌ ينفر من ذكره استماعي
تغدو إليه بلا احتشامٍ ولا انقباضٍ ولا امتناع
وليس قتل السباع ممَّا يدرك بالختل والخداع^(٢)
فلا تظر بعدها لسبعٍ مراسه غير مستطاع
إن صراع السباع عندي حاشاك ضربٌ من الصَّداع
أعدلُ إلى الكأس والندامى والأكل والشرب والسَّماع
وأمرِدُ جامعٌ لشرط السباع عناق والبوس والجماع
بلى أجمع لي السباع واطرح خصمي في بركة السباع
فإنَّ عيشي في أنْ أراه بين سباع الرُّبى الجياع

(١) فضُّها : فتحها .

(٢) الختل : الخداع والتستر .

وكان سأل بعض الرؤساء أن يتكلم في أمر كان له فوعده ثم أمسك وسكت
فقال [من السريع] :

يا صنماً يعبده شعري بلا ثوابٍ وبلا أجر
إن لم تكن دَبًّا فخطبهم بلفظة تسمع في أمري
انطق بنفسٍ قبل أن يحسبوا أنَّك من طينٍ وآجرٍ^(١)
وقال وقد عرضت له علة صعبة ، ثم صلح بعد اليأس ، فكتب إلى بختيار
[من مخلع البسيط] :

يا سيدي عشت في نعيمٍ حلو الجنى دائم المسرة
عبدك يشكو إليك حمى قد سبكته الصفراء نقره
حمى لتنورها وقودٌ يزيد في اليوم ألف سجره^(٢)
قد حفرت تربةً لصيدي فكدت منها أصير صبره
علة سوء كانت تريني نفسي فوق الفراش حسره
طالعني الموت من زوايا برسامها ألف ألف مره^(٣)
قد نصب الفخ لي ولكن أفلت من فخه بشعره
وقوله [من السريع] :

يا سيدي دعوة من قلبه من خوفٍ ما مرّ به يخفق
قد نصب الفخ لصيدي أبو يحيى ولكن أفلت العقق^(٤)
وقلده الوزير ناحية ، فخرج إليها يوم الخميس ، وتبعه كتاب الصرف يوم

(١) الأجر : القريميد .

(٢) سجره : من سجر النار أي زادها وقوداً .

(٣) البرسام : علة يهذى فيها .

(٤) العقق : طائر كالغراب ذو لونين أسود وأبيض طويل الذنب .

الأحد ، فقال [من مجزوء الكامل] :

يا مَنْ إذا نظر الهلا
وإذا رآته الشمس كا
يوم الخميس بعثني
والناس قد غنّوا عليّ
ما قام عمرو في الولا
ل إلى محاسنه سجد
دت أن تموت من الحسد
وصرفتني يوم الأحد
كما رجعت إلى البلد
ية ساعة حتى قعد

وقال في مثل ذلك [من المنسرح] :

يا مالك الصدر ما خلوت من ال
قلّدتني ليلةً وباكرني
فقد بختي فكيف درت به
إيراد ما عشت فيه والصدّر^(١)
كتاب صرفي المشوم في السحر^(٢)
دور لي جانب استه وخري

وقال ، وقد حجه بواب لبعض الرؤساء مرات فكتب إليه [من السريع] :

قولا لمن إحسانه لم يزل
بي علّة تقطع أسبابها
أخفيت ما بي اليوم منها فما
وليس يشفيني سوى نهشة
تبيت فيها وهي مشبوبة
فامنن بأن تذبح لي واحداً
فنقطة من دمّ أوداجه
شفاء علّاتي وأوصابي^(٣)
من راحة الصّحة أسبابي
تطلّع الناس على ما بي
من قطعة من كبد بواب
بالنار أضراسي وأنيابي^(٤)
بالنعل في دوارة الباب
أنفع لي من رطل جلاب

* * *

(١) الإيراد : ورود الماء للارتواء ، والصدور : العودة عنه بعد الارتواء .

(٢) المشوم : أي المشؤوم الملعون .

(٣) الأوصاب : الأمراض .

(٤) مشبوبة : متّقدة .

ملح من نوادره في ذكر الصفع

قال [من السريع] :

يا سخن العين التي لم تزل تعيش في الناس بلا عقل
إن لم تزن نفسك مستأنفاً والخوف بين القول والفعل
حلّ بيافوخك منّي الذي يحلّ يوم العيد بالطليل
لا تجهل اليوم على من له معرفةً بالعقل والجهل
فتى وإن زلت به نعله أصفع خلق الله بالنعل

وقال [من الرمل] :

هاربٌ منّي وقد خاف العمى بقفا للنعل بادي المقتل
ويكفّي شمشكٌ منتعلٌ والقفا حبر الشمشك المنعل^(١)

وقال [من المنسرح] :

في البيت لي درّةٌ يحدثُ عنْ أفعالها الموغلون في الشارع
تأكل لحم القفا السمين كما يأكل رز البهطة الجائع^(٢)

وقال [من الخفيف] :

ربّ مستصفعٍ نسخت بنعلي بين أجفانه شروط القوافي
كلّ نهب الطلى مباح حمى الرأ س حريب الأذان والأكتاف^(٣)
فاتق الله في غطاريف أذنيك وأعصاب أهدعك الضعاف^(٤)

(١) الشمشك : نوعٌ من الأحذية .

(٢) البهطة : الأرز يطبخ باللبن والسمن معرّب من الهندية .

(٣) الطلى : الخمر ، والحريب : المسلوب .

(٤) الغطاريف : الغطرفة : الخيلاء والعبث ، والأهدع : عرق في العنق .

وقال [من السريع] :

قل لابن حسنون وما زال من تعجرفٍ يصغو ويستعفي
أما ترى رخَّ يدي جائلاً وشاه أذنيك على الكشف^(١)

وقال [من المنسرح] :

قد وقع المنع والحجاب معاً فكلُّ من رام بَابَكُمْ صُفْعاً
وافيته طامعاً لأدخله ولم أكن قط أحمد الطمعا
فواثبوني جهلاً بمرتبي في حيث أشكو الصَّداع والصلعا
لا تطلبوا بعدها مواصلي فَإِنَّ حبل الوصال قد قُطِعَا

وقال وقد صرف عن عمل كان إليه [من المنسرح] :

قال وأجفان مقلتيه تكفُّ وجسمه ظاهر السقام دَنِفُ
أعمالنا هذه التي كثر الـ إرجاف فيها بنا فليس تقف^(٢)
قد صرفونا عنها فقلت لهم نعم وصادف عين واو نون ألفُ

وقال [من مخلع البسيط] :

قلت وقد جاء حرَّ شاذاً لأي معنى قد جاء هذا
قالوا لصفع العياد حتَّى يجعل أقفاءهم جذاذاً^(٣)
فقمتم وابنأي يتبعاني نسل من بينهم لواذاً^(٤)

* * *

(١) الرخ والشاه : من أدوات الشطرنج .

(٢) الإرجاف : الخوض في الأخبار السيئة والفتن .

(٣) الجُذاذ : المقطع المكسر .

(٤) لواذاً : إحتماءً .

نبذ من ذكر سرقاته

من ذلك قوله [من المنسرح] :

شيخُ فتى والشَّبَابُ أكثرهم قد علم الله غير فتیان

من قول كثير [من البسيط] :

يا عزُّ هل لك في شيخٍ فتىً أبداً وقد يكون شبابٌ غير فتیان

وقوله [من الوافر] :

وأولاد الحرائر لم يجابوا لديّ فكيف أولاد القحابِ

من قول دعبل [من الكامل] :

إنني لأهجو من يجود بماله أتظنني أدع اللثيم الواضعا

وقوله [من الوافر] :

على أني أظنُّك سوف تنجو بعرضك من يدي منجى الذئابِ

من قول أبي الزيات [من المتقارب] :

نجا بك لؤمك منجى الذئاب حمته مقاذره أن ينالا

وقوله [من الوافر] :

وأحسن ما رأينا قطُّ راحاً إذا كانت مطيَّة كأس راحِ

من قول أبي تمام [من الكامل] :

راحٌ إذا الرّاح كنَّ مطيِّها كانت مطايا الشوق في الأحشاء

وقوله [من الوافر] :

سُتِرتُ بظُلِّهِ من ريبِ دهري فعزَّ على النوائب أن تراني

من قول أبي نواس [من الطويل] :

تستّرت من دهري بظلّ جناحه فعيني ترى دهري وليس يراني
وقوله [من الكامل] :

أمشي بقلبي ، لا برجلي ، إنّما تمشي بحسب هوى القلوب الأرجلُ
من قول اللجلاج [من الطويل] :

وما زرتكم عمداً ولكنّ ذا الهوى إلى حيث يهوى القلب تهوي به الرجلُ
وقوله [من الوافر] :

وخمّارٍ أعدّ الكأس ظئراً لطارقه فلم يرضعه غيلاً^(١)
أوفّيه خلاص التبر وزناً فيسبكه ويعطينيه كيلاً
من قول ابن المعتز [من المتقارب] :

وخمّارة من بنات المجوس ترى الزقّ في بيتها سائلاً^(٢)
وزناً لها ذهباً جامداً فكالت لنا ذهباً سائلاً
وقوله [من الوافر] :

فتاة كالمهاة تروق عيني مشاهدها وتفتّن من رآها
تكاد تردّ للمحبوب أيراً وتحدث للفتى العتّين باها^(٣)
من قول جحظة [من مجزوء الكامل] :

لو مرّ بالأعمى لأبصر أو بعينٍ لأنعظ^(٤)

(١) الظئر : الموضع غير الأم . والغيل : اللبن الذي ترضعه المرأة وهي حامل .

(٢) السائل : أي الذي ارتفعت قوائمه عند الملء أو النفخ ، يريد هنا ان الزق ممتلئ .

(٣) المحبوب : المقطوع الذكر . والعتّين : العاجز جنسياً . وباهاً : نكاحاً .

(٤) أنعظ : انتصب وقام .

نبد مما تكرر من معانيه

قال [من السريع] :

وفي فمي سكرة حلوة قد نغصتها لوزة مرّة

وله [من السريع] :

واللّوزة المرّة يا سيدي يفسد في الطعم بها السكر

وله [من السريع] :

كأنّه وهو إلى جنبها سكرة مع لوزة مرّة

وله [من المنسرح] :

نبّهت منه لحاجتي عمراً ولم أعول منه على عمرو

وله [من المنسرح] :

فما استجارت بعمره مظلمة
فالشّعير قد صار فيها وأتى
بل حين جاءتك أنت يا عمر
مع ذا بتفصيل ذلك الخبر

وله في عكس المعنى [من السريع] :

ولم تنبّه عمراً حاجتي بل وقعت منك على عمرو

وله [من المنسرح] :

خير الستور التي نعلّقها
والقدر إن لم يكن لها طبق
ستر خصي مسبل على حجر
لم يتهرّ العصيب في القدر^(١)

(١) العصيب : الصلب الكثير العصب من اللحم .

وله [من المنسرح] :

ولم تر العين قط أحسن من ستر خصي مسبل على حجر
وله [من الخفيف] :

كتبت رقعةً إليّ وقد عبّست بسطرٍ مقرمٍ خلف سطر
يا فتى سترُ باب سرمي خصاه هات قل لي متى تعلق بستري
وله [من الوافر] :

أحنّ إذا رأيت الحرّ ليلاً بجنبي وهو منتوفٌ نظيفٌ
ولا أباه إن هو جاء يوماً وفي رأس الكلاجق منه ليف^(١)
وله [من مخلع البسيط] :

فاستأذنيه غداً وعودي إليّ منتوفةً نظيفه
فقد تبّينت فوق رأس الحرّ ذي الزوزك ليفه^(٢)

وله [من المنسرح] :

بيضاء وهجاً استها يفور حمى وريقها العذب باردٌ خصرٌ
وله [من السريع] :

بريقة كالثلج مبرودةً ومبعرٌ كالنار محرور^(٣)

وله [من السريع] :

نهاية الحر مجسّ آستها وريقها في غاية البرد

(١) الكلاجق : ما يحيط بالفرج .

(٢) الزوزك : القصير « البظر » .

(٣) البريقة : البيضاء المتألثة أو الحسناء من النساء .

وله [من مخلع البسيط] :

للبرد في ريقه كزازٌ وللحمى في آسته حريقٌ

وله [من مخلع البسيط] :

يا زوج من ريقها حميمٌ وريق مفسائها صقيع^(١)

وله [من الخفيف] :

وغلامٌ شطّى بكرفس مفسا ه قديماً أسنة الأعلام^(٢)

وله [من الخفيف] :

لا ترى كرفسا على باب مفسا ه يشطّي بصوفه الأعلاما

وله [من الخفيف] :

ودواة استها بصوفٍ ولا اللَّيفُ يُشَطّي أسنة الأعلام

وله [من الرمل] :

كلّما استمددت من سرمها شعب ستي قلّمي الكرفسُ

وله [من السريع] :

فديت من لقّبي مثلما لقّبتَه والحق لا يغضبُ

إن قلت يا عرقوب أطمعتني قال فلم نفسك يا أشعبُ

وله [من السريع] :

وعدتني وعداً وحاشاك أنْ تروغ منه روعة الذيب^(٣)

(١) الحميم : المستعر ، والجار .

(٢) شطّى : قطع وشقّق ، والكرفس : القطن . وتكرفس الرجل : انضم ودخل بعضه في بعض .

(٣) تروغ : تهرب .

ما كنت إذ أطمعتني أشعباً فيه ولا أنت بعرقوب^(١)

* * *

ما جاء له في التضمين

قال ، وقد كان غاب عن الحضرة مع الوزير ثم عاد فلما قرب توقف عن الدخول
[من الوافر] :

أيا مولاي دعوة مستغيثٍ قد التهبتُ جوانحه بنارِ
أغشنا بالرحيل غداً فإنّا من الشوق المبرح في حصارِ
وأبرحُ ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديارِ

وقال [من] البسيط :

قد قلت لما غدا مدحي فما شكروا وراح ذمّي فما بالوا ولا شعروا
عليّ تحت القوافي من معادنها وما عليّ إذا لم تفهم البقرا

وقال [من الوافر] :

ولم أطرب إلى عذراء رويد بها عن وصل عاشقها نفارُ
ولا غرثي الوشاح كأن ورد الشحاح بوجنتيها الجلنار^(٢)
بنفسي كلُّ مهضومٍ حشاها إذا ظلمت فليس لها انتصارُ
ولكنّي طربت إلى خليلٍ سمحت ببذله ولي الخيار
فلما أن مضى في حفظ من لا يضيّعه وشطُّ به المزارُ
ندمت ندامة الكسعي لما غدت منه مطلقاً نوارُ
فعيني ما تجفُّ لها دموعُ وقلبي ما يقرُّ له قرار

(١) أشعب : رجلٌ مشهور بحبّ الطعام، وعرقوب : هو ابن صخر ، أو ابن معبد بن أسد من العالقة ،

أكذب أهل زمانه ، وأصبح يضرب به المثل في عدم الوفاء بالمواعيد فيقال : كمواعيد عرقوب .

(٢) غرثي الوشاح : دقيقة الخصر .

وقال [من الخفيف] :

سيدي إن أقمت بعدك بالصعد فقلبي عليّ غير مقيم
غير أنني أقول بالرغم منّي فلعلّي أكفّ بأس همومي
من يكن يكره الفراق فإني أشتهي لوقفة التسليم
وله يخاطب ابن بقية ، وقد حجب عنه وهو على الشراب [من مخلع البسيط] :

بحقّ رأس الأمير مثلي يظماً في دولة الأمير
فما لكم تشربون دوني ولست في جملة الحضور
قد قلت لما حجبتموني فاشتدّ من بابكم نفوري
إن دام هجرانكم على ذا طويت من بينكم حصيري

وقال [من الخفيف] :

صاح أيري ورمحه فوق خصيه ولا رمح ضمرة بن هلال
قرباً مربوط النعامة منّي لقحت حرب وائل عن حيال
ثم أهوى بطعنة بات منها سرم ستي ذاك الشقيّ بحال
فتولّى يقول وهو طعينٌ دمه مع خراه مثل البزال^(١)
لم أكن من جناتها علم الله وإني بحرّها اليوم صالي

وقال [من الخفيف] :

أسفر الصبح فاسقياني وقد كا ن من الليل وجهه في نقاب
وانظر اليوم كيف قد ضحكك الزهر إلى الروض من بكاء السحاب
إنّ صحوي وماء دجلة يجري تحت غيمٍ يصبّ غير صواب^(٢)

(١) البزال : يقال بزل الإناء شقّه أو وثقه .

(٢) يصبوب : يطر .

اتركاني ومن يعيرُ بالشيب وينعي إليَّ عهد الشباب
فبياض البازيُّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

وقال في ابن العميد يودعه ويصف الفرس ويذمه [من الخفيف] :

أيُّها السيّد الذي طاب في المجد فروعاً كريماً وأصولاً
لو مشى بي الشّيخ الفرق لسابقتك سيراً إلى الوداع ذميلاً^(١)
فتجاوزت خانقين وخلفست ورائي على الطريق جلولا
لكن الشيخ كان جذعاً من الخيل طرياً فصار جذعاً طويلاً^(٢)
كلّما سار سال دمع مآقيه ومن حقّ دمعته أن يسيل
مستغيثاً يصيح تحني ضراطاً مزوجاً في طريقه وصهيلاً
أبصر القتّ وهو يجري فغنى بعد ما كاد عقله أن يزولا^(٣)
أزجر العين أن تبكي الطلولا إن في القلب من كليب غليلاً

وقال يصف ضعف فرسه [من البسيط] :

يسومني المشي مضطراً وليس له المسكين بالمشي شبراً واحداً جلدُ
ما كلّف الله نفساً فوق طاقتها ولا تجود يدُ إلاّ بما تجدُ

وقال ، وقد حجب مع جماعة من الكتاب [من الكامل] :

قد قلت لما أن رجعت مولياً ومعني مدابيرٌ من الكتابِ
نحن الذين لهم يقال وكلّنا فلّ العصا وطريدة الحجاب
قومٌ إذا قصدوا الملوك لمطلبٍ تُفتت شواربهم على الأبواب

(١) الذميل : السير السريع اللّين .

(٢) الجذع : من الحيوانات : صغيرها .

(٣) القتّ : نوع من النبات ، أوحبّ بريّ يؤكل أحياناً بعد دقّه وطبخه .

وقال [من المنسرح] :

يا ربربُ اعبرُ بنا إلى ملكِ تَوَجَّهْ اللهُ بالمهاباتِ
يقول للريح كلَّما عصفتُ هل لك يا ريح في مباراتي

وقال [من مجزوء الكامل] :

قالت وقد كشف الوداع قناع حزنٍ قد علنُ
وأذلُّ بالجزع الفراق ق قوى عزاءٍ ممتهن
يا من مُحنت بفقدته حوشيتُ فيك من المحن
خلَّفتني والحزن بعـدك يا قريني في قرن^(١)
فاذا صبرت ضرورةً صبر الوقيذ على الوسن^(٢)
فترى يطيق الصَّبر عنك أو السَّلو أبو الحسن
طفلُ نشأ وفؤاده بك يا أباه مرتهن
كالفرخ يضعف قلبه عن أن يودَّع بالحزن
فأجبتها وهي التي اسـتولت عليَّ بلا ثمن
طلبُ المعاش مفرِّقُ بين الأحبة والوطن
يا ربَّ فازدُدْ سالماً سكناً يحنُّ إلى سكن

وكتب إلى رئيس يستهديه مشروباً وهو مع بعض أصدقائه وعندهم مغنية فلم يفعل
[من البسيط] :

يا سيدي جودك المشهور ما فعلا أبيع بالرخص يا هذا أم ابتدلا ؟
واسوأنا من أناسٍ ظلمت أطمعهم أن الذي التمسوه منك قد حصلا
حتى إذا عاد من أرسلته بيدٍ صفرٍ وما كان عندي أنَّه وصلا

(١) القرن : الشَّرك أو الأغلال .

(٢) الوقيذ : الشديد المرض المشرف على الفناء .

قالوا لقينتهم غنيّ عليه لنا صوتاً ضربنا له في شعره مثلاً
ما زلت أسمع كم من واثقٍ خجلٍ . حتى بليت فكنت الواثق الخجلاً

* * *

ما أخرج له في التخلص

قال في أبي تغلب ، وقد توجه من الموصل إلى بغداد [من الخفيف] :

افضُضِ الدنَّ واسقني يا نديمي اسقني من رحيقه المختوم
اسقني الخمرة التي نزلت فيها على القوم آية التحريم
اسقنيها فأني أنا والقاسُّ جميعاً نبولها في الجحيم
اسقنيها ولا تكلني إلى النقل عليها ولا إلى المشموم^(١)
بادر الصبح بالصبيحة وجهاً فابنة الكرم شرط كلِّ كريم
ثم قلّ للشمال من أين يا ريح تحمّلت روح هذا النسيم
أترى الخضر مرّ لي فيك أم جزت برضوان في جنان النعيم
أم تقدّمت والأمير أبو تغلب قد صحّ عزمه في القدم

وقال في فتح قلعة أردمشت من قصيدة [من الوافر] :

سقاني كأسه سحراً بوقتٍ وكان صبوحناً في يومٍ سبت
غلامٌ أعجميٌّ فيه ظرفٌ وحذقٌ بالتلطف والتأني
سقاني دو وسا وازددت منها على سكري وصبحني بهفت^(٢)
فلما نمت قام وقال برّوا لمن حولي خوى خاني بجفت^(٣)

(١) تكلني : تدعني وتركني . والنقل : ما يؤكل مع الشراب ، والمشموم : من فاكهة وفستق وغيره .

(٢) دو وسا وهفت : من الأعداد الفارسية أي اثنين وثلاثة وثمانية .

(٣) جفت : إجتفت المال : اجترفته أجمع .

وفي باب آسته زغبٌ لطافٌ
ولكن كان لا يقوى لشؤمي
فشدقت الصَّبِيَّ فدته نفسي
وكان من آسته كالنبت بكرةً
كما فتحتُ وحدَّ السيف يدمي
ملاحٌ مثل ورد الزاد رخت^(١)
وخذلاني به سواد بختي
بدوديكي وتيمردم درست
مخدرة الخرا ففتحت بنتي
من الأعناق قلعة اردمشت

وقال في مدح صاعد [من مجزوء الخفيف] :

ومهاةً غريرة غضة الحسن ناهد
فتنتني بمعصم وبكفٌ وساعد
وبثغرٍ منضدٍ شنب الرِّيق بارد^(٢)
ونسيم كأنه اشـتق من نشر صاعد^(٣)
فهو طيباً كذكره في الثنا والمحامد
همةً في العلا اقتدت بالسَّهى والفرائد
وندىً بخلت به كفٌ يحيى بن خالد

وقال [من مجزوء الرجز] :

كأنما باب استها
بين سطور كاتب
يصكُّ لي بين يدي
باللحم والخبز الذي
يا من به قد فتحت
شكلة كافٍ مطلقه
حروفه محققه
سيدنا في ورقه
روحي به معلقه
أبواب رزقي المغلقه

(١) رخت : الرُّخ : نباتٌ هشّ .

(٢) الشنب : البارد .

(٣) النشر : العبق الطيب .

وَقَعْ لِمَنْ عَلَّمَهُ جُودَكَ حَذَقَ الْعَقِيقَةَ^(١)

* * *

هذه نبذ من ملح ملحہ الرائقة ، وما يتصل بها

قال [من الوافر] :

حلفتُ لقد بلغت مدى المعالي وأنت على تجاوزه قديرُ
فبحرك درّ لجتہ ثمينٌ وغيثك ماء مزنته طهورُ
وقال لبعض الرؤساء في يوم كان المظر يجيء فيه ساعة ثم ينجلي الغيم ، وتطلع الشمس ثم يعود [من الكامل] :

يا سيدي تفديك مهجة خادم
يفديك مَنْ جَلَّيتْ أَوَّلَ كَرِيَةٍ
انظر إلى اليوم الذي أشبهته
يحكي نذاك بغيثه فإذا انجلى
لكنْ فضلت عليه أَنَّكَ دائماً
وقال [من المتقارب] :

هو الشيخ لما صفا جوهر الـ فضائل منه ولم يكدر
أضاف الزمان إليه ابنه كما اقترن البدر بالمشتري

وقال لرئيس اختلف ابنه إلى الكتاب [من السريع] :

يا عارضاً يروي الثرى غيثه ومنهلاً يشفي الصدى مورده^(٢)

(١) العقيقة : النصويت : والعقيق طائر كالغراب .

(٢) العارض : الغيم الماطر .

أَقْعَدْتُ فِي الْكِتَابِ مَنْ لَمْ يَكُنْ
أَنْتَ أَبُوهُ فَهُوَ يُنْمِي إِلَى
إِنْ شئتَ عَلَّمَهُ وَإِنْ شئتَ لَا
وَقَالَ [مِنْ السَّرِيعِ] :

لَا زِلْتُ يَا عُمَرَ أَبِي عَمْرٍو
فَتَى إِذَا مَا جَاءَ لِي بَحْرُهُ
وَإِنْ بَدَأَ لِي وَجْهَهُ طَالَعًا
وَلَهُ [مِنْ السَّرِيعِ] :

فَدَيْتُ عَزَّ الدُّوْلَةَ الْمُرْتَجَى
وَمَنْ أَنَا فِي عَيْلَةٍ إِحْسَانِهِ
ثِيَابِهِ فِي سَفْطِي بَيْتِهَا
جَرَايَةُ أَصْبَحْتُ فِي رِزْقِهَا
وَكَانَ جَوْفِي بِالْخَوَى مَاتِمًا
وَقَالَ [مِنَ الْخَفِيفِ] :

سَيِّدِي وَالَّذِي يَقِيكَ مِنَ السُّو
لَا جَحَدْتُ النِّعْمَى لِأَكْفَرِ إِحْسَانِهِ
أَنَا فِي نَزْهَةٍ مِنَ الْعَيْشِ فِي ظِلِّكَ طَوَّلَ الْحَيَاةَ كَالْبُسْتَانِ
ذَاتِ زَهْرٍ فِيهِ الْبِنْفَسَجُ وَالزَّرْ جَسَّ مَعَهُ شَقَائِقُ النِّعْمَانِ
جَالِسٌ فِي تَبْظُرٍ تَرَكَ الْحَا سَدَ يَقْلَى بَعْرَ آسْتِهِ بَوْرَانِي^(٤)

(١) المحدث : الأصل .

(٢) سَفْطِي : من السفاطة : أي متاع البيت .

(٣) أوكد الأيمان : أكثرها إصراراً وعزماً .

(٤) تبظرم : إذا كان أحق وعليه خاتم فيتكلم ويشير به في وجوه الناس .

وله في شارب دواء [من المجتث] :

يا من به تتباهى مجالسُ الخلفاءِ
ومن تقصّرُ عنه مدائحُ الشعراءِ
يا سيدي كيف أصبحت بعد شرب الدواءِ
خرجت منه تضاهي في الحسن بدر السماءِ
في ثوب صحة جسمٍ مطرّزٍ بالشقاءِ

وقال من أبيات في الصاحب [من مخلع البسيط] :

يا أيّها السيّد الجليل — مرجوٌ للحادث الجليل
كلُّ مديحٍ أجملت فيه يقصر عن فعلك الجميل

وقال في ابن بقية [من مجزوء الكامل] :

يا بدر يا بدر التمام بك أشرقت خلع الإمام
يا من له الأسماء العظا م بحرمة الأسماء العظام
هب لي بقا ابن بقية هبة تجدد كل عام
أنت الكريم فهب لنا هذا الكريم من الكرام
فلقد علمت بدعوتي أني على خبزي أحامي

* * *

قطعة من ملحه في نواذره في سائر الفنون

وقال [من الوافر] :

أعصرَ شبيبتي قف لي قليلا أناشدك المودة أن تحولا^(١)

(١) أن تحول : أن تفارق وتتغير .

أراك مكلكلاً نضواً عليلاً^(١)
وحول رحله إلا قليلاً
معاذ الله بل خطباً جليلاً

فديتك يا شبابي أنت ما لي
تولّى حسنك المفقود عني
وقالوا الشيب يكسبه جلالاً

وقال [من الوافر] :

ويعجبها سوادٌ في الشباب
ضراطٌ في اللحى عند القحاب

بياض الشيب تكرهه الغواني
وشيبٌ لحى الزناة فدتك نفسي

وقال [من مخلع البسيط] :

بلحظتي نرجساً ووردا
مولاي بي في هواه عبدا

طاقة آسٍ جنيت منها
أرضاه مولىً وليس يرضى

وقال [من السريع] :

ووصله تحسّدي الناسُ
ودبّ في عارضه الأسُ
بمثل ما دارت به الكأسُ

فديت إنساناً على هجره
لما احتوى الورد على خده
مزجت كأسي من جنى ريقه

وقال في أرمَد [من البسيط] :

مشكوكَةٌ بين أحشائي وفي كبدي
تُجددُ السقم في قلبي وفي جسدي^(٢)
فكيف بي وهو يشكو علة الرمد؟؟^(٣)

أنا الفداء لعينٍ بعض أسهمها
فيها سقامٌ فتورٍ لا خفاء به
كانت تعلُّ فؤادي وهي سالمة

(١) مكلكلاً : مهموماً . نضواً : هزلاً .

(٢) الفتور : الضعف والانكسار .

(٣) تعلُّ : تمرض .

وقال [من المنسرح] :

فدبت من مرّ في الرصافة بي فقلت : يا سيدي، فلم يُجب
واصفر غيظاً عليّ وامتزجتُ صفرةً ذاك اللّجين بالذهب

وقال في أبي تغلب يستهديه فرساً [من الرمل] :

| | |
|---------------------------|--|
| اسمع المدح الذي لو قيل في | أحد غيرك قالوا سرقا |
| جاء يستهديك مهراً أدهماً | يركب الفارس منه غسقا ^(١) |
| كالدجى تبصر من غرته | فوق أطباق دجاء فلقا ^(٢) |
| جلّ أن يلحق مطلوباً ومن | طلب الرّيح عليه لحقا |
| فتراه واقفاً في سرجه | يتلظى من ذكاه قلقا ^(٣) |
| فاذا طار به المشي مضى | وهو كالريّح يشقّ الطرقا |
| كالسحاب الجون إلاّ أنّه | ليس يسقي الأرض إلاّ عرقا |
| جمع الأمرين يعدو المرطى | في مدى السبق ويمشي العنقا ^(٤) |

وقال يصف الفرس الذي أهده له أبو تغلب [من المجتث] :

| | |
|-------------------|-------------------------------|
| اليوم يوم سروري | بالموصلِيّ الذنوب |
| من عند قرمٍ كريمٍ | جزل العطاء لبيب |
| آدابه جعلته | يُعنى بكلّ أديب |
| ركبت فيه القوافي | فجاد بالمركوب |
| ذو غرّو يتلالا | في حالِكٍ غريب ^(٥) |

(١) الأدهم : الأسود . والغسق : الظلام .

(٢) الفلق : الصباح .

(٣) يتلظى : يتحرّق .

(٤) المرطى بفتحات : نوع من العدو ، والعنق : السير السريع .

(٥) الغريب : الشديد السواد .

لون الشباب عليه مع غرّة كالمشيب
صهيله جوف إذني ولا غناء غريب
وروثه المسك طيباً بين اللحي والجيوب
لولا اضطراري إليه نزّهته عن ركوبي

وقال في خصم له أعمى [من الوافر] :

سمعتم قطّ أعجب من ضريرٍ ولو شاء الوزير- ولم يزل لي
لألزمه العصا يمشي عليها وعلمّزه القران على القبور

وفيه [من المنسرح] :

إن كان هذا الضرير يعتني فوقع السوس في عصاه ولا
بحجةٍ مثل عينه غلقه^(١) بورك في قسطه من الصدقة

وقال [من السريع] :

لا يحسن الإشراف من مقعدٍ كأثّه زرقه فرّوج^(٢)
أقصر من يأجوج في قدّه وقرنه أطول من عوج^(٣)

وقال [من مجزوء الخفيف] :

أزجر العين أن ترى أزرق العين أشقرا
ما أرى البوم وجهه قطّ إلّا تطيراً

(١) يعتني : يكرهني لزوم ما يصعب عليّ أدائه واحتماله ، غلقه : مقفله .

(٢) زرقه فرّوج : سلحته .

(٣) يأجوج ومأجوج ، ورد ذكرهما في القرآن الكريم ، قومٌ من الأقوام .

وعوج : هو عوج بن عوق : رجلٌ ولد في منزل آدم فعاش إلى زمن موسى وذكر من عظم خلقه شناعة .

وقال [من الخفيف] :

سيدي حشمتي عليك حرامٌ وبحكم الكريم تقضي الكرامُ
وأرى مذ ملكتني أن مثلي أبداً لا تفيدك الأيامُ
خادمٌ ناصحٌ، وعبدٌ محبٌ وصديقٌ، وصاحبٌ، وغلāmٌ
خمسة قد جمعتهم لك وحدي لمعاني اختصاصهم والسلامُ

وقال يتشوق رئيسا ويصف رواقه [من الكامل] :

لا والذي يا سيدي يفني الأنام وأنت باقي
ما للخليفة مثل صحنك والتدلي والرواق^(١)
دارٌ غدت شرفاتها توفي على السبع الطباق
فقبابها وكواكب الجوزاء تسمو باتفاق
ولها حصونٌ تشتكي حيطانها بعد الفراق
ويضيع فيها الخضر وهو يسير في ظهر البراق
لما دخلت أطوفها ومشيت في طول الرواق
دارٌ بها يا سيدي ما بي إليك من اشتياق

وقال يناقض ابن المعتز في قوله [من المجث] :

لا تدعني لصبحٍ إن الغبوق حبيبي
الليل لون شبابي والصبح لون مشيبي

وقال [من مخلع البسيط] :

الصبح مثل البصير نورا والليل في صورة الضير
فليت شعري بأي رأي يختار أعمى على بصير

(١) الصحن : الدار أو البهو المتسع فيه .

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من صديقٍ يروق عيني بالشكل والحسن واللباقة
ليس له في الجميل رأيٌ ولا بفعل القبيح طاقة^(١)
كأنه في القميص يمشي فالودج السوق في رقاقه^(٢)

وقال يصف بغلة [من السريع] :

تعرف لي أحسن من بغلة جددت في البر بها عهدي
تنساب كالماء على حافر كأنه من حجرٍ صلد
نابت عن الأشهب لما مضى نيابة الكلب عن الفهد^(٣)

حاشية من قصيدة لابن حجاج [من الوافر] :

فأقسم لا ييسين وطه ولا بالذاريات ولا الحديد^(٤)
ولكن بالوجوه البيض مثل الـ أهلة تحت أغصان القدود
وشرب الري من خمر الثنايا وشم المسك من ورد الخدود
وتطفيتي حرار الوجه يوم الفراق بمصّر رمان النهود
وبالخمير التي كانت لعاد ولكن بعد محتهم بهود
مدام في قديم الدهر كانت تعد لكل جبارٍ عنيد
مدام ليس لي فيها إمام أصلي خلفه غير الوليد

* * *

(١) طاقه : قدره .

(٢) الفالودج : نوع من الحلواء تعمل من الطحين والماء والعسل . والرقاق : نوع من الخبز .

(٣) الأشهب : ما كان لونه الشبهة وهي بياض غلب على السواد .

(٤) يسين وطه والذاريات والحديد : سور من القرآن الكريم .

فصل

ملح ابن حجاج لا تنتهي حتى ينتهي عنها ، وفيما أوردته منها كفاية ، على أنها غيض من فيضها ، وقراضة من تبرها^(١) ، ولكن الكتاب لا يتسع لأكثر من ذلك ، والله أسأل العفو والمغفرة .

* * *

أبو القاسم علي بن جلبات

أحد أفراد الدهر في الشعر ، وكنت أنشدت له لمعاً أوردتها في النسخة الأولى ثم وجدتها منسوبة إلى غيره ، كقوله [من الكامل] :

برزت لنا تحت القناع الأزرق ليلاً فعاد لنا كصبحٍ مشرقٍ
الوجه بدرٌ والقناعُ سماؤه والشعر بينهما كليلٍ مُطبقٍ

ثم وقع إلي من شعره الصحيح قصائد في الخليفة القادر بالله والوزير أبي النصر سابور بن أردشير ، فأخرجت غررها ، وهي سوى ما يقع من شعره في مجموع أشعار أهل العراق في الوزير سابور ، وإذا سقت ذلك أكرر ذكر ابن جلبات في جملتهم .

قال أبو القاسم من قصيدة في الخليفة القادر بالله [من الطويل] :

وفي الدهر عن مطلٍ بما هو واعدٌ فساخطه راضٍ ، وشاكيه حامدٌ
وأدركتِ الرِّيَّ الخلافة بعدما تجهّمها عن موقف الحقِّ ذائدٌ^(٢)
رأت قادراً بالله لم يعدْ قدره مدى العفو عمّا رام باغٍ وحاسدٌ
رأينا به العباس معنىً وصورةً فما عدَّ عنا غائباً فهو شاهدٌ

(١) القراضة : القطع الصغيرة ، والتبر : الذهب .

(٢) تجهّم : استقبلها ، وذائد : مانع .

تَقَبَّلَهُ فَضْلاً أَشَادَ بِذِكْرِهِ
كَذَاكَ الْأَصُولُ الزَّاكِيَاتِ ذَوَاهِبُ
وَمَنْ يَكُ اللَّهُ الْمَهِيْمَنُ سَعِيهِ
وَمِنْهَا :

فَلَلَّهِ مَا تَأْتِي وَلِلَّهِ مَا تَرَى
وَمَلَيْتَ مِنْ رَبِّ السَّمَاءِ فَوَائِدُ
فَوَاللَّهِ مَا نَدْرِي أَلَيْثَ ضَبَارِمِ
كَذَا الْخُلَفَاءُ الرَّاشِدُونَ الْأُولَى مَضَوْا
فَلَا عَوَّكْتَ إِلَّا عَلَى مَجْدِكَ الْعَلَا
وَقَالَ فِي الْوَزِيرِ سَابُورِ بْنِ أَرْدَشِيرَ [مَنْ الْوَافِرُ] :

رَوَيْدِكَ قَدْ تَعَالَيْتَ أَطْلَاعاً
وَنَفْسِكَ لَا تَرَى بِلُغْ مَجْدِهِ
إِذَا مَا خَطَّةٌ ضَاقَتْ عَلَيْهِ
بِرَأْيٍ مَا رَأَتْهُ الشَّمْسُ إِلَّا
وَأَذَلَّ بَعْزُهُ صَرْفَ اللَّيَالِي
نَدَى وَبَسَالَةً عِلْماً يَقِيناً
تَكْفُلُ ذَا نَدَاكَ وَمَا رَأَيْنَا
وَدُونِكَ كُلِّ بَكْرٍ لَمْ تَمْلِكْ
رَأَتْ حَسَنَ اخْتِرَاعِكَ لِلْمَعَالِي
وَهَا أَنَا ذَا أَرَى لَكَ كُلَّ وَقْتٍ

عَلَى الْعِلْيَاءِ هَمّاً وَارْتِفَاعاً^(١)
- وَإِنْ أَوْفَى عَلَى النِّجْمِ - اقْتِنَاعاً
أَشْرَتْ لَهَا فَأَمَعْنَتْ اتِّسَاعاً
تَمَنَّتْ أَنْ تَكُونَ لَهُ شِعَاعاً
وَرَامَ عَصِيَّهَا حَتَّى أَطَاعَا
بَأَنَّهُمَا بِهِ فِي الْخَلْقِ ذَاعَا
جَوَاداً كَامِلاً إِلَّا شَجَاعَا
سَوَاكَ لَهَا مِنَ الْأَنْفِ افْتِرَاعاً^(٢)
فَبَارَتْهَا مَعَانِيهَا اخْتِرَاعَا
يَبْدَعُ مِنْ مَكَارِمِكَ ابْتِدَاعَا

(١) الضبارم : الأسد ، والرجل الجريء على الأعداء ، على سبيل الاستعارة .

(٢) أطلاعا : رفعة وإشرافاً .

(٣) الأنف : الشم والكبرياء ، واقتراعاً : من اقترع البكارة أي افترضها .

تراعي أمرَ ذا وتريش هذا فما لي لا أراش ولا أراعي؟^(١)
 فلا زالت لك الدنيا فناءً ولا حلّ الفناء لها رباعاً
 فقد أضحى افتراق المجد فيمن حوته من الورى فيك اجتماعاً
 وله من أخرى فيه [من المتقارب] :

فدمُ يا وزير العلا والنهى تنال المنى وتوقى الحذارا
 وراعٍ اختلالي سراً ولا تراع رباء اختلالي جهارا^(٢)
 ولا تستمع خبراً طارئاً عن المرء أو تبثليه اختباراً
 ولا تحسبن كلّ عودٍ يريـك ما أنت مورٍ من القذح ناراً^(٣)
 فما كلُّ وحشٍ يرى ضيغماً ولا كلّ عودٍ يسمّى غفارا^(٤)
 وقال فيه [من الوافر] :

أبا نصرٍ وأنت البحر طامٍ على العافين جيّاش العباب^(٥)
 يقيم مقام جيشٍ من ليوثٍ بفضل نهاه سطرّاً من كتاب
 ومنها :

راكٍ لقصده أهلاً، وأنى يرجّى الغيث من غير السحاب؟
 وقد أظمأه ورد سواك إلاّ الـ أقلّ، وأيّ وردٍ من سراب؟
 وقال من أخرى [من الطويل] :

ويستبشر الإسلام أنّك سالمٌ وأنّ بقاء الملك باسمك دائمٌ

(١) تریش : تغني وتجعل له ما يساعده على الحياة .
 (٢) اختلالي : نكسي وسوى حالتي، والرّباء : المنة والفضل .
 (٣) مورٍ : مشعل وموقد .
 (٤) الضيغم : الأسد .
 (٥) طامٍ : غامرٍ وفائض .

وَأَنْ الْمَعَالِي مَا بَنَى لَكَ ذُو الْعَلَا
أَنَا الشَّمْسُ إِنْ لَمْ تَسْتَبِنْ عَيْنَ نَاطِلٍ
وَمَا دَمْتُ بَعْدَ اللَّهِ لِي عَنْهُ رَازِقًا
وَقَالَ مِنْ أُخْرَى [مِنْ الْبَسِيطِ] :

وَأَنْتَ فَرْعُ زَكَاءِ الْأَصْلِ مِنْهُ ، وَلَا
وَأَنْتَ بَحْرُ النِّهْيِ مَا لِلْعُقُولِ إِلَى
وَأَنْتَ بَيْتُ النَّدَى طَافَتْ بِكَعْبَتِهِ
وَقَدْ عُرِفَتْ وَلَمْ تَحْدُدْ بِمَنْزِلَةٍ
كَالشَّمْسِ تَدْرِكُهَا الْأَبْصَارُ ظَاهِرَةً
وَالْمَلِكِ مِنْ بَعْدِ طَوْلِ الْكَدِّ فِي دَعَا
إِلَيْكَ جَابِ الْفَلَاحِ عَزَمَ تَمَثُّلُ فِي
فِي كُلِّ طَامِيَةٍ بِالْأَلِ طَامِيَةٍ
إِذَا الرِّكَائِبُ مِنْ أَشْبَاهِهَا لَعِبَتْ
أَبْثُهَا فِيكَ آمَالِي فَمَا انْتَهَرْتُ
حَتَّى إِذَا هِيَ حَلَّتْ مِنْ ذِرَاكِ حَمِيٍّ
أَلَسْتُ لِي يَا أَبَا نَصْرِ مَدَى أَمَلِي
فَمَرَّ زَمَانِي لَا يَنْتَابُنِي بِأَذَى

وَلَيْسَ لِمَا تَبْنِي يَدُ اللَّهِ هَادِمٌ
ضِيَائِي فَإِنَّ الذَّنْبَ لِلْعَيْنِ لَازِمٌ
فَمَا أَتْظَنِّي أَنَّهُ لِي حَارِمٌ^(١)

يَطِيبُ إِلَّا بِطِيبِ الْمَنْبِتِ الشَّمْرِ
سِوَاهُ مُورِدٍ صَفْوٍ مَا لَهُ كَدْرٌ
حَجَّاجُهُ ، وَنَدَاكَ الرُّكْنَ وَالْحَجَرُ
وَالشَّيْءُ يَجْهَلُ عِلْمًا وَهُوَ مُشْتَهَرٌ^(٢)
وَحَدَّ مَنْزِلَهَا بِالْغَيْبِ مُسْتَرٌ
كَالْعَيْنِ أَغْفَتْ وَقَدْ أَعْيَا بِهَا السَّهْرُ^(٣)
تَحْقِيقُهُ مِنْكَ قَبْلَ الْمُورِدِ الصَّدْرِ
تَصْدَى بِهَا النَّفْسُ مَا يُرَوَّى بِهِ النَّظَرُ
بَعْدَ الْمُقِيلِ تَوَلَّى حَثَّهَا الْأَشْرَ^(٤)
لِفَرْطٍ مَا طَوَيْتَ مَا كُنْتَ أَنْتَظِرُ
قَالَتْ : إِلَى مُنْتَهَى الْمَجْدِ انْتَهَى السَّقَرُ
وَأَتْنِي بِكَ فِي اللَّأْوَاءِ مُنْتَصِرٌ^(٥)
فَإِنَّهُ لَكَ فِيمَا شِئْتَ مُؤْتَمِرٌ

* * *

-
- (١) أَتْظَنِّي : أَشْكُ ، وَحَارِمٌ : مَانِعٌ .
(٢) تَحْدُدُ : أَيْ تَقْدَرُ بِمَكَانٍ .
(٣) الْكَدُّ : الْجُهِدُ وَالْعَمَلُ .
(٤) الْحَثُ : السُّوقُ وَالْإِسْرَاعُ ، وَالْأَشْرُ : النَّشِيطُ .
(٥) اللَّأْوَاءُ : الشَّدَّةُ .

٣ - محمد بن الحسين الحاتمي

حسن التصرف في الشعر ، موف على كثير من شعراء العصر ، وأبوه أبو علي شاعر كاتب يجمع بين البلاغة في النثر والبراعة في النظم ، وله الرسالة المعروفة في وقعة الأدهم ، وليس يحضرني من شعره إلا بيتان هما عنوان محاسنه ، وهما [من الخفيف] :

لي حبيبٌ لو قيل لي ما تمنى ما تعدّيته ولو بالمنون
أشتهي أن أحلّ في كلّ جسمٍ فأراه بلحظ كلّ العيون

* * *

ومما اخترته لابنه قوله من قصيدة في الخليفة القادر بالله أمير المؤمنين استهلالها [من الخفيف] :

حيّ رسم الغميم تحيي الغميما إنْ فقدت الهوى فحيّ الرّسوما^(١)
واستمحْ مقلّة الغمام على أطلاله ديمةً أبت أن تدوما^(٢)
نشرت عقد دمعها فغدا النور بأعطاف روضها منظوما
هو مأوى الطّباء إنساً ووحشاً ومحلّ الأسود خلقاً وخيما^(٣)
كلّ ريمٍ يعطو فيصطاد ليثاً عند ليثٍ يسطو فيصطاد ريماً
كم رعيّنا من البطاح وكأس السّراح والأوجه الملاح نجومنا
حين رضنا من اتّصابي جموحاً وبعثنا من الوصال ريماً^(٤)
ودعّتنا المنى إلى مرج الفتك ولكنّا أجيّنا الحلوما

(١) الغميم : إسم مكان ، والغميم : واد بين الحرمين على مرحلتين من مكان . والرسوم : الآثار .

(٢) الديمة : السحابة الممطرة .

(٣) الخيم : يكسر الخاء المعجمة - السجّة والطبع .

(٤) الجموح : فتوة الشباب وجهله ، والريم : البالي .

حين صرف الزمان كان اعتذاراً ورياح الخطوب كانت نسима
 قد وقفنا على الطلول طولاً ومثلنا على الرسوم رسوما
 وخلعنا على البكاء عيوناً ونزفنا من الدموع جموما^(١)
 ومتى يجشم الظليم مداها في سراها فقد ظلمنا الظليما^(٢)
 وهي تبدي منها نجاراً ومن سير الدجى مخلفاً ومني كريما
 وإلى القادر الإمام قريت اليد حرفاً أنضى بها الديموما^(٣)
 الإمام الماضي العزيم الذي را ح وأضحى على المعالي زعيما
 وهو من أسرة همُ رسموا الدهر ذرى المجد والمعالي قديما
 وهم كالبحار جوداً وكالأنجم هدياً وكالسيوف عزيما
 ومنها :

أنت أيدت بالخلافة ركن الشرع فارتدَّ نهجه مستقيما
 وذبيت العدو عنه ولولا ك بلا مريّة لعطَّ أديما^(٤)
 أنت أنكحتني الرجاء فقد أضحى ولوداً وكان قبل عقيما
 دُم تدم دولة المفاخر والمجد وحسن الزمان في أن تدوما
 والبس المهرجان ما ابتسم الفجر وأهدى من الرياض نسима

وقال [من الطويل] :

منزلهم لا شافهتك النوازل وأطلالهم حيّاك ظلُّ ووابلُ
 كأن الرّبا لم تلبس الأرض حالياً ولا أخملت بالنور تلك الخمائل^(٥)

(١) الجموم : الكثير والغزير « من الجم » .

(٢) الظليم : ذكر النعام .

(٣) الحرف : الناقة العظيمة ، أو المهزولة ، والديموم والديمومة : الفلاة الواسعة .

(٤) عطّ : تشقق .

(٥) الخمائل : الجنائن المزهرة .

كما استنكرت سقم المحبِّ العواذل
 وسرح الكرى عن جفن عيني هامل
 بها راقصٌ من سورة الكأس مائل
 مختمةً بالدرِّ منها الأنامل
 ملوكيةٍ لم تعلقها حمائل^(١)
 يوافى بها في قبة الأفق نائل^(٢)
 خلاصاً ، وأحداث الليالي غوافل^(٣)
 وماء الصبا في ورد خديّ جائل
 حلي الربا حتى انثنى وهو عاطل
 وصبغ الدجى عن مفرق الفجر ناصل^(٤)
 شمولاً فتمّت عن هواه الشمائل^(٥)
 بماء الصبا أردافه والخلاخل
 وإذ زبرج الدنيا خليلٌ مواصل^(٦)
 بأبيض وشى صفحته الصياقل^(٧)
 بنات الفلا والمقربات الصواهل
 ومن سيفه في مفرق الدهر سائل^(٨)
 تشقّ جيوب القطر فيها الأنامل

تعرّفها واستنكر الطرف أنّها
 وكم قطع ليلٍ بعد ليلٍ قطعته
 وقد مالت الجوزاء حتى كأنّما
 وخلت الثريا كف عذراء طفلة
 تخيلتها في الأفق طرّة جعبة
 كأنّ نبالاً ستّة من لآلىء
 وعيش كنوّار الرياض استرقته
 لماماً وأغصان الشبيبة رطبة
 ويومٍ كحلي الغانيات سلبته
 سبقت إليه الصبح والشمس غضة
 ونشوان من خمر الدلال سقيته
 شكاظماً منه الموشحُ ، وارتوت
 إذ العيش مخضّر الأصائل ناعم
 وليلٍ موشى بالنجوم صدعته
 إليك ، أمير المؤمنين ، ارتمت بنا
 إلى من له في جبهة الدهر ميسم
 تشيم الحيا من كفه وهي لجّة

(١) الحمائل : ما يعلّق به السيف .

(٢) النائل : العطاء .

(٣) خلاصاً : أي خلصة في غفلة من عين الزمن .

(٤) ناصل : خارج .

(٥) تمّت : دلّت وأظهرت ، والشمائل : الصفات .

(٦) الزبرج : الزينة من وشى أو جوهر أو نحوهما ، وهنا يعني إقبال الدنيا عليه بمباهجها .

(٧) وشى : طرّز وزين : والصياقل : الذين يصفلون السيوف .

(٨) الميسم : العلامة والأثر .

(٩) تشيم : تنظر وتتطلع .

ومن عودته المكرّماتُ شمائلًا
وإن راسل الأعداء فالجرد رسله
بيومٍ عقيمٍ يلقح البيض بأسه
إذا ما أسرّ النقع أنوارُ شمسهِ
فيا بدرُ لا تغرب ، ويا بحرُ لا تفضُ
عظمتُ فهذا الدهر دونك همّةً
فليس له عنها ، ولو شاء ، ناقل
إليهم ، وأطراف العوالي الرسائل^(١)
ولود المنايا وهو أشمطُ ثاكل^(٢)
أذاعت بأسرار الحمام المناصل^(٣)
ويا نوؤ لا تخلف حيّاً منك هاطل^(٤)
وجدت فهذا القطر عندك باخل^(٥)

وقال في الأمير شمس المعالي [من الخفيف] :

كم قلوبٍ تحمّلت بالحمول ودموعٍ طلّت بتلك الطلول
واضطبارٍ أضيع ما بين إضيا ع المطايا وفي المحلّ المحيل^(٥)

ومنها :

وبنفسى بدرٌ يعود ضياء الـبدر من نور وجهه بالأفول
أثمرت وجنتاه روضاً جنى الـورد يفتر عن غديرِ شمول
وإلى مسرح المكارم قابو س أراح الندى سوام العقول^(٦)
فارسُ الكتب والكتائب والمنـبر والخيـل واليراع النحيل
تعبُ البيض والسلاهب والأر ماح والوفر والندى والعذول^(٧)
وكهولٌ أوهت كواهلها السمـر تهادى إلى ابتغاء الدخول
يتعاطون بالصوارم كاسا ت المنايا على غناء الصّهيل

(١) الجرد : الخيل الأصيلة ، والعوالي : الرماح .

(٢) الأشمط : الذي خالط سواد شعره البياض .

(٣) النقع : الغبار ، والحمام : الموت .

(٤) النوؤ : المطر وشدة الريح .

(٥) المحيل : الماحل المجذب .

(٦) سوام العقول : طلبها والتفكير بها .

(٧) السلاهب : من الخيل ما عظم وطال عظامه . ، والعذول : الكثير العذل واللوم .

كم يد للخطوب طالت على الأحـرار قصّرتها بياع طويل
فابق ما استعبر الغمام وما علّـل صباً نسيم روض عليل^(١)

* * *

(١) استعبر : سال ملؤه واستعبرت العين : جرى دمعها .

الباب الثامن

في تفاريق قطع من ملح المقلّين

من أهل بغداد ونواحيها ، والطارئين عليها من الآفاق ، والمقيمين بها .

٤ - القاضي ابن معروف

هو أبو محمد عبد الله بن أحمد بن معروف ، وكان - كما قرأته في فصل للمصاحب - شجرة فضل ، عودها أدب ، وأغصانها علم ، وثمرتها عقل ، وعروقها شرف ، تسقيها سماء الحرية ، وتغذيها أرض المروءة ، وقد تقدم بعض ذكره في منادمة المهلب وغيره من الوزراء ، وجمعه بين جد العلم وهزل الظرف ، وخشونة الحكم . ولين قشرة العشرة ، وكان - على تقلده قضاء القضاة دفعات بالحضرة واشتغاله بحلائل الأعمال من أمور المملكة - يقول شعراً لطيفاً في الغزل ، يتعاوره القوالون والقيان ملحناً^(١) .

وقرأت لأبي إسحاق الصابي فصلاً من كتاب عن الوزير ابن بقية إلى ابن معروف ، واستحسنه جداً في وصف نظمه ونثره وهو :

وصل كتاب قاضي القضاة ، بالألفاظ التي لو مازجت البحر لأعذبت ، والمعاني التي لو واجهت دجى الليل لأزاحت وأذهبت ، ولم أدر بأي مذهب فيها

(١) يتعاوره : يتداوله .

أعجب ، ولا من أيها أتعجب ، أمن قريض عقوده منظومة ، أم من ألفاظ لآلئها
 منثورة ، أم من ولوجها الأسماع سائغة ، أم من شفائها العلة نافعة ؟ وأما الأبيات
 التي رسم التقدم بتلحينها ، وقال بمذهب أهل الحجاز فيها ، فما أعرف كفوّاً
 لمثلها ملحنًا ، ولو كان إسحاق الموصلي ، ولا مجيباً ولو كان امرأ القيس
 الكندي ، ولا أرضى لها مهراً إلا حبات القلوب ، ولا مجالاً إلا أرجاء الصدور ،
 وقد جعل الله فيها من الفضل ما يشغلنا حفظه عن تعاطي الإجابة عنه ، وقرن بها
 من الأطراب ما يكفيننا تأمله عن صياغة الألحان له .

ولأبي إسحاق شعر كثير فيه ، فمن ذلك قوله في افتتاح قصيدة [من
 البسيط] :

أقسمت بالله ما يُرجى لمعروفٍ في الحادثات سوى القاضي ابن معروفٍ
 ولا بن حجاج في بعض من كان يناوىء ابن معروف من الحكام [من مخلع
 البسيط] :

| | |
|-----------------------|------------------------|
| يا أيها الحاكم الرقيع | ذقك في سلحتي نقيع |
| إن ابن معروف في محل | مرامه متعبٌ منيع |
| فضله الله واجتبه | للأمر واختاره المطيع |
| هذا له وحده فقل لي | من أنت في الناس يا ضيع |

وقد أوردت ما حضرت به من مشهور ما هو من شرط الكتاب من غره ،
 فمنها قوله من قصيدة [من الطويل] :

| | |
|---------------------------------|---|
| ولم تُسِلني الأيام عنك بمرّها | بلى زادني بعد اللقاء تتيماً |
| وقد كنت لا أرضى من النيل بالرضا | وآخذ ما فوق الرضا متلوّماً |
| فلما تفرّقنا وشطّت بنا النوى | رضيت بطيفٍ منك يأتي مسلماً ^(١) |

(١) شطّت : باعدت .

وقال [من الكامل] :

لو كنت تدري ما الذي صنع الهوى والشوقَ بالجسد النحيل البالي
لهجرتَ هجري واجتنبتَ تجنُّبي ووصلتَ من بعد الصدود وصالي

وقال [من الطويل] :

وما سرَّ قلبي منذ شطَّتْ بك النَّوى نعيمٌ ولا كأسٌ ولا متصرِّفٌ
وما ذقتَ طعم الماء إلاَّ وجدته سوى ذلك الماء الذي كنتَ أعرفُ
ولم أشهد اللذات إلاَّ تكلفاً وأيُّ نعيمٍ يقتضيه التكلفُ^(١) ؟

وقال [من مجزوء الكامل] :

احذر عدوك مرةً واحذر صديقك ألفَ مرةً
فلربَّما انقلب الصديق فکان أعرف بالمضرة

* * *

٥ - أبو الفرج الأصبهاني

علي بن الحسين الأموي الأصبهاني الأصل ، البغدادي المنشأ ، وكان من أعيان أدبائها وأفراد مصنفها ، وله شعر يجمع إتقان العلماء ، وإحسان ظرفاء الشعراء ، والذي رأيته من كتبه : كتاب القيان ، وكتاب الأغاني ، وكتاب الإماء الشواعر ، وكتاب الديارات ، وكتاب دعوة النجار ، وكتاب مجرد الأغاني ، وكتاب أخبار جحظة البرمكي ، وما أشك في أن له غيرها ، وكان منقطعاً إلى المهلي الوزير ، وكثير المدح ، مختصاً به ، فمن ذلك قوله فيه من قصيدة [من الطويل] :

(١) التكلف : التصنع ، وتحمل الشيء على غير عادة .

ولما انتجعنا لائذين بظله أعان وما عنى ومن وما مناً^(١)
وردنا عليه مقترين فراشنا وردنا نداه مجدين فأخصبنا^(٢)

وله من قصيدة يهنئه بمولود له من سرية رومية [من الكامل] :

أسعد بمولود أتك مباركاً كالبدر أشرق جنح ليل مقرر
سعد لوقت سعادة جاءت به أم حصان من بنات الأصفر
متججح في ذروتي شرف الذرى بين المهلب منتماه وقصر
شمس الضحى قرت إلى بدر الدجى حتى إذا اجتمعا أت بالمشتري

أخذه من مصراع ابن الرومي [من السريع] :

* شمس وبدر ولدا كوكبا *

وقال من قصيدة فيه عيدية [من الطويل] :

إذا ما علا في الصدر للنهي والأمر وإذا جرى ظبي أعلامه وتدفت
رأيت نظام الدر في نظم قوله ومنشوره الرقراق في ذلك النثر
ويقتضب المعنى الكثير بلفظه ويأتي بما تحوي الطوامير في سطر^(٤)
أيا غرة الدهر اثنت غرة الشهر وقابل هلال الفطر في ليلة الفطر^(٥)
بأيمن إقبال وأسعد طائر وأفضل ما ترجوه في أفسح العمر
مضى عنك شهر الصوم يشهد صادقاً بطهر ك فيه واجتنبك للوزر
فأكرم بما خط الحفيظان منهما وأثنى به المثني وأطرى به المطري

(١) عنى : حبس معونته ، ومن : تكرم ، وما مناً : أي لم يعدد ما فعله له من الخير وفخر به .

(٢) مقترين : معدمين ، فقراء .

(٣) الظبي : جمع ظبة ، حد السيف والسنان والسكين ونحوها ، ويعني بها رؤوس الأقلام لأنها مستنة .

(٤) الطوامير : الصحف .

(٥) إثنى الشيء : أخذ فيه وابتدأه .

وزكّتك أوراقُ المصاحف وانتهى
وقبضك كفّ البطش عن كلِّ مجرمٍ
وقد جاء شوال فشالت نعامةُ الصَّيَّامِ وأبدلنا النعيم من الضّرِّ^(١)
ولامت على طول التجنّب والهجر
كإشراق بدرٍ مشرق اللّون كالبدر
فلا فرق بين اللون والطعم والنشر^(٢)
على الكوكب الدرّيّ سمطاً من الدرِّ^(٣)
وقال يهنئه بالعافية [من البسيط] :

أبا محمّدٍ المحمود يا حسن الـ
حاشاك من عود عوّادٍ إليك ومن
دواء داءٍ ومن إمام آلام
وقال فيه [من المتقارب] :

تأوّب عيني طيفاً ألمّ
تخيّل منها خيالٌ سرى
فما أنس لا أنس إقبالها
وقد بدرت مثل بدر الدجى
على رأسها معجراً أزرق
لظالمّة طرقت في الظلم^(٤)
فيسلب حلمي بذاك الحلم
تميسُ بغصنٍ سقّته الدّيم^(٥)
سما في السماء علوّاً وتمّ
وفي جيدها سبحة من برم^(٦)

(١) العرف : الكرم والمعروف .

(٢) شالت : ارتفعت .

(٣) النشر : الرائحة الطيبة .

(٤) السمط : العقد .

(٥) الطامي : الفيّاض الغامر .

(٦) تأوّب : وجع وألم .

(٧) تميس : تمشي بغنج ودلال .

(٨) المعجر : الغطاء ، والبرم : كل ما فيه لونان مختلطان وحبلٌ للمرأة مزينٌ بجوهر .

ولم تحتشم لطلوع الحشم
 وأسقمتني يا شفاء السقم
 وإمامكم ألم أم لم^(١)
 س حسناً وطيباً إذا ما يشم
 ولم أحتشم فيه من يحتشم
 بصفو الشمول وشجو النغم
 علينا بسلطانه قد هجم
 ولا من ثيابي إلا رمم^(٢)
 وتخرفها خافيات الوهم
 وأنت الرئيس ونحن الخدم^(٣)

ولم ترتقب لطلوع الرقيب
 لقد سؤتني يا نظام السرور
 أهذا المزار أم الازورار
 ويوم كمثل رداء العرو
 خلعت عذارى ولم أعتذر
 وقابلت فيه صفاء الشمال
 فداؤك نفسي هذا الشتاء
 ولم يبق من نشبي درهم
 يؤثر فيها نسيم الهواء
 وأنت العماد ونحن العفاة

وله فيه [من المتقارب] :

وريب الردى وحلول الحذر
 ووعدك يسبق أن ينتظر
 بفيض عفا وصفا من كدر
 أذكرك نفسي خوف الضجر
 ز منها إلى عضد أو وزر
 ء دون القضاء وصد القدر
 كما قد تراه قبيح الأثر^(٤)
 ت أو دمع مثل وخز الإبر^(٥)

فداؤك نفسي من الحادثات
 فعالك تكبر عن موعد
 وكفك همي على المعتمدين
 إذا عاقك الشغل عني ولم
 تسكعت في حيرة لا أجو
 رهنث ثيابي وحال القضا
 وهذا الشتاء عسوف علي
 يغادي بصر من العاصفا

(١) في الأصول : « وإمامكم بنا ألم أم لم » ولا يستقيم به الوزن .

(٢) النشب : المال القديم الموروث ، والرمم : البالي .

(٣) العفاة : المحتاجين .

(٤) عسوف : قاس وظالم .

(٥) الصر : صوت الريح وعصفها .

وسكان داري ممّن أعو ل يلقين من برده كلّ شرّ
فهذي تحنّ، وهذي تنّ وأدمع هاتيك تجري درر
إذا ما تمللن تحت الظلام تعلّن منك بحسن النظر
ولاحظن ربك كالمحليّــــن شاموا البروق رجاء المطر^(١)
يؤملن عودي بما ينتظرن كما يرتجى آيب من سفر
فانعم بانجاز ما قد وعدت فما غيرك اليوم من ينتظر
وعش لي وبعدي فانت الحيا ة والسمع من جسدي والبصر

وقال من أخرى فيه [من البسيط] :

يا فرجة الهم بعد اليأس والوجل يا فرحة الأمن بعد الروع والوهل
اسلم ودم وابق وأملك وانم واسم وزد واعط وامنع وضر وانفع وصل وصل

وقال في وصف الخمر من قصيدة [من الخفيف] :

وسلاف كالتبر أذكى من المسك وأصفى صبغاً من الزعفران
وكأنّ اليد التي تحتويها من صيب العقيان في دستبان^(٢)

وقريب منه قوله [من الطويل] :

وبكر شربناها على الورد بكرة فكانت لنا ورداً إلى ضحوة الغد
إذا قام مبيضّ اللباس يديرها توهّمته يسعى بكمّ مورد

والأصل فيه قول أبي الشيص [من الطويل] :

سقاني بها والليل قد شاب رأسه غزالٌ بحناء الغزالة مختضب

(١) شاموا : نظروا وترقبوا .

(٢) الدستبان : نوع من الآنية .

وقال في أبي سعيد السيرافي [من الخفيف] :

لست صدراً ولا قرأت على صد رٍ ولا علمك البكي^(١) بكافي^(٢)
لعن الله كل شعرٍ ونحو وعروض يجيء من سيراف
وقال في القاضي الأيدجي ، وكان التمس منه عكازة فلم يعطه إياها [من البسيط] :

اسمع حديثي تسمع قصّةً عجبا لا شيء أعجب منها تبهر القصصا
طلبت عكازةً للوحد تحملني ورمزتها عند من يخبي العصا فعصى
وكنت أحسبه يهوي عصا عصبٍ ولم أخل أنّه صبّ بكل عصا
وكتب إلى القاضي التنوخي يلتبس منه خبرا [من الرجز] :

| | |
|-------------------------------|--|
| يا أيّها القاضي السنيّ الذّكر | ومن علا على قضاة العصر |
| قد اجتمعنا في محلٍّ وعر | ومنزلٍ ضنكٍ ومثوىٍ قفر |
| خالٍ من الخير كثير الشرّ | نلقى زمانى ألمٍ وضرّ |
| من ليل بقٍّ ونهار حرّ | فقد فقدت جلدي وصبري |
| وليس لي عند مجيء فكري | سوى تشكّي فادحاتٍ أمري |
| بقلمٍ يخطّها في سطر | إلى فتىٍ ذي أدبٍ وقدر |
| فاسمع لشكواي وجدّ بعذر | قد صفّرت محبرتي من حبر |
| ولم أجده مشترىً فأشري | فجد حباك الله طول العمر |
| بمثلها جبراً وفز بشكري | من بين نظمٍ حسنٍ ونثر |
| وربّ مجلدٍ باسقٍ وفخرٍ | نالهما الحرّ يبذل النزر ^(٣) |

* * *

(١) البكيّ: القليل العطاء ، ومن الآبار : القليلة الماء .
(٢) الباسق : الشامخ الرفيع ، والنزر : القليل من الجهد .

٦ - أبو الحسن بن مقلة

من أبناء الوزراء وبقية بني مقلة ، يقول [من الخفيف] :

لستُ ذا ذلّةٍ إذا عَضَنِي الدَّهْرُ ولا شامخاً إذا واتاني
أنا نارٌ في مرتقى نفس الحاسد ماءً جارٍ مع الإخوان
وقال من قصيدة [من الكامل] :

وإذا رأيتُ فتىً بأعلى رتبةٍ في شامخٍ من عزّه المترفّع
قالتُ لي النفس العروف بفضلها : ما كان أولاني بهذا الموضع
وقال [من الكامل] :

الدَّهْرُ يلعب بالفتى فيهيضهُ طوراً ، ويجبر عظمه فيُراشُ^(١)
وكذا رأينا الدَّهْرَ في إعراضه ينحى وفي إقباله ينتاشُ^(٢)
وقال [من المتقارب] :

أدلُّ فيا حبذا من مدلٍّ ومن ظالمٍ لدمي مستحلٍّ
إذا ما تعزّزَ قابلته بذلٍّ ، وذلك جهد المقلِّ
وقال [من الرمل] :

أنت يا ذا الخال في الوجنة ممّا بيّ خالٍ
لا تبالي بي ولا تخـطـرنـي منك ببالٍ
لا ولا تفكر في حا لي وقد تعرف حالي
أنا في الناس إمامي وفي حبّك غالي^(٣)

* * *

(١) يهيض : يكسره ، كناية عن الفقر ، ويراش : أي يجعل له ريشاً كناية عن الغنى .

(٢) ينتاش : يطلب وينتقد .

(٣) غالي : أي مغالي من الغلو .

٧ - أبو الحسن علي بن هرون بن المنجم

ذو نسب عريق في ظرفاء الأدباء ، وندماء الخلفاء والوزراء ، وفي أسرته يقول صاحب [من الكامل] :

لبنّي المنجّم فطنةٌ لهيّه ومحاسنٌ عجميّةٌ عربيّه^(١)
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى عُرِفَتْ بشدّةِ العصبيّه
ولذكرهم في القسم الثالث من هذا الكتاب مكان في أصحاب صاحب
وشعرائه .

* * *

فأما أبو الحسن ، الذي هو كبيرهم ، فقد اقتصرت من ذكره واقتصاص أمره على نبذ حكاها صاحب في كتابه المعروف بالروزنامه ، مما اتفق له مع أبي محمد الوزير المهلب حين ورد صاحب بغداد ، وقد أرسل يحكيها لأستاذه ابن العميد ، ثم أوردت ما علق بحفظي من ملحه .

فصل

استدعاني الأستاذ أبو محمد فحضرت وأبناء المنجم في مجلسه ، وقد أعدا قصيدتين في مدحه فمنعهما من النشيد لأحضره فأنشدا قعوداً وجوداً بعد تشبيب طويل ، وحديث كثير : فإن لأبي الحسن رسماً أخشى تكذيب سيدنا إن شرحته ، وعتابه إن طويته ، ولأن أحصل عنده في صورة متزيد ، أحب إلى من أن أحصل عنده في رتبة مقصر ، يتبدى فيقول ببيعة عجيبة ، بعد إرسال دموعه ، وتردد الزفرات في حلقة ، واستدعائه من جوذر غلامه منديل عبراته ، والله والله ، وإلا فأيمان البيعة تلزمه بحلها وحرامها ، وطلاقها وعتاقها ، وما ينقلب إليه حرام وعبيده

(١) فطنه لهيّه : أي متوقّده دليل على الذكاء .

أحرار لوجه الله تعالى ، إن كان هذا الشعر في استطاعة أحد مثله ، أو اتفق من عهد أبي ذؤاد الأيادي إلى زمان ابن الرومي لأحد شكله ، بل عيبه أن محاسنه تتابعت ، وبدائعه ترادفت ، فقد كان في الحق أن يكون كل بيت منه في ديوان يجمله ويسود به شاعره ، ثم ينشد ، فإذا بلغ بيتاً يعجب ويتعجب من نفسه فيه قال : أيها الوزير من يستطيع هذا إلا عبدك علي بن هرون بن علي بن يحيى بن أبي منصور المنجم جليس الخلفاء وأنيس الوزراء ، ثم ينشد الابن والأب يعوده^(١) ويهتزل له ، ويقول أبو عبد الله استودعه الله ولي عهدي وخليفتي من بعدي ، ولو اشتجر^(٢) اثنان من مصر وخراسان لما رضيت لفصل ما بينهما سواء ، أمتعنا الله به ورعاه ، وحديثه عجب ، وإن استوفيته ضاع الغرض الذي قصدته ، على أنه أيد الله مولانا من سعة النفس والخلق ووفور الأدب والفضل وتمام المروءة والظرف بحال أعجز عن وصفها ، وأدل على جملتها أنه مع كثرة عياله واختلال أحواله طلب سيف الدولة جاريته المغنية بعشرين ألف درهم أحضرها صاحبها ، فامتنع من بيعها ، وأعتقها وتزوج بها .

فصل

وسمعت عنده أبا الحسن بن طرخان ، وقد نمي إلى سيدنا خبر ابنه وحذفه والفتى يبرز عليه مع التمسك بمذهبه ، وليس بالعراق ولا شيء من الآفاق طنبري يشاكله أو يقاربه ، ومما يغنى به من شعر أبي الحسن ويحلف على الرسم أن لا مداني له فيه [من الكامل] :

| | |
|---------------------------|---------------------------|
| بينى وبين الدهر فيك عتابٌ | سيطول إن لم يمحه الإعتابُ |
| يا غائباً بوصاله وكتابه | هل يرتجى من غيبتيك إيابُ |
| وإذا بعدت فليس لي متعلُّ | إلا رسولُ بالرِّضا وعتاب |

(١) يعوده : يدعوله بالحفظ .

(٢) اشتجر : تخاصم .

وإذا دعوت مساعداً فهو المنى سعد المحبٌ وساعدَ الأحبابُ
لولا التعلُّلُ بالرجاء تقطعتُ نفسٌ عليك شعارها الأوصاب^(١)
لا يأس من روح الإله فربما يصل القطوع وتحضر الغياب^(٢)
إلى ههنا من كتاب الروزنامجه .

وقرأت للصايي فصلاً يشتمل على ذكره وبيتين من شعره ، وهو : قد شغل
قلبي أيد الله سيدنا ما بلغني من تألمه من قدمه ، وأضر بي وبالأحرار انقطاعه بذلك
عن مساعي كرمه . وأقول له ، ما أنشدني علي بن هرون بن المنجم لنفسه من
قصيدة كتب بها إلى أبي الحواري ، وقد وثبت رجله من عشرة لحقته [من
الخفيف] :

كيف نال العثار من لم يزل منه مقيلاً من كل خطبٍ جسيم
أو ترقى الأذى إلى قدم لم تخطُ إلا إلى مقامٍ كريم
وقال في قدح أصفر [من الرجز] :

وقدحٍ مورس السربال من نقشه قبل المدام حال^(٣)

* تحسبه ملآن وهو خال *

أخذ معنى قوله * من نقشه قبل المدام حالي * قريبه أبو محمد بن المنجم
فقال من قصيدة في وصف دار الصاحب [من الطويل] :

وأبوابها أثوابها من نقوشها فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها
ولقد أحسن السرقة وجود اللفظ وزاد في المعنى .

* * *

(١) الأوصاب : الأمراض والآلام .

(٢) القطوع : المهجور .

(٣) مورس : من الورس ، وهو نبات كالسمسم تغطي ثمره غدد حمراء ، يصنع به .

٨ - الأحنف العكبري أبو الحسن عقيل بن محمد العكبري

شاعر المكديين^(١) وظريفهم ، ومليح الجملة والتفصيل منهم . وقرأت
للصاحب فصلاً في ذكره فأوردته ، وهو : لو أنشدتك ما أنشدنيه الأحنف العكبري
لنفسه ، وهو فرد بني ساسان اليوم بمدينة السلام ، وحسن الطريقة في الشعر ،
لامتلات عجباً من ظرفه ، وإعجاباً بنظمه ، ولا أقل من إيراد موضع افتخاره فإنه
يقول [من الهزج] :

على أني بحمد الله في بيت من المجد
بإخواني بني ساسا ن أهل الجد والحد^(٢)
لهم أرض خراسان فقاشان إلى الهند
إلى الروم إلى الزنج إلى البلغار والسند
إذا ما أعوز الطرق على الطراق والجند
حذاراً من أعاديهم من الأعراب والكرد
قطعنا ذلك النهج بلا سيف ولا غمد
ومن خاف أعاديه بنا في الرّوع يستعدي

ولهذا البيت الأخير معنى بديع ، وتفسيره : يريد أن ذوي الثورة وأهل
الفضل والمروءة إذا وقع أحدهم في أيدي قطاع الطريق وأحب التخلص ، قال :
أنا مكدي ، فانظر كيف غاص ، وأبرز هذا المعنى المعتاص . إلى ههنا كلام
الصاحب .

وفي هذه القصيدة !

وقالوا قد سلا عنك وقد حال عن العهد

(١) المكديين : المتكسّين .

(٢) الحدّ : الفطنة .

ولا والله ما أسلو ولكن قلّ ما عندي

وأنشدني علي بن مأمون المصيبي قال : أنشدني الأحنف لنفسه [من
الخفيف] :

عشتُ في ذلّةٍ وقلّةٍ مالٍ واغترابٍ في معشر أندال^(١)
بالأمانى أقول لا بالمعاني فغذائي حلاوة الآمال
لي رزقٌ يقول بالوقف في السراي ورجلٌ تقول بالاعتزال
وقال [من البسيط] :

رأيت في النّوم دنيانا مزخرفةً مثل العروس تراءت في المقاصير^(٢)
فقلت جودي فقالت لي على عجلٍ إذا تخلّصت من أيدي الخنازير
وقال [من البسيط] :

العنكبوت بنت بيتاً على وهنٍ تأوي إليه وما لي مثله وطنٌ
والخنفساء لها من جنسها سكنٌ وليس لي مثلها إلفٌ ولا سكنٌ
وقال [من البسيط] :

قد قسّم الله رزقي في البلاد فما يكاد يُدرك إلا بالتفريق
ولست مكتسباً رزقاً بفلسفةٍ ولا بشعر ولكن بالمخاريق^(٣)
والناس قد عملوا أني أخو حيلٍ فلست أنفق إلا في الرساتيق^(٤)

(١) الأندال : مفردا النّدل وهو الوسيخ .

(٢) المقاصير : الحجرات التي تقيم فيها والمقاصير : العشيّات .

(٣) بالمخاريق : الألاعيب والتمويه القائم على الكذب والاختلاق .

(٤) الرساتيق : الرستاق : الرزداق .

وقال [من الخفيف] :

قال رؤيا المنام عندك حقٌ قلت هيهات كلُّ ذاك بخارٌ
ليت يقظانهم يصحُّ له الأُمـر فكيف المغطُّ والنَّخار^(١)
وقال [من الهزج] :

| | | | | | |
|--------|--------|------------|------|-------|--------|
| سريـرٌ | بِتْ | بماخورٍ | على | دَفٌ | وطنبور |
| وصوت | الطبل | كردَمَ طعُ | وصوت | الناي | طلَّير |
| فصرنا | من حمى | البيت | كأنا | وسط | تنور |
| وصرنا | من أذى | الصفع | كمثل | العمى | والعور |
| لقد | أصبحت | مخموراً | ولكن | أي | مخمورٍ |

وقال من قصيدة [من الوافر] :

ترى العقيان كالذهب المصفى تركب فوق أنفار الدواب^(٢)
وكيسي منه خلواً مثل كفي أما هذا من العجب العجاب

وقال [من مجزوء الرمل] :

قام للشقوة أيري وجرى بالنحس طيري
وولّى حلّ سراويلك يا مولاي غيري
وتقرّأت علينا كسعيد بن جبير
أترى قد عقر الناقة يا مولاي أيري
ليس لي منك سوى صبٍّ حك الله بخير

* * *

(١) المغطُّ والنَّخار : أي النائم المستغرق في نومه ، والذي يسمع له صوت أثناء نومه « شخير » .

(٢) الأنفار : جمع نفر ، وهو سيرٌ في مؤخر السرج يشدُّ تحت ذنب الدابة .

٩ - ابن العصب الملحي

قد أجريت ذكره عند ذكر السري الرفاء ، وكان يتطايب في المداخلة
والمعاشرة ، ويقول شعراً خفيف الروح .

كتب إليه ابن سكرة [من الخفيف] :

يا صديقاً أفادنيه زمانٌ فيه ضنٌ بالأصدقاء وشحٌ
بين شخصي وبين شخصك بعدُ غير أن الخيال بالوصل سمح
إنما يمنع التآلف منا أنني سكرٌ وأنتك ملحٌ

فأجابه من أبيات منها [من الخفيف] :

هل يقول الإخوان يوماً لخلٍ شاب منه محض المودة قدحٌ^(١)
بيننا سكرٌ فلا تفسدنه أو يقولون بيننا ويكٌ ملحٌ

وقال في قاض [من الهزج] :

لنا قاض له وجهٌ على أخذ الرشأ عابسٌ^(٢)
ولكن له أيراً يدقُّ الرطب واليابس

وقال [من مجزوء الرمل] .

ذرفت عين الغمام فاستهلَّت بسجامٍ^(٣)
وبكى الإبريق في الكأس بدمعٍ من مدام
فاسقني دمعاً بدمعٍ من مدامٍ وغمام
واعصر من لأمك فيه ليس ذا وقت الملام

* * *

(١) شاب : مزج ، ومحض المودة : خالصها ، والقدح : الذم .

(٢) الرشأ : أي الرشوة .

(٣) السجام : الدمع السائل .

١٠ - أبو علي الحسن بن علي الخالغ

شاعر مفلق من شعراء الوزير أبي نصر سابور بن أردشير ، ولذكره موضع آخر في الباب التاسع . ومن ملح شعره قوله من أبيات [من الخفيف] :

اسقنا من شرابك الصِّرف نمزجه بماءٍ من الثنايا زلال^(١)
 بنت كرمٍ كأنها خجلةُ الخـدِّ تبدَّت في حلَّةٍ من دلال^(٢)

وقال [من مجزوء الكامل] :

هو معلّمٌ لهواك فاعلمْ وهي الرسوم كما ترسم^(٣)
 قف مطلق العبرات محـتسب الصبابة يا متيم
 حتى ترى ديباج خدِّك من دموعك فيه معلّم
 واذكر زمان خلاعةٍ لك في مغانيه تقدّم
 إذ أنت في مجموع شمل الغانيات به مقسّم
 يثني عناقك من سعادٍ ساعداً عبلاً ومعصم^(٤)
 وتصير من نَعَمٍ إليـك معاطف الغصن المنعم
 أروعيت ألحاظي بمو شي الرّبي خضلٍ موشّم^(٥)
 متضوّع الأرجاء من نفس الشمال إذا تنسّم^(٦)
 ألقت بكلِّ قرارةٍ فيه يد الأنواء درهم
 والأقحوان الغضُّ من خجل الشقائق قد تبسّم

(١) الصرف : الخالص ، الصافي .

(٢) بنت كرم : أي بنت العنب .

(٣) معلّم : دليل .

(٤) العبل : الضخم .

(٥) خضلٍ موشّم : النديّ المعلّم من النبات .

(٦) متضوّع : أي يفوح طيبه .

فكأنما رِيَّاه أخلاق الوزير وقد تكرم
يا من إليه مقاليد السُّلطان عن حقّ تسلّم
مات السّماح فكنت في إحيائه عيسى ابن مريم

* * *

١١ - الشيخ أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي

أنا أختم هذا الباب بذكر من هو للعلم مجمع ، وللأدب مفرع . وإليه
الرحلة اليوم ببغداد في تدريس كتب الشافعي رحمه الله ، مع الشيخ أبي حامد
الإسفرائيني أيده الله ، وله لسان يستوفي أقسام الفصاحة ، ويجمع بين العذوبة
وحسن العبارة والبراعة ، وشعر يشرف بصاحبه ، ويأخذ من القلب بمجامعه كقوله
[من الطويل] :

أيا زائر البيت العتيق وتاركي قتيلَ الهوى لو زرتني كان أجدرًا
تحجُّ احتساباً ثم تقتلُ عاشقاً فديتك لا تحججُ ولا تقتلُ الوري
وكقوله ، وكتب به إلى أبي سعيد بن أبي بكر الإسماعيلي [من الخفيف] :

حاش لله أن أزول عن العهد وإن زاد سيدي في الجفاء
أنا ذاك الذي عرفت قديماً لابسُ للصدیق ثوب الوفاء
وأنشدني أبو الحسن الكرخي ، قال : أنشدني الشيخ أبو محمد لنفسه [من
الكامل] :

يا عينُ منكِ شكائتي وبلائي أنت التي أسلمتني لشقائي
لَمَّا نظرت إلى محاسن وجهه أشعلت نار الشوق في أحشائي
ثم اعتبرت لتخدعيني بالبكا فكشفت ذاك السرَّ للأعداء
فتأملي ماذا جنيتِ وأمسكي بالله عنّا معشر الغرباء

وقال : أنشدني أيضاً لنفسه [من المنسرح] :

عجبت من معجبٍ بصورته وكان من قبل نقطةً مذرهِ^(١)
وفي غدٍ بعد حسن صورته يصير في الأرض جيفةً قلدره
وهو على عجبه ونخوته ما بين ثوبيه يحمل العذرة^(٢)

وقال : أنشدني أبو محمد الحامدي له بيتين في سابور استملحتهما جداً ، وهما
[من مجزوء الكامل] :

سابور ، ويحك ! ما أخسَّك ! بل أخصَّك بالعيوب !
وجهٌ قبيحٌ في التبسُّم كيف يحسن في القطوب

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي الفقيه ، قال : أنشدني أبو يعلى الواسطي ،
قال : أنشدني النامي لنفسه [من البسيط] :

قالتُ له ورأى في وجهها أثراً فازورَ عنه كئيب القلب مدهوشاً
ما حسن ديباجة الخدِّ المليح إذا لم يحك في حسنه الديباج منقوشاً

قال : وأنشدني أبو علي الكندي ، قال : أنشدني النامي لنفسه ، وقد أهدى هدية
مهرجانية إلى بعض الرؤساء [من المنسرح] :

هديةُ المهرجان واجبة على السلاطين لا على الفقها
وإن جرى عبدكم على سننٍ من التهادي فما أتى سفها
حملٌ على أُنني لكم قلمٌ قطَّ برأسين يكشف الشبها

* * *

(١) مذرهِ : قلدره وقبيحه .

(٢) العذرة : الأقدار كالعائط وغيره .

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم

١٢ - في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

منهم من تقدم ذكره ومنهم من تأخر ، ومنهم من لا يجري له ذكر فيما سواه .
قال للسلامي من قصيدة فيه وقد أعيد إلى الوزارة وخلع عليه [من

البيسط] :

| | |
|--|----------------------------------|
| وأوضحت فلقَ الملك التبشير ^(١) | اليوم طَبَّقَ أفقَ الدولة النورُ |
| وكلُّ قلبٍ بما خوَّلت مسرورُ | فكلُّ عينٍ إليك اليوم طامحةٌ |
| ذيلُ على أنجم الجوزاء مجرور | أقبلت في خلع السلطان زينها |
| غيثُ فرونقها بالحسن مغمور | كأنما نسجتها في الرياض يداً |
| والجود في سرجه والمجد والخير | ورحلت فوق جوادٍ كالعقاب جرى |

محمد بن أحمد الحمدوني من قصيدة له فيه [من البسيط] :

| | |
|--|--------------------------------|
| يخطو بأعطاف نشوان الخطا ثمل ^(٢) | وفي الطعائن مهضومُ الحشى غنجُ |
| مشيَ اللواحظ من عينيه في أجلي | ظبيُّ مشى الورد من لحظي بوجنته |

(١) الفلق : الاشراف والنور .

(٢) الطعائن : النساء في الهودج ، وثل : نشوان يتأيل غنجاً ودلالاً .

ومتترف الترب مجّاج الندى عطر
قد شام جدوله فيها مهنّدة
إذا نسيم الصّبّا باحت سرائره
والروض تسحب فيه السحب أردية
يا مؤنس الملك والأيام موحشة
ما لي وللأرض لم أوطن بها وطناً
لو أنصف الدهر أو لانت معاطفه
لله لؤلؤ ألفاظ أساقطها
ومن عيون معانٍ لو كحلت بها
سحرٌ من الفكر لو دارت سلافته

أبو الفرج البيغاء [من البسيط] :

لمت الزمان على تأخير مطلبي
فقلت لو شئت ما فات الغنى أمني
عذّ بالوزير أبي نصر وسلّ شططاً
وقد تقبّلتُ هذا النصّح من زماني
وما لطرف رجائي عنك منصرفٌ

مفوّف النور موسوم الثرى خضل^(١)
فاهتزّ مثل اهتزاز الخائف الوجل
أصغى إليهنّ سمع الغصن بالميل
مظاهراتٍ عليها أظهر الحلل
ورابط الجأش والآجال في وجل
كأنّني بكرٌ معنىً سار في المثل
أصبحت عندك ذا خيلٍ وذا خول^(٢)
لو كنّ للغيد ما استأنسن بالعطل^(٣)
نجل العيون لأغناها عن الكحل^(٤)
على الزمان تمشّى مشية الثمل^(٥)

فقال ما وجه لومي وهو محظورٌ
فقال أخطأت بل لو شاء سابورُ
أسرفُ فإنّك في الإسراف معذور^(٦)
والنّصحُ حتى من الأعداء مشكورُ
وهل يفارق جرم المشتري النور^(٧)

(١) ومتترف الترب : أي أنه يعيش حياة راغبة في سعة وبجوحة .

(٢) الخول : الخدم والعبيد .

(٣) العطل : يقال جيدٌ عطل : أي خالٍ من الخلل .

(٤) النجل : الواسعة .

(٥) السلاقة : الخمرة .

(٦) غد : أي احتمي ، والشطط : مجاوزة الحد .

(٧) الجرم : الكوكب ، والمشتري : أحد الكواكب .

ابن بابك من قصيدة [من الخفيف] :

| | |
|---|------------------------------|
| لم أجد مهرباً إلى الإعدام | شمت برقَ الوزير فانهلَّ حتّى |
| خائضٌ في عباب أخضر طامي | وكأنّي وقد تقاصر باعي |
| عاجل العفو آجل الانتقام | مستفيض الندى كريم السّجايا |
| في صدور المثقّفات الدوامي | كذب الزاعمون أنّ المعالي |
| والرّدى في أسنة الأقالام ^(١) | إنّما المجد والندى والمساعي |

ابن لؤلؤ من قصيدة [من المتقارب] :

| | |
|--|--|
| وصوب الحيا قطرةً من شمالي | خصال العلا كلّها من خصالي |
| بعيدُ النظير فقيد المثال | خلقتُ كما شاءتِ المكرماتُ |
| ر نفسي وتندبني للمعالي | تنزّهني عن دنايا الأمور |
| وللمجد والحمد جاهي ومالي | فللبأس طول يدي والحسام |
| إذا ما صغت للوني والكلال ^(٢) | وحرفٍ تعرّس فيها الرياح |
| أجرتُ تعوّج مثل القسسيّ يحملن ركباً كمثّل النّبال ^(٣) | ومجنوبةً في حواشي المطّشيّ ينفضن أعرافها كالسّعالي |
| طلبن الوزير فتى أردشـير صنو الندى وحليف المعالي | بغير مدى الجود لا يتقى |
| مؤمّله بكريه المطال ^(٤) | أغرّ يرى لك ما لا تراه |
| لديه ويعطيك قبل السؤال | ويهتزُّ من طربٍ للسما |
| ح هزّ الصّبّا للرماح الطوال | |

(١) المثقّفات : أي السيوف والرماح الصقيلة .

(٢) الحرف : النوق ، وتعرّس : تستريح ، والوني والكلال : التعب والارهاق .

(٣) أجرت : تركت وشأنها .

(٤) المطال : من المطل وهو التسويف والمباطلة .

الخليع النامي من قصيدة [من الكامل] :

| | |
|--|--------------------------------|
| وبأيّ منطق عاذلٍ لم أعذل ^(١) | في أيّ منزل صبوقة لم أنزل |
| أن يستضام بوقفة المستعجل | ما حقّ هذا الربيع إذ فيه الهوى |
| فالدّمع أفصح من سؤال المنزل ^(٢) | كلّ إن حضرت إلى الدموع سؤاله |
| فعدى وإن لم تجملي فتجملي | يا هذه إن لم يكن لك نائل |
| إحسان من هذا الوزير المفضل | جودي فإن لم تحسني فتعلّمي الـ |
| سمناه أن يهب الصّبّا لم يبخل | أعدى الزمان ندا أبي نصر فلو |
| بكفايتي قلم وقائم منصل ^(٣) | أرضى الديانة والصيانة حكمه |
| صّادي سوى قطر الحيا من موئل ^(٤) | يا موئل الراجي وهل للحائم الـ |
| بك شخص سعد ليس بالمترحّل | أسعد بإقبالٍ وعيدٍ قابلاً |
| وتبوّ عزّك فهو أمنع معقل ^(٥) | وتملّ فضلك فهو أفخر ملبس |
| لك نية المصفي من المتجمل | وأخبرمتي ما شئت إخلاصي تبّ |
| تحصيل رأيك قد رغبت فهبه لي | ما قلت قطّ لمنعمٍ هبّ لي وفي |
| بسعادتي في الأصل لا بتوصلي | فالآن قد أوفى النجاح على المنى |
| إقبال أنّي عذت منك بمقبل | وعلمت أنّي مقبلٌ وعلامة الـ |

الحاتمي من أرجوزة [من مجزوء الرجز] :

أولى بعفوٍ من قدرٍ لا عفو عن جانٍ أصرّ^(٦)

(١) الصبوة : جهل الفتوة وهوها .

(٢) كلّ : أي دع .

(٣) المنصل : السيف .

(٤) الصادي : الظمان .

(٥) تبوّ : أي تبوّ وأرتقي ، والمعقل : الحصن .

(٦) الجاني : الأثم المذنب .

| | |
|----------------------|--------------------------------------|
| لم يجن ذنباً من أقرّ | الصّبر عنوان الظفر |
| أولى بفوزٍ من صبرٍ | المجد في خوض الخطر |
| كفي العيان المختبر | أولى بعرفٍ من شكر |
| شكر الرياض للمطر | إن يطوٍ معروفٌ نشر |
| الحمد خيرٌ مدّخر | إن ساءك الزّمان سرّ |
| ما كسر الدهر جبرٌ | من زجر الهوى انزجر |
| بادر من العيش الغرر | ما العيش إلا المبتدّر ^(١) |
| لهفي لعصرٍ مدّكر | إذ غصن عيشي مهتصر ^(٢) |
| أصاله مثل البكر | لم تفتزع منه العذر ^(٣) |
| مرّ كلمحٍ بالبصر | وأرجُ النّشر عطر |
| غصنٌ ودعصٌ وقمر | تحت ظلامٍ من شعر ^(٤) |
| ذي ريقةٍ تشكو الخصر | شيت بمسكٍ وسكر ^(٥) |
| محيّةٌ ميت الوطر | وسابحٍ سامي النظر |
| أسرع من وشك القدر | وخاطر الوهم خطر |
| وسائلٍ من منحدر | وقبلّةٍ على حذر |

ومنها :

أوفى على كل البشر سابور مجدأً وأثر
وإنّما العصب الذكّر أعاره ما لم يعر^(٦)

(١) الغرر : الفرص ، والمبتدّر : المبادر الذي لا يؤجل .

(٢) مهتصر : مقصّف ومعتصر .

(٣) تفتزع : تفتض ، والعذر : من العذراء وهي البكر التي لم تمسّ .

(٤) الدعص : الكثيب من الرمل كناية عن الأرداف .

(٥) الخصر : البارد .

(٦) في الأصول : « إن ما العصب الذكّر » ولا يتم الوزن ، والعصب : السيف ، والذكّر : القاطع .

| | |
|---------------------|----------------------------------|
| رأياً كمحتوم القدر | فانصاع كالتجم انكدر |
| يحمد إن ذمّ المطر | تهفو الرواسي إن زفر |
| في كفه نفع وضرّ | ولحظه خير وشرّ |
| والدهر طوعاً ما أمر | يجري بما ساء وسرّ |
| ذو خلق سهل يسر | كمثل نوار الزهر |
| وشبه أنواء المطر | يحيي أفانين الثمر |
| من بالغٍ ومنتظر | كالأمن من بعد الحذر |
| والخير في أعقاب شر | وكالكري غبّ السهر ^(١) |
| عمّرت ما شاء الوطر | فأنت للملك وزر ^(٢) |
| دونك عذراء الفقر | تُتلى كما تتلى السور |

الخالع من قصيدة [من البسيط] :

| | |
|-------------------------------|--|
| أفي غلائلها غصنٌ من البان | يهتزُّ في نعمة أم قدّ إنسان |
| هيفاء مرهفة الأعطاف إن خطرتُ | أهدت نشاط الهوى من خطو كسلان |
| تبسمت فظنّنا أنّ مبسمها | فيه من اللؤلؤ المجلّو سمطان ^(٣) |
| وأوماتٌ بيمينٍ لو دنت لقمي | لأفسدت صالحاً من نسك إيماني |
| مقسّم العيش في تحصيل مأثرو | سيارو يتقاضاها لباسان |
| فللدروع عليه يوم ملحمة | وللدرائع منه يوم ديوان |
| طرز الطلاقة في ديباج غرته | للبشر فيها إشاراتٌ بألوان |
| كأنّ ماء الحياء الغمر منسكباً | فيها يفيض على نوار بستان ^(٤) |

(١) الكرى : النعاس، وغبّ السهر : بعده .

(٢) الوطر : الحاجة والمأرب والبغية ، وزر : مساعد وحام .

(٣) السمط : العقد .

(٤) الغمر : الكثير .

محمد بن بلبل من قصيدة [من الكامل] :

أضحى الرجاء لبرق جودك شائماً
سميت نفسي إذ رجوتك واثقاً
فمتى أقوم بشكر نعمتك التي
لا زال جدك للعدو مزاحماً
وارتدّ روض الحمد وحفاً ناعماً^(١)
ودعوتها لك مذ مدحتك خادماً
عقدت عليّ من الخطوب تماثماً^(٢)
يعلو وأنف حاسديك رواغماً^(٣)
واسعد بعيد قد حبتك سعوده
عزاً يكون مع السعادة قادماً

أحمد بن علي المنجم من قصيدة [من الخفيف] :

أيهذا الوزير محّصت بالإحسان جور الدنيا ووزر الزمان
فاشرب الراح راحة القلب أخت الروح روح المكروب أنس الأمان
وابق ما شئت في نعيم تراه لك أنموذجاً لعيش الجنان

السفياني من قصيدة [من الكامل] :

روض المنى بك عاد غضاً مونقاً
وابيض وجه الدهر بعد سخومه
فُتّ الأنام فما يجاريك امرؤ
ولو اغتدى ظهر المجرة راكباً
واهتزّ غصن المجد فيه وأورقا
وارتدّ بعد ظلامه فتألقاً^(٤)
في حلبة الفخر المنيع المرتقى
وغدا بأذيال السهى متعلقاً
ن مروّفاً وسطاً فكان محققاً
ن مطبقاً وعفا فكان موفقاً^(٥)
وشأى فكان محدقاً وهمي فكا

(١) الوحف : الغزير من النبات والشعر .

(٢) التائم : جمع تيمة وهي عوذة يعلّقها الانسان تحبباً لشر من الشرور ودفعا له .

(٣) جدك : حظك ونجمك .

(٤) السخوم : السواد .

(٥) شأى : تطلع بنظر حاد .

أحمد بن المغلس من قصيدة [من الخفيف] :

أبروقٌ تَلَأَلَتْ أمْ ثغورُ وليالٍ دجت لنا أم شعورُ
وغصونٌ تأوَدَّتْ أمْ قدودُ حاملاتُ رمانهن الصدورُ^(١)
طالعَاتُ من السجوف على الركـب بدورُ أبرزتهنَّ الخدورُ^(٢)
مثقلاتُ أردافهنَّ ولكن مرهفاتُ من فوقهنَّ الخصورُ
مطمعاتُ في وصلهنَّ ودون الـ وصل إن رمته دمَاءُ تمورُ^(٣)
عزَّ منهنَّ ما يرام كما عزَّ جنابُ يحتلُّ فيه الوزير
نصر المجد حافظاً حرمة المجـد أبو نصر الرضا سابور
مفردٌ في الزمان ليس يدانيـه من الناس مشبهٌ أو نظير
إنَّ يواجه فطود حليمٍ ركينُ أو يفاوض فبحر علمٍ غزيرُ^(٤)
أو يجد واهباً فغيثٌ مطيرُ أو يصل واثباً فليثٌ هصورُ

سعد بن محمد الأزدي من قصيدة [من الطويل] :

أجفو الهوى في ربعه لا أخاطبه وأمضي ولم تلعب بدمعي ملاعبه ؟
ومنها في وصف السحاب :

وأقمر منشور الجناح مرفرفٍ تحلَّى بعقيان البروق ترائبه^(٥)
وخلف غمام الخدر بدرٌ مضمخُ بحسن بديعٍ والحلي كواكبه
أرجى أبا نصرٍ لعصرٍ كأنما من النار عيناه فمن ذا يغاضبه

(١) تأوَدَّتْ : تمايلت .

(٢) السجف : الفرجة بين الستين .

(٣) تمور : تجري .

(٤) الطود الركين : الجبل العالي الثابت الأركان ، والرزين .

(٥) الترائب : جمع تريبة ، وهي موضع القلادة من النحر .

على عيلةٍ لو حُمِّل الدهر ثقلها لزلت به رجلاه وانقضَّ غاربه^(١)
إذا ما رآه الناس قالوا تعجباً تبارك مختار الكمال وواهبه

الحسن بن محمد العضدي [من الكامل] :

يلقاك إن لاقاك دهرك كالحاً متبسّماً كالعارض المتبسّم^(٢)
وإذا سما نحو العلا لم يتخذ
سيّان عزمك والحسام المتّضى
كم منّة لك لم يكدر صفوها
أترك تحرمني لطيف عناية
وأنا ابن أنعمك القديمة فليصل
وندى يديك وصوب نوء المرزم^(٣)
من وكم نعمى شفعت بأنعم ؟
وبك الغداة من الزمان تحرمي
منك السماح مؤخراً بمقدم

عون بن علي العنبري [من مخلص البسيط] :

لست على العتب بالمنيب ولا للوم بمستجيب^(٤)
جلّ غرامي وزاد سقمي
غير عجيب نحول جسمي
تلهّبُ الوجنتين منه
يا دهر أغربت في التعدي
شوبك لي فرقة بشوق
حسبي أبو نصر المرجى
إن ضاق دهر بنا أوينا
وذبت شوقاً إلى مذيبي
شوقاً إلى حسنه العجيب
غادر قلبي على لهيب
والجور ظلماً على الغريب
أطلع من لمتي مشيبي^(٥)
عوناً على الدهر والخطوب
منه إلى صدره الرحيب

(١) الغارب : الكاهل .

(٢) الكالّح : المتجهّم الوجه .

(٣) نوء المرزم : نوء الشتاء البارد .

(٤) المنيب : التائب والراجع .

(٥) شوبك : من الشوب - بفتح فسكون - مصدر بمعنى الخلط والمزج ، تقول : شاب كذا بكذا يشوبه شوباً .

الباب العاشر

١٣ - في ذكر الشريف أبي الحسن الرضى الموسوي النقيب وغرر شعره

هو أبو الحسن محمد بن الحسين بن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام ، ومولده ببغداد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة ، وابتدأ يقول الشعر بعد أن جاوز العشر سنين بقليل ، وهو اليوم أبدع أبناء الزمان ، وأنجب سادة العراق ، يتحلّى مع محتده الشريف ، ومفخره المنيف ، بأدب ظاهر وفضل باهر ، وحظ من جميع المحاسن وافر ، ثم هو أشعر الطالبين ، من مضى منهم ومن غير^(١) على كثرة شعرائهم المفلكين ، كالجماني وابن طباطبا وابن الناصر وغيرهم ، ولو قلت إنه أشعر قريش لم أبعد عن الصدق ، وسيشهد بما أجره من ذكره شاهد عدل من شعره العالي القدح ، الممتنع عن القدح ، الذي يجمع إلى السلاسة متانة ، وإلى السهولة رصانة ، ويشتمل على معان يقرب جناها ، ويبعد مداها ، فأما أبوه أبو أحمد فمنظور علوية العراق مع أبي الحسن محمد بن عمر بن يحيى ، وكان قديماً يتولى نقابة الطالبين والحكم فيهم أجمعين ، والنظر في المظالم والحج بالناس ، ثم ردت هذه الأعمال كلها إلى ولده أبي الحسن هذا ، وذلك في سنة ثمانين وثلاثمائة ، فقال أبو الحسن قصيدة يهنئ بها أباه ، ويشكره على تفويضه أكثر هذه

(١) غير : تقدّم في الزمان .

الأعمال إليه [من الكامل] :

انظرُ إلى الأيام كيف تعودُ
وإلى الزمان نبا وعاود عطفه
قد عاود الأيام ماء شبابها
إقبال عزٌّ كالأسنة مقبلٍ
وعلاً لأبلج من ذؤابة هاشمٍ
قد فات مطلوباً وأدرك طالباً
ما السؤدد المطلوب إلاً دون ما
فاذا هما اتفقا تكسّرت القنا

وإلى المعالي الغرّ كيف تزيدُ
فارتاح ظمآنٌ وأورق عودُ^(١)
فالعيش غرضٌ والليالي عيد
يمضي وجدٌ في العلاء جديدُ
يشني عليه السؤدد المعقود^(٢)
ومقارعوه على الأمور قعود
يرمي إليه السؤدد المولود
إن غالباً وتضعضع الجلمود^(٣)

وله من قصيدة في أبيه ، ويذكر حجه بالناس [من الوافر] :

دعيني أطلب الدنيا فأنّي
ومن أبقي لأجله حديثاً
وما المغبون إلاً من دهرته
ونصل السيّف تسلّم شفرتاه
وأيامٌ تجوز عليك بيضٌ
وكم يومٍ كيومك قدت فيه
إلى البلد الأمين مقوماتُ

أرى المسعود من رزق الطلابا
ومن عانى لعاجله اكتسابا
فلا مجدداً ولا جدةً أصابا^(٤)
وتخلق كلّ أيامٍ قرابا^(٥)
وقد فتحت من الإقبال بابا
على الغرر المقانب والركابا^(٦)
تماطلها التعجّل والإيابا^(٧)

(١) نبا : فارق وابتعد ولم يستقر على ما كان عليه .

(٢) الأبلج : المنير ، والذؤابة : ذروة النسب .

(٣) الجلمود : الصخر .

(٤) المغبون : الخاسر الذي انتقص حقه ، والجدة : العطاء والغنى والترف .

(٥) القراب بالضم ، بزنة غراب - غمد السيّف وجفنه .

(٦) المقانب : جمع مقنب بزنة منبر : وهو الجيش .

(٧) الإياب : العودة .

بحيث تفرّغ الكوم المطايا حقائبها وتحقّب الثوابا^(١)
معالم إنّ أجال الطرف فيها مسيء القوم أقلع أو أنابا^(٢)

وقال في الطائع لله أمير المؤمنين من قصيدة [من الكامل] :

لله ثمّ لك المحلّ الأعظمُ وإليك ينتسب العلاء الأقدمُ
ولك التراث من النبي محمداً والبيت والحجر العظيمُ وزمزمُ
تمضي الملوك وأنت طودُ ثابتٍ ينبجس عنك متوجّ ومعمم^(٣)
لله أيّ مقام دينٍ قمتهُ والأمر من دون القضية مبهم
فكأنّما كنت النبيّ مناجزاً بالقول أو بلسانه تتكلم^(٤)
أيام طلقها المطيع وأوحشت مذ زال عن ذا الغاب ذاك الضيغمُ
فمضى وأعقب بعده مستيقظاً سجلاه بؤسي في الرجال وأنعم^(٥)
كالغيث يخلفه الربيع وبعضهم كالنار يخلفه الرماد المظلم

ينظر معنى المصراع الأول إلى بيت المتنبي ، وهو أحسن ما قيل فيه ، وهو قوله
[من الطويل] :

* فإنّك ماء الورد إنّ ذهب الورد *

ومعنى المصراع الثاني من قول الشاعر [من الوافر] :

وبعضهم يكون أبوه منه مكان النار يخلفها الرماد

(١) تحقّب : تكتسب وتحصل .

(٢) أقلع : صلّح وابتعد عن فعل السوء وأناب : تاب .

(٣) ينبجس : يتزاح وينكشف .

(٤) مناجزاً : مدافعاً وقاضياً وموفياً .

(٥) سجلاه : حكمه ورأيه .

ومنها في وصف النوق :

هنّ القسيّ من النحول فإنّ سما طلبٌ فهنّ من النجاء الأسهم
ما أحسن ما جمع بين القسي والأسهم في هذين الوصفين ! وما أراه سبق إليه على
هذا الترتيب .

ومنها :

وعظمت قدراً أن يروقك مغنمٌ هي راحةٌ ما تستفيق من الندى
ما كان يومي دون مدحك أنني أنت العلا فلقصدها ما أقتني
ما حقٌ مثلي أن يضاع وقوله وأنا القريب قرابةً معلومةً
إنني لأرجو منك أن سيكون لي وأنال عندك رتبةً مصقولةً
إنني وإن ضرب الحجاب بطوده لأراك في مرآة جودك مثل ما
يا دهر دونك قد تماثل مدنفٌ إنني عليك إذا امتلأت حميةً

أو أن يصلّ على بنانك درهم^(١) أبد الزمان وبدرةً لا تختم^(٢)
صبٌ بغير جلال وجهك مغرم من جوهرٍ ولمدحها ما أنظم
باقي العماد على الزمان مخيمٌ والعرق يضرب والقرائب تلحم
يومٌ أغیظ به الأعادي أيوم^(٣) إن عاين الأعداء رونقها عموا
أو حال دونك يذبل ويللم^(٤) يلقي العيان الناظر المتوسّم^(٥)
واققص مهتضمٌ وأورق معدم^(٥) بندي أمير المؤمنين محرم

(١) يصلّ : يرث ويسمع له صوت .

(٢) البدرة : كيس توضع فيه كمية من الدراهم .

(٣) يوم أيوم : أي شديد كقولهم : ليلٌ أليل وليلة ليلاء وشعر شاعر ، كأنهم لم يجدوا شيئاً يصفونه به إلا أن يشفقوا الوصف منه .

(٤) يذبل : جبل ، ويللم : ميقات اليمن ، مكان على مرحلتين من مكة .

(٥) اققص مهتضمٌ : أي نال حقه بعد انتقاص .

ومذ اذّرعت فناءه وعطاءه أرمى ويرميني الزّمان فأسلم

وقال من قصيدة لما خلع الطائع يذكر فيها أيامه ويرثيها ويتوجع مما لحقه وذلك في شعبان سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من مجزوء الكامل] :

إن كان ذاك الطود خـرّ فبعدما استعلى طويلا
موفرٍ على القلل الذوا هب في العلا عرضاً وطولا^(١)
قرمّ يسدّد لحظه فيرى القروم لا مثولا
ويُرى عزيزاً حيث حلّ ولا يرى إلّا ذليلا
كأليت إلّا أنّه اتـخذ العلا والعزّ غيلا^(٢)
وعلا على الأقران لا مثلاً يعدّ ولا عديلا
من معشرٍ ركبوا العلا فأبوا عن الكرم التّزولا
كرموا فروعاً بعد ما طابوا وقد عجموا أصولا^(٣)
نسبٌ غدا رواده يستخبون له الفحولا
يا ناصر الدّين الذي رجع الزّمان به كليلا
يا صارم المجد الذي ملئت مضاربه فلولاً
يا كوكب الإحسان أعـجلك الدّجى عنا أفولا
يا مصعب العلّاء قا دتك العدى نقضاً ذلولاً
لهفي على ماضٍ قضى أن لا يرى منه بديلا
وزوال ملكٍ لم يكن يوماً يقدر أن يزولا
ومنازلٍ سطر الزما ن على مغانيها الحؤولا
من يزجر الدّهر الغشو م ويكشف الخطب الجليلا ؟

(١) موفر : مشرف ومرتفع .

(٢) الغيل : مسكن الأسود .

(٣) عجموا : جرّبوا واختبروا .

وتراه يمنع دوننا وادي النوائب أن يسبلا
 عقّاد ألوية الملو ك على العدى جيلاً فجيلاً
 صانعت يوم فراقه قلباً قد اعتنق الغليلاً^(١)
 ظعن الغنى عني وحوّل رحله إلّا قليلاً^(٢)
 إن عاد يوماً عاد وجّه الدهر مقتبلاً جميلاً
 ولئن غدا طوع المنو ن ميمماً تلك السيلا
 فلقد يخلف مجده عبأ على الدنيا ثقيلاً
 واستذرت الأيام من نفحاته ظلاً ظليلاً^(٣)

وله من قصيدة يذكر فيها الحال يوم القبض على الطائع لله ، ويصف خروجه من
 الدار سليماً ، وقد سلبت ثياب أكثر الأشراف والقضاة ، وانتهبوا وامتنحوا ، فأخذ
 هو بالحزم ساعة ، ووقف على الصورة ، وبادر إلى نزول دجلة ، وكان أول
 خارج من الدار ، وتلوم من تلوم حتى جرى عليه ما جرى ، ويذكر غرضاً آخر في
 نفسه ويشكو الزمان ، ويذم عمل السلطان [من البسيط] :

لواعج الشوق تخطيهم وتصميني واللوم في الحبّ ينهاهم ويغريني^(٤)
 سلا عن الوجد إني كلّ شارقة تريشني الشيب والأيام تبريني^(٥)
 من لي ببلغة عيشٍ غير فاضلة تكفّني عن أذى الدنيا وتكفيني
 أخي من باع دنياه وزخرفها بصونه كان عندي غير مغبون
 قالوا أتقنع بالدون الخسيس وما قنعتُ بالدون بل قنعت بالدون^(٦)

(١) الغليل : الظمأ .

(٢) ظعن : رحل .

(٣) استذرت : استظلت .

(٤) تصميني : تقتلني .

(٥) سلا : نسي ، وطابت نفسه بعد الفراق .

(٦) الدون : الوضع القليل .

إذا ظننّا وقدّرنا جرى قدرُ
أعجبَ بمسكة نفسي بعد ما رميتُ
ومن نجاتي يوم الدار حين هوى
مرقت فيها مروق النجم منكدرًا
وكنت أولّ طلّاعٍ ثنيتها
من بعد ما كان ربّ الملك مبتسمًا
أمسيت أرحم من قد كنت أغبطه
ومنظرٍ كان بالسّراء يضحكني
هيهات أغترّ بالسلطان ثانيةً

بنازلٍ غير موهومٍ ومظنون
من النوائب بالأبكار والعون^(١)
غيري ولم أخل من حزمٍ ينجيني
وقد تلاقت مصاريع الردى دوني^(٢)
ومن ورائي شرٌّ غير مأمون^(٣)
إليّ أدنيه في النجوى ويدنيني
لقد تقارب بين العزّ والهون
يا قرب ما عاد بالضراء يبكينني
قد ضلّ ولاجُ أبواب السلاطين

وقال في القادر بالله أبي العباس أحمد بن إسحاق بن المقتدر عند استقراره في دار
الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمائة [من الكامل] :

شرف الخلافة يا بني العباسِ اليوم جدّهُ أبو العباسِ
وافى لحفظ فروعها وكنيّه كان المثير مواضع الأغراس^(٤)
هذا الذي رفعت يدها ببناءها السّـعـالي وذاك موطّد الأساس

كأنه ألم فيه بقول ابن الرومي في المعتضد بالله [من الطويل] :

كما بأبي العباس أنشئ ملككم كذا بأبي العباس منكم يُجدد
رجع :

ذا الطود بقّاه الزمان ذخيرةً من ذلك الجبل العظيم الراسي
فالآن قرّ العزّ في سكناته ثلجَ الضمائر باردَ الأنفاس

(١) العون : يقصد النوائب الشديدة .

(٢) المروق : الخروج والتفّاذ من جانبٍ إلى آخر .

(٣) الثنية : منعطف الوادي .

(٤) كنيّه : أي بيت الخلافة والكنّ ، وقاء كل شيء وستره .

وقفت أخامص طالبيه ورقّعت واحتلّ غاربه وليّ خلافة سبق الرّجال إلى ذراها ناجياً يقظانٌ يجرح في الخطوب وينثني ويرقّ أحياناً وبين ضلوعه تغدو طُبى البيض الرقاق بقلبه فكأنّ حمل السيف يقطر غربه أحسود ذي الغرر الشواذخ إنّها لا تحسّدن قوماً إذا فاضلتهم مجدّد أمير المؤمنين أعدته وبعثت في قلب الخلافة فرحةً أوريق أمين الله عودي إنّما واملِك على من كان قبلك سلوةً

أيلد نقضن معاهد الأحلاس^(١) ما كان يلبسها على اللّباس من ناب كلّ مجاذبٍ نهّاس^(٢) ولهاه للكلم الرغيب أواسي^(٣) قلبٌ على المال المثمّر قاسي أحلى وأعذب من ظباء كناس^(٤) أنسى يمين يديه حمل الكاس حرمٌ على الأعيار لا الأفراس^(٥) فضلوك في الأخلاق والأجناس غصّاً كنوز المورق الميَّاس دخلت على الخلفاء في الأرماس^(٦) أغراث مثلك في العلا أغراسي^(٧) في فرط تقريبي وفي إيناسي

وله فيه من أخرى يصف فيها جلسة جلسها فأوصل إلى حضرته الحجيج وغيرهم وحضر الشريف ذلك المجلس ، وعليه السواد في سنة اثنتين وثمانين وثلاثمائة منها [من الكامل] :

لمن الحدوج تهزهنّ الأنيق والركب يطفو في السراب ويغرق^(٨)

(١) الأخامص : أطراف الأقدام ، والأحلاس : أي العهود والمواثيق .

(٢) النهّاس : النهاش والذي يعصر .

(٣) ولهاه : مواساته ، والكلم : الجرح ، والرغيب : الواسع .

(٤) الطُّبى : الحدّ من السيف وغيره ، والكناس : بيت الظبي .

(٥) الشواذخ : الظاهرة المثرة والأعيار : جمع غير كل قافلة من الجمال والبغال والحمير .

(٦) الرمس : القبر .

(٧) أغراث : تجويع .

(٨) الحدوج : جمع حديج بكسر الحاء وسكون الدال ، وهو مركب للنساء كالمحفة .

أتى اهتديت؟ فلا اهتديت ! وبيننا
ومطلّحون لهم بكلّ ثنيةٍ
أبغاة هذا المجد ، إنّ مرامه
لا تخرجوا هذي البحار فربّما
ودعوا مجاذبة الخلافة إنّها
وأبوكم العباس ما استسقى به
بعج الغمام بدعوة مسموعة
لله يومٍ أطلعتك به العلا
لمّا سمت بك غرة مرموقة
وبرزت في بُرد النبي وللهدى
وعلى السحاب الجون ليثٌ معظماً
وكأنّ دارك جنة حباؤها — الجادي أو أنماطها الإستبرق^(١)
في موقفٍ تغضي العيون جلاله
والناس إمّا شاخصٌ متعجبٌ
مالوا إليك محبةً فتجمعوا
وطعنت في غرر الكلام بفصيلٍ
وأنا القريب إليك فيه ، ودونه
عظفاً أمير المؤمنين فإنّنا

سورٌ عليّ من الظلام وخندقٌ
ملقى وسادته الثرى والمرفق
دحضٌ يزلُّ بطاليه ويزلق^(٢)
كان الذي يروي المعاطش يغرق
أرجٌ بغير ثيابهم لا يعبق
بعد القنوط قبائلٌ إلّا سقوا^(٣)
فأجابه شرق البوارق مغرق^(٤)
علماً يزاول بالعيون ويرشق
كالشمس تبهر بالضياء وترمق
نورٌ على أسرار وجهك مشرق^(٥)
ذاك الرّداء وزرٌ ذاك اليلمق^(٦)
فيه ويعثر بالكلام المنطق
مما يرى أو ناظرٌ متشوّق
ورأوا عليك مهابةً فتفرّقوا
لا يستقلُّ به السّنان الأزرق
لندى عدوك طود عزٍّ أعبق
في دوحة العلياء لا نتفرّق

(١) الدحض : الباطل والزّلل .

(٢) القنوط : اليأس .

(٣) بعج : شقّه وجعل ماءه يسيل .

(٤) برد النبي : عباءته أو لباسه .

(٥) اليلمق : بزنة جعفر : قباء فارسي .

(٦) الجادي : الزعفران .

ما بيننا يوم الفخار تفاوتُ أبدأً كلانا في المعالي معرق^(١)
 إلّا الخلافة ميزتك فإتني أنا عاطلٌ منها وأنت مطوق^(٢)
 هذه طريقة لم يسبق إليها ، وما أحسنها في جمع أطراف الاستعطاف والمدح ! وله
 من أخرى يذم الزمان ، ويفتخر [من المنسرح] :

توقعي أن يقال قدْ ظعنا ما أنت لي منزلاً ولا وطننا
 يا دار قلّ الصديق فيك فما أحسُّ ودّاً ولا أرى سكنا
 كيف يخاف الزمان منصلتُ مذ خاف غدر الزمان ما أمنا^(٣)
 لم يلبس الثوب من توقّعه للأمر إلّا وظنّه كفنا
 لي مهجّة لا أرى لها عوضاً غير بلوغ العلا ولا ثمنا
 ما ضرّنا أنّنا بلا جدو والبيت والركن والمقام لنا^(٤)
 سوف ترى أنّ نيل آخرنا من العلا فوق نيل أولنا
 وأنّ ما بُزّ من مقادمننا يخلفه الله في أواخرنا^(٥)
 وورد عليه أمر أهمه وأقلقه فرأى شيئاً في رأسه وسنه ثلاث وعشرون سنة .

فقال [من السريع] :

عجّلتَ يا شيبُ على مفريقي وأيُّ عذرٍ لك أن تعجّلا ؟
 فكيف أقدمت على عارضٍ ما استغرق الشعر ولا استكملا
 كنت أرى العشرين لي جنّةً من طارقات الشيب إنّ أقبلا^(٦)
 فالآن سيّان ابن أمّ الصبا ومن تسدّى العمر الأطولا^(٧)

(١) معرق : أصيل .

(٢) عاطل منها : أي أنها ليست من نصيبي بل هي من نصيبك ، والجيد العطل : الخالي من الحلي .

(٣) منصلت : مخرج وسابق .

(٤) الجدة : الغنى والمال .

(٥) بُزّ : سلب وأخذ بالقوة .

(٦) الجنّة : الستر والدرع .

(٧) تسدّى : امتدّ به العمر .

يا زائراً ما جاء حتى مضى
وما رأى الراؤون من قبلنا
ليت بياضاً جاءني آخراً
وليت صباحاً ساءني ضوؤه
يا ذابلاً صوّح فينانه
خطّ برأسي يققاً أبيضاً
هذا ولم أعدّ مجال الصبا
من خوفه كنت أهاب السرى
فليتني كنت تسربلته
قالوا دع القاعد يزري به
قل لعدولي اليوم عدّ صامتاً
طبت به نفساً ومن لم يجد

وعارضاً ما جاد حتى انجلى
زرعاً ذوى من قبل أن يسبلاً^(١)
فدى بياضٍ كان لي أولاً
زال وأبقى ليله الأليلاً
قد آن للذابل أن يختلى^(٢)
كأنما خطّ به منصلاً^(٣)
فكيف من جاوز أو من علا
شحاً على وجهي أن يبذلاً^(٤)
في طلب العزّ ونيل العلا
من قطع الليل وجاب الفلا
فقد كفاني الشيب أن أعدلاً
إلا الردى أذعن واستقتلاً

وقال في الوزير أبي القاسم علي بن أحمد يستصوب رأيه في الاستتار لأمر أوجهه
[من مجزوء الكامل] :

تأبى الليالي أن تديما
والمرء بالإقبال يبلغ
وينال بغيته وما
فاذا انقضى إقباله

بؤساً بخلقٍ أو نعيما
وداعاً خطراً عظيما
أنضى الذميل ولا الرسيما^(٥)
رجع الشفيح له خصيما

(١) ذوى : ذبل ، وأسبل : بدت سنابله .

(٢) صوّح : يبس وتشقق .

(٣) اليقق : يعني به الشيب .

(٤) السرى : المسير ليلاً .

(٥) الذميل : المريع في لين والرسيم : أثر السير في الأرض .

وهو الزمان إذا نبا سلب الذي أعطى قديما
 كالريح ترجع عاصفاً من بعد ما بدأت نسima
 ذاك الوزير وكان لي وزراً أحزبه الخصوما^(١)
 فالآن أغدو للعدى ونبالها غرضاً رجima^(٢)
 سدّي العلا وأنار لا فضّ اللقاء ولا ملوما
 حتى إذا لم يبق إلا أن يلام وأن يليما
 طرح العناء على اللثام مجانباً ومضى كريما
 لم يعتلقه الحبس ممتهاً ولم يعزل ذميما
 أفنى العدى وقضى المنى وبنى العلا ونجا سليما
 وجهه كأن البدر شا طره الضياء أو النجوما
 لو قابل الليل البهيم لمزق الليل البهيمما
 يجلو الهموم ورب وجهه إن بدا جلب الهموما
 كان العظيم ، وغير بد ع منه أن ركب العظيما
 والحرّ من حذر الهوا ن وحاول الأمر الجسيما
 بعثوا سواك لها وكا ن مبلداً عنها مليما^(٣)
 والعاجز المأفون أقعد ما يكون إذا أقيما^(٤)
 فسقى بلادك حيث كنت المزن منبعقاً هزيما^(٥)
 فلقد سقى خديّ ذكرك دمع عينيّ السّجوما
 وقال [من الطويل] :

عذيري من العشرين يغمزن صعدي ومن نوب الأيام يقرعن مروتي^(٦)

(١) وزراً : مساعداً ومؤازراً .

(٢) رجماً : المرجوم بالحجارة ، والملعون .

(٣) المبلد : العاجز الرأي والضعيف .

(٤) المأفون : الضعيف الرأي .

(٥) المنبيق : المفاجيء المندفع ، والهزيم : المندفع بقوة .

(٦) المروة - بفتح فسكون - الحجر الأبيض الوراق الذي يوري ناراً .

ألا لا أعد العيش عيشاً مع الأذى
تخوفني بالموت والموت راحة
وكم بين ذي أنفٍ حميٍّ وحاملٍ
وقال [من الطويل] :

أكابرنا والسابقون إلى العلا
وإنَّ أسوداً كنت شبلاً لبعضها
وقال [من الطويل] :

حذفت فضول العيش حتى رددتها
وأملت أن أجري خفيفاً إلى العلا
حلفت بربِّ البدن تدمى نحوها
لأبتذلنَّ النفس حتى أصونها
فقد طالما ضيّعت في العيش فرصة
وإنَّ قوافي الشعر ما لم أكن لها
أنا الفارس الوثّاب في صهواتها
وقال [من الطويل] :

بنو هاشمٍ عينٌ ، ونحن سوادها
وأعجب ما يأتي به الدهر أنكم
على رغم من يابى ، وأنتم قذاتها^(١)
طلبتهم علأ ما فيكم أدواتها

(١) الموارن : جمع مارن ، وهو من الأنف أرنبته .

(٢) البدن : النوق ، والأطوار : أصحاب العلم والمعرفة .

(٣) العتيق : الأصيل : والمقرف : قريب من الهجين إلا أن الأقراف يكون من قبل الذكر والهجنة تكون من قبل الأنثى .

(٤) قذاتها : القذى ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .

وأملتُم أن تدركوها طوالاً دعوها سيسعى للمعالي ساعاتها
غرست غروساً كنت أرجو لقاحها وآمل يوماً أن تطيب جناتها
فإن أثمرت لي غير ما كنت آملاً فلا ذنب لي إن حنظلتُ نخلاتها^(١)

وقال يرثي أبا منصور أحمد بن عبيد الله بن المرزبان الكاتب الشيرازي [من
المنسرح] :

أي دموعٍ عليك لم تصبِ وأي قلبٍ عليك لم يجب^(٢)
مالي وما للزمان يسلبني في كل يومٍ غرائب السلب
أما فتى ناضر الصبا كأخي عندي أو زائد المدى كأبي
وإنني للشقاء أحسبني ألعب بالدهر وهو يلعب بي
ما نمت عنه إلا وأيقظني من الرزايا بفيلقٍ لجب^(٣)
في كل دار تغدو المنون، ومن كل الثنايا مطالع النوب
يفوز بالراحة الفقيد وللـ فاقد طول العناء والتعب
أحمد، كم لي عليك من كمدٍ باقٍ؟ ومن جود أدمعٍ سرب
ولوعةٍ تحطم الضلوع إذا ذكرت قرب اللقاء عن كتب
إن قطع الموت حبلاً فلقد عشنا وما حبلاً بمنقضب^(٤)
كم مجلسٍ صبحته ألسنا نفضن فيه لطائم الأدب
من أثرٍ يونق الفتى حسنٍ أو خبرٍ يبسط المنى عجب
أو عرضٍ أصبحت خواطرننا تساقط الدرّ منه في الكتب
كالبارد العذب روقته صبا الفجر أو الظلم زين بالشنب^(٥)

(١) الحنظل : نبات ثمره شديد المرارة .

(٢) لم تصب : لم تنهزم ألماً ، والوجب : الخفقان والاضطراب .

(٣) اللجب : الكثير ذو الضجة الشديدة .

(٤) منقضب : منقطع .

(٥) الظلم : ماء الأسنان وبريقها ، والشنب : البارد ، أو صفاء الأسنان وبياضها .

غاض غدير الكلام ما بقي الدهر وقرت شقائق الخطب^(١)
يا علم المجد لم هويت وقد كنت أمين العماد والطنب؟
يا مقول الدهر لم صمت وقد كنت زماناً أمضى من الشهب؟
يا ناظر الفضل لم غضضت وما كنت قديماً تغضي على الريب؟
كنت قريني ولست لي لدة كنت نسيبي ولست من نسي^(٢)
مما يقوي العزاء عنك وإن شرد قلبي العزاء بالكرب
أنتك أحرزتها وإن رغم الدهر ثمانين طلقة الحقب
فإن دموعي جرين نهنها علمي أن قد ظفرت بالأرب^(٣)
فليت عشرين بت أحسبها باعدن بين الورود والقرب
إنني أظماً إلى المشيب ، ومن ينح قليلاً من الردى يشب
إن سرتني طالع البياض أقل يا ليت ليل الشباب لم يغب
مر على ذلك التراب من المزن خفوق الأعلام والعذب^(٤)
فثم بشر أصفى من الغدق العذب وجود أندى من السحب
لا تحسبن الخلود بعدك لي إن المنايا أعدى من الجرب
إن أنج منها وقد شربت بها فإن خيل المنون في طلي
ولست أدري في شعراء العصر أحسن تصرفاً في المراثي منه . ولما رثي أبا
منصور الشيرازي بهذه القصيدة في سنة ثلاث وثمانين رثي أبا إسحاق الصابي في
سنة أربع وثمانين بالقصيدة التي أوردتها في بابه ، ثم لما حال الحول وتوفي
الصاحب في سنة خمس وثمانين وتعجب الناس من انقراض بلغاء العصر الثلاثة
على نسق في ثلاث سنين ، رثاه أيضاً بقصيدة سأورد غررها في مراثي الصاحب .

(١) الشقائق : الفصيح من الخطب .

(٢) اللدة : وهو الذي ولد معك أو تربى .

(٣) نهنها : منعها وكفها .

(٤) العذب : أعالي الرماح ، وطرق الفن من الشجر .

وله من قصيدة رثى بها أبا محمد بن أبي سعيد السيرافي ، وكان من الأعيان
الأعلام في العربية وما يتعلق بها ، وتوفي بعيد الصباح [من الكامل] :

لم ينسنا كافي الكفاة مصابه حتى دهانا فيك خطبٌ مضلّع^(١)
قرحٌ على قرحٍ تقارب عهده إنَّ القروح على القروح لأوجع
وتلاحقُ الفضلاء أعدل شاهدٍ أنَّ الحمام بكلِّ علقٍ مولع^(٢)

وقال من أخرى [من البسيط] :

يا مصعباً بخست أيدي المنون به فقيد قودٍ ذليل الظَّهر مطواع^(٣)
يسقي أسنته حتى تفيض دماً ويهدم العيس من شدٍّ وأيضاع^(٤)

وقال [من الكامل] :

هيهات أصبح سمعه وعبانه في الترب قد حجبتهما أقدائوه^(٥)
يمسي ولين مهاده حصابؤه فيه ومؤنس ليله ظلمائوه
قد قلبت أعيانه ، وتنكرتُ أعلامه ، وتكسفت أضوائوه
مغفر وليس للذِّقِ إغفاؤه مغضٍ وليس لفكرةٍ إغضاؤه
وجهٌ كلمع البرق غاض وميضه قلبٌ كصدر العضب قلّ مضائوه^(٦)
حكم البلى فيه فلو يلقى به أعداءه لرثى له أعدائوه
إنَّ الذي كان النعيم ظلالة أمسى يطنّب بالعراء خباؤه^(٧)

(١) المضلّع : القوي ذو الثقل .

(٢) العلق : النفيس الغالي .

(٣) القود : يعني الخيل التي تقاد .

(٤) العيس : النوق ، والشدّ والايضاع : الحلّ والترحال .

(٥) العبان : الجسم الغليظ الخشن .

(٦) غاض وميضه : غاب واختفى بريقه ، والعضب السيف ، وفلّ مضائوه : تقطّع حدّه القاطع .

(٧) يطنّب : أي يقيم خيائه والطنب الأعمدة .

أبدأ ، وعن ذاك الحمى ضوضاؤه
يجلو جمال روائهن رواؤه
خفراؤه ، وجياده ندمائه
بين الصوارم والعجاج رداؤه^(١)
بيد المنون ، بل العجيب بقاؤه
فليسكن طريقهم أبناؤه

قد خفّ عن ذاك الرواق حضوره
كانت سوابقه طراز فنائه
ورماحه سفراؤه ، وسيوفه
ما زال يعدو والركاب حذائه
لا تعجبنّ فما العجيب فناؤه
من طاح في سبل الردى آبائه

ومن قصيدة رثى بها والدته [من الكامل] :

وأقول لو ذهب المقال بدائي^(٢)
لو كان في الصبر الجميل عزائي
آوي إلى أكرومتي وحيائي^(٣)
وسترتها متجملاً بردائي
بتلملي لقد آشتى أعدائي
ونسيت فيك تعززي وإبائي
أتمتها بتنفس الصّعاء
ملكته عليّ جلادتي وعنائي
مما ألمّ فكنت أنت فدائي
في قلب آمالي وعكس رجائي
صعبٌ فكيف تفرّق القرباء
يبلى الرشاء تطاوح الأرجاء^(٤)
أثرٌ لفضلك خالدٌ بإزائي

أبكىك لو نفع الغليل بكائي
وأعوذ بالصبر الجميل تعزياً
طوراً تكأثرني الدموع ، وتارةً
كم عبرة موّتها بأناملي
أبدى التجلّد للعدو ، ولودري
فارقيت فيك تمسّكي وتجملي
كم زفرة ضعفت فصارت أنثى
لهفان أنزو في حبال كربةٍ
قد كنت أرجو أن أكون لك الفدا
وجرى الزمان على عوائد كيده
وتفرّق البعداء بعد مودّةٍ
وتداول الأيام ييلينا ، كما
كيف السلو وكلّ موقع لحظةٍ

(١) العجاج : الغبار .

(٢) نفع الغليل : رواه .

(٣) الأكرومة : الفعل الكريم .

(٤) الرشاء : الحبل .

وقال [من الكامل] :

قلّ للليالي قد ملكت فأسجحي ولغيرك الخلق الكريم الأسجح^(١)
إنّ ساء فعلك في فراق أحبّتي فلسوء فعلك في عذارى أقبح
ضوءٌ تشعشع في سواد ذؤابتي لا أستضيء به ولا أستصبح

ومنها :

والذلّ بين الأقربين مضاضةٌ والذلّ ما بين الأبعاد أروح^(٢)
وإذا رمتك من الرجال قوارصُ فسهام ذي القربى أشدّ وأجرح
لو لم يكن لي في القلوب مهابةٌ لم يطعن الأعداء فيّ ويقدحوا

وقال [من المتقارب] :

أنا ابن الأناجب من هاشمٍ إذا لم تكن نُجُبٌ من نجبٍ
ثلاثُ برودهم بالرماح وتلوى عمائمهم بالشهب^(٣)
عتاق الوجوه ، وعتق الجيا د في الضمر تعرفه والقبب^(٤)
يشفّ الوضاء خلال الشحو ب منها وخلف الدخان اللهبُ

وقال [من السريع] :

السراح والراحة ذلّ الفتى والعزّ في شرب ضريب اللقاح^(٥)
ما أطيب الأمر ولو أنّه على رزايا نعم في المراح

(١) اسجحي : يسّري وسهلي ، والخلق الأسجح : اللّين السهل .

(٢) المضاضة : الألم والمصيبة .

(٣) ثلاث : تلتطّخ وتصاب .

(٤) عتاق الوجوه : كرامها ، والقبب : خمر البطن ودقة الخصر .

(٥) الضريب : اللبن الذي يحلب بعضه فوق بعض .

وقال وأجاد [من الرجز] :

ستعلمون ما يكون مني إن مدّ من ضبعي طول سني^(١)
أدع الدنيا ولم تدعني وسعت أيامي ولم تسعني
* أفضل عنها وتضيق عني *

وقال من أخرى [من الوافر] :

تجاذبني يد الأيام نفسي نهضت وقد قعدن بي الليالي
وما ذنبي إذا اتفقت خطوب^(٢) وبعض العدم مأثرة وفخر^(٣)
فلا خيل^(٤) أعز ولا ركاب مغاضبة^(٥) وأيام^(٦) غضاب^(٧)
وبعض المال منقصة^(٨) وعاب^(٩) ربي أرض^(١٠) ورجلي والركاب^(١١)
سواء من أقل^(١٢) التراب منّا ومن وارى معالمه التراب
كأنه من قول ابن نباتة [من الوافر] :

* ومن لبس التراب كمن علاه *

رجع :

وإنّ مزايل العيش اختصاراً مساوٍ للذين بقوا فشابوا^(١)
وأوكنّا العناء إذا طلّعنا إلى الدنيا، وآخرنا الذهاب
وإنّ مقام مثلي في الأعادي مقام البدر تنبّحه الكلاب
رموني بالعيوب ملفقات^(٢) وقد علموا بأنّي لا أعاب

(١) الضبع : ما بين الإبط ، إلى نصف العضد .

(٢) العدم : الفقر ، والعب : من العيب .

(٣) نبت : جفت ولم توافق .

(٤) مزايل : مفارق .

وَأَنِّي لَا تَرَوُّعَنِي السَّبَابُ
كَسُونِي مِنْ عِيُوبِهِمْ وَعَابُوا

وقال [من الطويل] :

إِذَا قَامَتِ الْحَرْبُ الْعَوَانُ عَلَى رَجُلٍ^(١)
وَلَكِنْ رَأَيْتَ الْجَيْنَ ضَرْباً مِنَ الْبُخْلِ
بِأَشْجَعِ مَمَّنْ يَكْرَهُ الْمَالَ بِالْبَذْلِ

سَابِذِلْ دُونَ الْعِزِّ أَكْرَمَ مَهْجَةٍ
وَمَا ذَاكَ أَنَّ النَّفْسَ غَيْرَ نَفِيسَةٍ
وَمَا الْمَكْرَهُونَ السَّمْهَرِيَّةَ فِي الطَّلَى

وقال في ذم بعض الناس [من البسيط] :

وَلَوْ تَنَاهَيْتَ لِي فِي الْبِرِّ وَاللِّطْفِ
مِنْ الْحَقُودِ وَعِنَوَانُ^(٢) مِنَ السَّرْفِ

اللَّهُ يَعْلَمُ مِثْلِي عَنْ جَنَابِكُمْ
فَكَيْفَ بِي وَعَلَى عَيْنِكَ تَرْجَمَةٌ

أَخْذَهُ مِنْ قَوْلِ الْبَحْتَرِيِّ [من الوافر] :

تَدُلُّ عَلَى الضَّغَائِنِ وَالْحَقُودِ

وَفِي عَيْنِكَ تَرْجَمَةٌ أَرَاهَا

رجع :

إِلَى الْمَنَاجِي وَعِطْفٍ غَيْرِ مَنَعُطٍ
وَلَا أَزُورُكَ مِنْ وَجْدٍ وَلَا شَغَفٍ^(٣)
كَيْدِ الْبَغَالِ وَحَقْدِ الْخُلْدِ وَالسَّرْفِ
إِلَّا بِأَغْبَرِ نَارِيٍّ الذَّرَى قَصَفَ

أَطُوفُ مِنْكَ بِوَجْهِ غَيْرِ مَلْتَفٍ
فَمَا أَغْبُوكَ مِنْ عَذْرِ وَلَا شَغْلٍ
لَا قَدَسَ اللَّهُ نَفْساً مِنْكَ جَامِعَةً
وَلَا سَقَى الْغَيْثُ دَاراً أَنْتَ سَاكِنُهَا

وقال [من المنسرح] :

بَالٍ فَمَنْ عَاذَرِي مِنَ الطَّلَلِ

زَلَلْتُ مِنْ مَوْقِفِي عَلَى طَلَلٍ

(١) العوان : الشديدة .

(٢) الغب : الزيارة فترة بعد فترة .

لَمَّا تَأَمَّلْتَ قُبْحَ صُورَتِهِ رَجَعْتَ أَبْكَى دُمَاً عَلَى أَمْلِي
وَجْهَهُ كَظْهَرِ الْمَجْنُونِ مُسْتَرْقِ الْحَسَنِ وَأَنْفُ كِفَارِبِ الْجَمَلِ^(١)

وَقَالَ فِي الْخُلَيْفَةِ الْقَادِرِ بِاللَّهِ [مِنْ الْوَافِرِ] :

تَخَطَيْنَا الصَّفُوفَ إِلَى رَوَاقٍ تَحَجَّبُ بِالصَّوَارِمِ وَالرَّمَاكِ
وَحِينًا عَظِيمًا مِنْ قَرِيشٍ كَأَنَّ جَبِينَهُ فَلَقَ الصَّبَاحَ
عَلَيْهِ سَيْمَاءُ الْمَجْدِ يَبْدُو وَعَنْوَانُ الشَّجَاعَةِ وَالسَّمَاكِ^(٢)

وَقَالَ فِي أَبِي الْحَسَنِ النَّصِيحِ ، وَقَدْ لَامَهُ فِي تَأَخُّرِهِ عَنْهُ [مِنْ مَجْزُوءِ الْوَافِرِ] :

أَكَا فِينَا النَّصِيحُ بَقِيَّتْ فِينَا دَائِمًا أَبَدًا
تَحْتُ إِلَى الْعَلَا قَدَمًا وَتَبَسُّطُ بِالنَّوَالِ يَدَا
لِئِنْ حَرَقْتَنِي عَذْلًا لَقَدْ نَوَّهْتَ بِي صَعْدَا
عَلِيَّ طُرُوقَ دَارِكُمْ وَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَرْدَا^(٣)

أَخَذَهُ مِنْ قَوْلِ مَنْصُورٍ :

عَلِيَّ أَنْ أَزُورَكُمُ وَلَيْسَ عَلَيَّ أَنْ أَصْلَا

وَقَالَ [مِنَ الْمُتَقَارِبِ] :

أَبِيعَكَ بَيْعَ الْأَدِيمِ النَّغْلِ وَأَطْوِي وَدَادَكَ طِيَّ السَّجَلِ^(٤)
وَأَنْفَضَ ثَقْلَكَ عَنْ عَاتِقِي فَقَدْ طَالَمَا آذَيْتَنِي يَا جَبِلُ
قَوَارِصَ لَفْظٍ كَحَزِّ الْمَدَى وَشِزْرَاتٍ لِحِظِّ كَوَقْعِ الْأَسْلِ^(٥)

(١) المَجْنُونُ : الدُّرْعُ ، وَالْغَارِبُ : السَّيِّئُ فِي الْجَمَلِ لِأَنَّهُ أَعْلَاهُ .

(٢) سَيْمَاءُ : آثَارُ وَعَلَامَاتُ .

(٣) أَرْدَ : مِنَ الْوَرْدِ وَهُوَ الشَّرَابُ وَيَعْنِي الْحَصُولَ عَلَى الصَّلَةِ .

(٤) نَغْلُ الْأَدِيمِ : أَيُّ فُسْدٍ فِي دَبْغِهِ .

(٥) شِزْرَاتٌ لِحِظٍ : أَيُّ نَظَرَاتٍ مَغْضَبَةٍ ، وَالْأَسْلُ : الرَّمَاكِ .

وإنَّ أذلَّ الأذلين من يروم بوضع النساء الدول^(١)
وقال [من مجزوء الكامل] :

يا ليلة كرم الزمان بها لو أن الليل باقى
كان اتفاقاً بيننا جارٍ على غير اتفاق
فاستروح المشتاق من زفريات همٍّ واشتياق
واقتصر للحقبة المواضي بل تسلف للبواقي
حتى إذا نسمت رباح الصبح تؤذن بالفراق
برد السوار لها فأحسيت القلادة بالعناق

وله في وزير بذل مالا كثيراً حتى يقلد الوزارة فاستصوب رأيه في ذلك [من مجزوء
الرملى] :

اشترى العزَّ بما بيع فما العزُّ بغال
بالقصار الصفر إن شئت وبالسَّمر الطوال
ليس بالمغبون حظاً مشتري عزّاً بمال
إنما يدخر المال لحاجات الرجال
والفتى من جعل الأموال أثمان المعالي

وقال [من السريع] :

يا عذبة المبسم بلّى الجوى بنهلة من ريقك البارد^(٢)
أرى غديراً شبماً ماؤه باءٍ فهل للماء من وارد^(٣)
من لي بذاك العسل الذائب السَّجاري خلال البرد الجامد

(١) بضع النساء : فروجهن .

(٢) الجوى : شدة الوجد والاحتراق من العشق .

(٣) الشبم : البارد .

وقال [من الطويل] :

وسالمتُ لما طالت الحرب بيننا . إذا لم تظفرُ في الحروب فسالم

وقال [من الطويل] :

لنا الدوحة العليا التي نزعَتْ لها إذا كان في جوِّ السماء عروقتها
إلى المجد أغصان الجدود الأطايب فأين عواليها وأين الذوائب؟

وله في غلام أعجمي [من الطويل] :

حبيبي ما أزرى بحبِّك في الحشا بنفسي من يستدرج اللفظ عجمةً
ولا غضّ عندي منك أتك أعجمُ كما يمضغ الطبي الأراك ويغم^(١)

وقال [من البسيط] :

كم المقام على جيلٍ سواسية تشاغل الناس باستدفاع شرهمُ
ترجو الندى من إناءٍ قطعاً رشحا عن أن تسومهمُ الإعطاء والمنحاح

وقال [من الكامل] :

واهأ على عهد الشباب وطيبه واهأ له ما كان غير دجئةٍ
والغضّ من ورق الشباب الناضِر قلصت صابتها كظل الطائر^(٢)
وأرى المنايا إن رأت بك شيةً جعلتك مرمى نبلها المتواتر
لو يفتدي ذاك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري
أبياض رأسٍ واسوداد مطالبٍ؟ صبراً على حكم الزمان الجائر!

وكان عمل قصيدة في بهاء الدولة وأنفذها إليه ، فنسبه بعض الحساد إلى

الترفع عن إنشادها ، فقال [من الطويل] :

(١) بغمت الظبية : صاحت إلى ولدها بأرحم ما يكون من صوتها ، تعطف عليه .

(٢) دجئة : الظلمة ، أو الغيم الكثير المظلم .

جناني شجاعٌ إن مدحت ، وإنما لسانِي إن نسيم النشيد جبانٌ
وما ضرَّ قوَّلاً أطياع جنانه إذا خانه عند الملوك لسان
وربَّ حييٍّ في السَّلام وقلبه وقاحٌ إذا لفَّ الجياد طعانٌ^(١)
وربَّ وقاح الوجه تحمل كفَّه أنامل لم يعرق بهنَّ عنان
وفخر الفتى بالقول لا بنشيدهِ ويروي فلانٌ مرَّةً وفلان

وورد عليه أمر أشغل قلبه فقال [من السريع] :

إن أنشب الخطب فلا روعةً أو عظم الأمر فصبرٌ جميل
فليهن المرء بأيامه أنَّ مقام المرء فيها قليل
إنَّا إلى الله وإنَّا له وحسبنا الله ونعم الوكيل

بعونه تعالى قد تم طبع القسم الثاني من يتيمة الدهر ، حسب تقسيم المؤلف
رحمه الله تعالى ، ويتلوه - إن شاء الله تعالى - القسم الثالث ، ويشتمل على ملح
أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان .

نسأل الذي بيده الحول والطول أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

(١) الوقاح : الصلب والجريء .

القسم الثالث

من يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر
وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد الله على آلائه ، وأسأله شكر نعمائه ، وأصلي على محمد المصطفى المختار ، وآله وصحبه الأطهار .

وبعد ، فلما تم القسم الثاني من يتيمة الدهر أتبعته بالقسم الثالث منها ، وهو يشتمل على ملح أشعار أهل الجبال وفارس وجرجان وطبرستان من وزراء الدولة الدبلوماسية وكتابها وقضاتها وشعرائها ، وسائر فضلائها وغربائها ، وما يضاف إليها من أخبارهم ، وغرر ألفاظهم .

الباب الأول

١٤ - في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره وغرره
من نثره ونظمه

هو أبو الفضل محمد بن الحسين ، عين المشرق ولسان الجبل وعماد ملك
آل بويه وصدر وزرائهم وأوجد العصر في الكتابة ، وجميع أدوات الرياسة ، وآلات
الوزارة ، والضارب في الآداب بالسهام الفائزة ، والآخذ من العلوم بالأطراف
القوية ، يدعى الجاحظ الأخير ، والأستاذ ، والرئيس ، يضرب به المثل في
البلاغة ، وينتهي إليه في الإشارة بالفصاحة والبراعة ، مع حسن الترسل وجزالة
الألفاظ وسلاستها ، إلى براعة المعاني ونفاستها . وما أحسن وأصدق ما قال له
الصاحب - وقد سأله عن بغداد عند منصرفه عنها - بغداد في البلاد ، كالأستاذ في
العباد . وكان يقال : بدئت الكتابة بعبد الحميد ، وختمت بابن العميد . وقد
أجرى ذكرهما معاً مثلاً أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن الأصبهاني في قصيدة
فريدة مدح بها الصاحب ، فلما انتهى إلى وصف بلاغته قال وأحسن ما شاء [من
البيسط] :

| | |
|------------------------------|-------------------------------|
| دعوا الأقاصيص والأنباء ناحية | فما على ظهرها غير ابن عبّاد |
| والي بيان متى يطلق أعتته | يدعُ لسان إيادٍ رهن أقياد |
| ومورد كلمات عطّلت زهراً | على رياضٍ ودرّاً فوق أجياد |
| وتاركٌ أولاً عبد الحميد بها | وابن العميد أخيراً في أبي جاد |

ولم يرث ابن العميد الكتابة عن كلاله ، بل كان كما قال ذو الرمة في وصف صياد حاذق [من البسيط] :

ألفى أباه بذاك الكسب يكتسب

لأن أباه أبا عبد الله الحسين بن محمد المعروف بكَلَّة^(١) في الرتبة الكبرى من الكتابة ورسائله مدونة بخراسان .

وذكر أبو إسحاق الصابي في الكتاب التاجي أن رسائل أبي عبد الله لا تقصر في البلاغة عن رسائل ابنه أبي الفضل ، وعندي أن هذا الحكم من أبي إسحاق فيه حيفٌ شديد على ابن العميد ، والقاص لا يحب القاص .

ومن خبر أبي عبد الله أن أصله من قم ، وكان يكتب لما كان بن كاكي ، فلما قتل ما كان في المعركة واستبيح عسكره ، وحمل قواده وخواصه مقرنين في الأصفاذ إلى الحضرة ببخارى ، وفي جملتهم أبو عبد الله نفعت شفاعته فضله ونبله . فأطلق عنه وأكرم ورتب في الدار السلطانية . ولما تقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر . ولقب الشيخ كالعادة فيمن يلي ذلك الديوان حسده أبو جعفر محمد بن العباس بن الحسين الوزير ، فقال فيه [من الطويل] :

تظلم ديوان الرسائل كلّه إلى الملك القرم الهمام وحقّ له من أبيات أنسانيها تطاول المدة بها ، واستعجم عليّ مكانها ، وكان إذ ذاك أبو القاسم علي بن محمد النيسابوري الإسكافي يكتب في ديوانه ، ويرى نفسه أحق برتبته ومكانه ، ويتمنى زوال أمره ليقوم مقامه ، ويقعد مقعده . وله فيه أبيات تستظرف وتستملح ، فمنها قوله [من مجزوء الرجز] :

وقائل ماذا الذي من كلّة تطلبه

(١) الكَلَّة : الصوفة الحمراء في رأس الهودج وهي كنية تدل على شهرته .

قلت له أطلب أنْ يقلب منه لقبه

وقوله فيه ، وكان يحضر الديوان في محفة لسوء أثر النقرس^(١) على قدمه [من مجزوء الكامل] :

يا ذا الذي ركب المحفة جامعاً فيها جهازه
أترى الإله يعيشني حتى يرينها جنازة

وقوله فيه ، وقد استوزر والديوان برسمه [من الطويل] :

أقول وقد سرنا وراء محفة وفيها أبو عبد الإله كسيرا
شقاؤك من شكواك ثم شقاؤنا من أيام سوء قدمك وزيرا
ترقيك من هذي المحفة حية إلى النعش محمولاً تصر صريرا^(٢)

ولم تطل الأيام حتى أتت على أبي عبد الله منيته ، ووافت أبا القاسم أمنيته ، وتولى ديوان الرسائل فسبق من قبله وأتعب من بعده ، ولم يزل أبو الفضل في حياة أبيه وبعد وفاته بالري وكور الجبل وفارس . يتدرج إلى المعالي ويزداد على الأيام فضلاً وبراعة ، حتى بلغ ما بلغ ، واستقر في الذورة العليا من وزارة ركن الدولة ، ورياسة الجبل ، وخدمه الكبراء ، وانتجعه الشعراء ، وورد عليه أبو الطيب المتنبى عند صدوره من حضرة كافور الإخشيدي ، فمدحه بتلك القصائد المشهورة السائرة التي منها [من الكامل] :

من مبلغ الأعراب أنني بعدهم شاهدت رسطاليس والإسكندرا
وسمعت بطليموس دارس كتبه متملكاً متبدياً متحضراً
ولقيت كل الفاضلين كأنما ردّ الإله نفوسهم والأعصرا
نسقوا لنا نسق الحساب مقدماً وأتى فذلك إذ أتيت مؤخرًا

(١) النقرس : مرض يصيب المفاصل ويترك فيه آثاراً وتقلصات .

(٢) ترقيك : تلدغك ، تصر : تصوت .

بأبي وأمي ناطقٌ في لفظه ثمنٌ تباع به القلوب وتشتري
قطف الرجال القول وقت نباته وقطفت أنت القول لما نوراً

ومدحه صاحب بمدح كثيرة استفرغ فيها جهده ، وألقى حميته ، فمن
عيون شعره فيه قوله من قصيدة [من الخفيف] :

من لقلبٍ يهيم في كلِّ وادٍ وقتيلٌ للحبِّ من غير وادٍ
إنما أذكر الغواني والمقصد سعدي مكثراً للسَّواد
وإذا ما صدقت فهي مرامي ومناثي وروضتي ومرادي
وندى ابن العميد إنني عميدٌ من هواها أليّة الأمجاد^(١)
لو درى الدهر أنّه من بنيه لازدري قدر سائر الأولاد
أو رأى الناس كيف يهتزّ للجو د لما عدّوه في الأطواد^(٢)
أيها الأملون حطّوا سريعاً برفيع العماد واري الزناد
فهو إن جاد ضنّ حاتم طيٍّ وهو إن قال قلّ قسٌ إياد
وإذا ما ارتأى فأين زيادٌ من علاه وأين آل زياد
أقبل العيد يستعير حلاه من علاه العزيزة الأنداد
سيضحّي فيه لمن لا يواليه ويبقى بقيّة الأعياد
ومديحي إن لم يكن طال أيبا تأ فقد طال في مجالي الجياد
إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كلِّ ناد

ما أحسن ما أدمج الافتخار في أثناء المدح ! وإنما ألم فيه بقول يزيد بن
محمد المهلب لابن المدبر [من الخفيف] :

إن أكن مهدياً لك الشعر إنني لابن بيت تهدي له الأشعار

(١) الأليّة : القسّم .

(٢) الأطواد : جمع طود وهو الجبل الثابت .

ومن مختار شعر الصاحب قوله فيه وقد قدم إصبهان [من الكامل] :

قدم الرئيس مقدماً في سبقه وكأنما الدنيا جرت في طرقه
فجبالها من حلمه ، وبحارها من جوده ، ورياضها من خلقه
وكانما الأفلاك طوع يمينه كالعبد منقاداً لمالك رقه
قد قاسمته نجومها : فنحوسها لعدوه ، وسعودها في أفقه
ما زلت مشتاقاً لنور جبينه شوق الرياض إلى السحاب وودقه^(١)
حتى بدا من فوق أجرد سابحٍ إن قال فتُ الريح فاه بصدقه
يحكي السحاب طلوعه فصهيله من رعده ومسيره من برقه
فنظمت مدحاً لا وفاء بمثله وسجدت شكراً لا نهوض بحقه

وقوله [من مجزوء الكامل] :

قالوا : ربيعك قد قدم فلك البشارة بالنعيم
قلت : الربيع أخو الشتاء ء أم الربيع أخو الكرم ؟
قالوا : الذي بنواله يغني المقل عن العدم
قلت : الرئيس ابن العمى مد إذا ؟ فقالوا لي : نعم !

وقوله [من المنسرح] :

أما ترى اليوم كيف جادلنا بمستهلّ الشؤبوب منسجمه^(٢)
يحكي أبا الفضل في تفضله هيهات أن يعتزى إلى شيمه^(٣)
كم حاسدٍ لي وكنت أحسده يقول من غيظه ومن ألمه :
نال ابن عباد المنى كمالاً إذ عدّه ابن العميد من خدمه

(١) الودق : المطر المنهمر بهدوء .

(٢) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، أو شدتها .

(٣) الشيم : الصفات الحميدة ، والسجيا .

وقوله في توديعه [من المتقارب] :

| | |
|---------------------------|-------------------------------------|
| أودّع حضرتك العالية | ونفسي لا دمعتي هاميه |
| ومن ذا يودّع هذا الجنب | فتهنؤه بعده العافيه |
| جنباً رعيت به جنة | قطوف مكارمها دانيه ^(١) |
| رأيت به فائضات العلا | وعلمت ما للهمم العاليه |
| كأنني بغداد في شوقها | إليك وأدمعها الجاريه |
| وأنت المرجى لإظفارها | بآمالها وبآماليه |
| ولو كنت تأذن لي في المسير | إذا سرت في جملة الحاشيه |
| سبقت جوادك مدّ الطريق | وسرت وفي يدي الغاشيه ^(٢) |

ولابن خلاد القاضي فيه مدح تشوبها ملح ، كقوله [من الوافر] :

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| بأسعد طالع عيّدت يا من | بطلعته سعادة كلّ عيد |
| فعشّ ما شئت كيف تشاء والبسّ | جديد العمر في زمنٍ جديد |
| فقد شهدت عقول الخلق طراً | وحسبك بالبصائر من شهود |
| بأنّ محاسن الدنيا جميعاً | بأفنية الرئيس ابن العميد |

ولأبي الحسن البديهي فيه من قصيدة [من المتقارب] :

| | |
|----------------------------|-----------------------------|
| إذا اعتمدتني خطوب الزمان | وكان اعتمادي على ابن العميد |
| تذكرت قربي من قلبه | فيمّمته من مكانٍ بعيد |
| تجاوز في الجود حدّ المزيّد | وجلّ نداءه عن المستزيد |
| وفات الأنام ، وفاق الكرام | برأيٍ سديدٍ ، وبأسٍ شديد |

ومما يستبدع فيه ويستحسن معناه قول أبي علي [بن] مسكويه له عند

(١) دانيه : أي مذلة سهلة الجناء .

(٢) الغاشية : سورة من القرآن الكريم ، والغاشية الغطاء ، وغلاف القلب .

انتقاله إلى قصر جديد بناه [من البسيط] :

لا يعجبنيك حسن القصر تنزله فضيلة الشمس ليست في منازلها
لو زيدت الشمس في أبراجها مائة ما زاد ذلك شيئاً في فضائلها
وأنشده ابن أبي الشباب^(١) في يوم مهرجان قصيدة في مدحه أولها [من الطويل] :
أقبر لنا طلت ثراك يد الطلّ وحيّا الحيا المسكوب ذلك من ثلّ^(٢)

فتطير من الافتتاح بذكر القبر ، وتنغصّ باليوم والشعر ، وفي هذه القصيدة :
نعيمٌ فقدناه فما نرتجي له معاودةً إلاّ بفضل أبي الفضل
ودخل أبو بشر الفارسي الحافظ - وكان متقدماً في علم العربية ، متأخراً في
قول الشعر - عليه يوماً ، وقد هاج به النقرس فأنشده [من الهزج] :

شكى النقرس نقريسٌ أخو علمٍ ونطيس
فما دام لكم قوسٌ فنفسي لكم جوس^(٣)

فقال له : يا أبا بشر ، هذه رقية النقرس .

ولا غنى لهذا الشعر عن التفسير ، النقريس : الداهية ، والحاذق من
الادلاء ، والنطيس : الفطن بالأمر العالم بها ، وأنشد [من الرجز] :

وقد أكون مرةً نطيساً طبّاً بأدواء النساء نقريسا

والقوس : صومعة الراهب ، والجوس : جمع جايس ، والجوسان : التردد ،
وفي القرآن (فجاسوا خلال الديار) .

(١) في نسخة « ب » « ابن أبي الشياب » .

(٢) ورد صدر هذا البيت هكذا « أقبورنا طلت ثراك يد الطلّ » وهو غير مستقيم الوزن ، والتل : الغيم المتصّبب .

(٣) الجوس : الجوع أو شدة النظر وتتابعه .

ومن أمثل شعر أبي بشر قوله [من المتقارب] :

وأُنِّيَ لا أكره من شيمتي زيارة حيُّ بلا منفعه
ولا أحمد القول من قائلٍ إذا لم يكن منه فعلٌ معه
ومن ضاق ذرعاً بإكرامنا فلسنا نضيّق بأنْ نقطعه

وكان كل من أبي العلاء السروي ، وأبي الحسن العلوي العباسي ، وابن خلاد القاضي ، وابن سمكة القمي ، وأبي الحسين بن فارس ، وأبي محمد بن هندو، يختص به ويدخله ويناديه حاضراً ، ويكاتبه ويجاويه ويهاديه نثراً ونظماً ، ويقال : إن أحسن رسائله الإخوانيات وما كاتب به أبا العلاء ، لصدوره عن صدر مائل إليه محب له مناسب بالأدب إياه .

* * *

فصل من رسالة له إليه في شهر رمضان وهو مما لم يسبق إليه

كتابي - جعلني الله فداك - وأنا في كدٍّ وتعب ، منذ فارقت شعبان وفي جهد ونصب من شهر رمضان ، وفي العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر من ألم الجوع ووقع الصوم . ومرتهن بتضاعف حرور^(١) لو أن اللحم يصلى ببعضها غريضاً^(٢) أتى أصحابه وهو منضج ، وممتحن بهواجر يكاد أوارها يذيب دماغ الضبّ ويصرف وجه الحرباء عن التحنُّق ، ويزويه عن التبصر ، يقبض يده عن إمساك ساق وإرسال ساق [من البسيط] :

ويترك الجاب في شغلٍ عن الحقب ويقدح النار بين الجلد والعصب^(٣)

(١) الحرور : شدة اللهب .

(٢) الغريض : الطازج .

(٣) الجاب : حمار الوحش .

ويغادر الوحش وقد مالت هواديها [من الطويل] :

سجوداً لدى الأرضى كأنّ رؤوسها علاها صداعٌ أو فواقٌ يصورها^(١)

وكما قال الفرزدق [من الطويل] :

ليومٍ أتت دون الظلال شموسه تظلُّ المها صوراً جماجمها تغلي

وكما قال مسكين الدارمي [من الطويل] :

وهاجرة ظلت كأنّ طباءها إذا ما اتقتها بالقرون سجودٌ
تلوذ بشؤبوبٍ من الشمس فوقها كما لاذ من وخز السنّان طريد

وممنوً بأيام تحاكي ظل الرمح طولاً ، وليال كإيهام القطاة قصراً ، ونوم كلا
ولا قلة ، وكسحو الطائر من ماء الثماد دقة^(٢) ، وكتصفية الطائر المستحرّ خفة [من
الطويل] :

كما أبرقت قوماً عطاشاً غمامةً فلما رجوها أقشعت وتجلّت
وكنقر العصافير وهي خائفةً من النواطير يانع الرطب^(٣)

وأحمد الله على كل حال ، وأسجله أن يعرفني فضل بركته ، ويلقيني الخير
في باقي أيامه وخاتمته ، وأرغب إليه في أن يقرب على القمر دوره ، ويقصر سيره ،
ويخفف حركته ، ويعجل نهضته . وينقض مسافة فلكه ودائرته ، ويزيل بركة
الطول من ساعاته ، ويرد عليّ غرة شوال فهي أسر الغرر عندي وأقرّها لعيني ،

(١) الأرضى : شجر له ثمر كالعناب ، والفواق : الميل والانكسار في الفوق ، وهو موقع الوتر من رأس
السهم ، ويصورها : يلويها .

(٢) الثماد : الماء القليل .

(٣) البيت من المنسرح ، والكاف ليست منه ، وإنما اجتلبها للتشبيه .

ويسمعني النعرة^(١) في قفا شهر رمضان ويعرض على هلاله أخفى من السر ، وأظلم من الكفر ، وأنحف من مجنون بني عامر ، وأضنى من قيس بن ذريح ، وأبلى من أسير الهجر ، ويسلط عليه الحور بعد الكور^(٢) ، ويرسل على رقاقتي التي يغشى العيون ضوءها . ويحطم من الأجسام نوءها^(٣) ، كلفا يغمرها ، وكسوفاً يسترها ، ويرينيه مغمور النور ، مقمور الظهور ، قد جمعه والشمس برج واحد ودرجة مشتركة . وينقص من أطرافه كما تنقص النيرات من طرف الزند ، ويبعث عليه الأربعة ، ويهدي إليه السوس ، ويغري به الدود ، ويبلية بالفار ويخترمه بالجراد ، ويبيده بالنمل ، ويجتحمه بالذر ، ويجعله من نجوم الرجم . ويرمي به مسترق السمع . ويخلصنا من معاودته ، ويريحنا من دورته ، ويعذبه كما عذب عباده وخلقه ، ويفعل به فعله بالكتان ويصنع به صنعه بالألوان ، ويقابله بما تقتضيه دعوة السارق إذا اقتضح بضوئه وتهتك بطلوعه (ويرحم الله عبداً قال آمينا)^(٤) وأستغفر الله جل وجهه بما قلته إن كرهه ، وأستغفیه من توفيقی لما يذمه ، وأسأله صفحاً يفيضه ، وعفواً يسيغه ، وحالي بعد ما شكوته صالحة ، وعلى ما تحب وتهوى جارية ، والله الحمد تقدست أسماؤه والشكر .

وقد أجمع أهل البصيرة في الترسل على أن رسالته التي كتبها إلى ابن بلكا ونداد خورشيد عند استعصائه على ركن الدولة غرة كلامه ، وواسطة عقده وما ظنك بأجود كلام ، لأبلغ إمام ؟

* * *

(١) النعرة : الأمر الذي يهيم به .

(٢) الكور : موضع الزناير ، وهي من الذباب الأليم اللسع .

(٣) النوء : الاضطراب والشدة .

(٤) هذا عجز بيت من البسيط ينسب لمجنون ليلي وصدره « يارب لا تسلبني حبها أبدا » .

فصل من أولها

كتابي وأنا مترجّح بين طمع فيك ، ويأس منك ، وإقبال عليك ، وإعراض عنك ، فإنّك تدلّ بسابق حرمة ، وتمتّ بسالف خدمة ، أيسرهما يوجب رعاية ، ويقتضي محافظة وعناية ، ثم تشفعهما بحادث غلول وخيانة^(١) ، وتبعمهما بأنف خلاف ومعصية . وأدنى ذلك يحبط أعمالك ، ويمحق كل ما يرمى لك ، لا جرم أني وقفت بين ميل إليك ، وميل عليك : أقدم رجلاً لصدمك . وأؤخر أخرى عن قصدك ، وأبسطيداً لاصطلامك واجتياحك^(٢) ، وأثني ثانية لاستبقائك واستصلاحك ، وأتوقف عن امثال بعض المأمور فيك ، ضناً بالنعمة عندك ، ومنافسة في الصنعة لديك ، وتأميلاً لفيتتك وانصرافك ، ورجاء لمراجعتك وانعطافك ، فقد يغرب العقل ثم يؤوب ، ويعزب اللب ثم يثوب ، ويذهب الحزم ثم يعود ، ويفسد العزم ثم يصلح ، ويضاع الرأي ثم يستدرك ، ويسكر المرء ثم يصحو ، ويكدر الماء ثم يصفو ، وكل ضيقة إلى رخاء ، وكل غمرة فإلى انجلاء^(٣) . وكما أنك أتيت من إساءتك بما لم تحتسبه أوليائك ، فلا بدع أن تأتي من إحسانك . بما لا ترتقبه أعداؤك ، وكما استمرت بك الغفلة حتى ركبت ما ركبت ، واخترت ما اخترت . فلا عجب أن تنتبه انتباهة تبصر فيها قبح ما صنعت ، وسوء ما آثرت . وسأقيم على رسمي في الإبقاء والمماطلة ما صلح ، وعلى الاستيناء والمطاوله ما أمكن^(٤) ، طمعاً في إنابتك^(٥) ، وتحكماً لحسن الظن بك ، فلست أعدم فيما أظاھرہ من أعذار ، وأرادفه من إنذار ، احتجاجاً عليك

(١) الغلول : الحقد والغش .

(٢) الاصطلام : الاقتطاع من الأصل .

(٣) يعزب : يبعد ويغيب .

(٤) الغمرة : الشدة .

(٥) الاستيناء : التمهّل .

(٦) الإنابة : العودة والتوبة .

واستدرجاً لك ، فإن يشأ الله يرشدك ، ويأخذ بك إلى حظك ويسدّدك ، فإنه على كل شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

* * *

فصل منها

وزعمت أنك في طرف من الطاعة ، بعد أن كنت متوسطها ، وإذا كنت كذلك فقد عرفت حالها ، وحلبت شطريها . فنشدتك الله لما صدقت عما سألتك . كيف وجدت ما زلت عنه ؟ وكيف تجده ما صرت إليه ؟ ألم تكن من الأول في ظلّ ظليل ، ونسيم عليل ، وريح بليل ، وهواء عذى^(١) وماء روي ، ومهاد وطني ، وكنّ كنين^(٢) ، ومكان مكين ، وحصن حصين . يقيك المتالف^(٣) ، ويؤمنك المخاوف . ويكنفك من نوائب الزمان ، ويحفظك من طوارق الحدّثان ، عززت به بعد الذلة ، وكثرت بعد القلة ، وارتفعت بعد الضعة ، وأيسرت بعد العسرة ، وأثريت بعد المتربة^(٤) ، واتسعت بعد الضيقة ، وظفرت بالولايات ، وخفقت فوقك الرايات ، ووطىء عقبك الرجال ، وتعلّقت بك الآمال ، وصرت تكاثر ويكاثر بك ، وتشير ويشار إليك ، ويذكر على المنابر اسمك ، وفي المحاضر ذكرك . فقيم الآن أنت من الأمر ؟ وما العوض عما عدت ، والخلف مما وصفت ؟ وما استفدت حين أخرجت من الطاعة نفسك ، ونفضت منها كفّك ، وغمست في خلافتها يدك ؟ وما الذي أظلك بعد انحسار ظلّها عنك ؟ أظلّ ذو ثلاث شعب ، لا ظليل ولا يغني من اللهب ؟ قل نعم ! كذلك ،

(١) العذى : الهواء الخالص .

(٢) الكنّ : الحصن والستر .

(٣) المتالف : الأذى والضّرر .

(٤) المتربة : الفقر .

فهو والله أكثف ظلالك في العاجلة ، وأروحها في الآجلة ، إن أقمت على المحايدة والعنود^(١) ، ووقفت على المشاقة والجحود .

ومنها - تأمل حالك وقد بلغت هذا الفصل من كتابي ، فستنكرها ، والمس جسدك ، وانظر هل يحس ؟ واجسس عرقك هل ينبض ؟ وفتش ما حنا عليك هل تجد في عرضها قلبك ؟ وهل حلى بصدرك أن تظفر بفوت سريح ، أو موت مريح ؟ ثم قس غائب أمرك بشاهده ، وآخر شأنك بأوله .

قال مؤلف هذا الكتاب :

بلغني عن بلكا - وكان أدب أمثاله - أنه كان يقول : والله ما كانت لي حال عند قراءة هذا الفصل إلا كما أشار إليه الأستاذ الرئيس ، ولقد ناب كتابه عن الكتاب في عرك أديمي واستصلاحي ، وردى إلى طاعة صاحبه .

أقرأني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي - وقد اجتمعنا بإسفرائين عند زعيمها أبي العباس ، الفضل بن علي - فصلاً من كتاب لابن العميد إلى عضد الدولة ، وكنت مررت عليه وأنا عنه غافل ، فنبهني على شرفه في جنسه ، وحرك مني ساكناً معجباً بحسنه متعجباً من نفاسة معناه ، وبراعة لفظه ، وهو : قد يعد أهل التحصيل في أسباب انقراض العلوم وانقباض مددها . وانتقاض مررها . والأحوال الداعية الى ارتفاع جل الموجود منها ، وعدم الزيادة فيها : الطوفان بالنار والماء ، والموتان العارض من عموم الأوباء ، وتسلب المخالفين في المذاهب والآراء ، فإن كل ذلك يخترم العلوم احتراماً . وينتهكها انتهاكاً ، ويجتث أصولها اجتثاثاً ، وليس عندي الخطب في جميع ذلك يقارب ما يولده تسلط ملك جاهل تطول مدته ، وتتسع قدرته . فإن البلاء به لا يعدله بلاء ، وبحسب عظم المحنة بمن هذه صفته ، والبلوى بمن هذه صورته ، تعظم النعمة

(١) العنود : الميل عن القصد .

في تملك سلطان عالم عادل ، كالأمير الجليل الذي أحله الله من الفضائل بملتقى طرقها ، ومجتمع فرقها ، وهي نور ، نوافر ممن لاقت حتى تصوير إليه ، وشرذ نوازع حيث حلت حتى تقع عليه . تتلفت إليه تلفت الواثق^(١) وتتشوف^(٢) نحوه تشوف الصب العاشق . قد ملكتها وحشة المضاع ، وحيرة المرتاع :

فإن تغش قوماً بعده أو تزورهم فكالوحش يدينها من الأنس المحل

* * *

وهذه فصول قصار له تجري مجرى الأمثال

وقد أخرجتها مما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي ، من غرره وفقره ، وكفاني شغلاً شاغلاً ، وقادني منه شكره ، وليست تنكر أياديه عندي .

فمنها : من أسر داءه ، وستر ظمأه بعد عليه أن يبل من غلله ويبل من علله^(٣)

* متى خلصت للدهر حال من اعتوار أذى^(٤) ، وصفا فيه شرب من اعتراض قذى *
خير القول ما أغناك جده ، وألهاك هزله * الرتب لا تبلغ إلا بتدرج وتدرج ، ولا تدرك إلا بتجشّم كلفة وتصعب^(٥) * المرء أشبه شيء بزمانه ، وصفة كل زمان منتسخة من سجايا سلطانه * قد يبذل المرء ماله في إصلاح أعدائه ، فكيف يذهل العاقل عن حفظ أوليائه * هل السيد إلا من تهابه إذا حضر ، وتغتابه إذا أدبر * اجتنب سلطان الهوى ، وشيطان الميل ، وغلبة الإرادة * المزح والهزل بابان إذا

(١) الواثق : المحب والعاشق .

(٢) تشوف : تترين وتتطلع .

(٣) يبل : يرتوي ، ويبل من علله : يشفى .

(٤) الاعتوار : التداول .

(٥) تجشّم : كابد وعانى .

فتحا لم يغلقا إلا بعد العسر ، وفحلان إذا ألقحا لم ينتجا غير الشر .

* * *

ما أخرج من المكاتبات بالشعر التي دارت بينه وبين ابن جلاّد القاضي

أهدى ابن خلاد إلى ابن العميد شيئاً من الأطعمة ، وكتب إليه في وصفها ،
وابن العميد إذ ذاك في عقب مرض عرض له ، فكتب إلى ابن خلاد قصيدة أولها
[من البسيط] :

| | |
|-----------------------------|---|
| قل لابن خلاد المفضى إلى أمد | في الفضل برز فيه أي تبريز |
| يعدى اهتزازك للعلواء كل فتى | مؤخر عن مدى الغايات محجوز |
| ماذا أردت إلى منهوض نائبة | مدفع عن حمى اللذات ملهوز ^(١) |
| هزرت بالوصف في أحشائه قرماً | ما زال يهتز فيها غير مهزوز ^(٢) |
| لم يترك فيه فحوى ما وصفت له | من الأطايب عضواً غير محفوظ ^(٣) |
| أهديت نبرمة أهدت لآكلها | كرب المطامير في آب وتموز ^(٤) |

(نبرمة) هكذا في النسخة ، ولست أعرفها ، وأظن أنها شيء يجمع من
الحبوب ، ويدق ويعجن بحلاوة .

| | |
|--------------------------------|--|
| ما كنت لولا فساد الحسن تأمل في | جنس من السمن في دوشاب شهريز ^(٥) |
| هل غير شتى حبوب قد تعاورها | جيش المهاريس أو نخز المناخير |
| رمت الحلاوة فيها ثم جئت بها | تحذى اللسان بطعم جد ممزوز |

(١) الملهوز : المدفوع المنوع .

(٢) القرم : الطعام .

(٣) المحفوز : المطعون .

(٤) المطامير : جمع مطمورة وهي الحفرة في جوف الأرض .

(٥) الشهريز والسهريز ، وبالضم والكسر : نوع من التمر يذكر صاحب القاموس أنه معروف .

لو ساعدتك بنو حواء قاطبةً
أوقعت للشعر في أوصافها شغلاً
لا أحمد المرء أقصى ما يجود به
ما متعة العين من خدٍّ تورده
مستغرب الحسن في توشيع وجنته
يوفى على القمر الموفى إذا اتصلت
أشهى إليك من الشيراز قد وضحت
وقد جرى الزيت في مثنى أسرتها
ماذا السماح بتقريظ وتزكية
ومنها :

لا غرو إن لم ترح للجود راحته فالبخل مستحسنٌ في شيمة الخوزي^(١)
هكذا في النسخة ، وأظن أنه * لم ترح للجود رائحة * .

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من البسيط] :

يا أيها السيد السامي بدوحته تاج الأكاسر من كسرى وفيروز
أتى قريضك يزهى في محاسنه زهو الربى باشرت أنفاس نيروز
يا حسنه لو كفيننا حين يبهجنا خطب النبارم فيه والشواريز
أقررت بالعجز والألباب قد حكمتُ به عليٌ فقدك اليوم تعجيزي

(١) الملموز : المعيب المطمون فيه .

(٢) الشواريز : جمع شيراز وهو اللبن الرائب المستخرج ملاؤه .

(٣) التوشيع : التزين ، والتسليم : التخطيط وهما أيضاً ضربان من ضروب البديع .

(٤) خيلان شونيز : الخيلان جمع خال وهو علامة في الوجه ، وشونيز : إسم بلد .

(٥) الخوزي : نسبة إلى خوزستان .

جَوْز قريضي في بحر القريض فكم
 إن عدت في حلبة تجري بها طمعاً
 إننا لمن معشر حطّوا رحالهم
 لا نعرف الكسم والطرذين يوم قرى
 من قائلٍ عدّ قوالاً بتجويز
 إنني لأشجع من عمرو بن جرموز
 لما استبيرا على أسطمة الخوز^(١)
 ولا الغبوق على لحم وخاميز^(٢)
 وأهدى ابن خلاد إليه كتاباً في الأطعمة . وابن العميد ناقه من علة كانت به ،
 فكتب إلى ابن خلاد قصيدة منها [من المتقارب] :

فهمت كتابك في الأطعمة وما كان نولي أن أفهمه
 فكم هاج من قرم ساكن وأوضح من شهوة مبهمه^(٣)
 وأرث في كبدي غلة من الجوع نيرانها مضره
 فكيف عمدت به ناقها جوانحه للطوى مسلمه^(٤)
 خفوق الحشى إن تصخ تستمع من الجوع في صدره هممه
 تتيح له شرهاً موجعاً وتغري به نهمة مؤلمه
 فأين الإخاء وما يقتضيه منك بأسابنا المبرمه
 وأين تكرمك المستفيض فينا إذا غاضت المكرمه
 وهلا أضفت إلى ما وصفـت شيئاً نهش لأن نطعمه
 يمدُّ الصديق إليه يداً إذا ما رآه ويشجى فمه
 وأين شواريزك المرتضاة إذا ما تفاضلت الأطعمة
 وأين كواميخك المجتباة دون الأطايب بالكرم

(١) استبيرا : أهلكوا ، والأسطمة : أوساط القوم وأشرافهم ، والخوز : إسم يطلق على بلاد خوزستان .

(٢) الكسم والطرذين : من الأطعمة ، والخاميز : مرق السكباغ المبرد المصفى من الدهن .

(٣) القرم : الطعام والشوق إليه .

(٤) الناقه : من يفهم الحديث ونحوه ، والطوى : الجوع .

ذكرت : دعوه فما ألامه !
 فلا أكرم الله من أكرمه
 إذا ليم أعتب بالنبرمه^(١)
 إذا الجوع ناب أذاه فمه^(٢)
 بجوذاية الموز مستفرمه
 سواءً كما جاءت الأبلمه^(٣)
 تخال بها فلذ الأسنمه
 كأنّ النفوس بها مغرمه
 ولا الطبع إن زاره استوخمه
 ع تلفيق شطريه بالهندمه
 كثيفاً كما تحمل المقرمه^(٤)
 فأضحت نسائجها ملحمه^(٥)
 ومن عجز ناهضة ملقمه
 ودرهم باللوز ما درهمه
 صفائح من بيضة مدعّمه
 ومن أسطر كتبت معجمه
 فوافى كحاشية معلمه^(٦)
 بديع التفاويف والنمنمه
 أضاءت له المعدة المظلمه

وهل أنت راضٍ بقولي إذا
 إذا المرء أكرم شيرازه
 وكيف ارتقابي بقياً امرئ
 فإن كان يجذبك نعت الطعام
 إذا جعت فاعمد لمسموطة
 متى قستها بالمنى جاءتا
 وبزّ السراويل عن أفرخ
 تهبّ النفوس إلى نيئها
 فلا الفم إن ذاقه مجّه
 ودونك وسطاً أجاد الصنا
 وعالي على دقّه هيدبا
 سدىً من نتائف نيرت بهنّ
 فمن صدر فائقة قد ثوت
 ودنّر بالجوز أجوازه
 وقاني بزيتونها والجبن
 فمن أسطرٍ فيه مشكولة
 وفوفٍ بالبقل أعطافه
 موشى تخال به مطرفاً
 إذا ضاحكتك تباشيره

(١) ليم : من اللوم .

(٢) يجذبك : يحلوك ، مه : اسم فعل مبني على السكون بمعنى « كف » .

(٣) الأبلمة : يقال : المال بيننا شقّ الأبلمة ، أي نصفين .

(٤) الهيدبا : الشعر الكثير ، والمقرمه : محبّش الفراش .

(٥) السدى من الثوب : ما مدّ من ، ونيرت : أي جعل خيوطه طولاً ، لها نير ، وهو جمع الخيوط الى القصب .

(٦) فوف : طرز وزين ، ومعلمه : مزينه ومخططه .

وهالك خبيصاً إذا ما اقترحت
 إذا سار في ثغرة سدها
 فإن شئت فادخل به مفرداً
 وإياك تهدم ما قد بنا
 فإن لم تجد ذاك يجدي عليك
 تعد من الجود وصف الطعام
 وتحظر ما قد أحل الإله
 فهل نزلت في الذي قد شرعت
 وهل سنّة فيه مأثورة
 وقلت تواصوا بصبر جميل
 ومن عجب حاكم ظالم
 على العبد إنعامه أنعمه
 أو انساب في خلل لأمه
 وإن شئت فادع إليه لمه^(١)
 ه هدماً وتنقض ما أبرمه
 إذا ما سغبت فقل لي لمه
 ولست تقول بأن تطعمه
 ضراراً وتطلق ما حرّمه^(٢)
 على أحد آية محكمه
 رواها لأشياحكم علقمه
 فأين ذهب عن المرحمه
 يرجى ليحكم في مظلمه

فأجابه ابن خلاد بقصيدة منها [من المتقارب] :

هلمّ الصحيفة والمقلمه
 لأكتب ما جاش في خاطري
 وعجل عليّ بهذي وذو
 ألا حبذا ثم يا حبذا
 كفانا به الله ما راعنا
 أطاب الحديث له في الطعام
 وعاد بأوصافه للغذاء
 ومن يشكر الله يعط المزيّد
 أيا ذا الندى والحجى والعلّا
 وأدن المحبيرة المفعمه
 فقد عظم الخوض في النبرمه
 فإني من الخوض في ملحمة
 كتابي المصنف في الأطمعه
 بعلّة سيدنا المؤلمه
 ففتّق شهوته المبهمه
 وطاب لنا شكر من سلّمه
 كما قال الأعمش عن خيثمه
 ومن أوجب الدين أن نعظمه

(١) اللهم : الجماعة من الناس والأصحاب .

(٢) ضراراً : تضييقاً .

| | |
|----------------------|------------------------------------|
| لئن كان نبرمتي أفسدت | ولم تأت صنعتها محكمه |
| فسوف يزورك شيرازنا | فنقسم بالله أن تكرمه |
| يميس بشونيزه كالعرو | س يخطر في الحلة المسهمه |
| ويبطل وسط مسموطه | وجوذابه عندها محكمه ^(١) |
| ويزهى الخوان بتقديمه | عليه ويحمد من قدمه ^(٢) |
| ويرمز إخواننا دونه | كأن تحاورهم زمزمه ^(٣) |

* * *

ما أخرج من إخوانياته

وكتب إلى أبي الحسن العباسي هذه الأبيات ، وهي من مشهور شعره وجيده [من البسيط] :

| | |
|------------------------------|---|
| أشكو إليك زماناً ظلّ يعركني | عرك الأديم ومن يعدى على الزمن |
| وصاحباً كنت مغبوطاً بصحبته | دهراً فغادرني فرداً بلا سكن |
| هبّت له ريحُ إقبالٍ فطار بها | نحو السرور وألجاني إلى الحزن |
| نأى بجانبه عني وصيرني | من الأسى ودواعي الشوق في قرن ^(٤) |
| وباع صفو ودادٍ كنت أقصره | عليه مجتهداً في السر والعلن |
| وكان غالى به حيناً فأرخصه | يا من رأى صفو ودّ بيع بالغبن |
| كأنه كان مطوياً على إحنٍ | ولم يكن في ضروب الشعر أنشدني ^(٥) |

(١) الجوذاب : طعام يتخذ من سكرٍ وأرز ولحم .

(٢) الخوان : ما يوضع عليه الطعام .

(٣) الزمزمه : الدوي ، والصوت الذي يسمع من بعيد .

(٤) في قرن : في شركٍ وقيد .

(٥) الإحن : الحقد .

« إن الكرام إذا ما أسهلوا ذكروا من كان يالفهم في المنزل الخشن »
 وكتب إلى بعض إخوانه هذه القصيدة ، ليعرضها على أبي الحسن
 العباسي ، وهي سائرة في الآفاق ، وكأنه قد جمع فيها أكثر إحسانه ، فقال [من
 الكامل] :

قد ذبت غير حشاشة وذماء لا أستفيق من الغرام ولا أرى
 وصروف أيام أقمن قيامتي ومثير هيج لا يشق غباره
 وجفاء خل كنت أحسب أنه ثبت العزيمة في العقوق وودّه
 ذي ملّة يأتيك أثبت عهده أبكي ويضحكه الفراق ولن ترى
 نفسي فداؤك يا محمد من فتى كأس من الشيم التي في ضمنها
 عذب الخلائق قد أحطت بخبره وبلوت حاله معاً فوجدته
 أبلغ رسالتي الشريف وقل له أنت الذي شئت شمل مسرتي
 وجمعت بين مساءتي ومسرتي ونبذت حقّي عشرتي ومودتي

ما بين حرّ هوى وحرّ هواء^(١) خلواً من الأشجان والبرحاء
 بنوى الخليط وفرقة القراء فيما خباه مهيج الهيجاء
 عوني على السراء والضراء متنقل كنتقل الأفياء
 كالخط يرقم في بسيط الماء عجباً كحاضر ضحكه وبكائي
 نشوان من أكرومة وحياء درك العلا عارٍ من العوراء^(٢)
 وبلوته في شدّة ورخاء في العود أكرم منه في الإيداء
 (قدك اتّب أربيت في الغلواء)^(٣) وقدحت نار الشوق في أحشائي
 وقرنت بين مبرّتي وجفائي وهرقت مائي خلّتي وإخائي

(١) اللّماء : بقية الروح .

(٢) درك العلا : نيلها .

(٣) هذا الشطر صدر بيت هو مطلع قصيدة لأبي تمام وغمامه : « كم تعذلون وأنتم سجرائي » .

وثبتت آمالي على أدراجها
فرجعت عنك بما يؤوب بمثله
وعرضت ودِّي بالحقير ولم أكنُ
ورضيت بالثمن اليسير معوضةً
وزعمت أنك لست تفكر بعدما
هيات لم تصدقك فكرتك التي
لم تغن عن أحدٍ سماء لم تجدُ
وسألتك العتبي فلم ترني لها
ورَدَتْ مموهة ولم يرفع لها
وأعار منطقها التذم سكتةً
لم تشف من كمدٍ ، ولم تبرد على
من يُشف من داءٍ بآخر مثله
داوت جوى بجوى ، وليس بحازمٍ
لا تغتنم إغضاءتي فلعلها
واستبق بعض حشاشتي فلعلني
فلو أن ما أبقيت من جسمي قذًى
نظيره قول المتنبي [من الطويل] :

ولو قلم ألقيت في شق رأسه
رجع :

فلئن أرحت إلي غارب سلوتي
لأجهزن إليك قبح تشكرٍ

وردت خائبة وفود رجائي
راجي السراب بفقره بيداء
ممن يباع وداده بلقاء
منّي ، فهلاً بعثني بغلاء
علقت يداك بذمة الأمراء
قد أوهمتك غنى عن الوزراء
أرضاً ولا أرضٌ بغير سماء
أهلاً ، وجئت بغدرة الشهواء
طرفٌ ولم ترزق من الإصغاء
فتراجعت تمشي على استحياء
كبدٍ ، ولم تمنح جوانب داء^(١)
أثرت جوانحه من الأدواء
من يستكف النار بالحلفاء^(٢)
كالعين تغضيها على الأعداء^(٣)
يوماً أليك بها من الأسواء
في العين لم يمنع من الإغفاء

من السقم ما غيرت من خط كاتب

وجدت في نفسي نسيم عزاء
ولأثرن عليك سوء ثناء

(١) الكمد : الحزن والغبط .

(٢) يستكف : يمنع . والحلفاء :

(٣) الاغضاء : خفض الطرف حياءً وأذىً .

ولأكسونك كلَّ يومٍ حلَّةً
ولأعضلنَّ مودَّتِي من بعدها
متروعةً من حيَّةٍ رقصاء
حتى أزوجهَا من الأكفاء^(١)
وكتب إلى العلوي [من المجتث] :

| | |
|----------------------|---------------------|
| يا من تخلى وولّى | وصدّ عني وملاً |
| وأوسع العهد نكثاً | وأتبع العقد حلاً |
| ما كان عهدك إلّا | عهد الشبيبة ولّى |
| أو طائفاً من خيالٍ | ألم ثمّ تولّى |
| أو عارضاً لاح حتّى | إذا دنى فتدلّى |
| ألوت به نسماتُ | من الصبا فتجلّى |
| أهلاً بما ترتضيه | في كلّ حالٍ وسهلاً |
| ليجزينك وديّ | بمثل فعلك فعلاً |
| إنّ شئت هجراً فهجراً | أو شئت وصلاً فوصلاً |
| صبرت عني فانظرُ | ظفرت بالصبر أم لا |
| إنّي إذا الخلّ ولّى | ولّيته ما تولّى |

وكتب إلى أبي محمد بن هندو ، وقد أهدى له مداداً ارتضاه [من المجتث] :

| | |
|---------------------|-----------------|
| يا سيدي وعمادي | أمددتني بمداد |
| كمسكنيك جميعاً | من ناظري وفؤادي |
| أو كالليالي اللواتي | رميننا بالبعاد |

وكتب إلى أخيه أبي الحسن بن هندو صبيحة عرسه [من مجزوء الكامل] :

أنعم أبا حسن صباحاً وازدد
بزوجتك ارتياحاً

(١) أعضلنَّ : أضيق وأمسك .

قد رضت طرفك خالياً فهل استلنت له جماحا؟^(١)
وقدحت زندك جاهداً فهل استبنت له انقداحا؟
وطرقت منغلقاً فهل سنّى الإلّ له انفتاحا؟
قد كنت أرسلت العيو ن صباح يومك والرواحا
وبعثت مصغيةً تبسّيت لديدك ترتقب النجاحا
فغدت عليّ بجملةٍ لم تولني إلّا افتضاحا
وشكت إليّ خلاخلاً خرساً وأوشحةً فصاحا
منعت وساوسها المسا مع أن تحسّ لكم صياحا

وهذه الأبيات بديعة في معناها ، ولم أسمع أملح منها في معناها ، إلا قول
الصاحب وهو أقرب من التصريح وأظرف ، وأبيات ابن العميد أجزل وأخفى ،
وأدخل في باب الكناية والتعريض [من السريع] :

قلبي على الجمرة يا أبا العلا فهل فتحت الموضع المقفلا
وهل فككت الختم عن كيسه وهل كحلت الناظر الأكحلا
إنّك إن قلت نعم صادقاً أبعث نثراً يملأ المنزل^(٢)
وإنّ تجبني من حياء بلا أبعث إليك القطن والمغزلا

* * *

هذا ما أخرج من مقارضاته

اجتمع عنده يوماً أبو محمد بن هندو ، وأبو القاسم بن أبي الحسين بن
سعد ، وأبو الحسين بن فارس ، وأبو عبد الله الطبري ، وأبو الحسن البديهي .

(١) راض : قاد وأسلس ، والجماح : التمرد .

(٢) النثر : الذهب .

فحياء بعض الزائرين بأترجة حسنة ، فقال لهم : تعالوا نتجاذب أهداب وصفها ، فقالوا : إن رأى سيدنا أن يبتدىء فعل ، فابتدأ وقال [من الطويل] :

* وأترجة فيها طبائع أربع *

فقال أبو محمد :

* وفيها فنون اللهو للشرب أجمع *

فقال أبو القاسم :

* يشبهها الرائي سبيكة عسجد *

فقال أبو الحسين بن فارس :

* على أنها من فأرة المسك أضوع *

فقال أبو عبد الله الطبري :

* وما اصفر منها اللون للعشق والهوى *

فقال أبو الحسن البديهي :

* ولكن أراها للمحبين تجمع *

وسئل بعض حاضري مجلسه عن قصة له ، فقال ولم يقصد وزناً [من

مجزوء الخفيف] :

أي جهل لقيته وشقاء شقيته ؟

فقال الأستاذ : قولوا على هذا الوزن شعراً ، وفي المجلس أبو الحسن

العباسي ، وابن خلاد القاضي ، فقال أبو الحسن :

بي غزالٌ مقرطقٌ شَفَنِي إذ هويته^(١)
أحرز السحر طرفه وحوى الغنَج ليته^(٢)
زاد في الكبر عامداً إذ رآني وليته
حسبي الله والرئيس لما قد دهيتُهُ

وقال ابن خلاد :

يا خليلي ساعدا ني على ما دهيتُهُ
انظرا أيّ معذلٍ بقضاءٍ أتيته
سامني السيد الرئيس محالا شنيته
ظلّ مستعدياً على رشاً قد هويته
عجباً أن يكون لي والياً من وليته
ما خشيت فيه الحروب فيه ولكن خشيته
فاز روحي لو أتني في منامي أريته

وقال الأستاذ :

أيُّ جهدٍ لقيته وشقاءٍ شقيتُهُ
من نصيحٍ أودّ من نصحه لي سكوته
قال صبراً وما درى أنّ صبري رزيته
قلت عنك الملام ما باختياري هويته
لم أكنُ أجشم البلاء لو آني كفيته
ربّ ثوبٍ من المذلّة فيه كسيته
ضلّ عندي تجلّدي فكأني نسيته
في فؤادي هوّى يحرقني لو طويته

(١) مقرطق : مترين يلبس الأفراط في أذنيه أي الحليّ .

(٢) الليت : صفحة العنق .

يا ابن خلاد الذي شاع في الناس صيته
 أنصف الهائم الذي يتجافى مبيته
 قل لمن أشبه المها مقلته وليته^(١)
 ثغره قد أشت شمل اصطباري شتيته^(٢)
 ليس يحيى المتيم الصّـب إلا مميته
 أنت قوتي وما بقا ء امرئ بان قوته
 أي ذنب سوى المذلة في الحب جيته
 ما أسىغ السلو عنك لو أني سقيته
 كيف يرجو البقاء إن باين الماء حوته
 ما أشاء السلو عنك فإن شئت شيته
 كل شيء رضيته من غرامي رضيته

* * *

ما أخرج من شعره في الغزل

قال من قصيدة [من الطويل] :

هل البث إلا ما تحملنيه
 متى علقت نفسي حبيبا تعلقت
 شفيعي إذا استشفعت غير مشفع
 أم البرح إلا ما تكلفينه
 به غير الأيام تسلبينه
 ووجهي إذا وجهت غير وجهه

وقال [من الكامل] :

ظلت تظللني من الشمس
 نفس أعز علي من نفسي

(١) الليت - بكسر أوله : العنق .

(٢) أشت : فرّق وباعد، والشيت : المتفرق .

فأقول واعجباً ومن عجبٍ شمسٌ تظلّلني من الشمس

وقال في الفصد لمعشوقه [من البسيط] :

ويح الطبيب الذي جسّت يداه يدك ما كان أجهله فيما قد اعتمدك^(١)
بأي شيءٍ ثراه كان معتدراً من مسّه بحديدٍ مؤلمٍ جسدك
لو أنّ ألاحظه كانت مباضعه ثم انتحاك بها من رقة فصدك^(٢)

* * *

ما أخرج من شعره في سائر الفنون

قال من قصيدته الهريّة عارض فيها ابن العلاف [من المنسرح] :

يا هرّ فارتقنا مفارقةً عمّت جميع النفوس بالثكل
لو كان بالحدّاث لي قبلٌ إذاً أتاك الصريخ من قبلي
يا مثلاً سائراً إذا ذكر الحسن تركت الحسان كالمثل
وقيل هل تفتديه إنّ قبل الد هر فداءً فقلت حيّهل^(٣)
أفديه بالصفوة الكرام من ال إخوان دون الأخدان والخلل^(٤)
بل بمحل الكرى ومعتلج الففكر وحبّ القلوب والمقل
بل بسكون الوجيب يجلبه ال أمن إلى قلب خائفٍ وجل^(٥)
بل بحلول الشفاء يجنبه الصّحة بعد الأوصاب والعلل^(٦)

(١) جسّت : لامست وتفحصت .

(٢) المباحض : جمع مبضع وهو ما يستعمل في الجراحة للبضع .

(٣) حيّهل : كلمة منحوته بمعنى أجل .

(٤) الأخدان : الأصدقاء .

(٥) الوجيب : الاضطراب والخفقان ، والوجل : الخوف .

(٦) الأوصاب : المرض .

بل ببلوغ المنى وقاصية السبغية عفواً ونهبة الأمل

وقال في المغني القرشي [من الوافر] :

إذا غَنَّانيَ القرشيُّ يوماً وعَنَّانيَ برؤيته وضربه
وددت لو آن أذني مثل عيني هناك وأنَّ عيني مثل قلبه

وللمهليبي في هذا المعنى [من مجزوء الوافر] :

إذا غَنَّانيَ القرشي دعوت الله بالطرشِ
وإنَّ أبصرت طلعتَه فواللهفي على العمشِ

وقال فيه أيضاً [من مجزوء الوافر] :

إذا غَنَّى لنا أمماً حشوت مسامعي صمماً^(١)
وإنَّ أبصرت طلعتَه كحلت نواظري بعمى

وقال [من مجزوء الكامل] :

آخِ الرجال من الأبا عد ، والأقارب لا تقارب
إنَّ الأقارب كالعقا رب ، بل أضرُّ من العقارب

وقال [من الطويل] :

وللرأي زلَّاتٌ يظلُّ بها الفتى مركَّبةً فوق الثنايا أنامله

* * *

(١) أمماً : قليلاً .

هذا ما أخرج من شعره في المعمي

قال في السفرجل [من المتقارب] :

| | |
|----------------------------|--|
| يقولون خطباً من البين جلاً | ولم أر سير الخليط استقلالاً |
| وقد لقبوه نوى غربة | ولم أر أقرب منه محلاً |
| وبزّت سرايله عنوة | فألفي لمّا تعرّى تحلّى |
| وأفرد من بين أترابه | فما غصّ من حسنه أن تخلّى |
| وزلّ فقلنا لعاً ناعشاً | لعالٍ إذا ما تعلّى تدلى ^(١) |
| تزيد مكاسره لذة | إذا ما الغمام عليه استهلاً |
| إذا نال منه السليم استقلّ | وإن نال منه السقيم استبلاً |
| إذا ما امرؤ ملّ روح الحياة | فحاشا لذلك من أن يملأ |

وقال في ماء الورد [من مجزوء الكامل] :

| |
|--|
| قل للأديب أبي الحسين أتنك صماء الغير |
| نكراء في حالاتها لذوي البصائر معتبر |
| دهياء يعترف الضمير بها وينكرها البصر |
| ماذا ترى في درهمٍ قد مسّه قدّ الإبر |
| وتحفة من بعده تباشراً طرفاً وزر ^(٢) |
| أزرى به وسط الردى وهو الحياة المشتهر |
| فاكشف لنا عن سرّه بلطيف حدسك والنظر |

وقال في الشمس [من البسيط] :

ماذا ترى يا أبا العباس في عجبٍ تشابهت منه أولاه وأخراه

(١) لعاً لك : وهو دعاء للعائر يعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٢) كذا ورد في الأصل .

ترى مقمّه شروى مؤخره حسناً ، ويمناه في تمثال يسراه^(١)
من حيث واجهته أرضاك منظره وكيف قابلته أغناك مغناه
يهوى المبعاد منه قرب منزله حتى إذا ما تغشاه تحاماه

* * *

(١) الشروى : - بفتح فسكون - المثل والنظير .

الباب الثاني

١٥ - في ذكر ابنه أبي الفتح ذي الكفایتین والأخذ بطرف من طرف أخباره ، وملح بنات أفكاره

هو علي بن محمد ، ثمرة تلك الشجرة ، وشبل ذلك القسورة (وحق
على ابن الصقر أن يشبه الصقرا) وما أصدق ما قال الشاعر [من الكامل] :
إنَّ السريَّ إذا سرى فبنفسه وابن السريَّ إذا سرى أسراهما
وكان نجيباً ذكياً ، لطيفاً سخياً ، رفيع الهمة ، كامل المروءة ، ظريف
التفصيل والجملة ، قد تأتق أبوه في تأديبه وتهذيبه ، وجالس به أدباء عصره ،
وفضلاء وقته ، حتى تخرج وخرج حسن الترسل ، متقدم القدم في النظم ، آخذاً
من محاسن الآداب بأوفر الحظ ، ولما قام مقام أبيه قبل الاستكمال ، وعلى مدى
بعيد من الاكتهال . وجمع تدبير السيف والقلم لركن الدولة ، لقب بذی
الكفایتین ، وعلا شأنه ، وارتفع قدره ، وبعد صيته ، وطاب ذكره ، وجرى أمره
أحسن مجرى ، إلى أن توفي ركن الدولة وأفضت حال أبي الفتح إلى ما سيأتي ذكره
آخر الباب بمشيئة الله وعونه .

ومن طرف أخباره ما حدثني أبو جعفر الكاتب ، وكان أبو بكر الخوارزمي
يدعوه القمغدي لكونه قمي المولد بغدادي المنشأ ، وكان أبو جعفر هذا من حاشية
أبي الفتح فترامت به بعده الحوادث إلى نيسابور ، قال : كان الأستاذ الرئيس قد
قبض جماعة من ثقاته في السر يشرفون على الأستاذ أبي الفتح في منزله ومكتبه

ويشاهدون أحواله ويعدون أنفاسه وينهون إليه جميع ما يأتيه ويذره ويقوله ويفعله . . فرفع إليه بعضهم أن أبا الفتح اشتغل ليلة بما يشتغل به الأحداث المترفون ، من عقد مجلس الأنس واتخاذ الندماء ، وتعاطي ما يجمع شمل اللهو ، في خفية شديدة ، واحتياط تام ، وأنه كتب في تلك الحالة رقعة إلى من سماه لي أبو جعفر ، ونسيت اسمه ، في استهزاء الشراب ، فحمل إليه ما يصلحهم من المسموم والمشروب والنقل . فدرس الأستاذ الرئيس إلى ذلك الإنسان من أتاه برقعة أبي الفتح الصادرة إليه ، فإذا فيها بخطه :

بسم الله الرحمن الرحيم . قد اغتنمت الليلة - أطال الله بقاءك يا سيدي ومولاي ! - رقدة من عين الدهر ، وانتهزت فيها فرصة من فرص العمر ، وانتظمت مع أصحابي في سمط الثريا ، فإن لم تحفظ علينا النظام ، بإهداء المدام ، عدنا كبناث نعش^(١) ، والسلام .

فاستطير الأستاذ فرحاً وإعجاباً ، بهذه الرقعة البديعة ، وقال : الآن ظهر لي أثر براعته ، ووثقت بجريه في طريقي ، ونيابته منابي ، ووقع له بألفي دينار .

وحكى أبو الحسين بن فارس ، قال : كنت عند الأستاذ أبي الفتح في يوم شديد الحر فرمت الشمس بجمرات الهاجرة ، فقال لي : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فلم أخرج جواباً لأنني لم أفطن لما أراد ، فلما كان بعد هنية أقبل رسول والده الأستاذ الرئيس يستدعيني إلى مجلسه فقممت إليه ، فلما مثلت بين يديه تبسم ضاحكاً إلي وقال : ما قول الشيخ في قلبه ؟ فبهت وسكت ، وما زلت أفكر حتى تنبعت على أنهما أرادا الخيش ، فكأن من كان يشرف على أبي الفتح من جهة أبيه الأستاذ أتاه بتلك اللفظة في تلك الساعة ، ولفرط اهتزازه لها أراد مجاراتي ، وقرأت صحيفة السرور من وجهه إعجاباً بها ، ثم أخذت أتخفه بنكت نثره ، وملح نظمه .

(١) بنات نعش : مجموعة من الكواكب متقاربة تبدو ليلاً وكأنها مجتمعة .

وكان مما أعجب به ، وتعجب منه ، واستضحك له ، حكايتي رقعة له
وردت علي ، وصدرها : رقعة الشيخ أصغر من عنفة بقعة^(١) ، وأقصر من أنملة
نملة .

قال أبو الحسين : وجرى في بعض أيامنا ذكر أبيات استحسنت الأستاذ
الرئيس وزنها ، واستحلى رونقها ، وأنشد جماعة ممن حضر ما حضرهم على ذلك
الروى ، وهو قول القائل [من المجتث] :

لئنْ كُففت وإلّا شققت منك ثيابي

فأصغى إلينا الأستاذ أبو الفتح ، ثم أنشدني في الوقت [من المجتث] :

يا مولعاً بعذابي أما رحمت شبابي
تركت قلبي قريحاً نهب الأسى والتصابي
إن كنت تنكر ما بي من ذلتي واكتسابي
فارفع قليلاً قليلاً عن العظام ثيابي

قال : فتأمل هذه الطريقة ، وانظر إلى هذا الطبع ، فإنه أتى بمثل ما أنشده
في رشايقه وخفته ، ولم يعد الجنس ، ولم يقصر دونه . وبذلك تعرف قدرة القادر
على الخطابة والبلاغة .

قال : ومن شعره وهو في المكتب قوله من قصيدة في أبيه أولها [من
الهج] :

أليلٌ هو أم شعراً وبرقٌ هو أم ثغر
وحرُّ الصدر ما ضَمَّنت الأحشاء أم جمر؟
ويهماء كمثل البحر يرتاع لها السَّقر^(٢)

(١) العنفة : الشعرات التي تلي الشفة السفلى .

(٢) اليهماء : الأرض الواسعة التي لا يهتدى فيها إلى الطرق .

تَعَسَّفْتُ عَلَى هَوْلٍ وَتَحْتِي بَازِلُ جَسْرٍ^(١)
إِلَى مَنْ وَجْهَهُ بَدْرٌ وَمَنْ رَاحَتَهُ بَحْرٌ
وَمَنْ جَدَوَاهُ مَدٌّ لِلـوَرَى لَيْسَ لَهُ جُزْرٌ
هُوَ الْغَيْثُ هُوَ اللَّيْثُ هُوَ الْفَخْرُ هُوَ الذَّخْرُ
لَأَمْرِ مَظْلَمٍ يَخْشَى وَخُطْبٍ فَادِحٍ يَعْرِو

وقوله من نيروزيه فيه [من الكامل] :

أَبْشُرُ بَنِيروزٍ أَتَاكَ مَبْشَرًا
وَاشْرَبْ فَقَدْ حَلَّ الرَّبِيعُ نَقَابَهُ
وَهْدَيْتِي شَعْرٌ عَجِيبٌ نَظْمُهُ
فَاقْبَلْهَ وَأَقْبَلْ عَذْرَ مَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ
بِسَعَادَةٍ وَزِيَادَةٍ وَدَوَامٍ
عَنْ مَنْظَرٍ مَتَهَلَّلٍ بِسَامٍ
وَمَدِيحِهِ يَبْقَى عَلَى الْآيَامِ
إِهْدَاءٍ غَيْرِ نَتِيجَةِ الْأَفْهَامِ

ومن إحساناته المشهورة قوله من قصيدة [من الكامل] :

عُودِي وَمَاءُ شَبِيبَتِي فِي عُودِي
وَصَلِيهِ مَا دَامَتْ أَصَايِلُ عَيْشِهِ
مَا دَامَ مِنْ لَيْلِ الصَّبَا فِي فَاحِمٍ
قَبْلَ الْمَشِيبِ فَطَارِقَاتُ جُنُودِهِ
لَا تَعْمَدِي لِمَقَاتِلِ الْمَعْمُودِ
تَوْوِيهِ فِي فِيءٍ لَهَا مَمْدُودِ
رَجُلِ الذَّرَى قَيْنَانُ كَالْعَنْقُودِ
يَبْدُلْنَهُ يَقْقَأُ بِسَحْمٍ سَوْدٍ^(٢)

وقوله لما تقلد الوزارة بعد أبيه [من المتقارب] :

دَعَوْتُ الْغَنَى وَدَعَوْتُ الْمَنَى
إِذَا بَلَغَ الْمَرْءُ آمَالَهُ
فَلَمَّا أَجَابَا دَعَوْتَ الْقَدْحِ
فَلَيْسَ لَهُ بَعْدَهَا مَقْتَرَحُ

(١) البازل : الذي طلعت نابه من الإبل . والجسر : القوي الصلب .

(٢) اليقق : البياض ، والسحم : الشديدة السواد .

وقال [من الطويل] :

إذا أنا بلغت الذي كنتُ أشتهي وأضعافه ألفاً فكلني إلى الخمر
وقل لنديمي قم إلى الدهر فاقترح عليه الذي تهوي ودعني مع الدهر
وله [من الخفيف] :

أين لي من يفي بشكر الليالي إذ أضافت خيالها وخيالي
لم يكن لي على الزمان اقتراحٌ غيرها منيةً فجاد بها لي

وقوله في أترجة أهداها إلى والده الأستاذ الرئيس [من البسيط] :

أتتك صفراء تحكي لون ذي مقّة وريح راح حشاها شادنٌ خنث^(١)
زففتها حين زفّت لي على أملٍ إنّي غلامك لا مينٌ ولا عبث^(٢)

وقوله من قصيدة أخرى في عضد الدولة ، أولها [من الطويل] :

عتبت على الأيام لو عرفتُ عتباً وعاتبتها لو أعقتُ ذنبها عتبي
قضت بيننا أحكامها البين كلما طلعت بنا شرقاً غربن بها غربا
تحجّب عني الشمس من نور وجهها وتمنح ريّها الركائب والركبا

ومنها :

وتنت أظن الحبّ قبلُ خلافةً فها هو ذا يغري بمخلبه الخلبا^(٣)
تدور السقاة بالأباريق بيننا فنحسبها سرباً يزجّي لنا سربا

(١) الخنث : من فيه انخناث أي تكسر وتثنّ .

(٢) المين : الكذب .

(٣) الخلافة : الخديعة بالحديث الرقيق ، والخبّيا : حجاب الكبد أو حجاب القلب .

ومنها :

وقد نظمت شمل العصابة روضة منورة النور تحسبها عصباً^(١)

ومنها في وصف النجائب :

متى لم أنل أقصى المنى بنجابتها فلا نهضت نجباً تسير بنا نجبا
ولا رحلت نحو العفاة رحالها ولا كان لي ما بين آمالها نهبا
ولا كنت عبداً للذي الدهر عبده أعد النجوم بعد صحبته حصبا

وقوله من قصيدة أخرى فيه ، أولها [من الطويل] :

أفضت عقود أم أفيضت مدامع وهذي دموع أم نفوس هوامع ؟^(٢)
على الملك قوأم وللدين حافظ وللمال وهاب وللجار مانع
أسود ولكن الحراب عرينها شمس ولكن الصفوف مطالع
أشاحوا وما شحوا ونابوا وما نبوا وكان لهم تحت المنايا مناقع^(٣)

ومنها في ذل الأعداء :

أذالهم ذل الهزيمة فانحنت قناة الظهور واستقام الأخادع^(٤)
وكان لهم لبس المعصفر عادة فخاطت لهم منه السيوف القواطع

ومنها :

بطرتم فطرتم والعصا زجر من عصى وتقويم عبد الهون بالهون نافع^(٥)

(١) العصب : شجر اللبلاب .

(٢) الهوامع : السائلة .

(٣) نبوا : فارقوا وابتعدوا . والمناقع : من النقع وهو الغبار الذي تثيره الحرب .

(٤) أزال : أهان ، والأخدع : الرقاب ، والأخدع عرق في الرقة .

(٥) البطر : الكبرياء عند حلول النعمة ، والهون : الخزي والذل .

ومنها :

تبسمتَ والخيل العتاق عوابسُ وأقدمت والبيض الرقاق هوالع
صدعتَ بصبح النصر ليل جموعهم وكيف بقاء الليل والصبح صادع
فما الصبح منادُ ولا الليل خاذلُ ولا النصل خوآنُ ولا السهم طالع^(١)

ومنها في وصف الشعر :

ومقترحات في القوافي بداءةً بدائع للإحسان فيها ودائع
كلامٌ شكورٌ أطلقت من عنانه صنائع تخجلن النهار نواضع
خدمت بقولي ذا ومن قبل قوله خدمت وغى والقول للفعل شافع

وقال من أخرى ، وقد ذكر الشعر [من الطويل] :

فإن كان مسخوطاً فقل شعر كاتبٍ وإن كان مرضياً فقل شعر كاتبي

* * *

ذكر آخر أمره

حدثني أبو منصور سعيد بن أحمد البريدي ، قال : لما توفي ركن الدولة ،
وقام مقامه مؤيد الدولة خليفة لأخيه عضد الدولة ، أقبل من أصبهان إلى الري ،
ومعه صاحب أبو القاسم ، وخلع على أبي الفتح خلعة الوزارة ، وألقى إليه مقاليد
المملكة ، والصاحب على جملة في الكتابة لمؤيد الدولة والاختصاص به ،
وشدة الحظوة لديه ، فكره أبو الفتح مكانه ، وأساء الظن به ، فبعث الجند على أن
يشغبوا عليه ، وهموا بما لم ينالوا منه ، فأمره مؤيد الدولة بمعاودة أصبهان وأسرفي
نفسه الموجودة على أبي الفتح لهذا الشأن وغيره ، وانضاف ذلك إلى تغير عضد

(١) منادُ : منحنٍ ومثنً ، والأود : الإعوجاج .

الدولة واحتقاده عليه لأشياء كثيرة في أيام أبيه وبعدها ، منها مما يئته بختيار ، ومنها ميل القواد إليه ، بل غلوهم في موالاته ومحبه ، ومنها ترفعه عن التواضع له في مكاتباته ، واجتمعت آراء الأخوين على اعتقاله ، وأخذ أمواله . ولما اعتقل في بعض القلاع بدرت منه كلمات نمت إلى عضد الدولة ، فزادت في استيحاشه منه ، وأنهض من حضرته من طالبه بالأموال ، وعذبه ومثل به ، ويقال : إنه سمل إحدى عينيه ، وقطع أنفه ، وجز لحيته ، ففي تلك الحال يقول أبو الفتح وقد يش من نفسه ، واستأذن في صلاة ركعتين ، فصلاهما ودعا بدواة وقرطاس وكتب [من السريع] :

بدل من صورتي المنظر لكنّه ما غير المخبر
ولست ذا حزنٍ على فائتٍ لكنّ على من لي يستعبر
وواله القلب لما مسني مستخبرٌ عني ولا يخبر
فقل لمن سرّ بما ساءنا لا بد أن يسلك ذا المعبر

وأخبرني أبو جعفر الذي قدمت ذكره ، وكان مختصاً به . قال : كان أبو الفتح قبيل النكبة التي أتت على نفسه . قد أغرى بإنشاد هذين البيتين ، لا يجف لسانه من ترديدهما في أكثر أوقاته وأحواله ، ولست أدري أهماله أم لغيره [من الرمل] :

دخل الدنيا أناسٌ قبلنا رحلوا عنها وخلوها لنا
فترلناها كما قد نزلوا ونخلّوها لقوم بعدنا

فلما حصل في الاعتقال ، واستيقن أن القوم يريدون دمه لا محالة ، وأنه لا ينجو منهم وإن بذل ماله ، مد يده إلى جيب جبة عليه ففتقه عن رقعة فيها ثبت ما لا يحصى من ودائعه وكنوز أبيه وذخائره ، فألقاها في كانون نار بين يديه ، وقال للقائد الموكل به المأمور بقتله بعد مطالبته : اصنع ما أنت صانع فوالله لا يصل من أموالي المستورة إلى صاحبك دينار واحد ، فما زال يعرضه على العذاب ، ويمثل

به ، حتى تلف رحمه الله تعالى ، وفيه يقول بعض أصحابه [من الكامل] :

آل العميد وآل برمك ما لكم قلّ المعين لكم وذلّ الناصر!
كان الزمان يحبّكم فبداله إنّ الزمان هو المحبّ الغادر

ولأبي بكر الخوارزمي في مرثيته من قصيدة [من الكامل] :

يا دهر إنك بالرجال بصيرُ فلذاك ما تجتاحهم وتبیر^(١)

وهي تذكر في موضعها من شعره ، إن شاء الله سبحانه وتعالى .

* * *

(١) تبير : تفنى .

الباب الثالث

١٦ - في ذكر الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد

وايراد لمع من أخباره ، وغرر نظمه ونثره

ليست تحضرني عبارة أرضاها للإفصاح عن علو محله في العلم والأدب وجلالة شأنه في الجود والكرم . وتفرد به غايات المحاسن ، وجمعه أشتات المفاهر ، لأن همة قلبي تنخفض عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه ، وجهد وصفي يقصر عن أيسر فواضله ومسايعه ، ولكني أقول : هو صدر المشرق ، وتاريخ المجد ، وغرة الزمان ، وينبوع العدل والإحسان ، ومن لا حرج في مدحه بكل ما يمدح به مخلوق ، ولولاه ما قامت للفضل في دهرنا سوق ، وكانت أيامه للعلوية والعلماء ، والأدباء والشعراء ، وحضرته محط رحالهم ، وموسم فضلائهم . ومترع آمالهم . وأمواله مصروفة إليهم ، وصنائعه مقصورة عليهم ، وهمته في مجد يشيده ، وإنعام يحدده . وفاضل يصطنعه ، وكلام حسن يصنعه أو يسمعه . ولما كان نادرة عطارده في البلاغة ، وواسطة عقد الدهر في السماحة ، جلب إليه من الآفاق وأقاصي البلاد كل خطاب جزل ، وقول فصل . وصارت حضرته مشرعاً لروائع الكلام ، وبدائع الأنهام . وثمار الخواطر ، ومجلسه مجمعاً لصوب العقول . وذوب العلوم ودرر القرائح . فبلغ من البلاغة ما يعد في السحر ، ويكاد يدخل في حد الإعجاز ، وسار كلامه مسير الشمس ، ونظم ناحيتي الشرق والغرب ، واحتف به من نجوم الأرض ، وأفراد العصر ، وأبناء الفضل ، وفرسان الشعر ، من يرى عددهم على شعراء الرشيد ، ولا يقصرون عنهم في الأخذ برقاب

القوافي وملك رق المعاني ، فإنه لم يجتمع بباب أحد من الخلفاء والملوك مثل ما اجتمع بباب الرشيد من فحولة الشعراء المذكورين ، كأبي نواس ، وأبي العتاهية ، والعتابي ، والنمري ومسلم بن الوليد ، وأبي الشيص ، ومروان بن أبي حفصة ، ومحمد بن منذر ، وجمعت حضرة الصاحب بأصبهان ، والري وجرجان ، مثل أبي الحسين السلامي ، وأبي بكر الخوارزمي ، وأبي طالب المأموني ، وأبي الحسن البديهي ، وأبي سعد الرستمي ، وأبي القاسم الزعفراني ، وأبي العباس الضبي ، وأبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن وأبي هاشم العلوي ، وأبي الحسن الجوهري ، وبني المنجم ، وابن بابك ، وابن القاشاني ، وأبي الفضل الهمذاني ، وإسماعيل الشاشي ، وأبي العلاء الأسدي ، وأبي الحسن الغويري ، وأبي دلف الخزرجي ، وأبي حفص الشهزوري ، وأبي معمر الإسماعيلي ، وأبي الفياض الطبري ، وغيرهم ممن لم يبلغني ذكرهم أو ذهب عني اسمه ، ومدحه مكاتبة الشريف الموسوي الرضى ، وأبو إسحاق الصابي ، وابن حجاج ، وابن سكرة ، وابن نباتة ، ولذكر كل من هؤلاء مكان من هذا الكتاب ، إما متقدم أو متأخر ، وما أحسن وأصدق قول الصاحب [من الخفيف] :

إن خير المداح من مدحته شعراء البلاد في كل نادي

* * *

لمع من أخبار محاسنه ، وملح من نوادر توقيعاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : إن مولانا الصاحب نشأ من الوزارة في حجرها ، ودب ودرج في وكرها ، ورضع أفأويق درها^(١) ، وورثها من أبيه كما قال

(١) الأفويق : ما اجتمع من الماء في السحاب فهو يطر ساعة بعد ساعة وهو يريد ما اجتمع من اللبن .

أبوسعيد الرستمي [من الكامل] :

ورث الوزارة كابرأ عن كابر موصولة الإسناد بالإسناد
يروى عن العباس عباداً وزا رته وإسماعيل عن عباد

قال : ولما ملك فخر الدولة واستعفى صاحب من الوزارة قال له : لك في
هذه الدولة من إرث الوزارة ، ما لنا فيها من إرث الإمارة ، فسبيل كل منا أن يحتفظ
بحقه .

وحدثني عون بن الحسين الهمداني التميمي ، قال : كنت يوماً في خزانة
الخلع للمصاحب ، فرأيت في ثبث حسابات كاتبها - وكان صديقي - مبلغ عمائم
الخز التي صارت تلك الشتوة في خلع الخدم والحاشية ، ثمانمائة وعشرين قال :
وكان يعجبه الخز ويأمر بالاستكثار منه في داره ، فنظر أبو القاسم الزعفراني يوماً
إلى جميع من فيها من الخدم والحاشية عليهم الخزوز الفاخرة الملونة ، فاعتزل
ناحية وأخذ يكتب شيئاً ، فسأل المصاحب عنه : فقبل : إنه في مجلس كذا
يكتب ، فقال : علي به ، فاستمهل الزعفراني ريثما يكمل مكتوبه ، فأعجله
المصاحب ، وأمر بأن يؤخذ ما في يده من الدرج ، فقام الزعفراني إليه ، وقال : أيد
الله المصاحب [من الكامل] :

اسمعه ممّن قاله تزدّد به عجباً فحسن الورد في أغصانه

قال : هات يا أبا القاسم ، فأنشده أبياتاً منها [من المتقارب] :

| | |
|-------------------------|-------------------------|
| سواك يعد الغنى ما اقتنى | ويأمره الحرص أن يخزنا |
| وأنت ابن عباد المرتجى | تعدّ نوالك نيل المنى |
| وخيرك - من باسط كفّه | وممن ثناها - قريب الجنى |
| غمرت الورى بصنوف الندى | فأصغر ما ملّكوه الغنى |

وغادرت أشعرهم مفحماً وأشكرهم عاجزاً ألكنا^(١)
أيا من عطاياه تهدي الغنى إلى راحتي من نأى أو دنا
كسوت المقيمين والزائرين كسى لم يخل مثلها ممكنا
وحاشية الدار يمشون في ضروب من الخز إلا أنا
ولست أذكر لي جارياً على العهد يحسن أن يحسنا

فقال الصاحب : قرأت في أخبار معن بن زائدة ، أن رجلاً قال له : احملني أيها الأمير ، فأمر له بناقة وفرس وبغلة وحمار وجارية ، ثم قال له : لو علمت أن الله تعالى خلق مركوباً غير هذه لحملتك عليه ، وقد أمرنا لك من الخز بجبة وقميص ودراعة وسراويل وعمامة ومنديل ومطرف ورداء وجورب ، ولو علمنا لباساً آخر يتخذ من الخز لأعطيناكه ، ثم أمر بإدخاله الخزانة ، وصب تلك الخلع عليه وتسليم ما فضل عن لبسه في الوقت إلى غلامه .

وحدثني أبو عبد الله محمد بن حامد الحامدي ، قال : عهدي بأبي محمد الخازن مائلاً بين يدي الصاحب ينشده قصيدة له فيه ، أولها [من البسيط] :

هذا فؤادك نهى بين أهواء وذاك رأيك شوى بين آراء
هواك بين العيون النجل مقتسم داءً لعمرك ما أبلاه من داء
لا تستقر بأرض أو تسير إلى أخرى بشخص قريب عزمه نائي
يوماً بحزوى ويوماً بالعقيق وبالعذيب يوماً ويوماً بالخليصاء
وتارة تنتحي نجداً وآونة شعب العقيق وطوراً قصر تيماء

قال : فرأيت الصاحب مقبلاً عليه بمجامعه حسن الإصغاء إلى إنشاده ، مستعيداً أكثر أبياته ، مظهراً من الإعجاب به ، والاهتزاز له ، ما يعجب الحاضرين فلما بلغ قوله :

(١) الألكن : من ثقل لسانه ، أو كان به عجمة .

أدعى بأسماء نبراً في قبائلها كأن أسماء أضحت بعض أسمائي^(١)
أطلعت شعري وألقت شعرها طرباً فألفا بين إصباح وإمساء

زحف عن دسسته طرباً ، فلما بلغ قوله في المدح :

لو أن سحبان باراه لأسحبه على خطابته أذيال فأفاء^(٢)
أرى الأقاليم قد ألفت مقالدها إليه مستبقات أي إلقاء
فساس سبعتها منه بأربعة أمر ونهي وثبتت وإمضاء
كذاك توحيده ألوى بأربعة كفر وجبر وتشبيه وإرجاء

جعل يحرك رأس مستحسن ، فلما أنشد :

نعم تجنب « لا » يوم العطاء كما تجنب ابن عطاء لثغة الرء^(٣)

استعاده وصفق بيديه ، ولما ختمها بهذه الأبيات :

أطرى وأطرب بالأشعار أنشدها أحسن بهجة إطرابي وإطرائي
ومن منائح مولانا مدائحه لأن من زنده قدحي وإيرائي^(٤)
فخذ إليك ابن عباد محبرة لا البحتري يدانيها ولا الطائي

قال : أحسنت أحسنت ، والله أنت ، وتناول النسخة وتشاغل بإعارتها
نظره ، ثم أمر له بخلعة وحملان وصلة .

وسمعت أبا عبد الله أيضاً يقول : أهدي إلى الصاحب هدية أهدي منها إلى

(١) النبز : اللثيم في حسبه وأخلاقه ، والنبز : العيب واللقب

(٢) الفأفأه : كثرة ترديد الفاء في الكلام .

(٣) ابن عطاء : أحد كبار المعتزلة إسمه واصل بن عطاء وقد تجنب حلقة الحسن البصري وتبعه جمع سموا بالمعتزلة .

(٤) منائح : الأعطيات والمنح ، وأورى النار : أوقدها .

شيخ الدولتين أبي سعيد الشيباني ، وكتب معها رقعة مصدرة بهذا البيت [من البسيط] :

رويت في السنّة المشهورة البركة أن الهدية في الإخوان مشتركة

وحدثني أبو الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي ، قال : سمعت
الصاحب يقول : أنفذ إلى أبو العباس تاش الحاجب رقعة في السر بخط صاحبه
نوح بن منصور ملك خراسان يريدني فيها على الانحياز إلى حضرته ، ليلقى إلى
مقاليد مملكته ، ويعتمدني لوزارته ، ويحكمني في ثمرات بلاده . فكان فيما
اعتذرت به من تركي امثال أمره والصدر عن رأيه ، ذكر طول ذيلي وكثرة حاشيتي
وضممتي وحاجتي لنقل كتبي خاصة إلى أربعمائة جمل ، فما الظن بما يليق بها من
تحمل مثلي !

وحدثني أيضاً ، قال : سمعت الصاحب يقول : حضرت مجلس ابن
العميد عشية من عشايا شهر رمضان ، وقد حضره الفقهاء والمتكلمون للمناظرة ،
وأنا إذ ذاك في ريعان شبابي ، فلما تقوض المجلس ، وانصرف القوم ، وقد حل
الإفطار نكرت ذلك فيما بيني وبين نفسي ، واستقبحت إغفاله الأمر بتفطير
الحاضرين مع وفور رياسته ، واتساع حاله ، واعتقدت ألا أدخل بما أدخل به إذا
قمت يوماً بمقامه ، قال : فكان الصاحب لا يدخل عليه في شهر رمضان بعد العصر
أحد كائناً من كان فيخرج من داره إلا بعد الإفطار عنده ، وكانت داره لا تخلو في
كل ليلة من ليالي شهر رمضان من ألف نفس مفطرة فيها ، وكانت صلاته وصدقاته
وقرباته في هذا الشهر تبلغ مبلغ ما يطلق منها في جميع شهور السنة .

وحدثني بديع الزمان أبو الفضل الهمداني ، قال : لما أدخلني والدي إلى
الصاحب ووصلت إلى مجلسه ، واصلت الخدمة بتقيل الأرض ، فقال لي : يا
بني اقعد ، كم تسجد ؟ كأنك هدهد !

قال : وقد قال يوماً لبعض من تأخر عن مجلسه لعله وجدها : ما الذي كنت تشكّيه ؟ قال « الحما » قال « قه » يعني « الحماقة » فقال « وه » يعني « القهوة » .
قال : واستأذن عليه الحاجب يوماً لإنسان طرسوسي فقال « الطر » في لحيته ، و « السوس » في حنطته .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي يقول : سمعت بعض ندماء الصاحب يقول : كنت يوماً بين يدي الصاحب فقدم البطيخ فقلت « لا مترك » فقال « بالعجلة لمرتك » (؟) وكنت أريد أن أقول لا مترك للبطيخ فسبقني إلى التنادر بهذا التجنيس .

حدثني أبو منصور البيع قال : دخلت يوماً على الصاحب فطاولته الحديث فلما أردت القيام قلت : لعلّي طوّكت فقال : لا بل تطوّكت .

وحدثني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال أهدي العميري قاضي قزوین إلى الصاحب كتاباً وكتب معها [من الخفيف] :

العميري عبد كافي الكفاة ومن اعتدّ في وجوه القضاة
خدم المجلس الرفيع بكتب مفعماتٍ من حسنّها مترعات

فوقع تحتها [من الخفيف] :

قد قبلنا من الجميع كتاباً ورددنا لوقتها الباقيات
لست أستغنم الكثير فطبعي قول خذ ، ليس مذهبي قول هات

قال : وكتب إليه بعض العلوية يخبر بأنه رزق مولوداً ، ويسأله أن يسميه .
ويكنيه فوقه في رقعته .

أسعدك الله بالفارس الجديد ، والطالع السعيد ، فقد والله ملأ العين قرة ،
والنفس مسرة مستقرة . والاسم عليّ ليعليّ الله ذكره ، والكنية أبو الحسن ليحسن

الله أمره . فإني أرجو له فضل جده ، وسعادة جده ، وقد بعثت لتعويذه ديناراً من مائة مثقال ، قصدت به مقصد الفال ، رجاء أن يعيش مائة عام ، ويخلص خلاص الذهب الإبريز من نوب الأيام ، والسلام .

قال : وكتب إليه أبو منصور الجرجاني [من مجزوء الرجز] :

قل للوزير المرتجى كافي الكفاة الملتجى
إني رزقت ولداً كالصبح إذ تبلجاً
لا زال في ظلك ظلُّ المكرمات والحجى
فسمِّه وكنِّه مشرفاً متوجاً

فوقع تحتها [من مجزوء الرجز] :

هنثته هنثته شمس الضحى بدر الدجى
فسمِّه محسنأ وكنِّه أباً الرجا

وعرض على بعض الإصبهانيين رقعة لأبي حفص الوراق الإصبهاني ، قد أخذ منها البلى ، وفيها توقيع صاحب ، وهذه نسخة الرقعة :

لولا أن الذكرى - أطال الله بقاء مولانا صاحب الجليل ! - تنفع المؤمنين ، وهزة الصمصام تعين المصلتين ، لما ذكرت ذاكرةً ، ولا هزرت ماضياً . ولكن ذا الحاجة لضرورته يستعجل النجح ، ويكد الجواد السمح . وحال عبد مولانا - أدام الله تأييده ! - في الحنطة مختلفه ، وجرذان داره عنها منصرفه . فإن رأى أن يخلط عبده بمن أخصب رحله ، ولم يشد رحله ، فعل إن شاء الله تعالى . . . وهذه نسخة التوقيع :

أحسنت أباً حفص قولاً ، وسنحسن فعلاً ، فبشر جرذان دارك بالخصب ، وأمنها من الجذب ، فالحنطة تأتيك في الأسبوع ، ولست عن غيرها من النفقة بممنوع ، إن شاء الله تعالى .

وسمعت أبا النصر محمد بن عبد الجبار العتبي ، يقول : كتب بعض أصحاب الصاحب رقعة إليه في حاجة فوقع فيها ، ولما ردت إليه لم يرفهها توقيعاً ، وقد تواترت الأخبار بوقوع التوقيع فيها ، فعرضها على أبي العباس الضبي ، فما زال يتصفحها ، حتى عثر بالتوقيع وهو ألف واحدة وكان في الرقعة : فإن رأى مولانا أن ينعم بكذا فعل ، فأثبت الصاحب أمام « فعل » ألفاً يعني « أفعّل » .

وسمعت الأمير أبا الفضل الميكالي ، يقول : كتب بعض العمال رقعة إلى الصاحب في التماس شغل ، وفي الرقعة : إن رأى مولانا أن يأمر بإشغالي ببعض أشغاله ، فوقع تحتها : من كتب إشغالي ، لا يصلح لأشغالي .

وحدثني أبو الحسن علي بن محمد الحميري ، قال : رفع الضرابون من دار الضرب قصة إلى الصاحب في ظلامة لهم مترجمة بالضرايين ، فوقع تحتها « في حديد بارد » .

وحدثني أبو سعد نصر بن يعقوب ، قال : كان الصاحب يقول بالليلي لجلسائه إذا أراد أن يبسطهم ويؤنسهم : نحن بالنهار سلطان ، وبالليل إخوان .

وحدثني أيضاً قال : قال الصاحب : ما أفحمني أحد كالبديهي ، فإنه كان عندي يوماً ، وأتينا بفاكهة ومشمش فأمعن فيه ، فاتفق أنني قلت : إن المشمش يلطخ المعدة ، فقال : لا يعجبني الميزبان إذا تطب .

وسمعت أبا نصر سهل بن المرزبان يقول : كان الصاحب إذا شرب ماء بثلج أنشد على أثره [من الرجز] :

قعقة الثلج بماء عذب تستخرج الحمد من اقصى القلب
ثم يقول : اللهم جدد اللعن على يزيد .

وحدثني أبو الحسن الدلفي المصيصي ، قال : انتحل فلان (يعني أحد

المتشاعرين) بحضرة صاحب شعراً له ، وبلغه ذلك ، فقال : أبلغوه عني
[من المجتث] :

سرت شعري ، وغيري يضام فيه . ويخدع
فسوف أجزيك صفعاً يكدُّ رأساً وأخدع
فسارق المال يقطع وسارق الشعر يصفع

قال : فاتخذ الليل جملاً ، وهرب من الري .

وحدثني غيره قال : كتب إنسان إلى صاحب رقعة وقد أغار فيها على
رسائله وسرق جملة من ألفاظه ، فوقع فيها (هذه بضاعتنا ردت إلينا) .

ووقع في رقعة استحسناها (أفسح هذا أم أنتم لا تبصرون ؟) .
ووقع في كتاب بعض مخالفيه (فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما
يكسبون) .

ووقع في رقعة أبي محمد الخازن وكان ذهب مغاضباً ثم كتب إليه يستأذنه
في معاودة حضرته (ألم نربك فينا وليداً ولبثت فينا من عمرك سنين وفعلت فعلتك
التي فعلت) .

وعرض على أبو الحسن الشقيقي البلخي توقيع صاحب إليه في رقعة : من
نظر لدينه نظرنا لدنياه ، فإن أثرت العدل والتوحيد ، بسطنا لك الفضل والتمهيد ،
وإن أقمت على الجبر ، فليس لكسرك من جبر .

ووقع في رقعة بعض خطاب الأعمال : التصرف لا يلتمس بالتكفف إن
احتجنا إليك صرفناك ، وإلا صرفناك .

ورفع إليه بعض منهبي الأخبار : أن رجلاً ممن ينطوي له على غير الجميل
يدخل داره في الناس ، ثم يتلوّم على استراق السمع ، فوقع : دارنا هذه خان ،
يدخلها من وفي ومن خان .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان مكي المنشد قد انتاب صاحب بجرجان ، وكان قديم الخدمة له ، فأساء أدبه غير مرة ، فأمر صاحب بحبسه ، فحبس في دار الضرب وهي بجواره بجرجان ، فاتفق أنه صعد يوماً سطح داره لحاجة في نفسه وأشرف على دار الضرب ، فلما رآه مكي نادى بأعلى صوته : (فاطلع فرآه في سواء الجحيم) فضحك صاحب وقال (اخسئوا فيها ولا تكلمون) ثم أمر بإطلاقه .

وحدثني أبو النصر العتيبي قال : سمعت أبا جعفر دهقان بن ذي القرنين يقول : قدمت إلى صاحب هدية أصحابيها الأمير أبو علي محمد بن محمد برسمه واعتذرت إليه بأن قلت : إنها إذا نقلت إلى حضرته من خراسان كانت كالتمر ينقل إلى كرمان . فقال : قد ينقل التمر من المدينة إلى البصرة على جهة التبرك وهذه سبيل ما يصحبك .

وحدثني الهمداني قال : كان واحد من الفقهاء يعرف بابن الخضيري ، يحضر مجلس النظر للصاحب بالليالي ، فغلبته عيناه مرة وخرج منه ريح لها صوت ، فخجل وانقطع عن المجلس ، فقال صاحب : أبلغوه عني [من البسيط] :

يا ابن الخضيري لا تذهب على خجلٍ لحادثٍ منك مثل الناي والعود
فإنها الريح لا تستطيعُ تحبسها إذ أنت لست سليمان بن داود
وحكي أن مثل هذا الأمر وقع للهمداني في مجلس صاحب فخجل ، وقال : صرير التخت ، فقال صاحب : أخشى أن يكون صرير التخت ، فيقال إن هذه الخجلة كانت سبب مفارقتها لتلك الحضرة وخروجه إلى خراسان .

وحدثني أبو نصر النمري بجرجان قال : سمعت القاضي أبا الحسن علي بن عبد العزيز يقول : انصرفت يوماً من دار صاحب ، وذلك قبيل العيد ، فجاءني

رسول بعطر الفطر ومعه رقعة بخطه فيها هذان البيتان [من الكامل] :

يا أيُّها القاضي الذي نفسي له مع قرب عهد لقائه مشتاقه
أهديت عطراً مثل طيب ثنائه فكأنما أهدى له أخلاقه

وقال : وسمعته يقول : إن صاحب يقسم لي من إقباله وإكرامه بجرجان
أكثر مما يتلقاني به في سائر البلاد ، وقد استعفيت يوماً من فرط تحفّيه بي أو توضعّه
لي ، فأنشدني [من الكامل] :

أكرم أخاك بأرض مولده وأمدّه من فعلك الحسن
فالعزُّ مطلوبٌ وملتمسٌ وأعزه ما نيل في الوطن

ثم قال لي : قد فرغت من هذا المعنى في العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولي
[من الطويل] :

وشيّدت مجدي بين قومي فلم أقلّ ألا ليت قومي يعلمون صنيعي
فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قول الله تعالى (يا ليت قومي يعلمون
بما غفر لي ربي وجعلني من المكرمين) .

وحدثني أبو حنيفة الدهشتاني ، قال : كتب صاحب إلى أبي هاشم العلوي
وقد أهدى إليه في طبق فضة عطراً [من الكامل] :

العبد زارك نازلاً برواقك يستنبط الإشراق من إشراقك
فاقبل من الطيب الذي أهديته ما يسرق العطار من أخلاقك
والظرف يوجب أخذه مع ظرفه فأضف به طبقاً إلى أطباقك^(١)

وحدثني عون بن الحسين الهمداني ، قال : سمعت أبا عيسى بن المنجم

(١) الظرف : اللطافة والكياسة ، ومع ظرفه : أي غلافه .

يقول : سمعت صاحب يقول : ما استأذن لي على فخر الدولة وهو في مجلس الأنس إلا انتقل إلى مجلس الحشمة ، فيأذن لي فيه ، وما أذكر أنه تبدل بين يدي ومازحني قط إلا مرة واحدة ، فإنه قال لي في شجون الحديث ، بلغني أنك تقول المذهب مذهب الاعتزال ، والنيك نيك الرجال . فأظهرت الكراهة لانبساطه وقلت بنا من الجدم لا نفرغ معه للهزل ، ونهضت كالمغاضب ، فما زال يعتذر إليّ مراسلة ، حتى عاودت مجلسه ، ولم يعد بعدها لما يجري مجرى الهزل والمدح .

وسمعت أبا الحسن العلوي الهمداني الوصي ، قال : لما توجهت تلقاء الري في سفارتي إليها من جهة السلطان ، فكرت في كلام ألقى به صاحب . فلم يحضرني ما أرضاه ، وحين استقبلني في العسكر ، وأفضى عناني إلى عنانه ، جرى على لساني (ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم) فقال (إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون) ثم قال : مرحباً بالرسول ابن الرسول ، الوصي ابن الوصي .

وحدثني أبو الحسين النحوي قال : كان صاحب منحرفاً عن أبي الحسين ابن فارس لانتسابه إلى خدمة ابن العميد ، وتعصبه له ، فأنفذ إليه من همدان كتاب الحجر من تأليفه ، فقال صاحب : رد الحجر من حيث جاءك ، ثم لم تطب نفسه بتركه ، فنظر فيه وأمر له بصله .

وسمعت أبا القاسم الكرخي يقول : دخل أبو سعيد الرستمي يوماً دار صاحب فنظر إلى الخلع والأحذية السلطانية المحمولة برسم صاحب والناس يقيمون رسم الثار لها ، فارتجل قصيدة أولها [من البسيط] :

ميلوا إلى هذه النعمى نحيها ودار ليلي فخلّوها لأهلها

وسمعت أبا جعفر الطبري الطبيب المعروف بالبلاذري ، يقول : إن للصاحب رسالة في الطب لو علمها ابن قرّة وابن زكرياء لما زادوا عليها . فسأله أن

يعيرنيها إن كانت عنده ، فذكر أنها في جملة ما غاب عنه من كتبه ، فاستغربت واستبعدت ما حكاه من تطيب الصاحب ونسبته في نفسي إلى التزيد والتكثر ، إلى أن ظفرت في نسخة الرسائل المؤلفة المبوبة للصاحب برسالة قدرتها تلك التي ذكرها أبو جعفر ، ووجدتها تجمع إلى ملاحاة البلاغة ، ورشاقة العبارة ، حسن التصرف في لطائف الطب وخصائصه ، وتدلل على التبحر في علمه وقوة المعرفة بدقائقه ، وهذه نسختها ، وأكثر ظني أنه قد كتبها إليّ أبو العباس الضبي .

قد عرفت ما شرحه مولاي من أمره ، وأنبأ عنه من أحوال جسمه ، فدلّني جملته على بقايا في البدن يحتاج معها إلى الصبر على التنقية ، والرفق بالتصفية ، فأما الذي يشكوه من ضعف معدته وقلة شهوته فلا مريم : أحدهما أن الجسم كما قلت آنفاً لم ينق فتفتق الشهوة الصادقة وترجع العادة السابقة . والآخر أن المعدة إذا دامت عليها المطفئات ولزت^(١) بها المبردات قلت الشهوة وضعف الهضم ، ومع ذلك فلا بد مما يظفي ويغذي . ثم يمكن من بعد أن يتدارك ضعف المدة بما يقوى منها ويزيل العارض المكتسب عنها ، كما يقول الفاضل جالينوس : قدم علاج الأهم ثم عد وأصلح ما أفسدت . والأقراص في آخر الحميات خير ما نقيت به المعدة ، وأصلحت به العروق . وقوي به الطحال ، ليتمكن من جذب العكر لا سيما والذي وجده مولاي ليس الذنب فيه للحميات التي وجدها والبلدة التي وردّها ، فلو صادف الهواء المتغير جسداً نقياً من الفضول لما أثر هذا التأثير . ولا طول هذا التطويل . وإنما اغتر مولاي بأيام السلامة فكان يتبسّط في أنواع الطعام ويسرف في تناول الشراب ، فامتلا الجسم من تلك الكيموسات الرديئة ، وورد بلداً شديداً التحليل مضطرب الأهوية فوجدت النفس عوناً على حل ما انعقد . ونقض ما اجتمع . وسيتفضل الله بالسلامة فتطول صحبتها وتتصل مدتها لأن الجسد يخلص خلاص الإبريز ، إذا زال عنه الخبث ، وسبك ففارقه الدرن . وأما الرعشة التي

(١) لزّت : لصقت ولزمت .

يتألم مولاي منها ، ويضيق صدرها بها ، فليست والحمد لله محذورة العاقبة ، وإنها لتزول بإقبال العافية . فالرعدة التي تتخوف هي التي تعرض من ضعف القوة الحيوانية كما تعرض للمشايخ ، وتؤدي لمشاركتها الدماغ كثيراً من العظام ، فأما هذه التي تعتاد عقيب الحمى فهي على ما قال جالينوس من أن حدوثها يكون إذا شاركت العروق التي تحدث فيها علة العصب ، وتزول عنه بزوال الفضل . وعجب مولاي من تكرهه شم الفواكه ، ولا غرو إذا عرف السبب ، فإن العفونة التي في العروق قد طبقت روائحها آلات الشم ، فما يصل إليها من الروائح الزكية ، يرد على النفس مغموراً بتلك الروائح الخبيثة فتكرهها ولا تقبلها . وتأبأها ولا تؤثرها .

ألا يرى مولاي أن الأشياء الحلوة توجد في فم ذي الصفراء بطعم الأشياء المرة المرارة المضادة للحلاوة على آلات الذوق والمضغ والإدارة وهذا راجع إلى مثل ما حكمنا به أولاً من أن هناك فضلاً لا يمكن الهجوم على تحليله ، لما يخشى من سقوط القوة ، وإن كان مما لم يخرج لم يوثق بوفور الصحة ، وأنا أحمد الله إذ ليست شهوة سيدي متزايدة ، فالشهوة الغالبة مع الأخلاط الفاسدة تغري صاحبها بالأكل الزائد ، وتعرض للمزاج الفاسد . إلا أن التغذية لا يجوز إهماله دفعة والتبرم به ضربة . فإن البدن إذا احتاج إليه وجب للعليل أن يتناوله تناول الدواء الذي يصبر عليه . وذلك أن في دقة الحمية وترك الرجوع أول فأول إلى عادة الصحة إماتة للشهوة ، وخيانة للقوة .

وجالينوس يشترط في العلاجات أجمع استحفاظ القوى ، لأن الذي يفعله الضعيف لا يتداركه أمر ، إلا أن ذلك بإزاء ما قال الحكيم الأول بقراط في البدن السقيم : إنك متى ما زدت غذاء زدت شراً ، وهو في نفسه يقول : إن الحمية التي في غاية الدقة ليست بمحمودة ، فالطرفان من الإسراف والإجحاف مذمومان ، والواسطة أسلم ، أغنى الله مولاي عن الطب والأطباء بالسلامة والشفاء .

وسمعت عوناً الهمداني يقول : أتى الصاحب بغلام مثاقف^(١) ، فلعب بين يديه ، فاستحسن صورته . وأعجب بمثاقفته ، فقال لأصحابه : قولوا في وصفه ، فلم يصنعوا شيئاً ، فقال الصاحب [من السريع] :

مثاقفٌ في غاية الحذق فاق حسان الغرب والشرق
شبهته والسيف في كفه بالبدر إذ يلعب بالبرق

وأشدني أبو سعيد بن دوست الفقيه ، قال : أنشدني أبو علي العراقي العوامي الرازي ، قال : أنشدني الصاحب لنفسه [من السريع] :

كم نعمةً عندك موفورةً لله فاشكرُ يا ابن عباد
قم فالتمس زادك وهو التقى لن تسلك الطريق بلا زاد

* * *

جرى الشعراء بحضرة الصاحب

في ميدان اقتراحه الديارات

أقرأني أبو بكر الخوارزمي كتاباً لأبي محمد الخازن ورد عليه في ذكر الدار التي بناها الصاحب بإصبهان وانتقل إليها ، واقتراح على أصحابه وصفها ، وهذه نسخته بعد الصدر .

نعم الله عند مولانا الصاحب أدام الله تأييده مترادفة ، وأياديه لديه متضاعفة ، وأرى أولياء النعم كبت الله أعداءهم تتظاهر كل يوم حسناً في إعظامه وبصائرهم تتراعى قوة في إكرامه ، والوفود على بابهِ المعمور ، كرجل الجراد ، وانتقل إلى البناء المعمور بالفأل المسعود فرأينا يوماً مشهوداً ، وعيداً يجنب عيداً ، واجتمع المادحون ، وقال القائلون ، ولو حضرني القصائد لأنفذتها إلا أنني علقت

(١) المثاقف : الذي يحسن استعمال الرمح والسيف .

من كل واحدة ما علق بحفظي . والشيخ مولاي يعرف ملك النسيان لرقمي ، فقصيدة
الأستاذ أبي العباس الضبي أولها [من البسيط] :

| | |
|-----------------------------------|---|
| دار الوزارة ممدودٌ سرادقها | ولا حقٌ بذرى الجوزاء لاحقها |
| والأرض قد واصلت غيظ السماء بها | فقطرها أدمعٌ تجري سوابقها |
| بودّها أنها من أرض عرصتها | وأنّ أنجمها فيها طوابقها ^(١) |
| فمن مجالس يخلفن الطواوس قد | أبرزن في حللٍ شامت شقائقها |
| ومن كنائس يحكين العرائس قد | ألبنن مجسدة راقّت طرائقها ^(٢) |
| تفرّعت شرفاتٌ في مناكبها | يرتدّ عنها كليل العين رامقها ^(٣) |
| مثل العذارى وقد شدّت مناطقها | وتوجّت بأكاليلٍ مفارقها |
| كلّ امرئٍ سوّغته الحجب رؤيتها | وأشرقت في محيّا مشارقها |
| مخلّفٌ قلبه فيها وناظره | إذا تجلّت لعينه حقائقها |
| والدهر حاجبها يحمي مواردها | عن الخطوب إذا صالت طوارقها ^(٤) |
| مواردٌ كلما همّ العفاة بها | عادت مفاتح للنعمى مغالقها |
| دار الأمير التي هذي وزارتها | أهدت لها وشحاً راقّت نمارقها |
| هذي المعالي التي اغتصّ الزمان بها | وافتك منسوقةً والله ناسقها |
| إنّ الغنائم قد آلت معاهدةً | لا زایلتها ولا زالت تعانقها ^(٥) |
| لأرضها كلّما جادت مواهبها | وفي ديار معاديبها صواعقها |

ومن قصيدة الشيخ أبي الحسن صاحب البريد وهو ابن عمّة الصاحب [من
البسيط] :

(١) العرصة : الساحة .

(٢) الكنائس : الظباء .

(٣) الرامق : المتطلع ، وكليل العين : حسيها .

(٤) الطوارق : الأحداث .

(٥) آلت : أقسمت ، وزایل : فارق .

دارٌ على العزِّ والتأييد مبناهَا
دارٌ، تباهى بها الدنيا وساكنها
فاليمن أصبح مقروناً بيمينها
من فوقها شرفات طال أداها
كأنها غلمة مصطفة لبست
انظر إلى القبة الخضراء مذهبة
تلك الكنائس قد أصبحن رائقة
فالربع بالمجد لا بالصحن متسع
لما بنى الناس في دنياك دورهم
فلو رضيت مكان البُسط أعيننا
وهذه وزراء الملك قاطبة
فأنت أرفعها مجداً وأسعدها
وأنت آدبها بل أنت أكتبها
كسوتني من لباس العزِّ أشرفه
ولست أقرب إلاً بالولاء وإن

وللمكارم والعلياء مغناها
طراً، وكم كانت الدنيا تمناها
واليسر أصبح مقروناً بيسراها
يد الثريا فقل لي كيف أقصاها
بيض الغلائل أمثالاً وأشباها
كأنما الشمس أعطتها محياها
مثل الأوانس تلقانا وتلقاها
والبهولا بالحلى بل بالعلا باهى
بنيت في دارك الغراء دنياها
لم تبق عين لنا إلاً فرشناها
بيادق، لم تزل ما بيننا شاهاً^(١)
جداً وأجودها كفاً وأكفاها
وأنت سيدها بل أنت مولاهَا
المال والعز والسلطان والجاها
كانت لنفسى من عليك قرباها

ومن قصيدة مولاي أبي الطيب الكاتب [من الطويل] :

ودارٍ ترى الدنيا عليها مدارها
بناها ابن عبادٍ ليعرض همّة
يردُّ على الدنيا بها كلَّ غدرٍ
وإن قيل بهتاً قد حكّت تلك هذه

تحوز السماء أرضها وديارها
على هممٍ إسرافهنَّ آقتصارها
إذا ما تبارت داره وديارها
فقد يتوارى ليلها ونهارها^(٢)

(١) البيدق والشاه : من حجارة الشطرنج .

(٢) بهتاً : زوراً .

فإن لم يكن في صحن دارك بعض ما أصدر فالدنيا يصحّ اعتذارها
ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

| | |
|--------------------------------|---|
| نصبن لحبات القلوب حباثلا | عشيّة حلّ الحاجبات حباثلا |
| نشدن عقولاً يوم برقة منشدي | ضلّلن فطالبنا بهنّ العقائلا ^(١) |
| عقائل من أحياء بكرٍ ووائلي | يحبين للعشّاق بكرّاً ووائلا |
| عيونٌ ثكلن الحسن منذ فقدنها | ومن ذا رأى قلبي عيوناً ثواكلا |
| جعلت ضنى جسمي لديها ذرائعاً | وسائل دمعِي عندهنّ وسائل |
| وركب سراً حتّى حسبت بأنّهم | لسرعتهم عدّوا إليك المراحلا |
| إذا نزلوا أرضاً رأوني نازلاً | وإنّ رحلوا عنها رأوني راحلا |
| وإنّ أخذوا في جانبٍ ملت آخذاً | وإنّ عدلوا عن جانبٍ ملت عادلا |
| وإنّ وردوا ماءً وردت وإن طوا | طويت وإن قالوا تحوكت قائلا |
| وإنّ نصبوا للحرّ حرّاً وجوهم | تمثّلت حرباءً على الجذّل ماثلا ^(٢) |
| وإنّ عرفوا أعلام أرضٍ عرفتها | وإنّ أنكروا أنكرت منها المجاهلا |
| وإنّ عزموا سيراً شددت رحالهم | وإنّ عزموا حلاً حللت الرحائلا |
| وإنّ وردوا ماءً حملت سقاءهم | أو انتجعوا غيشاً حدوت الزواملا ^(٣) |
| أو استنفدت خوص الركائب منها | أعدت لهم من فيض دمعِي مناهلا ^(٤) |
| يظنّون أنّي سائلٌ فضل زادهم | ولولا الهوى ما ظنّني الركب سائلا |
| وأقسمت بالبيت الجديد بناؤه | يحيي ومن يحفي إليه المراقلا ^(٥) |
| هي الدار أبناء الندى من حجيجها | نوازل في ساحاتها وقوافلا |

(١) العقائل : النساء المصونات الشريفات .

(٢) الجذّل : أصل الشجرة الباقي بعد ذهاب الفرع أو عددٌ ينصب لتحتك به الجمال الجري .

(٣) الزوامل : النوق .

(٤) الخوص : النوق .

(٥) المراقل : النوق السريعة .

يزرنك بالآمال مثنىً وموحداً
قواعد إسماعيل يرفع سمكها
فكم أنفـسٍ تأوي إليها مغدّةً
وسامية الأعلام تلحظ دونها
نسخت بها إيوان كسرى بن هرمز
فلو أبصرت دار العماد عمادها
ولو لحظت جنّات تدمر حسنـها
يناطح قرن الشمس من شرفاتها
وعولٌ بأطراف الجبال تقابلتُ
كأشكال طيرِ الماء مدّت جناحها
وردّت شعاع الشمس فارتدّ راجعاً
إذا ما ابن عبادٍ مشى فوق أرضها
كنائس ناظت بالنجوم كواهلاً
وفيحاء لو مرّت صبا الريح بينها
متى ترها خلت السماء سرادقاً

ويصدرن بالأموال دثراً وجاملاً^(١)
لنا كيف لا نعتدّهنّ معاقلاً
وأفئدة تهوي إليها حوافلاً^(٢)
سنا النجم في آفاقها متضائلاً
فأصبح في أرض المدائن عاطلاً
لأمسّت أعاليها حياءً أسافلاً
درت كيف تبنى بعدهنّ المجادلاً^(٣)
صفوف طباءٍ فوقهنّ موائلاً
ومدّت قروناً للنتّاح موائلاً
وأشخصن أعناقاً لها وحواصلاً
وسدّت هبوب الريح فارتدّ ناكلاً^(٤)
مشى الزّهو في أكنافها متمائلاً
وعادت فألقّت بالنجوم كلاكلاً
لضلّت فظلّت تستنير الدلائلاً
عليها وأعلام النجوم تمائلاً

ومنها في وصف الماء الجاري ، وهو أحسن ما سمعت فيه على كثرتـه :

هواءٌ كأيام الهوى فرط رقةٍ
وماءٍ على الرضراض يجري كأنّه
كأنّ بها من شدّة الجري جنّةً
وقد فقد العشّاق فيها العواذلاً
صفائح تبرّقّب سبكن جدّاولاً^(٥)
فقد البستهنّ الرياح سلاسلأ

(١) الدثر : الكثير من كلّ شيء كالمال وغيره .

(٢) مغدّة : طلباً للغذاء .

(٣) المجادل : الأبنية المحكمة والمتقنة .

(٤) الناكل : الضعيف الجبان .

(٥) الرضراض : الحصى الرقاق في مجاري الماء .

ولو أصبحت داراً لك الأرض كلها
ولو كنت تبنيها على قدر همة
عقدت على الدنيا جداراً فحزتها
وأغنى الورى عن منزلٍ من بنتٍ له
ولا غرو أن يستحدث الليث بالسرى
ولم يعتمد داراً سوى حومة الوغى
ولا حاجباً إلا حساماً مهتداً
ووالله ما أرضى لك الدهر خادماً
ولا الفلك الدوار داراً ولا الورى
أخذت بضبع الأرض حتى رفعتها
فإنّ الذي يبينه مثلك خالدٌ

لضاقت بمن ينتاب دارك آملاً
سمت بك واستسرت إليك المراسلاً
جميعاً ، ولم تترك لغيرك طائلاً
معاليه فوق الشعرين منازل^(١)
عريناً ، وأن يستطرف البحر ساحلاً
ولا خدماً إلا القنا والقنابلاً^(٢)
ولا عاملاً إلا سناناً وعاملاً
ولا البدر متتاباً ولا البحر نائلاً
عييداً ولا زهر النجوم قبائلاً
إلى غاية أمسى بها النجم جاهلاً^(٣)
وسائر ما يبنى الأنام إلى بلى

ومن قصيدة أبي الحسن الجرجاني [من الطويل] :

ليهن ويسعد من به سعد الفضل
تولى له تقديرها رحب صدره
بنية مجدٍ تشهد الأرض أنها
تكلف أحداق العيون تخاوصاً
مناراً لأبصار الرواة ، وربّها
سحابٌ علا فوق السحاب مصاعداً
وقد أسبل الخيري كمي مفاخرٍ

بدارٍ هي الدنيا ، وسائرها فضل^(٤)
على قدره ، والشكل يعجبه الشكل
ستطوى وما حاذى السماء لها مثل
إليه كأنّ الناس كلّهم قبل^(٥)
مناراً لآمال العفاة إذا ضلّوا
وأحرى بأن يعلو وأنت له وبلى
بصحنٍ به للملك يجتمع الشمل

(١) الشعرى : نجم في السماء .

(٢) القنابلا : الجماعة من الناس والخيول .

(٣) ضبع الأرض : ابطها .

(٤) وسائرها فضل : أي كلّها بقية له .

(٥) التخواص : من الخوص وهو صغر العين يريد أن المتطلّع إليها يخفض بصره .

كما طلع النسر المنير مصفّقاً
 بنيت على هام العداة بنيةً
 ولو كنت ترضى هامهم شرفاً لها
 ولكن أراها لو هممت برفعها
 تحجّ لها الآمال من كلّ وجهةٍ
 وما ضرّها ألاّ تقابل دجلةً
 تجلّى لأطراف العراق سعوها
 كذا السعد قد ألقى عليها شعاعه
 وقالوا تعدّى خلقه في بنائها
 فقلت إذا لم يلهه ذاك عن ندى
 إذا النصل لم يذمم نجاراً وشيمةً
 تملّ على رغم الحواسد والعدى

جناحيه لولا أنّ مطلعته عقل
 تمكّن منها في قلوبهم الغلّ
 أتوك بها جهد المقلّ ولم يألوا^(١)
 أبى الله أن تعلو عليك فلم تعلو
 وينحر في حافات البخل والمحل
 وفي حافتها يلتقي الفيض والهطل
 فعاد إليها الملك والأمن والعدل
 فليس لنحسٍ في مطارحها فعل
 وكان وما غير النّوال به شغل
 فماذا على العلياء إنّ كان لا يخلو
 تأنّق في غمدٍ يصان به النّصل^(٢)
 علاك ، وعش للجود ما قبح البخل

ومن قصيدة أبي القاسم الزعفراني [من الخفيف] :

سرك الله بالبناء الجديد
 هذه الدار جنة الخلد في الدنيا
 أمة زينت لسيدها الما
 حليها حسنهما فقد غنيت عن
 إرم المسلمين لا ذكر شداً
 ما تشكّكت أن رضوان قد خا
 كلّ مستخدمٍ فداء وزيرٍ

تلك حال الشكور لا المستزيد
 يا فصلها وأختها بالخلود
 لك لا زينة الفتاة الرود^(٣)
 كل مستطرفٍ بلبس التليد
 د بن عادٍ فيها ولا اسم شديد
 ن وإلاّ لم مثلها في الصعيد ؟
 خدمته الرجال بعد الأسود

(١) يألوا : يقصّروا .

(٢) النجار : الأصل .

(٣) الفتاة الرود : الفتاة الحسناء الفتيّة .

ألزم الإنس كلَّ جافٍ شديدٍ عمل الجن كلَّ جافٍ مريدٍ
فابتنوا ما لو ان هامان يدنو منه لم يرض صرحه للصعود
قد تولى الإقبال خدمته فيـه على رسمه كبعض الجنود
ودرى أنَّه يزيد معيناً مثله فاستعان بالتسميد^(١)
قال للجصّ كن رصاصاً وللاً جر لما علاه كن من حديد
فتناهى البنيان وارتفع الإيوان حتى أناف بالتشديد
وتبدّت من فوقه شرفاتٌ كنساءٍ أشرفن في يوم عيد
قسماً لا مدحت بعد ابن عبا د منيل الشباب والتخليد
لا لقيت الزمان إلّا بوجهٍ ماؤه لا يجول في جلمود
ويذر ما حسرت ردّني عنها فهي سيفٌ يسان عن تجريد
أجمع الناس أنَّه أفضل النا س اضطراراً أغنى عن التقليد
فلهذا أعدّ قربي منه نعمةً ليس فوقها من مزيد
لا ذكرت العراق ما عشت إلّا أن أراه يؤمه في الجنود

ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الكامل] :

دارٌ تمكّنت المناهج فيها نطقت سعود العالمين بفيها

ومن قصيدة أبي محمد بن المنجم [من الطويل] :

هجرت ولم أنو الصدود ولا الهجرا ولا أضمرت نفسي الصروف ولا الغدرا
وكيف وفي الأحشاء نار صباية تشبّب لي في كلّ جارحةٍ جمرا^(٢)
تقول لي الأفكار لما دعوتها لتنظم في معمر بنيانه شعرا
بنى مسكناً باني المفخر أم فخرا وجنّتنا الأولى بدت أم هي الأخرى ؟

(١) التسميد : أي جعل فيها السّاد .

(٢) تشبّب : توقّد .

أم الدار قد أجرى الوزير سعودها
وتبدو صحوً كالظنون فسيحة
وفي القبة العليا زهر كواكب
إذا ما سما الطرف المخلق نحوها
فلم تجردارُ في الشرى ذلك المجرى
تقدّرُها حلمًا فتنعتها حزرا^(١)
من الضرب المضروب والذهب المجرى^(٢)
رأها سماءً صحف أنجمها تقرا

ومن قصيدة أبي عيسى بن المنجم [من الطويل] :

هي الدار قد عمّ الأقاليم نورها
ولو خبّرت دار الخلافة بادرت
ولو قد تبقت سر من را بحالها
لتسعد فيها يوم حان حضورها
فما حلمت عين الزمان بمثلها
يقول الأولى قد فوجئوا بدخولها
أفي كل قطر غادة وحليها
وأبوابها أثوابها من نفوسها
معظمة إلا إذا قيس سمكها
هي الهمة الطولى أجالت بفكرها
فجاء بدار دار بالسعد نجمها
وقال لها الله الوفي ضمانه
أهنيك بال عمران والعمر دائم
وقد أسجل الإقبال عهدة ملكها
ولو قدرت بغداد كانت تزورها
إليها وفيها تاجها وسريرها
لسار إليها دورها وقصورها
وتشهد دنيا لا يخاف غرورها
وحاشا لها من أن يحسن نظيرها
وحيرهم تحيرها وحيرها^(٣)
وفي كل بيت روضة وغديرها
فلا ظلم إلا حين ترخي ستورها
بهمّة بانيها فتلك نظيرها
مباني تكسوها العلا ويعيرها
وجنبت المحذور ليس يطورها^(٤)
سأحميك ما ضمّ الليالي كرورها
لبانيك ما أفنى الدهور مرورها
وخطت بأقلام السعود سطورها

(١) حزرا : تقديرًا وتحميناً .

(٢) الضرب : الدراهم .

(٣) التحير : التوشية والتزيين ، والحير : من الثياب : الناعم الجديد الملوّن .

(٤) يطورها : يقرها .

ودارت لها الأفلاك كيف أدرتها ودانت إلى أن قيل أنت مديرها
وهاك ابنة الفكر التي قد خطبتها وقدم من قبل الزفاف مهورها
فإن كان للدار التي قد بنيتها نظيراً فسي عرض القريض نظيرها
والأ جررت الذيل في ساحة العلا وقلت القوافي قد أعيد جريرها

ومن قصيدة أبي القاسم عبيد الله بن محمد بن المعلى ، أبوه يكتب لأبي
دلف سهلان بن مسافر ، وقد ورد الباب منذ أشهر ، وهو ممن يفهم ويدري ، وله
بديهة ومعرفة حسنة [من البسيط] :

بي من هواها وإن أظهرت لي جلدا وجدّ يذيب وشوقاً يصدع الكبدا
رمت بأسهم هجر لا تقوم لها خيل العزاء وإن ألبتها زردا
من مبلغ عني الماهات مألكةً تحي الصديق وتردي كل من حسدا^(١)
أنّي ترحلت عن قومي بها قنصاً فإن رجعت إليهم أبصروا أسدا
قل للوزير ابن عباد بنيت علأ أم منزلاً أم كلا هذين أم بلدا
فمن رأى دار مولانا وزينتها رأى بها كوكباً في أفقه فردا

رأى الربيع رأى الروض المريع رأى الـطود المنيع رأى ثهلان قد ركذ^(٢)

ومن قصيدة أبي العلاء الأسدي [من الكامل] :

أسعد بدارك إنّه الخلد والعيش فيها ناعمٌ رغدٌ
دارٌ ولكن أرضها شرفٌ ربعٌ ولكن سقفه مجدٌ
قد أثمرته همّةٌ صعدٌ هي قبل والدنيا لها بعدٌ
هي للعفاة وللندی قبلٌ صلّى إليها الشكر والحمد^(٣)

(١) الماهات : جمع مها وهي البقرة الوحشية ويريد بها « الفتيات » ، والمألكة : الرسالة .

(٢) ثهلان : جبل .

(٣) قبل : جمع قبة أي مقصد .

إيوان كسرى في مدائنه منذ ابتليت دموعه سرد
ولمارد هم يعانقه وكذاك يشجي الأبلق الفرد
والجعفرية لأقوام لها وصفا البديع وولول القرد
أحييت عباداً وأسرته فضلاً ولم يشقق لهم لحد
والحي من حييت مناقبه بابن يؤرخ باسمه المجد
هذي العقيلة من بني أسد تجلى وتحذر صولها الأسد
بكر فلم يعرض لها بشر قبلي ولم يقدح لها زند
زفت إليك وجليها أدب وزكت لديك ومهرها نقد

ومن قصيدة أبي الحسن الغويري [من مجزوء الكامل] :

دارٌ غدت للفضل داره أفلاك أسعده مداره
منها المحامد مستقا والمحاسن مستعاره
شرفاتها هيفُ الخصو ر لها تحاسينُ وشاره
فلكل طرفٍ نحوها ولكل جارحةٍ إشاره
وعلى جميع الدور في الدنيا تقلدت الإماره
فترابها مسكٌ سحيقٌ شقَّ برد الليل فارهِ^(١)
لا تهتدي لنعوت أد ناه الفحول بنو عماره

ومن قصيدة لبعض الشبان من أهل البلد [من الخفيف] :

هي دنياً بنيتها أم دارُ فجميع الأفلاك فيها تدار
ولبعض الشعراء من الغرباء من قصيدة أولها [من الهزج] :

رأينا طلعة الدار شموساً مع أقمار

(١) الفار : وعاء المسك والطيب .

ولي مسألة بعد فعاجلني بأخبار
بنيت الدار في دنيا ك أم دنياك في الدار

أخذ هذا المعنى من حيث أخذه أبو الحسن بن أبي الحسن البريدي [من
البسيط] :

* لما بنى الناس في دنياك دورهم *

وهما أخذه من قول أبي العيلاء حين قال له المتوكل : كيف ترى دارنا
هذه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، عهدي بالناس يبنون الدور في هذه الدنيا وأنت
بنيت الدنيا في دارك هذه .

ولبعضهم قصيدة أولها [من السريع] :

إنَّ الوزير قد بنى دارا والسعد في أكنافها دارا
ومن قصيدة أخرى [من الكامل] :

هتئت جنتك التي تبنيها وبقيت غضاً ناضراً تبليها

ومن قصيدة هزلية لابن عطية الشاعر [من الكامل] :

الملك ملكٌ والأمير أميرٌ والدار دارٌ والوزير وزير

ومنها وقد جد :

تزهى الملوك بدورها ولأنت من تزهى به الدنيا فكيف الدور
لا يعدم الأمراء منك سياسةً لولا سعادتها وهي التدبير^(١)
وكان في جملة الطارئین شیخ أنطاکی فی زی الكتاب حسن البیان ظریف

(١) وهي : ضعف .

اللهجة قد أنافت سنوه على الثمانين وخنقت التسعين ، فقال قصيدة أولها [من المنسرح] :

| | |
|-----------------------------|--------------------------|
| ما أنصف الدار واقفٌ فيها | يثني على غيرها ويطريها |
| فقفٌ بها ناشراً محاسنها | وانح به ما حوت نواحيها |
| ووفها النعت غير مختصر | فليس نزر الشاء يكفيها |
| يكاد يجري السّفين سافلها | يكاد يعلو النجوم عاليها |
| لم يبق في الناس من إذا ذكرت | بوحدة الكون لم يقل إليها |
| فعجٌ بها الصّحب واقض واجبها | وقف بها وقفة المهنيها |
| إنّ أغدُ ذا نعمة فواهبها | أنت فذاك الورى ومنشيها |
| وما تراه عليّ من حلل | فأنت كاسٍ بها ومعطيها |
| وكلّ ما ضمّ منزلي ويدي | من نعمة لي فأنت موليتها |
| لا نسي الله حسن فعلك بل | أسأله في الحياة ينسيها |

قال مؤلف الكتاب : وأنشدني أبو بكر الخوارزمي لنفسه قصيدة في دار
الصاحب عارض بها قصيدة الرستمي في الوزن والقافية إذ هي أجود القصائد فمنها
[من الطويل] :

| | |
|-------------------------------|--------------------------------|
| أكلٌ بناء أنت بانيه معجزُ | بنيت المعالي أم بنيت المنازل |
| فلا الإنس تبني مثلهنّ معالماً | ولا الجنّ تبني مثلهنّ معاقلاً |
| كنائس أضحت للغمام عمائماً | علواً وأمست في الظلام قنادلاً |
| رحابٌ كأنّ قد شاكلت صدر ربّها | وبيضٌ كأنّ قد نازعته الشماثلاً |
| وبهوٌ تباهي الأرض منه سماءها | بأوسع منها آخرأ وأواثلاً |
| وصحنٌ يسير الطرف فيه ولم يكن | ليقطعه بالسّير إلّا مراحلاً |
| تلوح نقوش الجصّ في جدرانها | كما زينّ الوشم الدقيق الأناملأ |
| وماءٌ إذا أبصرت منه صفاءه | حسبت نجوم الليل ذابت سوائلاً |

رأيت سيوفاً قد سللن على الثرى
 وروضٌ كعيش السائلين نضارةٌ
 أصائله للنور أضحت هواجراً
 هي الدار أمست مطرح العلم فاغتنى
 إذا ما انتحاهما الركب لم يتطلبوا
 وأنت امرؤٌ أعطيت ما لو سألته
 وإني وإلزاميك بالشعر بعدما
 كملزم ربُّ الدار أجره داره
 وأنشدني أيضاً لنفسه فيها [من مجزوء الوافر] :

بنيت الدار عاليةً كمثل بنائك الشرفا
 فلا زالت رءوس عداك في حيطانها شرفا

* * *

ذكر البرذونيات

لما نفق برذون أبي عيسى بن المنجم بأصبهان وكان أصداً^(١) قد حمله
 الصاحب عليه وطالت صحبته له أوعز الصاحب إلى الندماء المقيمين في جملته أن
 يعزوا أبا عيسى ويرثوا أصداءه فقال كل منهم قصيدة فريدة، فمن قصيدة أبي القاسم
 الزعفراني [من الخفيف] :

كن مدى الدهر في حمى النعماء مستهيناً بحادث الأرزاء
 ينشئ الخطب حين يلقاك عن طود شديد الثبات للنكباء

(١) انتحى : قصد وتوجه ناحيتها .

(٢) الأصداً : ما كان لونه الشقرة إلى السواد، أو السواد المشرب بالحمرة .

بك يا أحمد بن موسى التسلي والتعزي عن سائر الأشياء
ومعزيك لا يزيدك خبراً بالذي قد عرفته بالعزاء
قد سخا طرفك المفارق بالنفس وطرفي من بعده بالماء
يا له جمره ونجماً وشؤبو باً وبرقاً وطائراً في الرواء^(١)
راكب الليل خائض السيل عيّن الخيل عانته أعين الأعداء^(٢)
فقد الوحش منه أول قطاً عِ إليها المدى أمام الضراء^(٣)
واستراحت من نغمة مقلّة الشمس ومن لطمه حدود الفضاء
ما بدا والصباح قد لاح إلّا جاءنا من قتامة المساء
وترى الطود حين يمثل مجمو عاً على ضمير القنا في الهواء
كم ركبت البراق منه أبا عيسى وإن لم تكن من الأنبياء
فرسٌ لو علاه ذو الزهد عمرو بسن عبيدٍ لتاه في الخيلاء
عدّة الفارس الذي خانّه الصبر قرّامى بصدّره في اللقاء
قد تملّيته وإن كنت ما شا هدت في ظهره وغى الهيجاء
فترى ما يراه غيرك في الحر ب وتقلّى طريقة الندماء^(٤)
كلّ بؤسي أتتك من قبل الله فسلم فيها لجاري القضاء
سوف تعاض من خصيكَ فحلاً لم يشنه بيطاره بالخصاء
من لهى سيدٍ سخيٍّ سريٍّ يشتري بالغلاء كلّ العلاء^(٥)
أي رزءٍ وأيّ وزرٍ على من يتقوى بأنّهض الوزراء
أيّها الصاحب الجليل أتمّ الله نعماك عندنا بالنماء

(١) الشؤبوب : الدفعة من المطر ، والرواء : حسن المنظر .

(٢) عيّن الخيل : نموذجاً لها ، عانته : حسدته .

(٣) الضراء : الشجر الملتف الذي تستتر به .

(٤) تقل : تكره وتهجر .

(٥) اللهى : العطايا وأوسعها .

كم كرعنا من بحر عرفك في كَفِّكَ أصفى ماءً بأوفى إناء
سنةً سنها فتى لا يريد الوصل بين البيضاء والصفراء
جمع الله شمل معتصمٍ منك بحبلي مودةً وولاء
ومن قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني [من الخفيف] :

جلّ والله ما دهاك وعزاً فعزاً إنَّ الكريم معزى
والحفيف الكريم من إن أصابت نكبةً بعد ما يعزُّ يعزى
هي ما قد علمت أحداث دهرٍ لم تدع عدّةً تصان وكزاً
قصدت دولة الخلافة جهراً فأبادت عمادها والمعزاً
وقديماً أفنت جديساً وطمساً حفزتهم إلى المقابر حفزاً^(١)
اصغِ والحظّ ديارهم هل ترى منْ أحدٍ منهمُ وتسمع ركزاً^(٢)
ذهب الطرف فاحتسبُ وتصبّرُ للرزايا فالحرُّ من يتعزى
فعلى مثله استطير فؤاد الحازم الندب حسرةً واستفزاً
لم يكن يسمع القياد على الهوى ن ولا كان نافراً مشمراً
ربّ يومٍ رأيتَه بين جردٍ تتقفاه وهو يجمز جمزاً^(٣)
وكانَّ الأبصار تعلق منه بحسامٍ يهزّ في الشمس هزاً
وتراه يلاعب العين حتّى تحسب العين أنّه يتهزاً
وسواءً عليه هجر أو أسـرى أو انحطّ أو تسنّم نشزاً^(٤)
وكانَّ المضمّار يبرز منه متنٌ حسّي ينزّ بالماء نزاً^(٥)

(١) جديساً وطمساً : من القبائل البائدة .

(٢) الرّكز : البقية ، والحسّ .

(٣) الجرد : الخيل الأصيلة ، وتجمز : تثب وتقفز .

(٤) النّشز : المرتفع .

(٥) الحسّي : السهل من الأرض يستتقع فيه الماء ، وينز : يتحلّب ويسيل منه الماء .

استراحت منه الوحوش وقد كا
 كم غزالٍ أنحى عليه وعيرٍ نال منه وكم تصيّد فزا^(١)
 وصروف الزمان تقصد فيما يستفيد الفتى الأعزّ الأعزّا
 فإذا ما وجدت من جزع النكبة في القلب والجوانح وخزا
 فتذكرّ سوابقاً كان ذا الطر ف إليهّن حين يمدحُ يُعزى
 أين شقٌّ وداحسٌ وصيبٌ غمزتها حوادث الدهر غمزا^(٢)
 غلن ذا اللّمة الجواد ولزّت طرباً واللّزاز والسلب لزّا^(٣)
 ولقد بزّت الوجيه ومكتو ما بني أعصرٍ وأعوج بزّا
 وتصدّت للاحقٍ فرمته وغرابٍ وزهدمٍ فاستفزا
 فاحمد الله إن أهون ما تُر زاً ما كنت أنت فيه المعزّى
 قد رثينا ولم نقصر وبالغـسنا وفي البعض ما كفاه وأجزى
 ومن العدل أن ثاب أبا عيسى على قدر ما فعلنا ونجزى
 ومن قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء [من الطويل] :

عزاءً وإن كان المصاب جليلاً وصبراً وإن لم يغن عنك فتيلاً
 وخفض أبا عيسى عليك ولا تفضّ دموعاً وإن كان البكاء جميلاً
 وراجع حجاك الثب لا يغلب الأسى أساك وإن حمّلت منه ثقيلاً
 ولا تستفزّك الهموم وبرحها فحملك قبل اليوم كان أصيلاً
 وإن نفق الطرف الذي لو بكيته دماً كان في حكم الوفاء قليلاً
 أقبُّ يروق العين حسناً ومنظراً ويرجعها يوم الحضار كليلاً^(٤)

(١) الفرّ : الظبي الفزع .

(٢) شق وداحس وصيب وغيرها من الأسماء في الأبيات التالية كذي اللّمة واللّزاز والسلب والوجيه ومكتوم

وأعطر وأعوج ولاحق وغراب وزهدم كلّها أسماء أفراسٍ سوابق للعرب .

(٣) لزّ : التصق .

(٤) أقبّ : ضامر البطن دقيق الخصر .

إذا ما بدا أبدى لعطفك هزّة
 كلمع الشهاب خفةً وتوقداً
 إذا قلت قفْ أبصرته الماء جامداً
 خلت قصبات السبق منه وأيقنتُ
 بكتبه جلال الخز وانتحبت له
 أقام عليه آل أعوج مأتماً
 ففي كلِّ إصطبل أنينٌ وزفرةٌ
 ولو وفّت الجرد الجياد حقوقه
 وقد أنصفته الخيل ما ذقن بعده
 فقدت أبا عيسى بطرفك مركباً
 عتادك في الجلى وكهفك في الوغى
 تفرقتما لا عن تقالٍ وكنتما
 وهبت لعقبان الفلاة لحومه
 ووزعتها بين النسور غنيمةً
 وأعزّزته دهرأ فلما سطا به الردى
 على أنها الأيام شتى صروفها
 ونفسك إعجاباً به وقبولا
 وجذع الحضار هادياً ودليلاً^(١)
 وإن قلت سرّ ماءً أصاب مسيلاً
 رياح الصبّا أن لا يجدن رسيلاً^(٢)
 مخالي حريرٍ رحن منه عطولاً^(٣)
 وأعلى له آل الوجيه عويلاً
 تردّد فيه بكرةً وأصيلاً
 لما رجعت حتى الممات صهيلاً
 شعيراً ولا تنبأ ومتن غليلاً^(٤)
 جليلاً وخلاً ما علمت نبيلاً
 وعونك يوماً إن أردت رحيلاً^(٥)
 لفرط التّصافي مالكاً وعقيلاً
 وكنت بها لولا القضاء بخيلاً
 صفايا ومرباعاً لها وفضولاً^(٦)
 لم تجد بداً فصرت مذيلاً^(٧)
 تذلُّ عزيزاً أو تعزُّ ذليلاً

(١) الحضار : العدو والوثب .

(٢) الرسيل : الفرس الذي يرسل مع آخر في السباق .

(٣) الجلال : البرذعة للفرس .

(٤) الغليل : الظمأ .

(٥) الجلى : الأمر العظيم .

(٦) الصفايا : جمع صفى ، وهو ما كان يأخذه رئيس الجيش لنفسه من الغنيمة قبل قسمها ، والمرباع : ربع كان يختص به الملك من الغنيمة في الجاهلية وقال شاعرهم :

لك المرباع وحدك والصفايا وحكمك والنشيطه والفضول

(٧) مذيلاً : قلنا ضجورا .

ومن قصيدة أبي الحسن السلامي [من الوافر] :

| | |
|------------------------------|--|
| فدى لك بعد رزئك من ينام | ومن يصبو إذا سجع الحمام |
| ونفسي بالفداء عنيت لا من | ينام عن الحقوق ولا يلام |
| ألا نفق الجواد فلا عجاج | تقوم به الحروب ولا ضرام |
| وكان إذا طغت حرب عوان | جرى ورسيله الموت الزؤام ^(١) |
| إذا رميت به الغابات صلت | صفوف الخيل وهو لها إمام |
| تمهر في الوقائع وهو مهر | ولا سرج عليه ولا لجام |
| فلما لم يدع في الأرض قرناً | تخونه فعاجله الحمام |
| وعود عافيات الطير طعماً | وشرب دم إذا حرم المدام |
| فلما لم يطق نهضاً أته | فقال لها أنا ذاك الطعام |
| وجاد بنفسه إذا لم يجد ما | يجود به ، كذا الخيل الكرام |
| وكنت البدر عارضه كسوف | بنحس حين تم له التمام |
| فلا تبعد وإن أبعدت عتاً | فهذا العيش ليس له انتظام |
| إذا لم تكشف الأصدا همومي | فليت الخيل أصداه وهام ^(٢) |
| طوى الحدثان طرفك يا ابن يحيى | فطرفي ما يعاوده المنام |
| ولم أحضره يوم قضى فيشكو | تحمحمه الذي صنع السقام |
| ولا خبرت ليلة جرّ جسم | زكت عندي له نعمّ جسام |
| ألم أقسم عليك لتخبرني | أمحمولاً على النعش الهمام ^(٣) |

(١) الموت الزؤام : الموت المحتّم .

(٢) الأصداء : جمع صدى ، وهي صوت طائر يصير بالليل تزعم الجاهلية أنه يخرج من رأس المقتول ،
واهام ومثله الهامة : الطائر الذي يخرج من رأس القتيل ، وقال ذو الاصبع العدواني :
يا عمرو إلاً تدع شتمي ومنقصتي أضربك حيث تقول الهامة استقوني
أي على رأسه .

(٣) هذا البيت للناطقة الذبياني يخاطب به صاحب النعمان بن المنذر واسمه عصام .

مضوا يتناقلون به خفافاً عليه من الضباع له قيام
فبزوّه وما عروّه درعاً نبت عنه الصّوارم والسّهام
أيقّتلّه الحمام أشدّ قرنٍ وأكرمه وتسلبه اللّثام
أبا عيسى تعزّ فدتك نفسي فإنّ الموت قرنٌ لا يضام
أقم في ظلّ إسماعيل تضمنُ لك الدّرك السّلامة والدوام^(١)
إذا بقي الوزير لنا وفينا فقل للدّهر يهلك والأنام
وعظت بها أخاً ورثيت مالاً وأدّيت الأمانة والسلام

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من المنسرح] :

لو سامح الدّهر أعصماً صدعا أو كاسراً فوق مربأ وقعاً^(٢)
أو صاحباً ساقه نواهضه أو سعباً في عرينه شبعاً
أبقى لنا ذلك الجواد ولم يغدو لصفو الهبات منتزعا
لست أقيل الزمان عثرته فليس يدري الزمان ما صنعا
أو على ذلك الجواد فقد جرّع قلبي من كأسه جرعا
أو عليه من أصدأ جزع طاع دهرأ أودى به جزعا
أو عليه وقد سرى لمعاً فراح غيضاً كبارق لمعا
لم يكب في جريه إذا كنت الخيل ولا قال راكبوه لعا^(٣)
صفا أديماً وحافراً وقحاً والعين والساعدين والسفعا^(٤)
عريض زورٍ وبلدقٍ وصلأ رحيب صدرٍ ومنخرٍ ومعا^(٥)

(١) الدّرك : إدراك الحاجة .

(٢) الأعصم : عن الغزلان ونحوها : ما في ذراعيه سواد وسائره أسود أو أحمر . والمربأ : المكان الذي يتقف فيه المراقب .

(٣) اللعي : كلمة للدعاء يقال للدّعي تعثّر في سيره وتعني « أنعشك الله ونجوت » .

(٤) السفع ، من الخيل : مواضع الوسم .

(٥) البلدة : الصدر ، والصلأ : وسط الظهر، والمعا : هي الأمعاء .

إذا هوى فالعقاب منخفضاً وإن رقى فالسحاب مرتفعاً
كأنه بالسّمك منتعلٌ فليس يشكو في وقعه وقعا
أوجعك الله يا زمان فقد رحت حزناً بفقده وجعا
قد لان للموت أخدعاه ومن خادعه الدهر عاد منخدعا
كم قلت للنفس وهي مزعجة أيتها النفس أجملِي جزعا^(١)
قد شرّع القائلون باباً إلى الصّبر عليه فأصبحوا شرعا^(٢)
لا تصحب الهمّ في الجواد أبا عيسى ودعه ولا تكن جزعا
فنائل الصاحب الجليل أبي القاسم إسماعيل الحيا همعا
وانظر إليه كأنه قمرٌ أزهرٌ من ثنيّ دسّه طلعا
ولا تضق بالذي فقدت يداً إنّ لنا في نداءه متّسعا
فاسمع قريضاً من موجهٍ جزعٍ ويرحم الله صاحباً سمعا
ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من المنسرح] :

لو أعتب الدهر من يعاتبه ولان للعاذلين جانبُهُ
أو كان يصغي إلى شكاة شجٍ صبت على قلبه مصائبه
أحسنت عنك المناب في حرقٍ تشعلها في الحشى نوائبه
ولم أزل عن شكاته أبداً ولم أزل دائباً أعاتبه
لهفي على ذلك الجواد وهل يفكّ رهن المنون نادبه
لو كان غير الممات حاوله لفلّلت دونه مخالبه
أو كان غير المنون يخطبه رمل أنفٌ أبداه خاطبه^(٣)

(١) العجز صدر مرثية لأوس بن حجر وعجزه « إنّ الذي تحذرين قد وقعا » .

(٢) شرعاً : سواء .

(٣) أخذ هذا من قول المهلهل وقد أكره على تزويج ابنته .

لو بأبائين جاء يخطبها رمل ما أنف خاطب بدم

أو حارب الدهر مشفقٌ حذبٌ
من لجوى حلّ بي عساكره
فلست أرجو انقلاعه أبداً
يرتدّ بين الضلوع لي نفسٌ
لهفي على ذلك الجواد مضى
لو عرف الخيل من نعت لها
أو علم الفقر من نعت له
تباشر الوحش في الفلاة له
فنام ملء الجفون شارد
تبكي لتقريبه الرّياح معاً
عهدي به والجنوب تجنبه
والهوج في حضره تحاذره
يا حسنه والعيون ترمقه
ترخى عليه العنان في عنقٍ
إن سار في السّهل هاج ساكنه
يوسعه إن رآه حاسده

لقمت في وجهه أحاربه
وحطّ بين الحشى مضاربه
أو يجلب الصّبر لي جوالبه
من ذكره ضاق بي مساربه^(١)
في سفرٍ لا يؤوب غائبه
ضاقت بها في السّرى مذهبه
لانسدّ للسالكين لاجبه^(٢)
فقد صفت بعده مشاربه
وسام ملء البطون ساربه^(٣)
فهنّ في جريها أقاربه
إذا جرى والصّبا تجانبه
والنّكب في سيره تناكبه
وأنت يوم الرهان راكبه
حتى إذا ما التوى تجاذبه
أو سار في الحزن صاح صاحبه^(٤)
مدحاً ويشني عليه جاذبه

أخذه من قول أبي تمام :

* عوّذه الحاسد بخلأ به *

رجع :

(١) مساربه : ممّراته .

(٢) اللّاحب : الطريق الواضح .

(٣) سام : طلب .

(٤) الحزن : الأرض الصعبة المسالك .

أصداً يحكي الظلام ، غرته السبدر ، وتحجيله كواكبُهُ^(١)
أعاره الروض وشي زهرته فعاد في لونه يناسبه
وطالب لا يفوز هاربه وهارب لا ينال طالبه
كم موكب سار في جوانبه فاهتز زهواً به كتائبه
وعسكر زانه تحمحمه فارتج من صوته مواكبه
ومجهل راح وهو جائبه لولاه لم تطوه نجائبه
صبراً جميلاً وإن سلبت أبا عيسى جليلاً فالموت سالبه
والموت إن جار في الحكومة أو أنصف فالمرء لا يغالبه
في الصاحب المرتجى لنا خلف من كل ماض خفت ركائبه
إن نَفَقَ الطَّرَف أو أصبت به ما نفقت عندنا مواهبه^(٢)
لم يود طرفاً وإن فقدت به علقاً نفيساً ما عاش واهبه
دام لنا في النعيم ما طلعت شمسٌ وجلّى الظلام ثاقبه

ومن قصيدة أبي العباس الضبي [من الطويل] :

دعا ناظري لذيد اغتماضه وقلبي يستعز أليم ارتماضه^(٣)
فقد جاد سباق الجياد بنفسه فلا ظهر منها لم يمل لانهاضه^(٤)
أبىد فما للبيد طرفٌ وطرفه صحيحٌ ولم يقرحه حرّ ارفضاضه^(٥)
نفوسٌ عتاق الخيل فيضي لفقده وأعينها فيضي لوشك انقراضه
وأظهرها حطّي السّروج تفجعاً له وردي ماء الردى من حياضه

(١) ألّتحجيل : الذي في قوائمه بياض .

(٢) الطَّرَف : الحصان الجيد .

(٣) الارتماض : الاحتراق من الحرّ أو الحزن .

(٤) الانهاض : الإنكسار .

(٥) ارفضاضه : زواله ، ورفض الجرح : سال قيحه .

نشاطاً وملء الأرض عند انخفاضه
لما مسّها منه أذىً بارتكاضه^(١)
ويبيدي مثول الطود عند اعتراضه
وإن هزهز الأرضين فرط انقاضه
ويخفت صوت الليث بين غياضه
وجل التسلي لم يرع بانقاضه
ولا سيما من طال عهد ارتياضه
لقدمتها عنه رضىً باعتياضه
ويردي الذي نهوى بصرف غضاضه^(٢)
لشيب فوديه اشتعال بياضه
غمامٌ حداه الرعد عند ائتماضه^(٣)
وسلوان قلبٍ مسلم لانقضاضه
ومسٌ كيفما أحييت بين رياضه^(٤)

لقد كان وفق الجوع عند ارتفاعه
لو أن حدود الورد أرضٌ لأرضه
يريك نحول السهم عند اقتباله
وقورٌ إذا خلّيته وطباعه
ويخفى اصطفاق الرعد رجح صهيله
تعزّ أباً عيسى وليك ثابتٌ
ومن عرف الدنيا استهان بخطبها
ولو قبل الدهر الخؤون ذخائري
ولكنه يبقى الذي لا نوّده
وهذا الذي بي لو غدا زاد مرضع
سقا الأصداء الكدري ما نفع الصدا
وفي بعض حملان الوزير مغوضةٌ
فسرٌ كيفما آثرت فوق جياده

ومن أرجوزة أبي دلف الخزرجي [من الكامل] :

دهرٌ على أبنائه وثابٌ
فما لهم من كيده حجاب
أصبح لا يردعه العتاب
تعجمهم أنيابه الصلاب^(٥)
يا لك دهرأ كلّ عقاب
إن المنايا ولها أسباب

(١) ارتكاضه : تحركه واضطرابه .

(٢) غضاضه : نقصه وعيبه .

(٣) إئتماضه : يريد سماع صوته ، وحدوثه .

(٤) مسٌ : تمايلٌ زهواً ونشوة .

(٥) تعجمهم : تختبر صلابتهم وتعضّهم .

تصيدنا والصَّيدُ مستطابٌ
لِكلِّ قلبٍ بعده اكتئابٌ
أصداً بادي الحسن لا يعابُ
وهذبت أخلاقه العذابُ
ذو نسبٍ تحسده الأنسابُ
كأنما غرته شهابُ
كأنما حجوله سرابُ
للصخر عند وقعه التهابُ
إنَّ القرارات له انصبابُ
للريح في مذهبه ذهابُ
دماؤها لنحره خضابُ
لا خبرٌ منك ولا كتابُ
مستأنساً تألفك الرحابُ
ترتجُ كال موج له عبابُ
تجزع من أمثالها الأحبابُ
يخفُ في مصرعك المصابُ
ولا صحا من حبك الأصحابُ
يا حزناً إذ ضمَّك الخرابُ
كصارمٍ أسلمه القرابُ
وامتار منه النحل والذبابُ

واهياً لناءٍ ماله إيابُ
مُسومٍ تعنو له الأسرابُ
قد كملت في طبعه الآدابُ
أقْبُ ممّا ولّد الأعرابُ^(١)
وميعه ينزو بها الشبابُ^(٢)
كأنما لباته محرابُ
كأنما حافره مجوابُ
إذا تدانى فهو الحبابُ
وإنَّ علا فالصقر والعقابُ
فالوحش ما يلقاه والهرابُ
يا غائباً طال به الإيابُ
ما كنت إلا روضة تتابُ
تعشقك العيون والألبابُ
تناوبتك للردى أنيابُ
وكننت لو طالت بك الأوصابُ
ما طاب عن أضرابك الإضرابُ
وأنت فردٌ ماله أترابُ
وأغلقت من دونك الأبوابُ
وقد جرى من فمك اللعابُ
واعتورتك الفئة الغضابُ^(٣)

(١) أقبُ : ضامر البطن دقيق الخصر .

(٢) الميعة : أوّل الجري وأنشطه ، وينزو : يطمح ويتولّع بها .

(٣) امتار النحل والذباب : جنى الزهر .

وفيك أطراف المدى تنساب
هل هو إلاً هكذا العذاب
يبكيك والسائس والبواب
قل لأبي عيسى وما الأسهاب
والرأي في دفع الردى صواب
شيمته السخاء والإيجاب
آلاؤه ليس بها ارتياب
لا زال والدعاء يستجاب

حتى نضى عن جسمك الإهاب
وقد غدا الإصطبل والجناب
والسرج واللجمام والركاب
بنافع تم لك الثواب
فاسكن فهذا الصاحب الوهاب
في جوده وفضله مناب
يضل في إحصائها الحساب^(١)
يبقى لنا ما بقي التراب

ومن قصيدة أبي محمد محمود [من الطويل] :

بكاءً على الطرف الذي يسبق الطرفا
وقف مدد الأحزان وقفاً مؤبداً
على أصدأ زان الحلبي إذا اغتدت
على أصدأ جاره ألف مشهراً
على فرس جارى الرياح على حفاً
جواب الذي ينعى إليه أيا لهفاً
أقام بمشواه الجياد مناحةً
وآل الغراب والوجيه ولاحقاً
فكم أقرحت خدأً وكم ألهمت حشاً

على ذلك الإلف الذي فارق الإلفا
عليه وخل الدمع يجري له وكفاً^(٢)
عليه وزان البيض والبيض والزغفاً^(٣)
عتيق فوافانا وقد سبق الألفا
فغادرها حسرى وخلفها ضعفى^(٤)
على ذلك الأصداء وقل له لهفى
كما عقدت وحش الفلاة به قصفاً^(٥)
أدامت عويلاً لا أطيق له وصفاً
وكم أوجعت قلباً وكم أدمعت طرفاً

(١) الآلاء : النعم .

(٢) الوكف : السيلان .

(٣) البيض : السيوف ، والبيض جمع بيضة ، وهي غطاء الراس في الحرب ، والزغف : الدروع اللينة الواسعة المحكمة الرقيقة .

(٤) الحفا : رقة القدم والحف .

(٥) قصفاً : خلاعة ومجوناً ، أي فرحت لموته لأنه كان أسبق الخيل إليها .

ولو عرفت حسناء داود حقّه
فكم قد حماها يوم حربٍ و غارٍ
يطير على وجه الصعيد إذا جرى
ويعطيك عفواً من أفانين ركضه
له ذنبٌ ضافرٌ يجرّ على الثرى
له غرّةٌ مثل السراج ضياؤها
سقى الغيث رهواً مشبهاً ذلك الكتفا
يواجه وجه الوحش إن سار خلفها
ويرجع مخضوب البنان كأنّه
وإن خاف من عين النواظر أهله
إذا ما غزا الغازي عليه قبيلةٌ
يراه كميّةٍ وهو لهفان واله
ولو أنّه قد كان حقق موته
وما أنا ممّن يظهر الشجواً ممناً
ولولا وفاءٍ فيه كنت أقوده
كراهيةً من أن يقوم مقامه
وأعفّيته أنّ الوزير معوضٌ
فعول أبا عيسى عليه فإنّه

لما ضفّرت شعراً ولا خضبت كفاً
وكم نرعت من خوفها القلب والشفا^(١)
فما إن يمسّ الأرض من أرضه حرفاً
إذا سمته التقريب أو سمته القظفا^(٢)
طويلٌ كأذيال العرائس بل أضفى^(٣)
وأى سراجٍ بالنوائب لا يظفا
وطوداً منيفاً حاكياً ذلك الردفا^(٤)
فيجعلها من حيث لم يحتسب خطفاً
عروسٌ وقد زقت إلى خدرها زفاً
عليه فمدّوا دون مربطه سجفاً^(٥)
فلا حافراً أبقى عليه ولا خفاً
لميته يطوي الظلام وما أغفى
لجزّ عليه للأسى الشعر الوحفا^(٦)
وإنّ عظيمات المصائب لا تخفى
إليك بلا منٍّ ولكنّه استعفى
حفاظاً وبعض الخيل يستعمل الظرفا
ومن ذا الذي يرجو نداه ولا يكفى
سيكفيك خطب الدهر وهو به أكفى

(١) القلب بضمّ القاف : سوار المرأة، والشنف : حلية تلبسها في أعلى الأذن .

(٢) التقريب : ضرب من العدو ، أو أن يرفع رجله معاً ويضعهما معاً .

(٣) الأضفى : السابغ الكثير .

(٤) الرهو : المطر الساكن .

(٥) السجف : الستائر .

(٦) الوحف : الشعر الكثير الأسود .

لقال له رفقا وقال له وقفا
 فإن شاءها بعثاً وإن شاءها صرفا
 فغرقاً من البحر الذي زرتة غرقا
 عطاءً جزيلاً لا بكيئاً ولا نشفاً^(١)
 ألان له عطفاً وأبدى له عطفاً^(٢)
 فعاد لنا كهفاً وصار لنا لظفا
 وعاد هُدًى للهُو والطيب والعرفا
 تسير قوافي الشعر من خلفها خلفا

ولو لم يرد تعويضه لك عاجلاً
 فإن صروف الدهر تحت يمينه
 هو البحر يغني الناس من كل جانب
 هو الغيث يعطي كل غامٍ ورائح
 كريم إذا ما جاءه ابن حظية
 أقام مناراً للندى والهدى معاً
 تعز أبا عيسى وإن أعوز الأسى
 وهاك كأمثال الرياض سوابقاً

ومن قصيدة أبي عيسى [من الطويل] :

وأبدت لي اللذات من بعده صدأ
 من الحزن ما لو نال يذبل لانهدأ^(٣)
 ولي مهجة تستشعر الحزن والوجد
 بنفسي وأهلي فهو أهل لأن يفدى
 ويا ليت له لما دعاه الردى ردأ
 وألهب في الأحشاء من حرق وقدأ
 فعادت عيون الخيل من بعده رمدا
 فتركه كرهاً وقد بدكت جهدا
 تجاوز في أعجازها الوصف والجدأ
 وترهبه ريح الشمال إذا جدأ

لقد عظمت عندي المصيبة في الأصدأ
 وأهدي إلى قلبي المصاب بفقده
 وأصبحت مشغول المدامع بالبكا
 ولو كان يغنيني الفداء فديته
 ولكنّه لبى المنون مبادراً
 مضى الطرف واستولى على الطرف دمه
 مضى الفرس السباق في حلبة الوغى
 يبید الرياح كلّها في حضاره
 مواقفه عند الطراد شهيرة
 نسيم الصبا يحكيه في هزل سيره

(١) البكاء : القليل وكذلك النشف .

(٢) العطف : الجانب كتابة عن التواضع .

(٣) يذبل : إسم جبل .

غدا سيّداً فيها وراح لها عبداً
 وكنّ حازماً شهماً وكنّ بازلاً جلداً^(١)
 وقد شمت الحساد مذ فقد الأصداء
 فمن قارع سنّاً ومن لا طمّ خدّاً
 فهيمني وجداً وذكرني نجداً
 جوادٌ ومن يعدى عليه إذا استعدى
 ومن كفّه من صيّبٍ خضلٍ أندى^(٢)
 فحصل منّا الشكر والنشر والحمداء
 تعلّم من يرجوه أن يطلب الرّفاً

فقد صار نهبي بين وحشٍ وطائرٍ
 تسلّ أبا عيسى ولا تقرب الأسى
 فقد كمد الاخوان من فرط حزنهم
 وأصبح أبناء الشّجاعة حسراً
 وقد هاج لي حزناً عليه تحسّري
 جوادٌ عزيزٌ أن يجود بمثله
 سوى الصّاحب المأمول للوجود والنّدى
 أتاح لنا الإحسان من كلّ جانب
 له همّة فوق السّماء مقيمة

ومن قصيدة لبعض أهل نيسابور قالها على لسان أحد الندماء [من مخلع

البسيط] :

| | |
|------------------------|-----------------------|
| كلّ قريبٍ إلى بعادٍ | كلّ نعيمٍ إلى نفاذٍ |
| كلّ نفاقٍ إلى كسادٍ | كلّ هبوبٍ إلى ركودٍ |
| وكلّ كونٍ إلى فسادٍ | وكلّ ملكٍ إلى زوالٍ |
| والسمع بابٌ إلى الفؤاد | وصادقٍ من يقول فاسمع |
| لا بد للزرع من حصاد | قد بلغ الزرع منتهاه |
| من هبة الصّالح الجواد | لهفي على أصداء جوادٍ |
| وغرة الطرف والتّلاذ | منقطع المثل في البلاد |
| قد كان ماءً وأنت صادي | لهفي على أصداء مسيحٍ |
| فمنّتهاها إلى الرّماد | وكان ناراً وكلّ نارٍ |

(١) البازل : الرجل المجربّ الكامل التجربة .

(٢) الصيّب : السحاب ذو المطر .

كان من العين والوؤاد لو شرب الصافنات راحاً
 عهدي به شاهقاً منيفاً أسرع من لحظةٍ وأحلى
 أجرأ من ضيغمٍ وأجرى سليل ريجٍ أخو شهابٍ
 عدة سارٍ عتاد غادٍ أسيرٌ ممّا يقال فيه
 كأنما خلقه سدادٌ كأنّه ساحرٌ عليم
 عينٌ أصابته لا رأت من نفذت يا دهر شرّ سهمٍ
 لو كان يغنى الدفاع عنه فاصبرُ لحكم الإله وانقذُ
 هوّن عليك الملمّ يا أبا أنت من صاحب المرجى

في العين من مركز السّواد لكان ريحانة الجياد^(١)
 يمرُّ مرّاً إلى صعاد في العين من طارق الرقاد
 من سيل ليلٍ بقعر وادي طود جمالٍ هلال نادي
 قعدةٌ قارٍ عمادٍ بادي^(٢) والشعر جوابة البلاد
 قد صبّ في قالب السّداد^(٣) من راكب الطرف بالمراد
 تهوي لقاه إلى التّنادي أتى على خيرٍ مستفاد
 جعلت ترساً له فؤادي للحقّ يا فاقد الجواد
 عيسى وكنّ ثابت العماد^(٤) ما عشت في نائلٍ معاد

* * *

ذكر الفيليات

لما حصل صاحب في رقعة جرجان على الفيل الذي كان في عسكر

(١) الصافنات : الصافن من الخيل : الفرس القائم على ثلاث قوائم .

(٢) قعدة قارٍ : أي سكن فيها ولم يتحرك .

(٣) السداد : الاستقامة والرشاد .

(٤) الملمّ : المصاب .

خراسان ، أمر من بحضرته من الشعراء أن يصفوه في تشبيب قصيدة على وزن قافية
قول عمرو بن معدى كرب [من مجزوء الكامل] :

أعددت للحدثان سا بغة وعداء علندي^(١)

فمن قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك [من مجزوء الكامل] :

قسماً لقد نشر الحيا بمناكب العلمين بردا
وتنفست يمنية تستضحك الزهر المندى
وجريحة اللبات تنشر من سقيط الدمع عقدا
نازعتها حلب الشثو ن وقلما استعيرت وجدا^(٢)
ومساجل لي قد شققت لدائه في في لحدا
لا ترم بي فأنا الذي صيرت حر الشعر عبدا
بشوارب شمس القيا د يزدن عند القرب بعدا
وممسك البردين في شبه النقا شية وقدأ^(٣)
فكأنما نسجت عليه يد الغمام الجون جلدا
وإذا لوتك صفاته أعطاك مسّ الروع فقدا
فكأن معصم غادة في ماضيه إذا تصدى
وكأن عوداً عاطلاً في صفحته إذا تبدى
يحدو قوائم أربعاً يتركن بالتلعات وهذا^(٤)
جاء المطرف قد تفر د بالفراة واستبدا^(٥)

(١) السابعة : الدرع ، والعلندي : الغليظ من كل شيء وأراد به الفرس .

(٢) الشثون : مجاري الدمع .

(٣) النقا : الكتيب من الرمل ، وشية : اللون الذي يخالف سائر لون الشيء .

(٤) التلعات : ما ارتفع من الأرض ، والوهد : الأرض المنخفضة .

(٥) الفراة : النشاط والخفة .

وإذا تخلل هضبة فكأن ظلّ الليل مدّاً
 وإذا هوى فكأن ركناً من عماية قد تردى
 وإذا استقلّ رأيت في أعطافه هزلاً وجداً
 متقرّطاً أذنأ تعي زجر العسوف إذا تعدى
 خرقاء لا يجد السرا ر إذا تولّجها مرداً^(١)
 أوطأته مرعى نسيبي واجتنبت وصال سعدي
 ملك رأى الإحسان من عدد العواقب فاستعداً
 كافي الكفاة إذا انثنت مقل القنا الخطي رمداً
 تكسوه نشر العرف كفف من جفون الطل أندى
 لا زلت يا أمل العفاة لفارط الآمال وردا
 والو الليالي لابساً عيشاً برود الظل رغدا

ومن قصيدة أبي الحسن الجوهري [من مجزوء الكامل] :

قل للوزير وقد تبدى يستعرض الكرم المعداً
 أفنيت أسباب العلا حتى أبت أن تستجداً
 لو مس راحتك السحاب لمطر كرمًا ومجداً
 لم ترض بالخيل التي شذت إلى العلياء شدّاً
 وصرائم الرأي التي كانت على الأعداء جنداً^(٢)
 حتى دعوت إلى العدى من لا يلام إذا تعدى
 متقصياً تيه العلوج وفطنة أعيت معداً^(٣)
 فيلاً كرضوى حين يلبس من رفاق الغيم برداً

(١) خرقاء : الأرض الواسعة التي يشتد فيها هبوب الريح . والسرار : من الأرض : أوسطها .

(٢) صرائم الرأي : الخزم والقطع في الأمور .

(٣) العلوج : حمار الوحش القوي السمين .

مثل الغمامة ملئت أكنافها برقاً ورعداً
 رأسٌ كقلّة شاهقٍ كسيت من الخيلاء جلداً
 فتراه من فرط الدلالة مصعراً للناس خداً^(١)
 يزهى بخرطوم كمثل الصولجان يردّ رداً
 متمردٌ كالأفعوا ن تمده الرمضاء مداً
 أو كم راقصة تشيـر به إلى الندمان وجداً
 وكأنه بوقٌ تحرّكه لتنفخ فيه جداً
 يسطو بساريتي لجيـن يحطمان الصخر هداً
 أذناه مروحتان أسـندتا إلى الفودين عقداً
 عيناه غائرتان ضيـقتا لجمع الضوء عمداً
 قاسوه باسطرلاب يجـمع ثقبه ما لن يحداً
 تلقاه من بعد فتـحـسبه غماماً قد تبدى
 متناً كبنان الخور نق ما يلاقي الدهر كذاً
 ردفاً كدكة عنبرٍ متمایل الأوراك نهذاً
 ذنباً كمثل السوط يضرب حوله ساقاً وزندا
 يخطو على أمثال أعـمدة الخباء إذا تصدى
 أو مثل أميالٍ نضد ن من الصخور الصمّ نضداً
 متورّد حوض المنية حيث لا يشـتاق وردا
 متلفعاً بالكبرياء كآته ملكٌ مفدى
 أدنى إلى الشيء البعيد يراد من وهمٍ وأهدى
 أذكى من الإنسان حـتى لورأى خللاً لسداً
 لو أنه ذو لهجة وفى كتاب الله سردا

(١) مصعراً : تأنهاً متكبّراً .

قلّ للوزير عبت حتى قد أتاك الفيل عبدا
سبحان من جمع المحاسن عنده قرناً وبعدا
لو مسّ أعطاف النجوم جرين في التريبع سعدا
أو سار في أفق السما ء لأنبتت زهراً ووردا

ومن قصيدة أبي محمد الخازن [من مجزوء الكامل] :

| | |
|---------------------------|------------------------------------|
| حازوا سعود ديار سعدي | ورعوا جناب العيش رغدا |
| وقضوا مآرباً للصبا | مذاً أبدلوا بالغور نجدا |
| سكنوا محلاً بالدمى | أضحى محلاً مستجداً |
| عظفت عليّ ظباؤه | ما شئت سالفهً وقدأ |
| وشفيت حرّ الوجد من | برد سقى الأكباد بردا |
| عجباً أشيم لثغرها | برقاً ولست أحسّ رعدا |
| وغدوت أجني من غصو | ن البان تفاحاً ووردا |
| وبنفسيّ القمر الذي | لمعاً تصدّى ثم صدأ |
| يا هذه أهدي الوصا | ل تكرمأ إنّ كان يهدى |
| وتذكّري عهد الصبا | في بيت عاتكة المفدى ^(١) |
| لا تنكري شيئاً ألمّ بفوده | وفداً فوفدا |
| وتعلّمي أنّ الشبا | ب وإنّ وفي قرض يؤدى |
| وإذا أعير فأنّه | لا بدّ من أن يستردأ |
| كم ليلة ساورتها | وقضيتها حسناً وجداً |
| وأرى النجوم لآثاً | في الجوّ تجلو اللازوردا |
| حتى تحوّل أدهم الظلماء | في الأفقين وردا |

(١) العاتكة : المرأة المحمّرة من الطيب .

وبدا الصباح يحلُّ من جيب الدجى ما كان شُداً
وقريت همِّي أعنساً تذّر الربى بالوخد وهذا^(١)
فوردن أفنية العلا معمورة فحمدن وردا
حيث الفضائل والفوا ضل فتن إحصاء وعداً
حيث الوغى مشوبة نيرانها وهجاً ووقدا
ومهابة كادت لها صمّ الجبال تخرُّ هذا
أفياله يقدحن في ظلم الوغى زنداً فزنداً
تسري كسُحم سحاب بجانب تُرجى وتحدى^(٢)
ولبسن دكن ملابسٍ غبراً معاطفهن ربدا^(٣)
ورمقن عن أجفان مضمرو على الأعداء حقدا
وفغرن أفواهاً كأفواه المزداد تروغ دردا^(٤)
وكشرن عن أنيابها مثل الحراب شياً وحدا^(٥)
من كلّ جهم خلته يوم الوغى غولاً تصدى
كبنية من عنبر دعمت سوارى السّاج نضدا^(٦)
وعليه طارونية يزهى بها حرّاً وبردا
لولا انقلاب لسانه لرأيته خصماً ألدا
متولياً أمراً ونهياً مالكا حلاً وعقدا
وكأثما خرطومہ راووق خمري مدّ مدّاً

(١) الأعنّس : النوق الصلبة القوية، والوخد : ضرب من السير .

(٢) السحم : السواد، والجناثب : النوق .

(٣) الدكن : جمع الأدكن ، وهو المائل إلى السواد ، والريد : جمع أريد ، وهو الذي لونه إلى الغبرة .

(٤) فغرفاه : فتحه، وتروغ : تطلب، والدرد : جمع أردد ، وهو الذهب، الأسنان .

(٥) شياً : حداً ، وشبا السيف : المكان القاطع فيه .

(٦) السّاج : شجر عظيم طويل عريض صلب الخشب أسوده .

أو مثل كمّ مسبلٍ أرخته للتوديع سعدى
 وإذا التوى فكأنّه الثعبان من جبلٍ تردى
 وكأثما انقلبت عصا موسى غداة بها تحدّى
 متعطفاً كالصولجا ن بساحة الميدان يحدى
 يكسى الحداد وتارةً يكسى نسيج الدرع سردا
 وكأثما هو خاضبٌ بالاثمد الجاريّ جلدًا^(١)
 لونٌ حكى إظلامه لون المشبه ليس يهدى
 مستيقظٌ أبداً ويكـبـر أن يعير العين رقدا
 كفّل تموج كالكتيب تهيله صوباً وصعدا^(٢)
 قد ساد كلّ بهيمة كيساً ومعرفةً وجداً
 فكأنّه يوم الوغى يكسى من الخيلاء بردا
 وإذا انثنى من حربه يسعى فيرقص دستبندا^(٣)
 أودى بمن عادى الوزير وعمّهم حصراً وحصدا
 من عزمه كالعضب قدّ وعلمه كالبحر مدّا^(٤)
 مستوحشٌ بالسلم لم تألف ظباه قطّ غمداً^(٥)
 كالغيث يهطل سائحا والليث يبرز مستبداً
 وزر الملوك ونابها الـ أعلى وساعدها الأشداً
 أيّ اسم فخرٍ لم يحز ؟ وأيّ مجدٍ لم يعدّا ؟

(١) الخضاب : الصباغ ، والاثمد : الكحل .

(٢) صوباً وصعداً : انخفاصاً وعلواً .

(٣) دستبندا : فارسية الأصل .

(٤) العضب : السيف القاطع .

(٥) الظبى : الحدّ من السيف والسهم والسنان .

أم أيُّ ثغر لم يفت ه ولم يشده ولم يسداً ؟
 كافي الكفاة المرتجى والسيد الهادي المفدى
 ما الحرّ إلا من غدا للصاحب المأمول عبدا
 ولئن أجدت مديحه فلطالما أغنى وأجدى
 وقربت منه فالتفتت إلى الزمان وقلت بعدا
 واعتضت غير مخيب من مستمر النحس سعدا
 وكفيت ثمداً ناضباً وسقيت ماء العيش رغداً^(١)
 ومنحت إنصافاً بعو ن الله من دهرٍ تعدى
 خذها إليك شواهداً في السن الراوين شهدا
 هذبتها وجلوتها في الحسن خاتمةً ومبدا
 قد كان يكدي خاطري لكن بهدحك قد أمدأ^(٢)
 أعددت للحدثان جو بك دون عداءٍ علندي^(٣)
 وعلمت أنك واحدٌ في العالمين خلقت فردا
 تذر الوعيد نسيئة كرماً وتحبو الوعد بتدا^(٤)
 ويفوح خنقك عن عبيدٍ حوله زهر مندى
 أنا غرسك انزاكي بكفك مثمراً أدباً ووداً
 فسأمل الدنيا بما استملت من جدواك حمدا
 هي طاعتي حتى أرى متبوءاً في الترب لحدا
 تفديك نفسي من عوا دي كلّ مكروء ومردى

ولم يحضرني الآن من الفيليات أكثر من هذه الثلاث ، وإذا وجدت من

(١) الثمد : الماء القليل .

(٢) يكدي : يقصر ويمنع .

(٣) للحدثان : الليل والنهار ، أي الزمن ، والعلندي : الغليظ من الأفراس .

(٤) النسيئة : التأخير في دفع الثمن .

أخواتها ما يصلح للإلحاق بها ألحقته بمشيئة الله تعالى وإذنه ، والحمد لله أولاً
وآخراً ، وظاهراً وباطناً .

* * *

خبر سبطه الشريف أبي الحسن عباد بن علي الحسيني

لما أتت الصاحب البشارة بسبطه أبي الحسن عباد أنشأ يقول [من مجزوء
الرمل] :

| | | | |
|-----------|------------|------------|--------|
| أحمد الله | لبشرى | أقبلتُ عند | العشي |
| إذ حبابي | الله سبطاً | هو سبطٌ | للنبي |
| مرحباً | ثمة أهلاً | بغلامٍ | هاشمي |
| نبويٌّ | علويٌّ | حسنيٌّ | صاحبِي |

ثم قال [من البسيط] :

الحمد لله حمداً دائماً أبداً إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

فقال أبو محمد الخازن على وزنه ورويه قصيدة أولها [من البسيط] :

| | |
|-------------------------------|---|
| بشرى فقد أنجز الإقبال ما وعدا | وكوكب المجد في أفق العلا صعدا |
| وقد تفرّع في أرض الوزارة عن | دوح الرسالة غصنٌ مورقٌ رشدا |
| الله آية شمسٍ للعلا ولدت | نجماً وغايةً عزٌ أطلعت أسدا |
| وعنصرٌ من رسول الله واشجةٌ | كريم عنصر إسماعيل فاتحدا ^(١) |
| وبضعةٌ من أمير المؤمنين زكت | أصلاً وفرعاً وصحّت لحمه وسدى |
| ومثل هذي السعادات القويّة لا | يحوزها غيره دامت له أبدا |

(١) واشجة : متشابكة ومتصلة .

يا دهره حقّ أن تزهي بمولده
تعجبوا من هلال العيد يطلع في
فمن موالٍ يوالي الحمد مبتهلاً
وكادت الغداة الهيفاء من طرب
فلا رعى الله نفساً لم تسرّ به
وذي ضغائن طارت روحه شفقاً
علماً بأنّ الحسام الصاحبى غدا
وأنه آنسد شعبٌ كان منصدعاً
فأرفعُ المجد أعياناً وأسمقهُ
فليهنأ الصاحب المولود ولترد
لم يتخذ ولداً إلاّ مبالغةً
ما أشرف معنى هذا البيت وأبدعه وأبرعه !

ومنها :

وخذ إليك عروساً بنت ليلتها
أهديتها عفو طبعي وانتحيت بها
وازنت ما قلته شكراً لربك إذ
الحمد لله شكراً دائماً أبداً
من خادمٍ مخلصٍ وداً ومعتقدا
سحراً وإن كنت لم أنفث له عقدا
جاء المبشر بيتاً سار واطردا
إذ صار سبط رسول الله لي ولدا

وقال أبو الحسن الجوهري في التهنتة قصيدته التي منها [من البسيط] :

كافي الكفاة بقصده من صرائمه حامى الحماة بحصده من مناصله^(١)

(١) الإرهاف : الرقة والبداة .

(٢) قدداً : قطعاً .

(٣) أسمقه : أعلاه .

(٤) الصرائم : العزائم ، والمفاصل : السيوف والرماح وغيرها .

ما زال يخطب منه الدين مجتهداً قربى توطّد من عليا وسائله
وكان بعد رسول الله كافله فصار جدّ بينه بعد كافله
هَلَمَّ للخبر المأثور مسنده في الطالقان فقرّت عين ناقله
فذلك الكنز عبّادٌ وقد وضحت عنه الإمامة في أولى مخايله

لما روت الشيعة أن الطالقان كنزاً من ولد فاطمة يملأ الله به الأرض عدلاً
كما ملئت جوراً، والصاحب من قرية الطالقان من قرى أصبهان ، ورزق سبطاً
فاطمياً ، تأوّلوا له هذا الخبر ، وأنا بريء من عهده .

الصاحبيّ نجاراً في مطالعه والطالبيّ غراراً في مقاتله
يهني الوزير ظباً في وجه صارمه من صارمٍ وشباً في حدّ عامله

وقال عبد الصمد بن بابك قصيدة منها [من الوافر] :

كسّاك الصوم أعمارُ الليالي وأعقبك الغنيمة في المآب
فلا زالت سعودك في خلود تبارى بالمدى يوم الحساب
أتاك العز يسحب برديته على ميثاء حالية التراب^(١)
بيدرٍ من بني الزهراء سارٍ تعرّى عنه جلباب السحاب
تفرّع في النبوة ثمّ ألقى بضبعيه إلى خير الصحاب^(٢)
تلاقّت لابن عبّادٍ فروع النبوّة والوزارة في نصاب
فلا تغرّر برقدته الليالي ولا تشحذ له الهمم النوابي
فمن خضعت له الأسد الضواري ترقّع عن مراوغة الذئاب

وكان الصاحب إذا ذكر عبّاداً أنشد وقال [من البسيط] :

يا ربّ لا تخلني من صنعك الحسن يا ربّ حِطْنِي في عبّادِ الحسني

(١) الميثاء : الأرض السهلة ، وتجمع على مَيْث كَهَيْف .

(٢) تفرّع : أي هو فرعٌ منها ، وضبعيه : إبطيه وعضديه .

ولما فطم قال [من الطويل] :

فطمت أبا عباد يا ابن الفواطم فقال لك السادات من آل هاشم
لئن فطموه عن رضاع لبانه لما فطموه عن رضاع المكارم
ولما أملك عباد بكريمة بعض أقرباء فخر الدولة أبي الحسن قال أبو إبراهيم
إسماعيل بن أحمد الشاشي قصيدة منها [من البسيط] :

المجد ما حرست أولاه أخراه والفخر ما التفّ أقصاه بأدناه
والسعي أجلبه للحمد أصعبه والذكر أعلاه في الأسماع أغلاه
والفرع أذهبه في الجو أنضره والأصل أرسخه في الأرض أنقاه
اليوم أنجزت الآمال ما وعدت وأدرك المجد أقصى ما تمنّاه
اليوم أسفر وجه الملك مبتسماً وأقبلت ببريد السعد بشراه
اليوم ردّت على الدنيا بشاشتها وأرضيَ الملك والإسلام والله
والملك شدّت عراه بالنبوة فار تزّت دعائمه واشتدّ ركناه^(١)
وصار يعزى بنو ساسان في مضرٍ صنعاً من الله أسداه فأسناه
قد زفّ من جده كافي الكفاة إلى من خاله ملك الدنيا شهنشاه^(٢)
سبطان سدّى رسول الله سلكهما فألحم الله ما قد كان سداه^(٣)
أولاد أحمدَ ريحان الزمان ومو لانا الوزير من الريحان ريّاه
أولاد أحمد منه لا يميّزهم عنه ولاءٌ ولا مالٌ ولا جاه
متى ابتنى واحدٌ منهم بواحدة فإنّما صافحت يمناه يسراه

قال مؤلف الكتاب : كنت عزمت على إيراد غرر مما مدح به صاحب في
هذا المكان ، فاقصرت على ما سيمر منها عند ذكر شعرائه ، وسياقة البدائع من

(١) ارتز : ثبت .

(٢) شهنشاه : لقب فارسي معناه ملك الملوك وروي عن سفيان الثوري تحريه .

(٣) سدّى : أصلح وقوّم .

محاسنهم ، والوسائط من قلائد هم ، بإذن الله سبحانه وتعالى ومشئته وإرادته .

* * *

وهذه غرر من فقر ألفاظ الصاحب تجري مجرى الأمثال

وقد جمعت فيها بين ما أخرجه الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد منها في كتابه « ملح الخواطر ، وسبح الجواهر » ، وبين ما أخرجه أنا ساكلاً سبيله ، ومحتدياً تمثيله .

من استمّاح البحر العذب ، استخراج اللؤلؤ الرطب * من طالت يده بالمواهب ، امتدت إليه السنة المطالب * من كفر النعمة ، استوجب النعمة * من نبت لحمه على الحرام ، لم يحصده غير الحسام * من غرّته أيام السلامة ، حدثته ألسن الندامة .

* من لم يهزه يسير الإشارة ، لم ينفعه كثير العبارة * رب لطائف أقوال ، تنوب عن وظائف أموال * الصدر يطفح بما جمعه ، وكل إناء مؤد ما أودعه * اللبيب تكفيه اللمحة ، وتغنيه اللحظة عن اللفظة ، * الشمس قد تغيب ثم تشرق والروض قد يذبل ثم يورق ، * والبدر يأفل ثم يطلع ، * والسيف ينبو ثم يقطع * العلم بالتذاكر ، والجهل بالتناكر * إذا تكرر الكلام على السمع تقرر في القلب * الضمائر الصالح ، أبلغ من الألسنة الفصاح * الشيء يحسن في إبانه كما أن الثمر يستطاب في أوانه * الآمال ممدودة ، والعواري مردودة^(١) * الذكرى ناجعة ، وكما قال الله تعالى نافعة * متن السيف لين ، ولكن حده خشن ، ومتن الحية أليّن ، ونابها أخشن * عقد المنن في الرقاب ، لا يبلغ إلا بركوب الصعاب * بعض الحلم

(١) العواري : الأمانات والقروض .

مذلة ، وبعض الاستقامة مزلة * كتاب المرء عنوان عقله ، بل عيار قدره ولسان فضله ، بل ميزان علمه * إنجاز الوعد ، من دلائل المجد ، واعتراض المطل ، من امارات البخل ، وتأخير الإسعاف ، من قرائن الإخلاف^(١) * خير البر ما صفا وضفا ، وشره ما تأخر وتكدر * فراسة الكريم لا تبطي ، وقياة الشر لا تخطي^(٢) * قد ينبح الكلب القمر ، فليلقم النابح الحجر * كم متورط في عثار ، رجاء أن يدرك بثار * بعض الوعد كنقع الشراب ، وبعضه كلمع السراب * قد يبلغ الكلام ، حيث تقصر السهام * ربما كان الإقرار بالقصور ، أنطق من لسان الشكور * ربما كان الإمساك عن الإطالة ، أوضح في الإبانة والدلالة * لكل أمرى أمل ، ولكل وقت عمل * إن نفع القول الجميل ، وإلا نفع السيف الصقيل * شجاع ولا كعمرو ، ومندوب ولا كصخر * لا يذهبن عليك تفاوت ما بين الشيوخ ، والأحداث ، والنسور والبغاث^(٣) * كفران النعم ، عنوان النقم * جحد الصنائع ، داعية القوارع * تلقى الإحسان بالجحود ، تعريض النعم للشرود * قد يقوى الضعيف ، ويصحو النزيف ويستقيم المائد ، ويستيقظ الهاجد * للصدر نفثة إذا أخرج ، وللمرء بثة إذا أخرج * ما كل امرى يستجيب للمراد ، ويطيع يد الارتياذ * قد يصلى البري بالسقيم ، ويؤخذ البر بالأثيم * ما كل طالب حق يعطاه ، ولا كل شائم مزن يسقاه^(٤) * إن الأحداث لا رياضة لهم بتدبير الجواث * إن السنين تغير السنن^(٥) * من ثقلت عليه النعمة ، خف وزنه . ومن استمرت به الغرة طال حزنه^(٦) * أطع سلطان النهي ، دون شيطان الهوى .

* * *

(١) الإخلاف : عدم الوفاء .

(٢) القياة : تتبّع الأثر .

(٣) البغاث : طائر أغبر طويل العنق بطيء الطيران .

(٤) شائم : مترقب ومتطّلع وناظر .

(٥) السنن : الأعراف والتقاليد .

(٦) الغرة : الجهل .

ملح وظرف من ألفاظه

أخبرني عن سفرتك ، وعما حصل بها في سفرتك * وجدت حراً يشبه قلب
الصب ، ويذيب دماغ الضب * أنوب فيه نيابة الوكيل المكتري ، بل المملوك
المشتري * قد تحملت مع يسير الفرقة ، عظيم الحرقه . ومع قليل البعد ، كثير
الوجد * عليّ أن أقول ، وما عليّ القبول * لا أعترض بين الشمس والقمر ،
والروض والمطر * أكره أن أمل ، وقد قصدت أن أجل ، وأن أعق ، وقد قصدت
أن أقضي بالحق * مرحباً بزائر لباسه حرير ، وأنفاسه عبير * زائر وجهه وسيم ،
وريعه نسيم ، وفضله جسيم * بستان رق نزره النظير ، وراق ورقه النضير * فلان
بين سكرى الشباب والشراب * غصن طلعه نضير ، وليس له نظير * خط أحسن من
عطفات الأصداغ ، وبلاغة كالأمل آذن بالبلاغ * فقر كما جادت الرياض ،
وفصول كما تغالزت المقل المراض * ألفاظ كما نورت الأشجار ، ومعان كما
تنفست الأسحار * نثر كنثر الورد ، ونظم كنظم العقد * كتابك رقية القلب
السليم ، وغرة العيش البهيم * كلام يدخل على الأذن ، بلا إذن * فلان كريم ملء
لباسه موفق مدّ أنفاسه ، ذوجدّ كعلو الجدّ ، وهز كحديقة الورد ، عشرته ألطف من
نسيم الشمال ، على أديم الماء الزلال ، وألصق بالقلب ، من علائق الحب *
شكره شكر الأسير لمن أطلقه ، والمملوك لمن أعتقه * أثنى عليه ثناء العطشان
الوارد ، على الزلال البارد * قلب نغل ، وصدر دغل^(١) * وعده برق خلب ،
وروغان ثعلب * فلان يتعلق بأذيال المعاذير ، ويحيل على ذنوب المقادير .

* * *

(١) النغل : الفاسد : والدغل : الحاقد .

فصول له ورقاع في الملاطفة والمداعبة

فصل من كتاب له إلى أبي العلاء الأسدي

ذكرت أن أدهمك قطع الدهر رباطه ، أو قطع الموت نياطه^(١) . ووصفت الحمار الذي استعضته ، فلا أدري أقرطته ، أم عضدته ؟ وقد كتبت بابتياح مركوب لك يعبوب ، أو يعسوب ، أو مرجوب^(٢) بل رمست أن يقاد إليك في كيس أعجر^(٣) ، فإن شئت فاتركه عندك أشهب ، وإلا فابتع به أدهم أو أشقر ، والتوقيع درج كتابي فليوصل ، والنقد عند الحافر ، وبه يملك الخف والحافر ، ويجنب الأعر السائل ، والأقرح النادر .

* * *

فصل من كتاب في الغضائري

الغضائري ، وما أدراك ما الغضائري . استزاد إلى الجمال جمالاً ، وعاد بدراناً وكان هلالاً ، فإن شئت فالغصن ميالاً ، وإن شئت فالدعص منهالاً [من الطويل] :

كأنّ جميع الناس يلقون وجهه بناظرك المفتون ، والحبّ شامل
رويدك إن أحبيت فالغصن مائل وإنّ تصبّ بعد الدعص فالدعص هائل^(٤)

وهو يهدي إليك سلاماً كركة خده ، ونسيم عرفه ، وغزارة دمعلك من بعده [من الطويل] :

(١) نياطه : عروقه .

(٢) اليعبوب : الفرس السريع الطويل ، أو الجواد السهل في عدوه ، والبعيد القدر في الجري ، واليعسوب : النحل وفرس للنبي ﷺ ، والمرجوب : المهاب والمعظم .

(٣) الأعجر : الممتليء .

(٤) الدّعص : الكثيب من الرمل .

سلاماً كما رَقَّ النسيم على الصَّبَا وجاء رسول الورد في زمن الورد

تأبى أيها العبد الصالح ، إلا أن تغمسنا معك في مزح المازح [من الطويل] :

ألا ربّ ذي مزحٍ يحرك حبله رَجُلُ التُّقَى من قلبه محصدٌ شزر^(١)

* فصل - وما الشأن إلا في أنك تنتقل في الهوى تنقل الأفياء ، وتتميل في الحب كشارب الصهباء . فمرة الغضائري ، حتى إذا حسبتك قد صرت له وصار لك ، وعلق بك أمله وأملك . بعث قديماً بحديث ، وتليداً بطريف ، واستهوتك حباثل القمي^(٢) فقتت تقتل في حبله ، وتحرص على وصله ، ثم تطمع أن تضم ضداً إلى ضد ، وتجمع سيفين في غمد . وهيهات ! إن الغضائري قد أبلغه ذلك فازورّ وتنمر ، وغار وتنكر ، وقد كان له عزم في المسير إلى أصبهان ، ففتر بفتور صبرتك ، وخف بظهور نبوتك [من الكامل] :

نقل فؤادك حيث شئت من الهوى ما الحبُّ إلا للحبيب الأول

وقد جعله بعض الشعراء للحبيب الآخر ، وأما نحن فننشد لكثيراً [من الطويل] :

إذا ما أرادت خلّة أن تزيلنا أبينا وقلنا الحاجية أول

والله يسقي عهدك صوب العهد ، ويعيدنا وإياك على البعاد .

* * *

(١) الشزر : المفتل ، أو على غير استواء .

(٢) القمي : الموافقة .

رقعة استزارة

هذا اليوم يا سيدي طاروني^(١) يعجبني نوؤه الفاختي^(٢) ، وإذ قد غابت شمس السماء عنا . فلا بد أن تدنو شمس الأرض منا . فإن نشطت للحضور ، شاركتنا في السرور . وإلا فلا إكراه ولا إجبار ، ولك متى شئت الاختيار .

* * *

وفي مثلها

غداً يا سيدي ينحسر الصيام ، وتطيب المدام . فلا بد من أن نقيم أسواق الأنس نافقة^(٣) ، وننشر أعلام السرور خافقة ، فبالفتوة فإنها قسم للطراف ، يفرض حسن الأسعاف ، لما بادرتها ولو على جناح الرياح ، إن شاء الله تعالى .

أخرى - نحن يا سيدي في مجلسٍ غنيٍّ إلاّ عنك ، شاكراً إلاّ منك . قد تفتحت فيه عيون النرجس ، وتوردت فيه حدود البنفسج ، وفاحت مجامر الأترج^(٤) ، وفتقت فارات النارج^(٥) ، وأنطقت السنة العيدان ، وقام خطباء الأوتار ، وهبت رياح الأقداح ، ونفقت سوق الأنس ، وقام منادي الطرب ، وطلعت كواكب الندماء ، وامتدت سماء الند ، فبحياتي لما حضرت ، لنحصل بك في جنة الخلد ، وتتصل الواسطة بالعقد .

في مثلها - نحن وحياتك في مجلس راحه ياقوت ، ونوره در ، ونارنج

(١) الطاروني : ضرب من الحز ونسبة اليوم إليه من باب المجاز ، كأنما كان لباسهم شتاء .

(٢) والفاختي : نسبة إلى الفاخنة ، وهي طائر أسود .

(٣) النافق : الرائج ، الذي يرغب فيه الناس .

(٤) مجامر الأترج : الأترج شجرٌ من جنس الليمون تسميه العامة « الكباد » والمجامر حيث يوضع البخور أو الطيب ليحرق .

(٥) فارات النارج : ظروفها الموضوعة فيها .

ذهب ، ونرجسه دينار ودرهم ، ويحملها زبرجد ، والسنة العيدان تخاطب
الظراف ، بهلم إلى الأقداح ، لكننا بغيتك كعقد غيبت واسطته ، وشباب أخذت
جدته ، فأحب أن تكون إلينا أسرع من الماء في انحداره ، والقمر في مداره .

في مثلها - مجلسنا يا سيدي مفتقر إليك ، معول في إغنائه عليك ، وقد أبت
راحه أن تصفو إلا أن تتناولها يمينك ، وأقسم غناؤه لا طاب أو تعيه أذنك ، فأما
خدود نارنجه فقد احمرت خجلاً لا بطائك ، وعيون نرجسه فقد حذفت تأملاً
للقائك ، فحياتي عليك لما تعجلت ، لئلا يخبث من يومي ما طاب ، ويعود من
همي ما طار .

في مثلها - صرنا أيّد الله مولانا في بستان كأنه من خلقه خلق ، ومن خلقه
سرق ، فرأينا أشجاراً تميل فتذكر تبريح الأحباب ، وقد تداولتهم أيدي الشراب ،
وأنهاً كأنها من يد مولانا تسيل ، أو من راحته تفيض ، وحضرنا فلان فعلاً
نجمنا ، وحمد أمرنا ، وتسهل طريق الخير لنا ، فلما دبت الكؤوس فيهم دبيب
البرء في السقم ، والنار في الفحم . رأى أن نجعل أنسنا غداً عنده فقلت سمعاً ،
ولم أستجز لأمره دفعا ، والتمس أن أخلفه في تجشيم مولاي إلى المجمع ، ليقرب
علينا متناول البدر بمشاهدته ، ولمس الشمس بمطالعتة ، فإن رأى أن يشفعني
أسعفني إن شاء الله تعالى .

فصل - أنا على طرف بستان أذكرني ورده المفتوح بخلقك ، وجدوله السابح
بطبعك ، وزهره الجنى بقربك .

* * *

فصل من كتاب آخر

علقت هذه الأحرف ، وأنا على حافة حوض ذي ماء أزرق كصفاء ودي

لك ، ورقة قولِي في عتابك ، ولو رأيته لأنسيت أحواض مأرب ومشارب أم
غالب ، وقد قابلتني شقائق كالزنوج تجارحت فسالَت دماؤها وضعفت فبقي
دماؤها^(١) ، وسامنتني أشجار كأن الحور أعارتها أثوابها ، وكستها أبرادها ،
وحضرتني نارنجات ككرات من سفن ذهب ، أو ثدي أبكار خلقت ، وقد تبرم بي
الحاضرون لطول الكتاب فوقفت وكففت ، وصدفت عن كثير مما له تشوفت^(٢) .

ومن رقعة - مضيت وشاهدت أحسن منظر : فالأرض زمردة ، والأشجار
وشي ، والماء سيوف ، والطير قيان .



رقعة في الاعتذار من هفوة الكأس

سيدي أعرف بأحكام المروءة من أن يهدى إليها ، وأحرص على عمارة سبل
الفتوة من أن يحض عليها ، وقديماً حملت أوزار السكر على ظهور الخمر ،
وطوي بساط الشراب ، على ما فيه من خطأ وصواب ، وكنت البارحة بعقب شكاة
أضعفتني ونقلتني عن عادتي ، واستعفيت السقاة غير دفعة فأبوا إلا إلحاحاً عليّ
وإتراعاً إليّ^(٣) ، وكرهت الامتناع خشية أن أوقع الكساد في سوق الأنس وتفاديا من
أن يعقد على خنصر الثقل ، فلما بلغت الحد ، الذي يوجب الحد^(٤) بدر مني ما
يبدر ممن لا يصحبه لَبَّه ، ولا يساعده عقله وقلبه . ولا غرو فموالاة الأبطال ، تدع
الشيوخ كالأطفال . فإن رأى أن يقبل عذري ، فيما جناه سكري ، ويهب جرمي

(١) الذماء : بقية النفس والقلب .

(٢) تشوّفت : تطلعت ورغبت .

(٣) أتراعاً : إغداقاً .

(٤) الحدّ الأولي : المقدار ، والحدّ الثاني : إقامة وتطبيق الشريعة .

لمعرفته نيتي في صحوي ، وإن أبى إلا معاقبتي جعلها قسمين بين المدام وبينني ،
فعل إن شاء الله تعالى .

* * *

في تنوير باكورة خلاف قد نور

لتنوير الخلاف فضائل لا تحصى ، ومحاسن تطول أن تستقصى ، منها أنه
أول ثغر يبسم عنه الربيع ويضحك ، ودر يعقد على القضبان ويسبك ، ولتمايله
أدكار بقدود الأحباب ، وتهيج لسواكن الأطراب ، وحمل إلى قضيب منه ورداته
متعادلة ، ولذاته متقابلة . فأنفذته مع رقعتي هذه إليك ، وسألت الله أن يعيده ألف
حول عليك ، وقلت [من الخفيف] :

وقضيب من الخلاف بديع مستخص بأحسن الترصيع
قد نعى شدة الشتاء علينا وسعى في جلاء وجه الربيع
وحكى من أحب عرفاً وظرفاً واهتزازاً يثير ماء ضلوعي
رقة ما نظمت نحو بديع المجد حاكى الربيع حسن صناعي

في إهداء أترجة

ما زلت يا سيدي أفكر في تحفة تجمع أوصاف معشوق وعاشق ، وتنظم
نعوت مشوق وشائق . حتى ظفرت بأترجة كأن لونها لوني ، وقد منيت ببعذك ،
وبليت بصدك . وكأن عرفها مستعار من عرفك ، وظرفها مشتق من ظرفك ، فكأنها
بعض من لا أسميه ، وأنا أفديه ، فأنفذتها وقلت [من السريع] :

مولاي قد جاءتك أترجة من بعض أخلاقك مخلوقة

ألبسها صانعها حلّة من سرق أصفر مسروقه^(١)

في إهداء أقلام

قد خدمت دواة مولاي بأقلام تتخفف بأنامله ، وتتحمل نفحات فواضله ،
وتأنّقت في بريها فأتت كمناقير الحمام ، واعتدال السهام ، خمسة منها مصرية
مقومة . عليها حلل مسهمة ، وعشرة منها بيض كأيديه ، وأيام مؤمليه ، والله يديم
له مواد نعمته ، ويوفقني لشرائط خدمته .

تهنئة بننت

أهلاً وسهلاً بعقيلة النساء ، وأم الأبناء ، وجالبة الأصهار ، والأولاد
الأطهار ، والمبشرة بإخوة يتناسقون ، نجباء يتلاحقون [من الوافر] :

فلو كان النساء كمثل هذي لفضّلت النساء على الرجال^(٢)
وما التأنيث لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكير فخرٌ للهِلال

فادّرع يا سيدي اغتباطاً ، واستأنف نشاطاً ، فالدنيا مؤنثة والرجال
يخدمونها ، والذكور يعبدونها ، والأرض مؤنثة ومنها خلقت البرية ، وفيها كثرت
الذرية ، والسماء مؤنثة وقد زينت بالكواكب ، وحليت بالنجم الثاقب ، والنفس
مؤنثة وبها قوام الأبدان ، وملاك الحيوان . والحياة مؤنثة ولولاها لم تتصرف
الأجسام ، ولا عرف الأنام . والجنة مؤنثة وبها وعد المتقون ، ولها بعث
المرسلون . فهنيئاً هنيئاً ما أوليت ، وأوزعك الله شكر ما أعطيت ، وأطال بقاءك ما
عرف النسل والولد ، وما بقي الأمد ، وكما عمّر لبد^(٣) .

(١) السرق : هو الحرير .

(٢) البيتان لأبي الطيّب المتنبّي في رثاء ، شقيقة سيف الدولة الحمداني .

(٣) ليد : أي النسر .

رقعة مداعبة

خبر سيدي عندي وإن كتمه عني ، واستأثر به دوني ، وقد عرفت خبره البارحة في شربه وأنسه . وغناء الضيف الطارق وعرسه * وكان ما كان مما لست أذكره *^(١) وجرى ما جرى مما لست أنشره ، وأقول : إن مولاي امتطى الأشهب فكيف وجد ظهره ؟ وركب الطيار فكيف شاهد جريه ؟ وهل سلم على حزونة الطريق ؟ وكيف تصرف أفي سعة أم ضيق ؟ وهل أفرد الحج أم تمتع بالعمرة ؟ وقال في الحملة بالكرة . ليتفضل بتعريفي الخبر فما ينفعه الإنكار ، ولا يغني عنه إلا الإقرار ، وأرجو أن يساعدنا الشيخ أبو مرة^(٢) . كما ساعده مره ، فنصلي للقبلة التي صلى إليها ، ونتمكن من الدرجة التي خطب عليها ، هذا وله فضل سبق إلى ذلك الميدان ، لكثير الفرسان .

ومن أخرى

انفردت يا سيدي بتلك انفراد من يحسب مطلع الشمس من وجهها ، ومنبت الدر من فمها . وملقط الورد من خدها ، ومنبع السحر من طرفها ، وحقاق العاج من ثديها ، ومبادئ الليل من شعرها ، ومغرس الغصن في قدها ، ومهيل الرمل في ردفها ، وكلا فإنها شوهاء . ورهاء خرقاء خلقاء^(٣) ، كأنما محياها أيام المصائب ، وليالي النوائب ، وكأنما قربها فقد الحباب ، وسوء العواقب ، وكأنما وصلها عدم الحياة ، وموت الفجأة ، وكأنما هجرها قوة المنّة . وكأنما فقدها ريح الجنة .

(١) هذا صدر بيت وعجزه : « فظنّ خيراً ولا تسأل عن الخبر » .

(٢) أبو مرة : من كنى إبليس اللعين .

(٣) الورهاء : الكثيرة الشحم ، والخلقاء : البالبة الرثة ، والخرقاء : الحمقاء .

ومن كتاب مداعبة

الله الله في أخيك ، لا تظهر كتابه فيحكم عليه بالماليخوليا^(١) وبالتخايل الفاسدة ، فقد ذكر جالينوس أن قوماً يبلغ بهم سوء التخيل ، أن يقدرُوا أجسامهم زجاجاً فيجتنبوا ملامسة الحيطان خشية أن يتكسروا . وحكى أن قوماً يظنون أنفسهم طيوراً فلا يغتذون إلا القرطم^(٢) ، والحظ كتابي دفعة ثم مزقه ، فلا طائل فيه ولا عائد له ولا فرج عنده ، وعلى ذكر الفرج فقد كانت بهمدان شاعرة مجيدة تعرف بالحنظلية وخطبها أبو علي كاتب بكر ، فما ألح عليها وألحف كتبت إليه [من مجزوء الرجز] :

أيرك أيرُّ ما له عند حرِّي هذا فرج^(٣)
فاصرفه عن باب حرِّي وأدخله من حيث خرج

هذه والله في هذين البيتين أشعر من كبشة أم عمرو ، والخنساء أخت صخر ، ومن كعوب الهذلية ، وليلى الأخيلية^(٤) .

ومن فقر رسائله من سائر الفنون

رسالة كتبها إلى أبي علي الحسن بن أحمد في شأن أبي عبد الله محمد بن حامد ، وسمعت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد يسردها ، فزادني جريها على لسانه وصدورها عن فمه إعجاباً بها ، وهي :

كتابي هذا وقد أرخى الليل سدوله ، وسحب الظلام ذيوله ، ونحن على الرحيل غدا إن شاء الله إذا مد الصباح غره ، قبل أن يسبح حجوله . ولولا ذاك

(١) الماليخوليا : أحد الأمراض العصبية .

(٢) القرطم : نبات يتخذ منه صبغ أحمر .

(٣) الحرّ : بضع المرأة .

(٤) كعوب الهذلية وليلى الأخيلية : من النساء الشاعرات .

لأطلته كوقوف الحجيج على المشاعر . ولم أقتصر منه على زاد المسافر . فإن المتحمل له وسيع الحقوق لدي ، حقيق أن أتعب له خاطري ويدي ، وهو أبو عبد الله الحامدي أعزه الله تعالى ، كان وافانا مع ذلك الشيخ الشهيد ، أبي سعيد الشيبني السعيد ، رفع الله منزلته . وقتل قاتله ، يكتب له فآنسنا بفضلته ، وأنسنا الخير من عقله ، فلما فجع بتلك الصحبة ، وبما كان له فيها من القرية ، لم يرض غير بابي مشرعاً ، وغير جنابي مرتعاً ، وقطع إليّ الطريق الشاق مؤكداً حقاً لا يشق غباره ، ولا ينسى على الزمان ذماره^(١) . وكنت على جناح النهضة التي لم يستقر نواها ، ولم تبين حصباها ، ولم تلق عصاها ، فأمرج الحر المبتدأ الأمر ، القريب العهد بوطاة الدهر ، حامل عليه بالمركب الوعر ، فرددته إليك يا سيدي لتسهل عليه حجباك ، وتمهد له جنابك ، وترصد له عملاً خفيف الثقل ، ندى الظل ، فإذا اتفق عرضته عليه ، ثم فوضته إليه ، وهو إلى أن يتفق ذاك ضيفي وعليك قراه ، وعندك مربعه ومشتاه ، ويريد اشتغلاً بالعلم ليزيده في الاستقلال ، إلى أن يأتيه إن شاء الله خبرنا في الاستقرار ثم له الخيار إن شاء أقام على ما وليته ، وإن شاء لحق بنا ناشراً ما أوليته ، وقد وقعت له إلى فلان بما يعينه على بعض الانتظار ، إلى أن تختار له أيدك الله كل الاختيار ، فأوعز إلي بتعجيله ، واكفني شغل القلب بهذا الحر الذي أفردني بتأميله ، إن شاء الله تعالى .

* * *

رقعة له إلى القاضي أبي بشر الفضل بن محمد الجرجاني عند وروده باب الري وافداً عليه :

تحدثت الركاب بسير أروى إلى بلدٍ حططتُ به خيامي^(٢)

(١) الذمار : ما يجمي ويدافع عنه كالشرف والحرم والملك .

(٢) البيتان من الوافر .

فكدتُ أطير من شوقي إليها بقادمة كقادمة الحمام^(١)
أفحق ما قيل أمر القادم ؟ أم ظن كأمني الحالم ؟ لا والله بل هو درك العيان ،
وإنه ونيل المنى سيان ، فمرحباً أيها القاضي براحتك ورحلك . بل أهلاً بك
وبكافة أهلك . ويا سرعة ما فاح نسيم مسراك ، ووجدنا ريح يوسف من ريك ،
فحث المطى تزل غلتي بسقياك ، وتزح علتي بلياك ، ونص على يوم الوصول
لنجعل عيداً مشرفاً . ونتخذة موسماً ومعرفاً . ورد الغلام أسرع من رجع الكلام ،
فقد أمرته أن يطير على جناح نسر ، وأن يترك الصبا في عقال وأسر .

سقى الله داراتٍ مررت بأرضها فأدَّتكَ نحوي يا زياد بن عامر^(٢)
أصائل قربٍ أرتجي أن أنالها بلياك قد زحزن حرُّ الهواجر

رقعة في ذكر مصحف أهدي إليه

البرُّ أدام الله الشيخ أنواع ، تطول به أبواع^(٣) ، وتقصر عنه أبواع ، فإن يكن
فيها ما هو أكرم منصباً ، وأشرف منسباً . فتحفة الشيخ إذ أهدي ما لا تشاكله
النعم ، ولا تعادله القيم ، كتاب الله وبيانه ، وكلامه وفرقانه ، ووحيه وتنزيله ،
وهداه وسبيله . ومعجز رسول الله ﷺ ودليله ، طبع دون معارضته على الشفاه ،
وختم على الخواطر والأفواه . فقصر عنه الثقلان ، وبقي ما بقي الملوان^(٤) ، لائحٌ
سراجُه ، واضح منهاجُه ، منير دليله ، عميق تأويله ، يقصم كل شيطان مريد ،
ويذل كل جبار عنيد ، وفضائل القرآن ، لا تحصى في ألف قران ، فأصِفُ الخط
الذي بهر الطرف ، وفاق الوصف ، وجمع صحة الأقسام ، وزاد في نخوة الأقلام ،

(١) القادمة : ريش مقدّمة الجناح جمعها القوادم .

(٢) البيتان من الطويل .

(٣) أبواع : جمع باع أي الذراع أو عظم يلي إبهام الرجل .

(٤) الملوان : من الملأ ، وهما الجن والإنس .

بل أصفه بترك الوصف فأخباره آثاره ، وعينه فراره ^(١) ، وحقاً أقول إنني لا أحسب أحداً ما خلا الملوك جمع من المصاحف ما جمعت ، وابتدع في استكتابها ما ابتدعت ، وإن هذا المصحف لزائد على جميعها زيادة القرعة على الغرة ، بل زيادة الحج على العمرة .

لقد أهديته علقاً نفيساً وما يهدي النفيس سوى النفيس ^(٢)

فصل من كتاب له إلى ابن العميد صدر جواباً عن كتابه إليه في وصف البحر ، وكان أبو بكر الخوارزمي يحفظه ، وكثيراً ما كان يقرؤه ويعجب السامعون من فصاحته ، ولم أره يحفظ من الرسائل غيره :

وصل كتاب الأستاذ الرئيس صادراً عن شط البحر بوصف ما شاهد من عجائبه ، وعاین من مراکبه ، ورآه من طاعة آلاته للرياح كيف أرادتھا ، واستجابة أدواتها لها متى نادتها . وركوب الناس أشباحها والخوف بمراى ومسمع ، والمنون بمرقب ومطلع ، والدهر بين أخذ وترك ، والأرواح بين نجاة وهلك ، إذا أفكروا في المكاسب الخطيرة هان عليهم الخطر ، وإذا لاحت لهم غرر المطالب الكثيرة ، حبب إليهم الغرر ^(٣) ، وعرفت ما قاله من تمنيه كوني عند ذلك بحضرته وحصولي على مساعدته ، ومن رأى بحر الأستاذ كيف يزخر بالفضل وتتلاطم فيه أمواج الأدب والعلم لم يعتب على الدهر فيما يفتيه من منظر البحر ، ولا فضيلة له عندي أعظم من إكبار الأستاذ لأحواله ، واستعظامه لأهواله ، كما لا شيء أبلغ في مفاخره وأنفس في جواهره ، من وصف الأستاذ له فإني قرأت منه الماء السلسال . لا الزلال ، والسحر الحرام ، لا الحلال ، وقد علم أنه كتب ولما أخطر بفكره سعة

(١) هذه الفقرة من قولهم في مثل « إن الجواد عينه فراره » .

(٢) البيت من الوافر ، والعلق : النفيس الثمين .

(٣) الغرر : الخطر والمهالك .

صدره ، فلو فعل ذلك لرأى البحر وشلاً لا يفضل عن التبرض^(١) ، وثمداً لا يكثر عن الترشف^(٢) .

وكم من جبالٍ جبت تشهد أنك الـجبال ويحبر شاهد أنك البحر^(٣)

* * *

ومحاسن فقر الصاحب تستغرق الدفاتر ، وتستنزف في الانتخاب منها الخواطر ، وليس يتسع هذا الكتاب لغيض من فيضها وقطرة من سيحها^(٤) .

* * *

هذا ما اخترته من ملح شعره
في الغزل ، وما يتعلق به

قال [من الوافر] :

تسحب ما أردت على الصباح فهم ليل وأنت أخو الصباح^(٥)
لقد أولاك ربك كل حسنٍ وقد ولأك مملكة الملاح
وبعد فليس يحضرني شرابٌ فأنعم من رضاك لي براح
وليس لديّ نقلٌ فارتني بنقلٍ من ثناياك الوضاح^(٦)

وقال [من الخفيف] :

لا ترجو إصلاح قلبي بلومٍ حلف الجفن لا استقل بنومٍ

(١) الوشل : القليل من الماء ، والتبرض : التبلى بالقليل .

(٢) الترشف : من رشف الماء أي شربه .

(٣) البيت من الطويل .

(٤) السيج : المطر .

(٥) تسحب : أي تفاخر زهواً .

(٦) النقل : ما يؤكل من فاكهة وفستق وغيره مع الشراب .

وهواه لئن تأخر عني طول يومي إني سيحضر يومي

وقال [من الوافر] :

عليّ كالغزال وكالغزاله رأيت به هلالاً في غلاله^(١)
كأنّ بياض غرته رشاد كأنّ سواد طرته ضلاله
كأنّ الله أرسله نبياً وصيرّ حسنه أقوى دلاله
إذا ما زدت وصلاً زدت خبلاً كأنّ جبال وصلك لي خباله^(٢)

وقال [من البسيط] :

هذا عليّ عليّ في محاسنه كائماً وصفه أن يبلغ الأملا
وكم أقول وقد أبصرت طلعتة هذا الذي في طراز الله قد عملا

وقال [من السريع] :

وشادن أصبح فوق الصّفة قد ظلم الصّبّ وما أنصفه
كم قلت إذ قبل كفيّ وقد تيمني : يا ليت كفي شفه

وقال في معناه [من السريع] :

أبا شجاع يا شجاع الوري ومن غدا في حسنه قبله
قبل فمي إن كنت لي مؤثراً فاليد لا تعرف القبلة^(٣)

وقال في معناه [من مجزوء الرجز] :

وشادن جماله تقصر عنه صفتي

(١) الغلالة : الثوب الرقيق .

(٢) الخبل : الفساد والعناء .

(٣) كذا ، ولعله : « فاليد ليست تعرف القبلة » ليستقيم الوزن .

أهوى لتقبيل يدي فقلت : لا ، بل شفتي^(١)

وقال [من السريع] :

قل لأبي القاسم إن جئته هنيئاً ما أعطيت هنيئاً
كلُّ جمالٍ فائقٍ رائقٍ أنت برغم البدر أوتيتهُ

وقال [من مخلع البسيط] :

قل لأبي القاسم الحسيني يا نار قلبي ونور عيني
البدر زين السماء حسناً وأنت زين لكل زين

وقال من باب الاقتباس من الحديث [من الكامل] :

ومهفهف يغني عن القمر قمر الفؤاد بفاتن النظر^(٢)
خالسته تفاح وجنته من غير إبقاء ولا حذر
فأخافني قومٌ فقلت لهم لا قطع في ثمرٍ ولا كثر^(٣)

وقال في مثله [من مجزوء الرمل] :

قال لي إن رقيب سيء الخلق فداره
قلت دعني وجهك السجنة حُفَّت بالمكاره

وقال في مثله [من الوافر] :

أقول وقد رأيت له سحاباً من الهجران مقبلةً إلينا
وقد سحَّت غزالتها بهطلٍ حوالينا الصّدود ولا علينا

(١) أهوى : انحنى .

(٢) قمر الفؤاد : أسره .

(٣) الكثر : المال ، وثمار النخل أو طلوعها .

وقال [من المنسرح] :

الحبُّ سكرٌ خماره التلف يحسن فيه الذبول والدنف^(١)
عابوه إذ لجَّ في تصلُّفه والحسن ثوبٌ طرازه الصِّلَف^(٢)

وقال [من السريع] :

وشادنٍ يكثر من قول لا أوقع قلبي في ضروب البلا
قلت وقد تيمني طرفه هذا هو السحر وإلا فلا
وقال رحمه الله [من مجزوء الرجز] :

وشادنٍ ذي غنجٍ طاوي الحشى معتدل^(٣)
أنشدته شعراً بديعاً حسناً من عملي
فقال فيمنٌ ولمنٌ فقلت هذا فيك لي
فطار في وجنته شعاع نار الخجل

وقال [من الكامل] :

قد قلت لما مرَّ يخطر ماشياً والناس بين معوِّذٍ أو عاشق^(٤)
لم يكفٍ ما صنعت شقائق خده حتى تلبس حلَّةً بشقائق

وقال [من المتقارب] :

دعتني عيناك نحو الصِّبَا دعاءً يكرّر في كلِّ ساعه
ولولا تقادم عهد الصِّبَا لقلت لعينيك سمعاً وظاعه

(١) الخمار : أثر السكر ومفعوله ، والدنف : المرض والهلاك .

(٢) الصِّلَف : التكبر .

(٣) طاوي الحشى : أي ضامر الخصر .

(٤) يخطر : يمشي بزهو ودلال ومعوِّذ : أي يقول أعوذ بالله .

وقال [من الرجز] :

شتمتُ من تيمّني مغالطاً لأصرف العاذل عن لجاجته^(١)
فقال لَمّا وقع البزاز في السُّثوب علمنا أنّه من حاجته^(٢)

وقال [من المنسرح] :

أتانيَ البدر باكياً خجلاً فقلت ماذا دهاك يا قمرُ
قال غزالٌ أتى ليعزلني بحسنه فالفؤاد منفطر
فقلتُ قَبْلُ ترابه عجلأ واسجدُ له قال كلُّ ذا غرر^(٣)
قد بايعت أنجم السماء له فليس لي مفزعٌ ولا وزرُ

وقال [من الرجز] :

يا قمرأ عارضني على وجلُ وصاله يشبه تأخير الأجلُ
وقال : تبغي قبلةً على عجل ؟ قلت : أجلُ ، ثم أجلُ ، ثم أجلُ

وقال [من الرجز] :

وشادنٍ في الحسن كالطاووس أخلاقه كليلة العروسِ
قد نال باللحظ من النفوس ما لم تنله الروم من طرسوسِ

وقال [من الرجز] :

بدا لنا كالبدر في شروقه يشكو غزالاً لجّ في عقوقه
يا عجباً والدهر في طروقه من عاشقٍ أحسن من معشوقه
سمعت أبا بكر الخوارزمي ، يقول : أنشدني الصاحب هذه القوافي ليلة ،

(١) اللجاجة : الإلحاف .

(٢) البزاز : النزاع .

(٣) غرر : جهل .

وقال : هل تعرفون نظيراً لمعناها في شعر المحدثين ؟ فقلت : لا أعرف إلا قول
البحري [من المتقارب] :

ومن عجب الدهر أنَّ الأمير أصبح أكتبُ من كاتبه
فقال : جودت وأحسنت ، وهكذا فليكن الحفظ ، وقال [من المتقارب] :

عزمت على الفصد يا سيدي لفضل دمٍ كظني مؤلم^(١)
فلما تأخرت عن مجلسي أركت لغير افتصادٍ دمي

وقال [من مجزوء الكامل] :

ومهفهفٍ شكل المجوِّ أضنى فؤادي بالفتون
فنسيمه ملء الأنو ف ، وحسنه ملء العيون

وقال [من المتقارب] :

فمن كان يقطف ورد الجنان فقطفيَ مذُ كنتُ ورد الخدود
وهمِّي مذ كنت درّ الثغور إذا اهتمَّ غيري بدرّ العقود

وقال [من الرجز] :

كنّا وأسباب الهوى متّفقه نبتاً من الورد معاً في ورقة
فالآن إذ أسبابه مفترقه قد صارت الأرض علينا حلقة

وقال [من السريع] :

يا خاطراً يخطر في تيهٍ ذكرك موقوفٌ على خاطري
إن لم تكن أثرٌ من ناظري عندي فلا متّعت بالناظر

(١) الفصد : إخراج الدم بالحجامة ، وكظ : ضاق بالشيء من كثرته أو أثقله واشتد عليه .

وقال [من الطويل] :

تأخّرت عني والغرام غريم
وأوهمتني سقماً وأنت مصحّح
ولو شئت لم تخلط وصلاً بهجرة
ففي الدهر كافر أن يفرّق إنّه
وقال ، ويروي لغيره [من الكامل] :

رشأ غدا وجدي عليه كرفه
وكأنّ يوم وصاله من وجهه
إنّ ذقت خمراً خلّتها من ريقه
وإذا تكبّر واستطال بحسنه
وغدا اصطباري في هواه كخصره
وكأنّ ليلة هجره من شعره
أو رمت مسكاً نلته من نشره
فعذار عارضه يقوم بعذره

* * *

ملح من شعره في الصدغ والخط والعدار

قال [من السريع] :

يا شادناً في صدغه عقرب
يسلم خدّاه على لدغها
ما يستجيب الدهر للراقي
ولدغها في كبدي باقي^(١)

وقال [من الوافر] :

وعهدي بالعقارب حين تشو
فما بال الشتاء أتى وهذي
تخفّف لدغها وتقلّ ضرّاً
عقارب صدغه تزداد شرّاً

(١) الحميم : الحار .

(٢) اللدغ : اللسع .

وقال [من الطويل] :

رأيت علياً في لباس جماله فشاهدت منه الروض ثانيَ مزنه
ولمّا تبدّى لي امتداد عذاره رأيت طراز الله في ثوب حسنه

وقال [من البسيط] :

إن كنت تنكره فالشمس تعرفه أو كنت تظلمه فالحسن ينصفه
ما جاءه الشعر كي يمحو محاسنه وإنما جاءه عمداً يغلفه

وقال [من السريع] :

لما بدا العارض في الخدّ زاد الذي ألقى من الوجد
وقلت للعدّال يا من رأى بنفسجاً يطلع من ورد

وقال [من البسيط] :

دبّ العذار على ميدان وجنته حتى إذا كاد أن يسعى به وقفا
كأنه كاتبٌ عزّ المداد له أراد يكتب لاماً فابتدا ألفا

وقال [من الوافر] :

عذارٌ كالطراز على الطراز وشمسٌ في الحقيقة لا المجاز
تبدّى عارضاه فعارضاني وقالوا لا تمرّ بلا جواز
فقلت القلب عندكم مقيمٌ وما حسن الثياب بلا طراز

وقال [من مجزوء الكامل] :

أنظرُ إليه كأنه شمسٌ وبدرٌ حين أشرفُ فكأنها الواوات حين يخطها قلمٌ محرفُ
والحظّ محاسن خدّه تعذرُ دموعي حين تذرفُ

وقال [من الهزج] :

أبو نصر بن بكران مليح الحظُّ والخطُّ
فهذا النمل في العاج وذاك الدرُّ في السمط^(١)

وقال [من الخفيف] :

إنّ لبس السواد أقوى دليلُ لأمرٍ يلي أمور العبادِ
وأمر الملاح يأتيه عزلُ حين تلقاه لابساً للسّوادِ

وقال [من الطويل] :

وخطُّ كأنّ الله قال لحسنه تشبّه بمن قد خطّك اليوم فأتمرُ
وهيهات أين الخطّ من حسن وجهه وأين ظلام الليل من صفحة القمرُ

وقال في صباح الحاجب [من المنسرح] :

خداه وردٌ وصدغه سبجُ ومقلّته الغناء والراح^(٢)
إن هزّ أطرافه على نغمٍ شُقَّت جيوبٌ وطاح أرواح
وجملة القول في محاسنه أنّ أمير الصّباح صباح

وقال [من الكامل] :

رقّ الزجاج ورقت الخمر فتشابهها فتشاكل الأمرُ
فكأنّما خمرٌ ولا قدحُ وكأنّما قدحٌ ولا خمر^(٣)

وقال [من الرجز] :

وقهوة قد حضّرت بختها فقلت للندمان عند شمّها

(١) السمط : السلك والعقد .

(٢) السّج : الأسود .

(٣) هذان البيتان ينسبان لأبي نواس .

فحسبها ما شربت من كرمها

لا تقبضن بالماء روح جسمها

وقال [من المتكامل] :

متشاكلُ أشباحها أرواحُ
فالراح والمصباح والتفاحُ
من أيّ هذي تملأ الأقداح

متغايراتُ قد جُمعن وكلّها
وإذا أردت مصرحاً تفسيرها
لو يعلم الساقى وقد جُمعن لي

وقال [من الطويل] :

دعوت بكأسي وهي ملأى من الشفق
خدود عذارى قد جعلن على طبق

ولما بدا التفاح أحمر مشرقاً
وقلت لساقها أدرها فإنّها

وقال من قصيدة [من الطويل] :

أهلُ لخدود الغانيات عصيرُ؟
وقد يطرب الإنسان وهو كبيرُ

وكأسٍ تقول العين عند جلائها
تحاميتها إلاّ تعلّل واصفٍ

ومن قصيدة [من الطويل] :

لرقتها إلاّ على المتوهم
إلى الكرم أم هاتا إلى الكرم ينتمي

وصفراءُ أو حمراءُ فهي نحيلةُ
تشكّنا في الكرم أنّ انتماءه

ومنها [من الطويل] :

وحظّي منها أن أقول ألا انعمي
بغير يدي وارضي بما قاله فمي^(١)

تمتّع ندمانُ بها وأحبةُ
لك الوصف دون القصف متّي فخيمي

أراد أنه جلس مع الشرب من غير شرب .

(١) القصف : أي الاحتساء والخلاعة .

وقال [من السريع] :

وشادنٍ قلت له ما اسمكا فقال لي بالغنج عبّاثُ
فصرت من لثغته ألثغاً فقلت أين الكاث والطاث^(١)

* * *

ملح في الأوصاف والتشبيهات

قال [من الخفيف] :

أقبل الثلج فانبسط للسرور ولشرب الكبير بعد الصغير
أقبل الجوّ في غلائل نور وتهادى بلؤلؤ مشور
فكأنّ السّماء صاهرت الأر ض فصار البشار من كافور^(٢)

أخذه من قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكأنّ الربيع يجلو عروساً وكأنّا من قطره في نثار

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام معجلاً فالنفس في قيد الهوى مأسوره
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا به كافوره

وقال فيه [من الكامل] :

هات المدامة يا غلام مصيراً نقلي عليها قبة أو عضه
أو ما ترى كانون ينثر ورده وكأنّما الدّنيا سبيكة فضّه

(١) الألتغ : الذي يلفظ السين ثاء .

(٢) النثار : ما ينثر في العرس من ذهب وغيره .

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول عند إنشاد هذه الثلجيات : كل هذه
الثلجيات عيال على قول الصنوبري [من مجزوء الكامل] :

ذَهَبٌ كَوْوسِكَ يَا غَلا م فَأَنَّهُ يَوْمَ مَفْضَضٍ

فقلت : قد أخذه منه من لم يزد على معناه ، فقال [من البسيط] :

جاد الغمام بدمع كاللجين جرى فجد لنا بالتي في اللون كالذهب
وقال الصاحب في النارج [من الطويل] :

بعثنا من النارج ما طاب عُرْفُهُ فقل على الأغصان منه نوافج^(١)
كرات من العقيان أحكم خرطها وأيدي الندامى حولهن صوالج
وقال في الند [من الكامل] :

ندُّ لفخر الدولة استعماله قد زاد عرفاً من نسيم يديه^(٢)
فكأنما عجنوه من أخلاقه وكأنه طيب الشاء عليه
وقال في حبة عنب [من مجزوء الرجز] :

وحبة من عنب من المنى متخذة
كأنها لؤلؤة في وسطها زمرده

وقال فيه [من الرجز] :

وحبة من عنب قطفتها تحسدها العقود في الترائب^(٣)
كأنها من بعد تمييزي لها لؤلؤة قد ثقت من جانب

(١) النوافج : أوعية المسك ، أو رداد المطر العالق لأن النافجة تعني : السحابة الممطرة .

(٢) الند : عود طيب الرائحة .

(٣) الترائب : موضع العقد في العنق والصدر .

وقال في الشمع [من مخلع البسيط] :

ورائق القدّ مستحبّ
صفرة لونٍ وسكب دمعٍ
يجمع أوصاف كلّ صبّ
وذوب جسمٍ وحرّ قلبٍ

وقال في التين [من الكامل] :

تينٌ يزينُ رواؤه مخبوره
عسل اللعاب لديه ممّا يجتوي
متخيرٌ في وصفه يتخيرُ
وجنى النحيل لديه مرٌّ ممقر^(١)
وكأنّما هو في ذرى أغصانه
ويقول ذائقه لطيب مذاقه
قطع النضار أدارهنّ مدور
الله أكبر والخليفة جعفر

وقال في الخط واللفظ [من البسيط] :

بالله قل لي أقرطاسٌ تخطُّ به
بالله لفظك هذا سال من عسل
من حلّةٍ هو أمّ ألبسته حلا
أمّ قد صبيت على أفواهنا عسلا

وقال في الوحل [من البسيط] :

إنّي ركبت وكفّ الأرض كاتبه
والأرض محبرةٌ والحبر من لثقي
على ثيابي سطوراً ليس تنكتمُ
والطرّس ثوبي ويمني الأشهب القلم^(٢)

* * *

من ملح إخوانياته

كتب إلى أبي الفضل بن شعيب [من الخفيف] :

يا أبا الفضل لم تأخّرت عنا فأسأنا بحسن عهدك ظناً

(١) ممقر : أي صار مرّاً أو حامضاً .

(٢) اللثق : اللزج من الطين ، أو الندى .

كَمْ تَمَنَّتْ نَفْسِي صَدِيقاً صَدُوقاً فَإِذَا أَنْتَ ذَلِكَ الْمَتَمَنَّى
فَبَغِضَنَ الشَّبَابَ لِمَا تَشْنَى وَبَعْدَ الصَّبَا وَإِنْ بَانَ مَنَّا^(١)
كَنْ جَوَابِي إِذَا قَرَأْتَ كِتَابِي لَا تَقُلْ لِلرَّسُولِ كَانَ وَكُنَّا

وكتب إلى أبي الحسين الطيب [من الرجز] :

إِنَّا دَعَوْنَاكَ عَلَى انْبِسَاطٍ وَالْجُوعِ قَدْ أَثَّرَ فِي الْأَخْلَاطِ
فَإِنْ عَسَى مِلَّتْ إِلَى التَّبَاطِي صَفَعْتَ بِالنَّعْلِ قَفَا بِقِرَاطِ

وكتب إلى بكر الخوارزمي [من الرجز] :

أَسْعَدَكَ اللَّهُ يَوْمَ الْفَصْحِ وَعَشْتَ مَا شِئْتَ يَوْمَ سَمَحِ
يَا رَأْسَ مَالِي فِي الْوَرَى وَرَبِحِي وَظَفَّرِي وَنَصَرْتِي وَنَجِحِي
شَرِباً وَلَا تَصْغِ لِأَهْلِ النَّصْحِ فَالْحَزَمَ أَنْ تَسْكُرَ قَبْلَ تَصْحِي

* سكر النصارى في غداة الفصح *

وكتب إلى أبي القاسم الفاشاني [من مجزوء الرمل] :

يَا أَبَا الْقَاسِمِ قُلْ لِي قُلْ لِمَاذَا لَا تَزُورُ
كَنتَ قَدْ قَدِمْتَ وَعَدّاً فَإِذَا وَعْدُكَ زُورُ
وَبَذَرْتَ الْوَرْدَ بِالْقَوْلِ فَلَمْ تَزُكُ الْبُذُورُ
وَنَحَرْتَ الْوِدَّ بِالْهَجْرِ كَمَا يَهْدِي الْجَزُورُ
إِنَّ أُمَّ الصَّدَقِ فِي الْوَدِّ لِمَقْلَاقٍ نَزُورُ^(٢)

وكتب إليه أيضاً [من مجزوء الكامل] :

مَوْلَايَ لِمَ لَمْ تَدْعُ عَبْدَكَ عِنْدَ إِحْضَارِ الْمَدَامِ

(١) بَانَ مَنَّا : أي فقدناه وابتعد عنا .

(٢) لِمَقْلَاقٍ : من القلى ، وهو البغص ، والنزور : من النزر ، وهو القليل .

أعرفته من بينهم متبسّطاً وقت الطّعام
أم قيل عزبد ذات يوم حين صار إلى المدام
أم لم يساعد حين ملت إلى الغلامه والغلام
إن كنت تبخل بالطّعام فكيف تبخل بالكلام
لسنا نحاول دعوة فاسمح علينا بالسلام

وقال رحمه الله [من السريع] :

و فتشوا قلبي رأوا وسطه سطرين قد خطّا بلا كاتب
حبّ عليّ بن أبي طالبٍ وحبّ مولاي أبي طالبٍ

وقال [من الخفيف] :

يا ابن يعقوبَ يا نقيب البدور كن شفيعي إلى فتىٍ مسرورٍ
قل له إنّ للجمال زكاةً فتصدّق بها على المهجور

وكتب إلى أبي العلاء الأسدي [من البسيط] :

أبا العلاء يا هلال الهزل والجدّ كيف النجوم التي تطلعن في الجلد
وباطنُ الجسم غرٌّ مثل ظاهره وأنت تعلم ممّا قلته قصدي

سمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي يقول : لم أسمع في إنفاذ الحلواء
إلى الأصدقاء أحسن من قول الصاحب [من المتقارب] :

حلاوة حبّك يا سيدي تسوغ بعثي إليك الحلاوة

فقلت له : وأنا لم أسمع في النثار للرؤساء أحسن من قولك [من المتقارب] :

ولو كنت أنثر ما تستحقُّ نثرت عليك سعود الفلك

ثم تذاكرنا في أحسن ما نحفظه في كل باب ، فجرت نكت كثيرة فسألني أن

أؤلف كتاباً في الأحاسن ، وأورد فيه أحسن ما سمعته في كل فن ، فأجبتَه إلى ذلك ، وحين ابتدأته عرضت موانع وقواطع عن استتمامه ، أقواها غيبته عن خراسان ، ثم وفاته رحمه الله تعالى .

وقال الصاحب [من مخلع البسيط] :

قولوا لإخواننا جميعاً من كلهم سيّد مرزاً^(١)
من لم يعدنا إذا مرضنا إن مات لم نشهد المعزى

وقال لمحمود التاجر [من السريع] :

طويت محموداً على جفوته مخلصاً نفسي من خلّته
قدرته يقلق من علّتي مثل انزعاجي كان من علّته
لم يطر ما بي لا ولا مرّ بي كأنّ سقمي كان من شهوته^(٢)
من لم يطالعني على علّة إن مات لم أمض إلى تربته

وقال للقاضي أبي بشر الجرجاني [من الوافر] :

يصدّ الفضل عنا أيّ صدّ وقال تأخري عن ضعف معدّة
فقلت له جعلت العين واواً فإنّ الضعف أجمع في المودّة

وقال [من الطويل] :

بعدتَ فطعم العيش عندي علقمُ ووجه حياتي مذ تغيّبتَ أرقمُ
فما لك قد أدغمتَ قربك في النوى وودك في غير النداء مرخمُ

* * *

(١) مرزا : من الرزة ، وهو المصاب .

(٢) لم يطر : لم يستفسر ، ولم يزر اطمئناناً عليه ، وأطراه : أثنى عليه .

ملح من مدائحه

قال من قصيدة في عضد الدولة [من الطويل] :

همامٌ رأى الدنيا سواماً فحاطها ليالي في غير الزمان وقور^(١)
ولم يخطب الدنيا احتفالاً بقدرها فموقعها من راحتيه يسير
ولكن له طبعٌ إلى الخير سابقٌ ورأيٌ بأبناء الرجال بصيرٌ
وإن لم يلاحظهم بعين حمية فتلك أمورٌ لا تزال تمور

ومن أخرى [من الطويل] :

سعودٌ يحار المشتري في طريقها ولا تتأتى في حساب المنجم
وكم عالمٌ أحيت من بعد عالمٍ على حين صاروا كالهشيم المحطم
فوالله لولا الله قال لك الورى مقال النصارى في المسيح ابن مريم
محامد لو فضت ففاضت على الورى لما أبصرت عيناك وجه مذمم
وكلأ ولكن لو حظوا بركاتها لما سمعت أذنك ذكر ملوم^(٢)
ولو قلت إن الله لم يخلق الورى لغيرك لم أخرج ولم أتأثم

ومن أخرى [من الكامل] :

يا أيها الملك الذي كل الورى قسمان بين رجائه وحذاره
فمناصحٌ قد فاز سهم طلابه ومداهنٌ قد جال قدح بواره^(٣)
هذي بخارى تشتكي ألم الصدى وتقول قولاً نيت في أخباره^(٤)
ماذا عليه لو يهم بعرصتي فأكون بعض بلاده ودياره

(١) السّوام : الماشية التي ترسل لترعى .

(٢) تمور : تموج وتضطرب .

(٣) الملوم : اللائم والعاتب .

(٤) المداهن : المتزلف والمحابي ، وبواره : هلاكه .

(٥) الصدى : العطش والظما ، ونيت : كلّفت عنهم من « ناب ينوب » .

ومن عميدية ذكر فيها نقرسا نال يمانه [من الطويل] :

| | |
|------------------------------------|---------------------------------|
| أبو الفضل من أجرى إلى الفضل يافعاً | فضلٌ به يدعى وصار به يكنى |
| سلامته شمسُ المعالي وسقمه | كسوفُ المعالي لا كسفن ولا بناً |
| ولم يأتِه ورد السقام لغير ما | عرفنا فخذ معنى تألمه منا |
| وما راده إلا ليشغل عن ندى | والأ فليم قد خص بالألم اليمنى |
| وما يُحجز البحر الخضم عن الندى | ولا السيد الأستاذ عن جوده يُثنى |

وكتب إلى مؤيد الدولة أبي منصور [من الرجز] :

| | |
|------------------------|------------------------------|
| سعادة ما نالها قط أحد | يحوزها المولى الهمام المعتمد |
| مؤيد الدولة وابن ركنها | وابن أخي معزها أخو العضد |

وقال في فخر الدولة وقد افتصد [من البسيط] :

| | |
|------------------------------|---------------------------|
| يا أيها الشمس إلا أن طلعتها | فوق السماء وهذا حين يقتصد |
| لما افتصدت قضينا للعلا عجباً | وما حسبت ذراع الشمس يفتصد |

وقال فيه لما بنى قصره بجرجان [من السريع] :

| | |
|---------------------------|-------------------------------------|
| يا بانياً للقصر بل للعلا | همك والفرقد سيان |
| لم تبن هذا القصر بل صغته | تاجاً على مفرق جرجان ^(١) |
| وقصرك المبني من قبله | ملكك ، والله هو الباني |
| فاقبل نثار العبد بل نظمه | فائه والدُّر مثلان |
| واسمع مقالاً لم يُقل مثله | مذ كانت الدنيا لإنسان |
| لو كان للخلق إلهان | لكان فخر الدولة الثاني |

* * *

(١) المفرق : مكان الفرق في الرأس .

ملح من شعره في الهجاء والمجون

قال في ابن متويه [من مجزوء الرمل] :

يا فتى متويّ رفقاُ لستَ من ينكر أصله
إنّما ينكر منه من جنونٍ فيه ثقله
أنت نذلٌ من كرامٍ أنت في الطاووس رجله

كأنه مقلوب بيت المتنبي [من الوافر] :

فإن تفق الأنام وأنت منهم فإن المسك بعض دم الغزال

وقال في معناه [من الوافر] :

أبوك أبو عليّ ذو علاءٍ إذا عُدَّ الكرام وأنت نجله
وإنّ أباك إذ تُعزى إليه لكالطاووس يقبح من رجله^(١)

وقال فيه [من السريع] :

أحمد هذا سبطُ متويّة في موته بعد غدٍ تهنّيه
والشأن في أنّي على بغضه أحتاج أن أقعدَ للتعزّيه

وقال فيه [من السريع] :

قال ابن متويه لأصحابه وقد حشوه بأيور العبيد
لئن شكرتم لأزيدنكم وإن كفرتم فعدابي شديد

وقال فيه [من الكامل] :

أبصرت في كفّ ابن متوي عصاً فسألته عنها ليوضح عذرا

(١). تعزى : تسب .

فأجابني إني بها متشايعُ هذا ، ولي فيها مآرب أخرى
وقال فيه [من الخفيف] :

سبط متويٌّ إنَّ دارك دار قد عرفتَ الإِدبار إذ تبنيها
لا تكثُر تزويقها وترفقُ عن قليلٍ يكون قبرك فيها
وقال فيه [من مجزوء الرمل] :

كلّما زدتَ عتاباً زدتُ في هجوك بيتا
أو ترى طبعي غيضاً أو أرى جسمك ميتا
وقال فيه [من الرمل] :

سبط متويّ رقيعٌ سفلهُ أبداً ييذل فينا أسفلهُ
اعتزلنا نيكه في دبره فلهذا يلعن المعتزلهُ
وقال فيه [من المجث] :

رام ابن متويّ أيري وبرجه فيه طيرُ
فقلت تطلب أيري هذا وفي استك أير
فقال لي لا تحمقُ زيادة الخير خير
وقال فيه [من السريع] :

عندي سرُّ لابن متويّه وعزمي السّاعة أن أفشي
أخبرني بعضي عن بعضه بأنّه أوسع من يمشي
وقال في الغويري [من السريع] :

إنَّ الغويري له نكهةٌ تنتها أربتُ على الكنف^(١)

(١) أربت : زادت ، والكُنف : جمع كنيف وهو المرحاض .

يا ليتَه كان بلا نكهةٍ أو ليتني كنت بلا أنفٍ
وقال في رجل يتعصب للعجم على العرب ويعيب العرب بأكل الحيات [من
السريع] :

يا عائب الأعراب من جهله لأكلها الحيات في الطعم
فالعجم طول الليل حياتهم تنساب في الأخت وفي الأم
وقال فيمن زوج أمه [من مجزوء الكامل] :

زوّجتَ أمَّك يا فتى وكسوتني ثوب القلق
والحرُّ لا يهدي الحرا م إلى الرجال على طبق
وقال [من الرجز] :

لم أر مثل جعفر مخلوقا يشبه طبلًا ويحب بوقا
وقال [من الرجز] :

يا بركة ملأى من الشبوط قفاك بغاء وكفّي لوطي^(١)
وقال [من الهزج] :

لنا قاضٍ له رأسٌ من الخفّة مملوء
وفي أسفله داءٌ بعيدٌ منكم السوء

وقال [من مجزوء الرمل] :

إنّ قاضينا لأعمى أم على عمدٍ تعامى
سرق العبد كأنّ السعبد من مال اليتامى

(١) الشبوط : بضم الشين وفتحها ، نوع من السمك دقيق الذنب عريض الوسط، لّين المسّ ، صغير الرأس كأنّه يربط أي عود .

وقال [من المجتث] :

يا قاضياً بات أعمى عن الهلال السعيد
أفطرت في رمضان وصمت في يوم عيد

وقال [من الهزج] :

إذا ما لاح للعين أبو بكرٍ فتى القاضي
وقد زاد من التيه على القاهر والراضي
فواجهه بإمضاضٍ وقابله بإغضاض
وقالوا في حرٍّ أمكُ قمدُ الحاكم الماضي^(١)

وقال [من الطويل] :

رأيت لبعض الناس فضلاً إذا انتمى يقصّر عنه فضل عيسى ابن مريم
عزوه إلى تسع وتسعين والداً وليس لعيسى والدٌ حين ينتمي

وقال [من الطويل] :

سيأتيك برقٌ من هجائي خلَّبُ إذا كنت ذا برق من الودّ خلَّب^(٢)
وأنشد إذ أصبحت تغلب قدرتي بعجزك لم يغلبك مثل مغلَّب^(٣)

وقال [من السريع] :

مطفلٌ أطفل من أشعبٍ ما زال محروماً ومذموماً
لو أنه جاء إلى مالكٍ لقال أطعمني زقوماً^(٤)

(١) القمد : الغليظ يعني به عضو الحاكم .

(٢) الخَلْب : السحاب الذي يلمع برقه ولا مطرفيه .

(٣) يشير إلى قول الشاعر :

فإنك لم يفخر عليك كفاخرٍ ضعيفٍ ولم يغلبك مثل المغلَّب

(٤) الزقوم : شجرة مرة كريهة الرائحة يأكل أهل النار في جهنم ثمرها .

وقال [من السريع] :

انظرُ إلى وجه أبي زيد أوحش من حبسٍ ومن قيد
وحوشه ترتع في ثوبه وظفره يركب للصيّد

وقال في رجل كثير الشرب بطيء السكر [من الطويل] :

يقال لماذا ليس يسكر بعدما توالى عليه من نداماه قرقفُ
فقلت سبيل الخمر أن تنقص الحجى فإن لم تجد عقلاً فماذا تحيفُ^(١)

وقال [من السريع] :

هذا ابن متويٍّ له آية يتلع الأير وأقصى الخصى
يكفر بالرسل جميعاً سوى موسى بن عمران لأجل العصا

وقال [من الخفيف] :

أنت تيسٌ لا كالتّيس لأنّ الـتّيس ينزو وأنت يُنزي عليك^(٢)

وقال [من الوافر] :

أبو العباس تحضره جموعُ من الفقهاء لجّوا في العواء
كأنّهم إذا اجتمعوا عليه ذبابٌ يجتمعن على جراء

وقال [من الوافر] :

أبو العباس قد أضحى فقيهاً يتيهُ بفقهِهِ في النَّاسِ تيهَا
وذلك أنّ لحيته أتتني تناظر فقحتني فخرت فيها^(٣)

(١) الحجى : العقل : وتحيف : تنقص .

(٢) ينزو : أي يمارس الشهوة .

(٣) الفقحة : فتحة المؤخّرة .

وقال [من الهزج] :

أبو العباس في الأيـــــر ينساب انسياب الأيم^(١)
فتى يأذن بالفقـــــحة للأسياف بالشيم^(٢)

وقال [من البسيط] :

هذا الأديب الذي وافى يفاخرنا أضحى إلى كمر السودان مشتاقا
فما يفارق طوماراً يعالجه إلاً بآخر يمضي فيه إعناقاً^(٣)
كأنما هو حرباء بيضته لا يرسل الساق إلاً ممسكاً ساقا

وأنشدني له الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي [من الكامل] :

نبئتُ أنكَ منشدٌ ما قلته في سبِّ عرضك لا تخاف وعيدي
والكلب لا يخزى إذا أخسأته والقار لا يخشى من التسويد^(٤)

وأنشدني له أيضاً [من السريع] :

شرط الشروطي فتىً أير وما سواه غير مشروط
أبغى من الأيرة لكنه يوهم قوماً أنه لوطي

وأنشدني له غيره [من المتقارب] :

تزلزلت الأرض زلزالها فقالوا بأجمعهم مالها
مشى ذا الثقل على ظهرها فأخرجت الأرض أثقالها

(١) الأيم : الحية الذكر .

(٢) بالشيم : بالدخول والنظر .

(٣) الطومار : الصحيفة ويعني به « عضو الرجل » .

(٤) القار : القطران .

وقال [من مجزوء الكامل] :

قد طال قرنك يا أخي فكأنه شعر الكميث

* * *

ما أخرج له رحمه الله في سائر الفنون

قال [من المتقارب] :

تصدُّ أُميمةٌ لَمَّا رأتُ مشياً على عارضي قد فرشُ
فقلت لها الشيب نقش الشبابِ فقالت ألا ليتَه ما نقشُ

وقال [من الطويل] :

ولما تناءت بالأحبة دارهُم وصرنا جميعاً من عيانٍ إلى وهم
تمكَّن منِّي الشوق غير مسامحٍ كمعتليٍّ قد تمكَّن من خصم

وقال [من الخفيف] :

كنت دهرأ أقول بالاستطاعة وأرى الجبر ضلَّةً وشناعةً
ففقدت استطاعتي في هوى ظبيٍّ فسمعاً للمجبرين وطاعةً

وقال [من المتقارب] :

لقد قلتُ لما أتوا بالطيبِ وصادفني في أحرَّ اللهبِ
وداوي فلمْ أنفع بالدواء دعوني فإنَّ طيبي حبيبي
ولست أريد طيب الجسم ولكنْ أريد طيب القلوب
وليس يزيل سقامي سوى حضور الحبيب وبعد الرقيب

وقال [من الخفيف] :

ناصرُ قال لي معاويةُ خا
فهو خالٌ للمؤمنين جميعاً
وقال [من السريع] :

حبُّ عليّ بن أبي طالبٍ
إنْ كان تفضيلي له بدعةٍ
هو الذي يهدي إلى الجنةِ
فلعنة الله على السُّنةِ

وقال في شهر رمضان [من الخفيف] :

قد تعدّوا على الصيام وقالوا
كذبوا في الصيام للمرء مهما
موقفٌ بالنهار غير مريبٍ
حُرِّمَ الصَّيْبُ فيه حسنُ العوائدِ
كان مستيقظاً أتمَّ الفوائدِ
واجتماعُ بالليل عند المساجدِ

وقال [من الكامل] :

راسلت من أهواه أطلب زورةً
فأجبتَه والقلب يخفق صبوةً
صمٌّ إن أردت تحرّجاً وتعفُّفاً
أولاً فزرنِي والظلام مجللاً
فأجانبني أو لست في رمضان؟
أتصوم عن برٍّ وعن إحسان^(١)
عن أن تكدّ الصببُ بالهجران
واحسبه يوماً مرّاً في شعبان

وقال في مرض علوي [من الكامل] :

يا سيّداً أفديه عند شكائِهِ
لم لا أبيت على الفراش مسهّداً
بالنفس والولد الأعزُّ وبالأبِ
وقد اشتكى عضوٌ من أعضاء النبيِّ

(١) الناصب : الذي يضمّر العداء لآل البيت .

(٢) الصبوة : الميل والحنان والشوق .

وقال يرثي أبا الحسن السلمي [من الطويل] :

إذا ما نعى الناعون أهل مودتي بكيث عليهم بل بكيث على نفسي
نعوا مهجة السلمي وهي سلامة غلبت عليها فالسلام على الأنس

وقال يرثي أبا منصور كثير بن أحمد [من الطويل] :

يقولون لي أودي كثير بن أحمد وذلك رزء في الأنام جليل
فقلت دعوني والعلا نبكه معاً فمثل كثير في الرجال قليل

وقال [من الكامل] :

يا أهل سارية السلام عليكم قد قل في أرضيكم الخطباء
حتى غدا الفأفاء يخطب فيكم ومن العجائب خاطب فأفاء^(١)

وقال في أخوين صبيح وقبيح [من السريع] :

يحيا حكي المحيا ولكن له أخ حكي وجه أبي يحيى

وقال [من الطويل] :

لقد صدقوا والراقصات إلى مني بأن مودات العدى ليس تنفع
ولو أنني داريت عمري حية إذا مكنت يوماً من اللسع

وقال [من الوافر] :

إذا أدناك سلطان فزده من التعظيم واحذره وراقب
فما السلطان إلا البحر عظماً وقرب البحر محذور العواقب

وقال [من المتقارب] :

وقائلة لم عرتك الهموم وأمرك ممثلاً في الأمم؟

(١) الفأفاء : التي يكثر من حرف الفاء في كلامه .

فقلت دعيني على غصتي فإن الهموم بقدر الهمم

* * *

نبذ من ذكر سرقاته

سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : قال بعض ندماء الصاحب له يوماً : أرى مولانا قد أغار في قوله [من الطويل] :

لبسن برود الوشي لا لتجمل
ولكن لصون الحسن بين برود
على قول المتنبي [من الوافر] :

لبسن الوشي لا متجملات
ولكن كي يصنَّ به الجمالا
فقال : كما أغار هو بقوله [من المنسرح] :

ما بال هذي النجوم حائرة
كأنها العمى ما لها قائد
على العباس بن الأحنف في قوله [من الكامل] :

والنجم في كبد السماء كأنه
أعمى تحير ما لديه قائد
وسمعت أيضاً أبا بكر يقول : أنشدني الصاحب نثفة له منها هذا البيت [من
الطويل] :

لئن هو لم يكف عقارب صدغه
فقولوا له يسمع بترياق ريقه
فاستحسنه جداً حتى حممت من حسدي له عليه ، ووددت لو أنه لي بألف
بيت من شعري .

قال مؤلف الكتاب : فأنشدت الأمير أبا الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي
هذا البيت ، وحكى له هذه الحكاية في المذاكرة ، فقال لي : أتعرف من أين

سرق الصاحب معني هذا البيت ؟ فقلت : لا والله ، قال : إنما سرقه من قول
القائل ، ونقل ذكر العين إلى ذكر الصدغ [من مجزوء الرمل] :

لدغت عينك قلبي إنما عينك عقربُ
لكن المصَّة من ريقك ترياقٌ مجرَّبُ

فقلت : لله در مولانا الأمير ! فقد أوتي حظاً كثيراً من التخصص ، بمعرفة
التلصُّص .

قلت : ومعني قول الصاحب في الثلج [من الخفيف] :

وكانَ السماء صاهرت الأر ض فكان الشار من كافور
ينظر إلى قول ابن المعتز [من الخفيف] :

وكان الربيع يجلو عروساً وكأننا من قطره في نثار

وقول الصاحب [من الطويل] :

يقولون لي كم عهد عينك بالكرى فقلت لهم مذ غاب بدر دجاها
ولو تلتقي عينٌ على غير دمةٍ لصارمتها حتى يقال نفاها^(١)

مأخوذ لفظ البيت الثاني من قول المهلي الوزير [من الطويل] :

تصارمت الأجفان منذ صرمتي فما تلتقي إلا على عبرة تجري

وقول الصاحب [من الخفيف] :

هات مشطاً إلى وليك عاجاً فهو أدنى إلى مشيب الرءوس
وإذا ما مشطت عاجاً بعاج فامشط الأبنوس بالأبنوس

(١) صارمتها : جفتها وقاطعتها .

مأخوذ من قول أبي عثمان الخالدي [من الخفيف] :

ورأتني مشطت عاجاً بعاجٍ فامشط الأبنوس بالأبنوس

وأخذ قوله [من مجزوء الرجز] :

فمُ الغويري إذا فثَّشته أنتن فمُ
كم قلت إذ كَلَمَني وأسفى على الخشم^(١)

من قول المهلي الوزير [من مجزوء الوافر] :

وإن أبصرت طلعتة فوالهفي على العمش^(٢)

وأخذ قوله في ابن العميد [من الطويل] :

إلى سيدٍ لولاه كان زماننا وأبناؤه لفظاً عرياً عن المعنى
من قول المتنبي [من المنسرح] :

* والدهر لفظٌ وأنت معناه *

وقوله في القافية الأخيرة [من الرجز] :

وناصحٍ أسرف في النكير يقول لي سدت بلا نظير
فكيف صغت الهجو في حقيرٍ مقداره أقل من نقير^(٣)
فقلت لا تنكر وكن عذيري كم صارمٍ جرَّب في خنزير

من قول الحمدوني [من الطويل] :

* هبوني امرأً جرَّبت سيفي على كلب *

(١) الخشم : الأنف تغيَّرت رائحته من داء فيه فهو أخشم ، وخشم أنفه : اتسع .

(٢) العمش : ضعف البصر مع سيلان دمع العين .

(٣) النقير : القليل ، والنكتة في ظهر النواة .

وقوله في البيت الأخير من هذه الأبيات [من الكامل] :

ومهفهف حسن الشمائل أهيف تردى النفوس بفتري عينه^(١)
ما زال يبعدني ويؤثر هجرتي فجذبت قلبي من إसार يديه
قالوا تراجع فقلت بديهةً قولاً أقيم مع الروي عليه
والله لا راجعته ولو أنه كالشمس أو كالبدر أو كبويه

مأخوذ من قول ابن المعتز [من الكامل] :

والله لا كلمته ولو أنه كالشمس أو كالبدر أو كالمكتفي

* * *

نبد مما هجي به الصاحب

* ما زالت الأملاك تهجى وتمدح *

قال أبو العلاء الأسدي [من البسيط] :

إذا رأيت مسجىً في مرقعة يأوي المساجد حراً ضره بادي^(٢)
فاعلم بأن الفتى المسكين قد قذفت به الخطوب إلى لؤم ابن عباد

وقال أبو الحسن الغويري [من السريع] :

إن كان إسماعيل لم يدعني لأن أكل الخبز صعباً لديه
فإنني آكل في منزلي إذا دعاني ثم أمضي إليه

(١) فترتي عينيه : ذبول أطرافهما .

(٢) مسجى : ممدد .

وقال السّلامي [من مجزوء الرمل] :

يا ابن عبّادَ بن عبا سَ بن عبد الله حرها^(١)
تنكر الخير وأخرجت إلى العالم كرها

وقال أبو بكر الخوارزمي [من السريع] :

صاحبنا أحواله عاليه لكنّما غرفته خاليه
وإن عرفت السرّ من دائه لم تسأل الله سوى العافيه

* * *

ذكر آخر أمره

لما بلغت سنوه الستين اعترته آفة الكمال ، وانتابته أمراض الكبر ، جعل
ينشد قوله [من الوافر] :

أناخ الشيب ضيفاً لم أردُهُ ولكن لا أطيق له مرداً
رداءً للردى فيه دليلُ تردى من به يوماً تردى^(٢)

ولما كنى المنجمون عما يعرض له في سنة موته قال [من الرجز] :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| يا مالك الأرواح والأجسام | وخالق النجوم والأحكام |
| مدبّر الضياء والظلام | لا المشتري أرجوه للإنعام |
| ولا أخاف الضرّ من بهرام | وإنّما النجوم كالأعلام |
| والعلم عند الملك العلام | يا رب فاحفظني من الأسقام |
| ووقني حوادث الأيام | وهجنة الأوزار والآثام |

(١) حرها : أحرّاه الزمان أنقصه، وتحراها : تعمّده وطلبه .

(٢) الردى : الموت ، وتردى الأولى بمعنى مات وتردى الثانية بمعنى ارتدى أي لبس .

هَبْنِي لِحَبِّ الْمُصْطَفَى الْمُعْتَمِ وَصَنُوهُ وَآلَهُ الْكَرَامِ^(١)

وكتب بخطه على تحويل السنة التي دلت على انقضاء عمره [من الطويل] :

| | |
|------------------------------|--|
| أرى سنتي قد ضمنت بعجائب | وربِّي يكفيني جميع النوائب |
| ويدفع عني ما أخاف منه | ويؤمن ما قد خوفوا من عواقب |
| إذا كان من أجرى الكواب أمره | معيني فما أخشى صروف الكواكب |
| عليك أيا رب السماء توكلني | فحطني من شر الخطوب الحوارب |
| وكم سنة حذرتها فتزحزت | بخير وإقبال وجد مصاحب |
| ومن أضمر اللهم سوءاً لمهجتي | فردّ عليه الكيد أخيب خائب |
| فلمست أريد السوء بالناس إنما | أريد بهم خيراً مريع الجوانب ^(٢) |
| وأدفع عن أموالهم ونفوسهم | بجدي وجهدي باذلاً للمواهب |
| ومن لم يسعه ذاك متي فأنني | سأكفاه إن الله أغلب غالب |

وبلغته عن بعض أصحابه شماتة فقال [من الطويل] :

| | |
|-----------------------------|-----------------------------|
| وكم شامت بي بعد موتي جاهلاً | بظلمي يسلّ السيف بعد وفاتي |
| ولو علم المسكين ماذا يناله | من الظلم بعدي مات قبل مماتي |

ووجد في بعض أيام مرضته التي توفي فيها خفة ، فأذن للناس ، وحل وعقد وأمر ونهى ، وأملى كتباً تعجب الحاضرون من حسنها ، وفرط بلاغتها ، وقال [من مجزوء الرجز] :

| | |
|----------------|----------------|
| كلامنا من غرر | وعيشنا من غرر |
| إنني وحق خالقي | على جناح السفر |

(١) المعتام : أفضل الخلق .

(٢) المريع : الهنيء الناعم الخصب .

ثم لما كانت ليلة الجمعة الرابع والعشرين من صفر سنة خمس وثمانين
وثلاثمائة انتقل إلى جوار ربه ومحل عفوه وكرامته ، ومضى من الدنيا بمضيه
رونق حسنهما وتاريخ فضلها ، رضي الله تعالى عنه وأرضاه ، وجعل الجنة مأواه
بمنه وكرمه !! .

* * *

أنموذج من مراثيه

من قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء الإصبهاني تغمّده الله برحمته ، وأسكنه
بحبوبة جنته ! [من البسيط] :

| | |
|-----------------------------------|---|
| يا كافيَ الملك ما وقيتُ حظّك مِنْ | وصفٍ وإن طال تمجيدٌ وتأبينٌ |
| فتّ الصفات فما يرثيك من أحدي | إلاّ وتزيينه إياك تهجينٌ |
| ما متّ وحدك لكنّ مات من ولدتُ | حواء طراً ، بل الدنيا ، بل الدّينُ |
| هذي نواعي العلا مذ متّ نادبةٌ | من بعد ما ندبتك الخردّ العين ^(١) |
| تبكي عليك العطايا والصّلات كما | تبكي عليك الرعايا والسّلاطين |
| قام السّعاة وكان الخوف أقعدهم | فاستيقظوا بعد ما متّ الملاعين |
| لا يعجب الناس منهم إن همّ انتشروا | مضى سليمان وانحلّ الشياطين |

ما أحسن هذا المثل ، وأمكن موقعه !!

ومن قصيدة أبي الفرّح بن ميسرة [من الوافر] :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| ولو قبلَ الفداء لكان يفدى | وإنّ جلّ المصاب على التّفادي |
| ولكنّ المنون لها عيونٌ | تكدّ لحاظها في الانتقاد |
| فقلّ للدهر أنت أصبت فالبسّ | برغمك دوننا ثوبيّ حداد |
| إذا قدّمت خاتمة الرزايا | فقد عرّضت سوقك للكساد |

(١) الخردّ : العذراوات .

ومن قصيدة أبي سعيد الرستمي [من الطويل] :

أبعد ابن عباس يهش إلى السرى أخو أملٍ أو يستماح جواد^(١)
أبى الله إلا أن يموتا بموته فما لهما حتى المعاد معاد

ومن قصيدة أبي الفياض سعيد بن أحمد الطبري [من الوافر] :

خليلي كيف يقبلك المقليل ودهرك لا يُقيل ولا يُقيل^(٢)
ينادي كل يوم في بنيه ألا هبوا فقد جدّ الرحيل
وهم رجالان منتظر غفول ومبتدر إذا يدعى عجول
كان مثال من يفنى ويبقى رجيل سوف يتلوه رجيل
فهم ركب وليس لهم ركاب وهم سفر وليس لهم قفول
تدور عليهم كأس المنايا كما دارت على الشرب الشمول^(٣)
ويحدوهم إلى الميعاد حاد
ألم تر من مضى من أوّلينا
قد احتالوا فما دفع الحويل
كذاك الدهر أعمار تزول
لنا منه وإن عفنا وخفنا
وقد وضح السيل فما لخلق
لعمرك إنه أمد قصير
أرى الإسلام أسلمه بنوه
أرى شمس النهار تكاد تخبو
ولكن ليس يقدمهم دليل
وغالتهم من الأيام غول
وأعولنا فما نفع العويل
وأحوال تحول ولا تؤول
رسول لا يصاب لديه سول
إلى تبديله أبدأ سبيل
ولكن دونه أمد طويل
وأسلمهم إلى وله يهول
كان شعاعها طرف قليل

(١) السرى: المسير ليلاً ، ويستماح : يطلب جوده وسماحه .

(٢) يُقيل : يريح ، ويُقيل : يُقيل ويميل .

(٣) المنايا : الموت ، والشمول : الخمرة .

أرى القمر المنير بدا ضئيلاً
أرى زهر النجوم محدقات
أرى وجه الزمان وكل وجه
أرى شمّ الجبال لها وجيب
وهذا الجوُّ أكلفُ مقشعراً
وهذي الريح أطيبها سموم
وللسحب الغزار بكل فج
نعى الناعي إلى الدنيا فتاها
نعى كافي الكفاة فكل حر
نعى كهف العفاة فكل عين
كأن نسيم تربته سحيراً
إذا وافى أنوف الركب قالوا
أيا قمر المكارم والمعالى
أبْنُ لي كيف هالك ما يهول
ويا من ساس أشتات البرايا
أدلت على الليالي من شكاهها
بكاك الدين والدنيا جميعاً
بكتك البيض والسمر المواضي

بلا نور فأضناه التحول
كأن سراتها عورٌ وحول^(١)
به ممّا يكابده فلول
تكاد تذوب منه أو تزول^(٢)
كأنّ الجوُّ من كمدٍ عليل^(٣)
إذا هبت وأعذبها بليل
دموعٌ لا يذاد بها المحول
أمين الله فالدنيا ثكول
عزيزٌ بعد مصرعه ذليل
بما تقذى العيون به كحيل^(٤)
نسيم الروض تقبله القبول
سحيق المسك أم ترب مهيل
أبْنُ لي كيف عاجلك الأفول
وغالك بعد عزك ما يغول
وألجم من يقول ومن يصول
وقد جارت عليك فمن يديل^(٥)
وأهلها كما يُكى الحمل^(٦)
وكنت تعولها فيمن تعول

-
- (١) زهر النجوم : بيضهنّ ، ومحدقات : ناظرات .
(٢) الوجيب : الخفقان والاضطراب .
(٣) أكلفُ : تغيّر لونه وتكدّر .
(٤) القذى : ما يقع في العين من وسخٍ وغيره .
(٥) أدلت : أظفرت ، ويديل يعين .
(٦) الحمل : الميت الذي يحمل .

بكتك الخيل معولةً ولكن
قلوب العالمين عليك قلبٌ
ولي قلبٌ لصاحبه وفي
إذا نظمت يدي في الطرس بيتاً
فإن يك ركٌ شعري من ذهولي
كتبت بما بكيت لأن دمعي
وكنت أعدّ من روحي فداءً
أحيا بعده وأقرّ عيناً
حياتي بعده موتٌ وحي
عليك صلاة ربك كل حين

بكاها حين تندبك الصهيل
وحظك من بكائهم قليل
يسيل وتحتة روحٌ تسيل
مجاء منه منتظمٌ هطول
فذلك بعض ما يجني الدهول^(١)
عليك الدهر فياضٌ همول^(٢)
لروحك إن أريد لها بديل
حياتي بعده هدرٌ غلول
وعيشي بعده سمٌ قتول^(٣)
تهبُّ بها من الخلد القبول

ومن قصيدة الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي النقيب [من الكامل] :

أكذا المنون يقطر الأبطالاً
أكذا تصاب الأسد وهي مدلة
أكذا تقام عن الفرائس بعدما
أكذا تحطّ الزاهرات عن العلا
أكذا تكبّ البزل وهي مصاعب
أكذا تغاض الزاخرات وقد طغت
يا طالب المعروف حلق نجمه

أكذا الزمان يضعع الأجبالا
تحمي الشبول وتمنع الأغبالا
ملأت همامها الورى أوجالاً^(٤)
من بعد ما شاق العيون منالا
تطوي البعيد وتحمل الأثقالا
لججاً وأوردت الظماء زلالاً^(٥)
حطّ الحمول وعطّل الأجمالا

(١) ركٌ : من الركاة أي ضعف .

(٢) همول : مطر .

(٣) موت وحيٌ : بفتح الواو وتشديد الياء أي سريع .

(٤) همامها : زئيرها وأصواتها ، وأوجالاً : خوفاً .

(٥) الزلال : الماء البارد المنعش .

كان الأنام على نداء عيالا
والنقص فضلاً والرجاء نوالا
يوم الوغى ويشجع السؤال
عنا وقلص ذلك السربالا
قبل اليقين وأسلف البلبالا
صدع القلوب وأسقط الأحمالا
يا ليت شكّي فيه دام وطلا
حتى إذا ملأ الأقالم زالا
ألقى بجانبك الردى زلزالا^(١)
وسما إلى نظرائه فتعالى^(٢)
ونزعت عنك قميصها الأسمالا^(٣)
وصل الدموع وقطع الأوصالا
من بعد يومك قطع الأمالا
أو ما وقاك جلالك الأجالا
يا من إذا عشر الزمان أقالا^(٤)
تستوهق الأعيان والأردالا^(٥)
بين النبات كما برين الضالا^(٦)
ذات البعول تبدل الأبدالا

وأقم على يأس فقد ذهب الذي
من كان يقري الجهل علماً ثاقباً
ويجبن الشجعان دون لقائه
خلع الردى ذاك الرداء نفاسة
خبر تمخض بالأجنة ذكره
حتى إذا جلى الظنون يقينه
الشك أبرد للحشى في مثله
جبل تسنمت البلاد هضابه
يا طود كيف وأنت عادى الذرى
ما كنت أول كوكب ترك الدنا
أنفاً من الدنيا تبت حبالها
لا رزء أعظم من مصابك إته
إن قطع الأمال منك فأنه
يا أمر الأقدار كيف أطعتها
هلاً أقاتلك الليالي عشرة
وأرى الليالي طارحات حبالها
يبرين عود النبع غير فوارق
لا تأمن الدنيا عليك فإنها

(١) الطود : الجبل : وعادى الذرى : قديهما ومنيعها .

(٢) نظرائه : أشباهه .

(٣) تبت : تقطع ، والأسمال : الثياب البالية .

(٤) أقال : حمى ومنع .

(٥) الوهق : محركة ويسكن : الحبل يرمى في أنشودة فتؤخذ به الدابة والانسان ، واستوهق : صنع الوهق ،
وأراد هنا معنى اصطاد .

(٦) النبع شجر ، والضالا : الضلل : الماء الجاري تحت الشجر .

كم حجة في الدين خضت غمارها
 بسنان رمحك أو لسانك موسعاً
 إن نكس الإسلام بعدك رأسه
 واهأ على الأقالام بعدك إنها
 أفقدن منك شجاع كل بلاغة
 من لو يشاطعن العدى برءوسها
 سلطان ملك كنت أنت تعزّه
 إن المشمر ذيله لك خيفة
 طلبوا التراث فلم يروا من بعده
 هيهات فاتهم تراث مخاطر
 قد كان أعرف بالزمان وصرفه
 مفتاح كل ندى، ورب معاشر
 كان الغريبة في الزمان فأصبحوا
 من فاعل من بعده كفعاله
 سمع يرفع للسؤال سجوفه
 يا طالباً من ذا الزمان شبيهه
 إن الزمان أضن بعد وفاته
 وأرى الكمال جنى عليه لأنه
 صلى الإله عليك من متوسل
 كسف البلى ذاك الهلال المجتلى

هدر الفنيق تخمطاً وصيلاً^(١)
 طعنأ يشق على العدى وجدالاً
 فلقد رزى بك موئلاً ومآلاً
 لم ترض بعد بنان كفك آلاً
 إن قال جلّى في المقال وجالاً
 وأثار من جريانها قسطالاً^(٢)
 ولرب سلطان أعز رجلاً
 أرخى وجرر بعدك الأذيالاً^(٣)
 إلّا علأ وفضائلاً وجلالاً
 جمع الثناء وضيع الأموال
 من أن يثمر أو يجمع مالا
 كانوا على أموالهم أقفالا
 من بعد غارب نجمه أمثالا
 أو قائل من بعده ما قالأ
 ويحجب الأهزاج والأرمالاً^(٤)
 هيهات كلفت الزمان محالا
 من أن يعيد لمثله أشكالا
 غرض النوائب من أغير كمالا
 بعد المهاد جنادلاً ورمالاً
 وأجر، ذاك المقول الجوالاً

(١) التخمط : الهدير، والصيال : المصاولة .

(٢) القسطل : غبار الجيش الكثيف .

(٣) جرر الأذيال : تاه زهواً وعجباً .

(٤) السجوف : الستائر ، والأهزاج والأرمال من الهزج والرمل - وهما وزن من أوزان الشعر .

ورأيت كل مطية قد بُدِّلتُ
 لمن الضوامر عرَّيت أطلؤها
 بدَّغن من لبس الشكيم مقاوداً
 فجعت بمنصلت يعرَّض للقنا
 طرح الرجال لك العمائم حسرةً
 قالوا وقد فجئوا بنعشك سائراً
 وتبادروا عطَّ الجيوب وعاجلوا
 ما شققوا إلا كسك وآلموا
 من ذا يكون معوضاً ما مزقوا
 فرغت أكف من نوالك بعدها
 أعزز علي بأن يبدل زائر
 أو أن يناديك الصريخ لكربة
 قد كنت آمل أن أراك فأجتنى
 وأفيد سمعك منطقي وفضائلي
 وأعدُّ منك لريب دهري جنةً
 فطواك دهرك طي غير صيانة
 قبر بأعلى الري شقَّ ضريحه
 فرعاه من أرعى البرية سبيه
 إن يمس موعظة الأنام فطالما

من بعد يومك بالزَّمام عقالا
 حول الخيام تنازع الأطوال^(١)
 مربوطة ومن السروج جلالاً^(٢)
 أعناقها ويحصن الأكفالا
 لما رأوك تسير أو إجلالا
 من ميل الجبل العظيم فمالا
 عض الأنامل يمنة وشمالاً^(٣)
 إلا أنامل نلن منك سجالات^(٤)
 ومعولاً لمؤمل وثمالا
 وأطال عظم مصابك الأشغالا
 بعد التهلل عندك استهلالات
 حشدت عليه فلا تحير مقالاً^(٥)
 فضلاً إذا غيري جنى أفضالا
 وتفيدني أيامك الإقبالا
 تشني جنود خطوبه فلالاً^(٦)
 وأعاد أعلام العلا أغفالا
 لأغر حفزه الردى إعجالا
 وسقاه من أسقى به الأمالا
 أمسى مهاباً للورى ومهالا

(١) الأطوال : أي الحبال المربوطة بها .

(٢) الشكيم : جمع شكمة ، وهي حديدة اللجام المعترضة في فم الفرس .

(٣) عطَّ الثوب : شقّه .

(٤) سجالات : عطاء وكرماً .

(٥) الصريخ : المستغيث .

(٦) الجئة : الدرع ، وفلاًلاً : منهزمين ، وفلَّ السيف : تصدع وتشقق .

لنسلِّي الدنيا عليه فإنَّها نَزَعَتْ به الإحسان والإجمالا
ولأبي العباس الضبي وقد مر بابُ الصاحب [من الخفيف] :

أيها الباب لم علاك اكتئابُ أين ذاك الحجابُ والحجابُ؟
أين من كان يَفْزَعُ الدهر منه فهو اليوم في التراب تراب؟!
ولبعض بني المنجم لما استوزر أبو العباس الضبي ولقب بالرئيس وضم إليه
أبو علي ولقب بالجليل بعد موت الصاحب تغمده الله برحمته آمين [من البسيط] :
والله والله لا أفلحتمُ أبداً بعد الوزير ابن عباد بن عباس
إن جاء منكمُ جليلٌ فاجلبوا أجلي أو جاء منكمُ رئيسٌ فاقطعوا راسي
وأنشدني أبو العباس العلوي الهمذاني الوصي لنفسه في مِثْية الصاحب [من
مجزوء الكامل] :

مات الموالِي والمحبُّ لأهل بيت أبي ترابِ
قد كان كالجبل المنيع لهم فصار مع الترابِ

وأنشدني أيضاً فيه لنفسه [من الكامل] :

| | |
|------------------------------|---|
| نومُ العيون على الجفون حرام | ودموعهنَّ مع الدماء سجام ^(١) |
| تبكي الوزير سليل عباد العُلا | والدين والقرآن والإسلام ^(٢) |
| تبكيه مكة والمشاعرُ كلُّها | وحجيجها والنسك والإحرام |
| تبكيه طيبة والرسول ومن بها | وعقيقها والسهل والأعلام ^(٣) |
| كافي الكفاة قضى حميداً نحبه | ذاك الإمام السيد الضرغام |

(١) سجام : من سجم الدمع أي ذرفه .

(٢) العلاء : فاعل تبكي ، وحذف التنوين من « عباد » لإقامة الوزن .

(٣) طيبة : المدينة المنورة .

مات المعالي والعلوم بموته فعلى المعالي والعلوم سلام
ولبعض أهل نيسابور من قصيدة [من الهزج] :

ألا يا غرة العليأ ألا يا نكبة الدنيا
وشمس الأرض فرد الدهر عين السؤدد اليمنى
أما استحيا أبو يحيى لفض المهجة الكبرى
لئن ختمت بك الدنيا لقد فتحت بك الأخرى

* * *

الباب الرابع

١٧ - في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

وملح من نثره ونظمه

هو جذوة من نار الصاحب أبي القاسم ، ونهر من بخره ، وخليفته النائب
منابه في حياته ، القائم مقامه بعد وفاته ، وكان الصاحب استصحبه منذ الصبا ،
 واجتمع له الرأي والهوى ، فاصطنعه لنفسه ، وأدبه بآدابه ، وقدمه بفضله
الاختصاص على سائر صنائعه وندمائه ، وخرج به صدرأ يملأ الصدور كمالا ،
 ويجري في طريقه ترسماً وترسلاً ، وفي ذرى المعالي توقلا ، وتحقق قول أبي
محمد الخازن فيه من قصيدة [من المنسرح] :

| | |
|--------------------------|--------------------------|
| تزهى بأتربها كما زهيتُ | ضبة بالماجدين ماجدها |
| سماؤها شمسها غمامتها | هلالها بدرها عطاردها |
| يروى كتاب الفخار أجمع عن | كافي كفاة الورى وواحدتها |

وقوله فيه من أخرى [من البسيط] :

| | |
|-------------------------------|---|
| نماه ضبة في أزكى مناصبه | فخراً وأوطاه الشعرى وأمطاه ^(١) |
| يعطي ويخفي ولا يبغي الثناء به | حتى كأن الذي أعطاه غطاءه |
| يسير يوم الوغى والدهر يقدمه | كأنما الدهر أيضاً من سراياه |

(١) نماء : أي أنه ينتمي إلى أعرق بيت في ضبة ، وأوطاه : أي جعله يطاء ، وأمطاه جعله يمتطي صهوة الشرف فيها .

وإن بدا أحيت الآمال طلعت
ومن يوالي ابن عباد مخالصة
حَتَّى تَقْدُرَ مَحِيَاهَا مَحْيَاهُ
يَحْزُ سَعَادَةُ دُنْيَاهُ وَأَخْرَاهُ
فَمَا الصَّنَائِعُ إِلَّا مَا تَخِيرُهُ
وَمَا الْوَدَائِعُ إِلَّا مَا تَوْلَاهُ
فَاسْلَمْ وَدَمَ أَيُّهَا الْأَسْتَازُ مَبْتَهَجاً
وَحَذُّ مِنَ الْعِيشِ أَصْفَاهُ وَأَضْفَاهُ
فَقَدْ تَقَيَّلَتْ فِي الْجَدْوَى مَعَالِمَهُ
كَمَا تَوَخَّيْتُ فِي الْجَلَى قَضَايَاهُ^(١)

وقد كانت بلاغة العصر بعد الصاحب والصابي ، بقيت متماسكة بأبي العباس وأشرفت على التهافت بموته ، وكادت تشيب بعده لثم الأقلام ، وتجف غدر محاسن الكلام^(٢) ، لولا أن الله تعالى سد ببقاء الأمير أبي الفضل عبيد الله بن أحمد ثلم الأدب والكتابة^(٣) ، وداوى بالدفاع عن نفسه كلم البلاغة والبراعة . وجعله فرد الزمان ، ولسان خراسان ، وكافل يتم الفضل ، ومنفق سوق النثر والنظم . وسيمر بك في القسم الرابع من هذا الكتاب إن شاء الله من نثره الذي هو نثر الورد ، ونظمه الذي هو نظم العقد ، ما ينير به الليل المظلم ، وينصف به الدهر الظالم .



لمع من نثر أبي العباس

فصل من كتاب له في الصاحب في ذكر أحمد بن عضد الدولة

وكنْتُ أَسْتَحْضِرُ كَاتِبَهُ ، بَلْ كَاذِبَهُ ، وَأَحْذَرُهُ سَرّاً ، وَأَبْصَرُهُ جَهْراً ، وَهُوَ يَرْوِغُ رَوْغَانَ الثُّعَالِبِ ، وَيَتَفَادَى تَفَادِي الْمَوَارِبِ ، وَقَدْ كُنْتُ مَنَعْتُ الْمُسْتَأْمَنَةَ

(١) تَقَيَّلْتُ : تَبَيَّعْتُ ، وَالْجَلَى : الْعَظِيمُ مِنَ الْأُمُورِ .

(٢) غَدُرٌ : جَمْعُ غَدِيرٍ حَيْثُ يَجْتَمِعُ الْمَاءُ .

(٣) الثَّلَمُ : النِّقْصُ وَالْعَيْبُ .

والمنهزمة أول مورده ، من تكثير عدده ، علماً بأنهم مؤن بلا منن ، وعناء بلا غنى .

فصل له من كتاب إلى أبي سعيد الشيبى

وقد أتاني كتاب شيخ الدولتين فكان في الحسن ، روضة حزن ، بل جنة عدن ، في شرح النفس ، وبسط الأنس ، برد الأكباد والقلوب ، وقميص يوسف في أجفان يعقوب .

وبعد ، فإنّ المنازعين للأمير حسام الدولة نسور ، قد اقتنصتها العصور ودولته حرسها الله في إبان شبابها واعتدالها ، وريعان إقبالها واقتبالها . قد أسست على صلاح وسداد ، وعمارة دنيا ومعاد . فهي مؤذنة بالدوام ، في ظلّ أساورة الإسلام .

(ومنها) فبينما نحن في تجهيز الخيول ليوصل إلى إيثاره ، ويؤخذ له بثاره إذ جنّ . فقلب لنا المجنّ (١) ، ثم لم يقنعه العصيان والكفران حتى أراد الاستيلاء على البلد ، والجنّاية على النفوس والأهل والولد ، ونظر إليّ فقال : كاتب ، لا منازع ومحارب ، نعم وقال من يشجع من الديلم لهز الزانة في صدري (٢) وتجريد السيف في وجهي ، ولم يدر أن دولة مولانا لو أنكرت الفلك لكفته عن مجراه ، وأن تدبير الصاحب لو رصد النجم لصدّه عن مسراه ، وأنه مصطنعي ، فلم يعتمدني لأعظم الأمور ، وأهم الثغور ، إلا وقد زرع في أرض تريع ، ووكل السرح إلى من لا يضيع .

(١) المجنّ : الترس .

(٢) لهز الزانة : اللّهُز : الطعن ، والزانة : من الزان وهو شجر طويل مستقيم الجذع ، ويقصد بها « الرمح » .

فصل من كتاب له إلى أبي علي وأبي القاسم العلويين

في التعزية عن أبيهما أبي الحسين بن أبي محمد رضي الله تعالى عنهم !

كتابي - أطال الله بقاء الشريفيين - والدهر ينغي مهجته ، والمجد يندب بهجته ، والشرف محصور في قبضة حينه ، والفضل مفجوع بناظر عينه ، والذكر الجميل مجدّل لمصرعه ، والخلق الوضيع موسّد في مضجعه ، ورسم المحاسن دائر عاف ، وشخص المكارم حاسر حاف . ومهابط الوحي والرسالة تحني ظهرها أسفاً ، ومعادن الوصية والإمامة تذري دمعها لهفاً . وبقاع الحرمين متسلية على نجمها الأفل ، ولابسة ثوب الحداد لركنها المائل ، ويد المواساة مقبوضة عن معونة العاني الذليل^(١) ، ولسان الجود معتذر إلى ابن السبيل ، وطوائف العفاة تبكي العيش الرطيب والربيع الرحيب . والمشارع المعصومة من درن الضنّ ، والموارد المحروسة من كدر المنّ ، وذوو الحاجات في حشرات مجددة ، وزفرات مرددة ، قد أقامت منهم حانية الضلوع ، وأطارت عنهم قلوباً دامية الصدوع . وبنو الآمال عابسة وجوههم ، منكسة رءوسهم « يقولون حصنْ ثم تأبى نفوسهم » ذلك لأن حادث قضاء الله - جل وجهه - استأثر بفرع النبوة ، وعنصر الدين والمروة ، وعصرة العدد الجم^(٢) ، ونجدة أهل العلم والفهم ، فالدموع واكفة^(٣) ، والصدور راجفة ، والهم وارد ، والأنس شارد ، والناس مأتمهم عليه واحد ، ومعاهد الصبر الجميل بعده منقوضة ، وقواعد البر والخير مخفوضة . فلولا أن الدهر مشحون بطوارق الغيّر ، مشوب صفو أيامه بالكدر ، ممزوج صابها بالعسل^(٤) ، موصول

(١) العاني : المحتاج والمعدم .

(٢) وعصرة العدد الجم : أي الزبد المستخرج من الكثير بعد غاخض واعتال كناية عن الشرف وعدم المائلة والشبه .

(٣) واكفة : هائلة .

(٤) الصاب : المرّ .

حبال الأمل فيها بأسباب الأجل يفطم أمام تكامل الرضاع ، ويفرق قبل الإمتاع بحسن الاجتماع . فمن اعتصم بتوفيق الله عز اسمه ، ورضي بما نفذ به حكمه . لبس في وجوه الحوادث جنة ، لا تنضوها الشدائد ، وأكد في مصابرة النوائب منة ، لا تنقضها الخطوب الأوباد . وأخذ في الصدمة الأولى بالحزم ، وذخيرة العزم ، ففاز بالغنم الأكبر ، والحظ الأشرف الأوفر ، ومن اتبع هواه ، وأرتع دينه لدنياه ، فتهالك في القلق المذموم ، وتقاعس عن الرضى بالقدر المحتوم ، ظهر في شعار المستكبرين على الله ، والمنكرين التأدب بأدب الله فعظم مصابه ، وعدم ثوابه ، وكان إلى الصبر بعد اقتران الوزر مآله ومآبه ، لأريت المحققين برعاية المعهود ، وتأبين الحبيب المفقود ، كيف تتحمل الأرزاء ، ويحرم العزاء ، ويطاع داعي الوله ، ويراع جانب القلب المرفه .

(ومنها) وعرف كل من ورد وصدر ، وبدأ وحضر ، أن من قبض فاستوحش الأنس بمفارقتة ، واستبشرت الملائكة لمرافقتة ، وكان مثل الشريفين ريحانة روضه ، والبارد العذب من فيضه ، والثمر الحلو من دوحته ، والورق النضر من نبعته ، والشاهد العدل لمآثره ، والمشيد الندب لمناقبه ومفاخره ، فهو في حكم الخالد وإن أصبح فانياً ، والمقيم في أهله وإن أضحى بالعراء ناوياً ، عزيت الشريفين أدام الله تعالى عزهما ، عما ألم بساحتهما من الخطب ، ولسان جزعي أنطق ، وعرضت لهما بواجب السلو ، وحاجتي إلى من يصرح لي به أصدق ، ولكنني جريت على سنة للدين محمودة ، وعادة بين الأحياء معهودة ، تركت أفراد كل من الأشراف سادتي إخوة الشريفين ، حرس الله عليهم ما خولهم من كرم محض ، وخلق غضاً ، وأحسن متاع بعضهم ببعض ، بالمخاطبة فيما اقتضاه حكم الحادثة ، إذ كانت فروعهم بإذن الله متشابكة ، ونفوسهم في السراء والضراء متشاركة ، وقلوبهم على الصفاء متعاقدة ، ومهجاتهم - لا زالت مصونة - مهجة واحدة .

* * *

ملح من نظمه

قال [من الوافر] :

ترفّق أيّها المولى بعبدٍ فقد فنتت لواحظك النفوسا
وأسكرت العقول فليس ندري أسحراً ما تسقي أم كؤوساً

وقال وهو مما يتغنى به [من الوافر] :

ألا يا ليت شعري ما مرادكُ فقلبي قد أضرّ به بعادكُ
وأيّ محاسنٍ لك قد سباني جمالك أم كمالك أم ودادكُ
وأيّ ثلاثة أوفى سواداً أخالك أم عذارك أم فؤادكُ

وقال [من مجزوء الكامل] :

لا تركننّ إلى الفرا ق فإنّه مرّ المذاق
الشمس عند غروبها تصفرّ من فرق الفراق^(١)

وكتب إلى صاحب [من الطويل] :

أكافي كفاة الأرض ملكك خالدُ وعزّك موصولُ فأعظّمُ بها نُعمي
نشرت على القرطاس درّاً مبدداً وآخر نظماً قد فرعت به النجماً^(٢)
جواهر لو كانت جواهر نظمت ولكنّها الأعراض لا تقبل النظماً

وقال في وصف الدجاج وهو المسمى بالفارسية سنكين سر [من المتقارب] :

وطيرين قد ألفا مرقدي نديمين لي فيه حتّى الصباح

(١) الفرق : الخوف .

(٢) فرعت : ثقت وسلكت النجوم في سلكه .

أرى من وشائع متتهما نجوماً مرصعة في وشاح^(١)
وسري عندهما لا يذيع ولا خوف واشٍ ولا خوف لاح
يسرّانني بصفيريهما خفيفين عند انتشار الجناح
صفيرٌ يعيد شريد الرقاد وشجو يحثُّ على شرب راح
سقى بلد الهند مغناهما سماءً من المزن غمر السماح
ولا زال وكراهما عامرين بنسلٍ مباحٍ وخيرٍ متاح

ومما قرأته بخطه في الأوصاف والتشبيهات من شعره ، وكان أنفذه إلى أبي سعيد نصر بن يعقوب ، ليضمنه كتابه « روائع التوجيهات ، في بدائع التشبيهات » ، قوله في الثريا ، وهو مسبوق إليه قديماً [من مجزوء الرجز] :

خِلْتُ الثريّا إذ بدتْ طالعةً في الحندس^(٢)
سنبلةً من لؤلؤ أو باقةً من نرجس

وقوله فيها [من مجزوء الرجز] :

إذا الثريّا اعترضتْ عند طلوع الفجر
حسبتها لامعةً سنبلةً من درّ

وقوله في قصر الليل [من مجزوء الرجز] :

وليلةٍ أقصر من فكري في مقدارها
بدت لعيني وانجلتْ عذراء من قرارها

وقوله في طول الليل [من مجزوء الخفيف] :

ربّ ليلٍ سهرته مفكراً في امتداده

(١) الوشائع : جمع وشيعة ، وهي الأعلام والنقوش .

(٢) الحندس : الظلام .

كلّما زدت رعيه زادني من سواده
فتبيّنت أنّه تائه في رقاده
أو تفانت نجومه فبدا في حداده

وقوله في الأترج [من الكامل] :

أو ما ترى الأترج منضوداً لنا
وكأنّما أجسادها وجسادها
سطراً كأشخاصٍ جثون على الركب
صور السلاحف قد صنعن من الذهب

وقوله في النمام [من السريع] :

قلت لمن أحضرني زهرةً ومجلسي بالأنس بسامٌ
وقرة العينين نيل المنى عندي ولا سامٌ ولا حام
تجنّب النمام لا تجنه فإنما النمام نمّام^(١)
أخشى علينا العين من أعين يبعثها بالسوء أقوام

وقوله في الشيب [من مجزوء الكامل] :

قالوا اكنهلت فقلت ليـلٌ لابسٌ بردي نهار
هل حسن كافورٍ كمسـكٍ في حكومة ذي اعتبار
وشهوبةٌ في عنبرٍ كشيبة في لون قار^(٢)
وفضيلةٌ للشيب أخرى وهي أبهة الوقار

أين هذا من قول البحري [من الخفيف] :

وبياض البازيُّ أصدق حسناً إن تأملت من سواد الغراب

(١) النمام : نوع من الزهر، والنام : الواشي .

(٢) الشهوبة : البياض الذي غلب عليه ، والقار : الأسود السواد .

وكتب إلى أبي مسلم محمد بن الحسن [من الخفيف] :

يا أبا مسلم سلمت على الدهر خدين العلا أمين الجليس^(١)
بعض إخواننا تشهى علينا كرمًا منه مستطاب الهريس
وقديد السكباغ بالأكبر العذ ب ومغمومة مني للجلس
واتخذنا الجميع وهي كما تذ كر نعم الفراش للخنديس^(٢)
وإذا شئت أن تساعد فيها كنت فينا الرئيس وابن الرئيس

* * *

(١) الخدين : الصديق .

(٢) الخنديس : الخمر مشتق من الخدرسة ، وحنطة خنديس : أي قديمة .

الباب الخامس

في محاسن أشعار أهل العصر من إصبهان

لم تزل إصبهان مخصصة من بين البلدان بإخراج فضلاء الأدباء ، وفحولة الكتاب والشعراء ، فلما أخرجت الصاحب أبا القاسم وكثيراً من أصحابه وصنائه . وصارت مركز عزه ، ومجمع ندمائه ، ومطرح زواره ، استحققت أن تدعى مثابة الفضل ، وموسم الأدب ، وإذا تصفحت كتاب إصبهان لأبي عبد الله حمزة بن الحسين الإصبهاني وانتهيت إلى ما أورد فيه من ذكر شعرائها وشعراء الكرخ المقطعة عنها ، وسياقة عيون أشعارهم ، وملح أخبارهم ، كمنصور بن باذان ، وأبي دلف العجلي ، وأخيه معقل بن عيسى ، وبكر بن عبد العزيز ، وأحمد بن علويه ، والنضر بن مالك ، وعلي بن المهلب ، وأبي نجدة ، وأحمد ابن القاسم الديمرتي ، وأبي عبد الله تاج الكاتب ، وسهلان بن كوفي ، وصالح ابن أبي صالح ، وأحمد بن واضح ، ومحمد بن عبد الله بن كثير ، وعبد الرحمن ابن مندويه ، وأبي بكر بن بشرويه ، وابن زرويه ، وأبي الهدد ، وأبي قتيبة ، ومحمد بن غالب ، والحسن بن إسحاق بن محارب ، وأبي بكر الزبيري ، وأبي علي بن رستم ، وأبي مسلم بن بحر ، وأبي الحسين بن طباطبا ، وابن كره ، والنوشجان بن عبد المسيح ، وعلي بن حمزة بن عمارة ، وإبراهيم بن سيارة الكادوسي ، وأبي جعفر بن أبي الأسود ، وأبي سعد بن نوفة ، وأبي العباس بن أحمد بن معمر ، وأبي عمرو همام ، وأبي سواده ، وأبي القاسم بن أبي سعد ،

وغيرهم ، ثم تأملت هذا الباب من كتابي هذا ، وقرأت ما ينطق به من ذكر شعرائها
العصريين وغرر كلامهم ، كعبدان الإصبهاني المعروف بالخوزي ، وأبي سعيد
الرستمي ، وأبي القاسم بن أبي العلاء ، وأبي محمد الخازن ، وأبي العلاء
الأسدي ، وأبي الحسن الغويري - حكمت لها بوفور الحظ من أعيان الفضل ،
وأفراد الدهر ، وساعدتني على ما أقدره من حسن آثار طيب هوائها ، وصحة
ترتبتها ، وعذوبة مائها ، في طباع أهلها ، وعقول أنشائها ، وأرجع إلى المتن فقد
طال الإسناد ، ولا يكاد الكلام ينتهي حتى ينتهي عنه .

* * *

١٨ - عبدان الإصبهاني ، المعروف بالخوزي

هو على سياقة المولدين^(١) ، وفي مقدمة العصريين ، خفيف روح الشعر ،
ظريف الجملة والتفصيل ، كثير الملح والظرف ، يقول في الخضاب ما لم أسمع
أحسن منه ، ولا أظرف ، ولا أعذب منه ، ولا أخف [من الخفيف] :

| | |
|---------------------------|--|
| في مشيبي شماتة لعداتي | وهو ناعٍ منعصٌ لحياتي |
| ويعيب الخضاب قومٌ وفيه | لي أنسٌ إلى حضور وفاتي |
| لا ومن يعلم السرائر مني | ما به رمت خلّة الغانيات |
| إنما رمت أن أغيبُ عني | ما ترينيه كلَّ يومٍ مراتي ^(٢) |
| فهو ناعٍ إليّ نفسي ومن ذا | سرّه أن يرى وجوه النعاة |

وكان خفيف الحال ، متخلف المعيشة ، قاعداً تحت قول أبي الشيص

[من الكامل] :

(١) المولدين : مبتكري المعاني من الشعراء .

(٢) يريد مرأتي .

لا تنكري صدي ولا إعراضي ليس المقلُّ عن الزَّمان براضي

وهو القائل [من الخفيف] :

قلت للدهر من فضولي قولاً وحَدَّاني عليه طيبُ الأمانِي
أتراني بخلعةٍ أنا أحيا ذات يومٍ وفاخر الحملان
قال هيهات أنت والنحس تربا ن وقد كنتما رضيعي لبان^(١)
لا تؤمل ركوب متني سوى النعش ولا خلعةٍ سوى الأكفان
وله من أبيات [من الوافر] :

تكلَّفني التصبُّر والتسلي وهل يسطاع إلاَّ المستطاع
وقالوا قسمةً نزلت بعدلٍ فقلنا ليته جورٌ مشاع

وقال أيضاً [من الوافر] :

تعبُ الغانيات عليَّ شبي وقال لي العذول تعزَّ عنها
وتخفي شبيها عني المقانع وإلاَّ فانظرنَّ ما أنت صانعُ
فقلت له متى قدَّمت خيراً وأيراً بعده ليست تمنعُ

وله من كلمة [من السريع] :

هيهات نجمي آفلٌ شاردٌ ولَّى فما يخرق أبراجه
أظلَّ أخفي حججاً أدبرت والسبع والسبعون محتاجه
وشرُّ أيام الفتى آخرُ فيه يسمَّى للشقاء خواجه^(٢)

وله :

(١) الترب : الرفيق من عمرٍ واحد ، واللبان أي الصدر أولبن الصدر .

(٢) كذا ، وعجزه غير مستقيم الوزن مع باقي الأبيات .

أَللَّشَيْبُ تَخْشَى مِنْ مَلَالِ خِرَائِدِ وَهَنْ لَعَلَّاتِ الْفَوَادِ مَرَاهِمُ^(١)
إِذَا كُنْتَ ذَا مَالٍ فَأَنْتَ مُحِبُّ إِلَيْهِنَّ ، صَيْدُ الْغَانِيَاتِ الدَّرَاهِمُ

وله في كلمة وصف هنه [من الطويل] :

وَلِي صَاحِبٌ مَا حَالٍ عَنْ حَسَنِ عَهْدِهِ وَلَمْ تَرَ عَيْنِي مِنْهُ أَوْفَى وَأَكْرَمَا
يَسَاعِدُنِي دُونَ الْأَخْلَاءِ فِي الدَّجَا إِذَا نَامَ مِنْ قَدْ كَانَ شَوْقًا تَنْجَمًا^(٢)
فَأَهْدَا وَلَا يَهْدِي وَإِنْ نَمْتُ لَمْ يَنْمِ وَيَغْرِي بِذِكْرَاكِ إِذَا اللَّيْلُ أَظْلَمَا
يُنَادِي عَلَى لَحْفِي وَصَحْبِي نَوْمٌ وَإِنْ هُوَ لَمْ يَفْضُضْ بِنَطْقٍ لَهُ فَمَا
أَشْبَهَهُ وَالْقَطَرُ بَادٍ وَلَمْ يَبْنَ بِمَنْقَارِ فَرْخٍ قَدْ تَلَقَّطَ قَرْطَمَا^(٣)

وله [من الطويل] :

تَرْكْنَا لَخُوفِ الْخَيْلِ وَالتَّرْكِ دُورَنَا فَلَلَّهِ صَرْفُ الدَّهْرِ كَيْفَ تَرَدَّدَا
دِهَالِيزِنَا ضَاقَتْ لَخُوفِ نَزُولِهِمْ كَأَنَّا يَهُودٌ نَدْخُلُ الْبَابَ سَجْدًا

وَأَنْشَدَنِي أَبُو بَكْرِ الْخَوَارِزْمِيُّ لِعَبْدَانَ [من الكامل] :

إِنْ كُنْتَ تَنْشِطُ لِلْغُبُوقِ فَلَيْلُنَا خَلْفَ النَّهَارِ بَغْرَقَ غَرَاءِ^(٤)
وَإِذَا صَفَا لَكَ مِثْلُنَا فِي دِهْرِنَا فَادْكَرْ عَوَاقِبَ لَيْلَةٍ كَدْرَاءِ

وَكَانَ أَبُو الْعَلَاءِ الْأَسَدِيُّ عَرْضَةً لِأَهَاجِي عَبْدِانَ ، فَمِنْ مَلَحٍ قَوْلِهِ فِيهِ [من السريع] :

أَبَا الْعَلَاءِ أَسَكْتَ وَلَا تَوْذُنَا بِشَيْنِ هَذَا النَّسَبِ الْبَارِدِ^(٥)

(١) الخرائد : الفتيات العذراوات ، والعلاآت : الأمراض .

(٢) تنجماً : أي حدق في النجوم متأملًا لها علّه يغفو ويرقد .

(٣) القرطم : نبات يتخذ منه صيغ أحمر وحبّه غذاء للطائر .

(٤) الغبوق : شرب الخمرة مساءً .

(٥) الشين : العيب والنقص .

وتدّعي في أسدٍ نسبةً لا تثبتُ الدّعى بلا شاهدٍ
أقم لنا والدّةً أولاً وأنت في حلٍّ من الوالد

وقوله [من الكامل] :

قابل هديت أبا العلاء نصيحتي بقبولها وبواجب الشكر
لا تهجون أسنً منك فربّما تهجو أباك وأنت لا تدري

وقوله [من مجزوء الرجز] :

أبو العلاء زاعمٌ بأنّه من العرب
ويدّعي في أسدٍ أبوةً بلا سبب
أقسم أنّي مُقترٌ عليه في هذا النسب
فأثمُّ لكنّني ألصقه خوف الغضب

وقوله [من الكامل] :

أضحى الملوّم أبو العلاء يسبّني وأنا أبوه يعقّني ويعادي
والمتّمون إليه من أولاده والله يعلم أنّهم أولادي
ولو أنّه يسخو عليّ بواحدٍ عند التكاثر زينةً للنّادي
ألصقته بي واقتديت بمنّ رأى بأبيه إلصاق الدّعيّ زياد^(١)

وقوله [من السريع] :

حمقٌ بهذا الأسدِيّ الَّذي قد كان منّي آمنُ السّرْبِ^(٢)
وإنّما جرّبتُ هجوي به تجربة السيّف على الكلب

(١) يريد اقتدى بمعاوية الذي ألحق زياد ابن أبيه ، بأبي سفيان .

(٢) آمن السرب : أمن الطريق أو الفريق أو القلب .

وقوله في غيره [من المتقارب] :

رغيفك في الأمن يا سيدي يحلّ محلّ حمام الحرم
فلله درك من سيد حرام الرغيف حلال الحرم

وقال من أبيات [من البسيط] :

يعلو ويعلو وكلّ من سجيته يعلو الكنيف ويعلو بالگراميل^(١)

وقال في رجل ارتفع قدره وكان أبوه حلاجاً [من الطويل] :

أقول وقد قالوا ابن مأسدة غدا على مركب لا من حمير أبيه
ولا الصوت محلاج ولا السرج لوحه ولا حبّ قطن كالشّعير بفيه
مقال الوليد البحتري فاته قد أنبأنا عن مثله وذويه^(٢)
متى أرت الدنيا نباهة خامل فلا ترتقب إلاّ خمول نبيه

وقال في قينة [من الطويل] :

لنا قينة تحمي من الشرب شربنا فقد أمّنوا سكرًا وخوف حمار^(٣)
تكشّر عن أنيابها في غنائها فتحكي حماراً شمّ بول حمار

وقال في شاعر [من مجزوء الرجز] :

ما قال بيتاً مرّة ولا يقول ما بقي
وكلّ شعرٍ قاله فائمه في عنقي

(١) الغراميل : جمع غرمول وهو الذكر ، أو الضخم الرخو قبل أن تقطع غرلته .

(٢) عجز هذا البيت غير مستقيم الوزن .

(٣) الخمار : أثر الحمرة في الرأس .

وقال في علوي [من المنسرح] :

كم غاصبٍ حقّكم ليهزلكمُ وقد تفقّا من شدة السّمن^(١)
واحرباً إنّ قضيت لم أر ما آمله فيكم وواحزني^(٢)
وقال [من البسيط] :

أقسمت حقاً بما أوتيت من كرمٍ فإنّه بعد ربّي غاية القسمِ
أنّ لو وليت أمور الناس مقتدراً ما خاف راعٍ على شاءٍ ولا نعمِ
وظلّلت العصم للآساد ألفةً واستأنست طلس الذّوبان بالغنم^(٣)
مواهبٌ خصّك الله العزيز بها وليس يرضى لك الحساد بالقسمِ
هذا الثناء وذاك الدعاء وما لي غير ذين وما ديني بمتهمِ
وقال [من الطويل] :

سقيت وفي كفّ الحبيبة وردةً وأترجةً تغري النفوس بصونها
مداماً فلمّا قابلتني بوجهها شربت فحيّتني بلوني ولونها

* * *

١٩ - أبو سعيد الرستمي

محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن الحسن بن علي بن رستم

من أبناء إصبهان وأهل بيوتاتها ، ومن يقول الشعر في الرتبة العليا ، ومن شعراء العصر في الطبقة الكبرى ، وهو القائل [من الطويل] :

(١) تفقّا : تشقّق .

(٢) الحرب : الأسف والحزن .

(٣) العصم : من الغزلان أو نحوها ما في ذراعيه أو في إحداهما بياض وسائره أسود أو أحمر . والطلّس : أي أنّ لونها أغبر يميل إلى السواد .

إذا نسبوني كنتُ من آل رستمٍ ولكنَّ شعري من لؤيِّ بنِ غالب
ومن نظر في شعره المستوفي أقسام الحسن والبراعة ، المستكمل فصاحة
البداءة وحلاوة الحضارة ، أقبلت عليه الملح تتراحم ، والفقر تتراكم ، والدرر
تتناثر ، والغرر تتكاثر [من الكامل] :

كلمٌ هي الأمثال بين الناس إلّا أنّها أضحتُ بلا أمثال
وكان الصاحب يقول مرة : هو أشعر أهل عصره ، وتارة : هو أشعر أهل
عصره ، ويقدمه على أكثر ندمائه وصنائه ، وينظمه في عقد المختصين به ، وفيه
يقول مداعباً [من مخلع البسيط] :

أبو سعيدٍ فتىً ظريفٌ يبذل في الظرف فوق وسعه
ينيك بالشعر كلَّ ظبيٍ فأيره في عيال طبعه

وكان يسد ثلثة حاله ، ويدره حلوبة ماله^(١) ، ويسوغه خراج ضياعه ، ولا
يخليه من مواد إنعامه وإفضاله ، وبلغني أن أبا سعيد لما أسفر له صبح المشيب
وعلته أبهة الكبر ، أقلّ من قول الشعر : إما لترفع نفسه ، وإما لتراجع طبعه .
فقرأت فصلاً للصاحب أظنه إلى أبي العباس الضبي في ذكره ، واستزادة
شعره ، وهذه نسخته :

كان يعد في جمع أصدقائنا بإصبهان رجل ليس بشديد الاعتدال في خلقه ،
ولا ببارع الجمال في وجهه ، بل كان يروع بمحاسن شعره ، وسلامة وده ، أما
الشعر فقد غاض حتى غاظ ، وأما الود ففاض أو فاظ^(٢) ، فإن تذكره مولاي بوصفه
وإلا فليسأل عن خاله وعمه ، أما العمومة ففي آل رستم ، وثم الذروة والغارب^(٣) ،

(١) يدره : يدفع .

(٢) فاظ : مات .

(٣) الغارب : السنام وأعلا كل شيء .

ولواء العجم وغالب ، وأما الخؤولة ففي آل جنيد ، كما قال شاعرهم في سعد وسعيد ، وقد سألت عن خبره وفد نجران ، والركب بجبلى نعمان ، فلم يذكروا إلا أنه مشغول بخطبة سبطه أبي القاسم بن بحر رحمه الله تعالى لفتاه أعزه الله ، وليس في ذلك ما يوجب أن يطوينا طي الرداء ، ويلقى عهدنا إلقاء الحذاء ، وقد يعود الصلاح فساداً ، ويرجع النفاق كساداً [من الكامل] :

فلعلّ تيماً أن تلاقي خطةً فتروم نصراً من بني العوام

* * *

وهذا ما أخرجته من محاسن شعره

وما محاسن شيء كله حسن !!

من قصيدة له فريدة في مؤيد الدولة [من الطويل] :

| | |
|---|------------------------------------|
| فعداد عذولي في الهوى وهو عاذرٌ | بدت يوم حزوى من كواها المحاجرُ |
| وأبرزن ما التفت عليه المعاجر ^(١) | فكيف وقد أبدين ما في قناعها |
| فلم تدرِ حزوى أيهنّ الجآذر | مررنّ بحزوى والجآذر ترتعي |
| أهنّ النقا أم ما تضمّ المآزر ^(٢) | ومالت على الأنقاء فاشتبهت بها |
| فأزرت بحيات الغدير الغدائر ^(٣) | وأرست على الأعجاز سود فروعها |
| لهنّ نقابٌ فالوجوه سوافرُ | بدورُ زهتهنّ الملاحه أن يرى |
| | سرقه من قول القائل [من الطويل] : |
| وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا | ولما تنازعنا الحديث وأسفرت |

(١) المعاجر : جمع معجر وهو ثوب تشده المرأة على رأسها .

(٢) النقا : الكتيب من الرمل ، والمآزر : جمع مئزر وهو ما تضعه المرأة في وسطها مؤثرة به .

(٣) الفروع : جمع فرع وهو الشعر الأسود .

رجع :

على ورد خدٌ لؤلؤ متناثر
إلينا وهل يقضي الاياب المسافر
وأمنتها والعيس ممّا تحاذر^(١)
وسائرُ ما تحويه في الرّيح سائر
سيغنك عن سيرى القوافي السوائر
صباحُ كضوء البدر والنجم باهر
يصوب ومن أخلاقه الروض زاهر
به فلكٌ بالخير والشرُّ دائر
ونابٌ إذا ما نابَه الخطب كاشر
ويغشى الوغى من بأسه وهو حاسر^(٢)
وبحرك مورودٌ وروضك ناضر

وودّعني من نرجسٍ بجفونها
وسائلةٌ عبري متى أنت آيبُ
حططت لها رحلي وسيّيت ناقتي
نصّبي من الدنيا رضى أمّ معمرٍ
وقلت اربطي جأشاً عليك فإنّه
سيكفيك سيرى في الدّجى إن كرهته
أميرٌ كأنّ الغيث من نفحاته
إذا ما علا صدر السرير جرى لنا
يدٌ لأمر المؤمنين طويلةٌ
ينافي الكرى من حزمه وهو دارعٌ
إلى أيّ أرضٍ أرحل العيس صادياً

ومنها :

يُزارُ ولا في الأرض غيري شاعرُ
وظلُّك ممدودٌ وبابك عامر
ويقفونداك البحر والبحر زاهر
كما يتوالى في العقود جواهر

فأقسمت ما في الأرض غيرك ماجدُ
بقيت مدى الدّنيا وملكك راسخُ
يردّ سنّاك البدر والبدر زاهرُ
وهتّت أعياداً توالى سعودها

وله من أخرى فيه أيضاً [من الطويل] :

أباطحُ من أجفاننا ومسايلُ

مررنا بأكناف العقيق فأعشبت

(١) سيّيت : تركتها تمشي حيث شاءت ، أطلقها .

(٢) دارع : أي يلبس درعه ، وحاسر : أي كاشف الرأس .

وكادت تناجينا الزيار صبايةً
فمن واقفٍ في جفنه الدمع واقفٌ
تأسٌ بيأسٍ أو تعزٌ بسلوةٍ
ألم تر أيام الربيع تبسّمتْ
كأنَّ غصون النرجس الغضُّ بينها
كأنَّ شقيق الأبرين كواعبٌ
وقد حملت سوسانها في حجورها
وضمّر خيل الضيمران كأنّها
ونورَ قضبان الخلاف فأبرزتْ
تخال أزاهير الرياض خلالها
وقد شربت ماء الغمامة فانشئتْ
فمن أقحوانٍ ثغره متبسّمٌ
وقد ماج وادي الزندروز بفيضه
كأنَّ نعاج الرمل في جنباته
كأنَّ هدير الموج فوق متونه
سرى بين أحشاء السرى فتشابهتْ
إذا ماج فوق الأرض أوهاج خلته
أيا ملكاً فاق الملوك وبذّهم

وتبكي كما نبكي عليها المنازلُ
ومن سائلٍ في خدّه الدمع سائل
فمالك في أطلال عزّة طائل
أجارع من أنوارها وخمائل^(١)
نشاوى كرى أعناقهنّ موائل
عليهنّ من صبغ الجساد غلائل^(٢)
رواضع إلّا أنهنّ حوامل
مرازب فوق الهام منها أكالل^(٣)
أصابع لم تخلق لهنّ أنامل
مصايح ليلٍ ما لهنّ فتائل
كما يشئى الشارب المتمايل
ووردٍ على أكنافه الطلّ جائل
كما ماج للريح النقا المتهائل
يناطح بعضٌ بعضها ويقايل
هدير قرومٍ هاجهنّ الشوائل^(٤)
أحيّاته تسري بها أم جداول
خيولك في الهيجا وهنّ صواهل
فراح سناناً والملوك عوامل^(٥)

(١) الأجارع : رمل يرتفع وسطه وترقّ نواحيه .

(٢) الأبرقين : نوعٌ من الورد ، وكواعب : جمع كاعب وهي الفتاة في أول صباها .

(٣) المرازب : جمع مرزبة وهي عصاً صغيرة من حديد .

(٤) الهدير : صوت البعير ، والقروم : جمع قرم وهو الفحل من النوق : والشوائل : النوق التي آن وقت لقاحها .

(٥) بذّهم : تجاوزهم ، والعوامل : جمع عامل : وهو من الرمح أعلاه الذي يلي السنان .

إذا نحن أثينا عليه تبادرت
 ينير الدجى من وجهه وهو حالك
 وذو لحظات كلهن فواضل
 دهاء لديه رأي أكثم فائل
 وحلم لديه ركن يذبل ذابل
 فأنثت كما نثني القنا والقنابل
 ويندى الثرى من كفه وهو ماحل
 وذو حركات كلهن فضائل
 وجود لديه حاتم الجود باخل^(١)
 وعزم لديه فارس الخطب راجل^(٢)

ومنها في مسألة إخراج ضيعة له من الإقطاع [من الطويل] :

ضياعي نهبي قد تفرق شملها
 فكم ضيعة مالت لأبواب مالها
 فحظي من الحظين هم وحسرة
 ألا ليت شعري هل أرى لي جماعة
 تقاربها الأنموذجات كأنها
 وهل أرني يوماً وكيل حاضري
 ويخرج باسمي في الأدراج كاتب
 على عدل مولانا الأمير توكلي
 فما في يدي منهن إلا الأنامل
 قناتي وغيري منه نشوان مائل
 وحاصلها أتى على الهم حاصل
 تمد بها فوق الشطور الحواصل
 إذا هي صروها الشدي الحوافل^(٣)
 أناقشه طوراً وطوراً أساهل
 حساباً ويستأدي خراجي عامل
 فأحسانه في الشرق والغرب شامل

ومن أخرى فيه أيضاً ، أولها [من الطويل] :

عذيري لدى الواشين حسن عذاره
 بنفسي خبيب زار بعد ازوراره
 وأشنب معشوق الدلال منعّم
 إذا ما استعار الجلنار بخده
 سل البيض عن عاداته في عداته
 وعذري لدى اللاحين حسن اعتذاره
 وعادوني بالأنس بعد نفاره
 معقرب صدغ كالهلال مداره
 أعار الحشى من خده جل ناره
 وسمر القنا عن نهبه ومغاره

(١) فائل : ضعيف .

(٢) يذبل : إسم جبل ، وراجل : أي الفارس يمشي على رجله .

(٣) الأنموذجات ، وصروها : حليوها واستخرجوا لبنها ، والحوافل : الملائى .

وقائع نال النسر غاية سؤله بهنّ ونال النصر غاية ثاره
ومن قصيدة في صاحب ، أولها [من الخفيف] :

عقني بالعقيق ذاك الحبيبُ فالحشى حشوه الجوى والنحيبُ
وإذا جفت الشؤون وخفتْ ندبتها من الضلوع الندوب
لست أدري أأدعي أم جمان العقد ينسلّ أم عقيقٌ يذوب
حبّذا حبّذا ونعمٌ وسعدي ونصيبي من وصلهنّ نصيب
إذّ زمانني غرٌّ وغصني رطيبٌ وشبابي غضٌّ وبردي قشيب^(١)
إذ بوادي العقيق عيشي أنيقٌ وبوادي الجنوب ريحي جنوب
كم شجاني بطن رامة ريمٌ وبظبي الكثيب ظبي ريب
أيها الرمل كم مضى فيك عيشٌ لي مهاةٌ ومرتعٌ لي خصيب^(٢)
وألّفاي فيك رياءً وأروي وحليفاي فيك زقٌ وكوب
وبقلب الحسود ممّا ندوبٌ وبطرف العذول عنا نكوب^(٣)
وعفا الله عن ذنوبٍ تقضتْ لي بها حين تستتاب الذنوب
حيث لا لوم أن يزور محبٌ هاجه الشوق ، أو يزار حبيب
حيث لا ينكر الغرام ولا يخشى ملامٌ ، ولا يخاف رقيب
ما يذمّ الشباب عندي بشيءٍ غير أنّ المشيب منه قريب
غلب الصاحب الجواد بني الجو د كما يغلب الشباب المشيب
بذهم في الندى وغطّى علاهم بعلاه فالمكرمات ذنوب
وإذا ما سعى لإحداث مجلدٍ فمساءعهم عليهم ذنوب

(١) زمانني غرّ: أي ضاحك مبتسم ، ورطيب منعّم وغضّ: في أوج حيويته ونشاطه، وقشيب: ملوّن مفوّف .

(٢) المهاه : طراوة العيش وحسنه .

(٣) الندوب : الجراح أو أثارها ، والنكوب : الانحسار والابتعاد . واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

واجدٌ بالعلّا وبالمجد وجداً لم يجده بيوسف يعقوب^(١)
 وإذا ما أتاه طالب جدوى راحتيه فالطالب المطلوبُ
 قل لباعي الندى خف الله لا تسأله عمراً فإنه موهوب
 من قول أبي تمام [من الطويل] :

ولو لم يكن في كفّه غير روحه لجاد بها فليترك الله سائله
 رجع :

إنما حاتمٌ وأوسٌ وكعبٌ مثلٌ في الندى له مضروبُ
 يا حساماً مهنداً وغماماً ديمتاه الترغيب والترهيب
 فيك ما يكمد الحسود وما فيك سوى الجود والندى ما يعيب
 راحةً ثرةً ، ووجهٌ طليقٌ ولسانٌ غضبٌ ، وصدرٌ رحيبٌ
 وبيانٌ غضٌ تلددٌ فيه حين خاطبته الألدُّ الخطيب^(٢)
 وإذا ما وخذت في طلب المجد فذو المجد وخذته تقريب^(٣)
 عزماتٌ يرضُ منهنَّ رضوي ويكادُ الوليد منها يشيب
 فلشمس النهار منها وجوبٌ ولقلب الزمان منها وجيب^(٤)
 ومنها :

وإذا ما دعوت شعريَ فيه طرب المدح واستهلَّ النسيب
 مدحٌ كالنسيب رقة ألفا ظ وما للنسيب منه نصيب
 محكماتٌ محكماتٌ إذا أنشدن نال المنى بهنَّ الأديب

(١) واجدٌ : هائمٌ وعاشق .

(٢) تلددٌ : احتار .

(٣) وخذت : سرت في طلب المجد ، والوخد ضرب من السير ، والتقريب ضرب من السير ، أو أن يرفع
 رجله معاً ويضعها معاً .

(٤) الوجوب : الاختفاء والمغيب ، ووجبت الشمس : أي غابت .

رفعت من أعنة الرفع حتى ذلّ منها المخفوض والمنصوب

ومنها :

أنا من قد عرفت سرّاً وجهراً أعجميُّ نما به التعريب
ليت شعري إذا دعيت ، شعاري نسبي واضحٌ وعودي صليب
لست من أمدح الملوك ولا أنـضي المطايا ولا الفلاة أجوب^(١)
أنا للصاحب الجليل أبي القا سم مولى وخادمٌ وريبٌ

ومن أخرى أيضاً [من الكامل] :

| | |
|--|---|
| غَيَضَنَ عِبْرَتَهُنَّ يَوْمَ الْوَادِي فَجَنِينَ بِالْأَسْمَاعِ نَوْرَ حَدِيثِنَا وَوَصَفْنَ سَقَمَ قُلُوبِنَا بَعِيُونَهَا لَا غَرُو أَنْ يَجْنِينَ مِنْ ثَمَرِ الْهَوَى فَلَطَالَمَا أَسْهَرْنِي جَنَحَ الدَّجَا لَا وَالَّذِي جَعَلَ الْجَفُونَ عَلِيلَةً إِنِّي لِأَرْحَمَ مِنْ أَسْرَنَ فَوَادِهِ وَأَذْمُ أَيَّامِ الْفِرَاقِ فَإِنَّهَا قُلْ لِلزَّمَانِ إِذَا تَنَمَّرَ سَاخِطاً أَبْرَقُ وَأَرْعَدُ لَيْسَ يَرْتَعِدُ الْحَشَى الصَّاحِبَ الْعَالِي الصَّنَائِعِ صَاحِبِي وَرِثَ الْوِزَارَةَ كَابِراً عَنْ كَابِرٍ يُرْوَى عَنْ الْعَبَّاسِ عِبَادِ وَزَا | فَارْحَنَ عَازِبَ أَنْسِ ذَاكَ النَّادِي ^(٢) وَكُرْعَنَ فِي الشَّكْوَى كُرُوعَ الصَّادِي فَشَفَيْنَ مَنَا غَلَّةَ الْأَكْبَادِ لِي فِي مَرَاقِدِهِنَّ شَوْكَ قِتَادِ وَأَطْلَنَ لَيْلِي وَانْتَهَبَنَ رِقَادِي وَأَعَارَ حَبَّ الْبَيْضِ حَبَّ فَوَادِي سَرّاً فَمَا لَفَوَادِهِ مِنْ فَادِي عَلَّلُ وَإِنْ خَفِيتَ عَلَى الْعَوَادِ وَعَدَا عَلَيَّ بِوَجْهِ لَيْثٍ عَادِي لِي مِنْكَ بِالْإِبْرَاقِ وَالْإِرْعَادِ فِي النَّائِبَاتِ وَعَدَّتِي وَعَتَادِي مُوصُولَةً الْإِسْنَادِ بِالْإِسْنَادِ رَتَهُ وَإِسْمَاعِيلَ عَنْ عِبَادِ |
|--|---|

(١) غَيَضَنَ : كَفَفَنَ وَجَسَنَ ، وَالْعَازِبُ : الْبَعِيدُ الْغَائِبُ ، وَالْأَرْضُ الَّتِي لَيْسَ بِهَا أَحَدٌ .

شرفٌ كعقد الدرّ واصل بعضه
وعلاً كأيام السنين ترادفت
لا كالذين إذا سموا لكريمةٍ
أعلى المكارم ما تقادم عهده
لا والذي جعل المكارم كلّها
ورآك أهلاً للرشاد وللهدى
لو كان غير الله يعبد ما انثنت
بعضاً كأنبوب القنا المناد^(١)
آياتها بمكرٍ ومعاد
ضحكت جدودهم من الأجداد
والمجد موروثٌ عن الأمجاد
لك والعلا في مبدأٍ ومعاد
وكساك آيات الإمام الهادي
إلا إليك أعنة العباد

هذا معنى قد أكثر الناس فيه ، وأظن السابق إليه ابن أبي البغل ، حيث قال
في الرشيد [من السريع] :

لو عبد الناس سوى ربهم
أصبحت دون الله معبودا
رجع :

هذا الربيع وأنت أكرم مجتنى
زارتك في حلل الرياض وفوده
ورأت صنائعك التي أزرّت بها
وحكاك وادي الزندروز فأقبلت
مثل الرمال تناطحت أوعالها
يرمي السواحل مدّه فكأنّه
يهدي المدينة واديان تجاورا
مدّان هذا ليس ينفد فيضه
روضٌ يرفّ ، ومزنةٌ تهمي عزا
فكأنّ ذا يثني ، وذا يدعو ، وذا
منه وأعجبه إلى المرتاد
وكأنهنّ يمسّن في الأبراد
فغدت تذبّ إليك صوب الغادي
أمواجه يقذفن بالأزباد
فأعانهنّ العين بالإمداد
ملكٌ يهزّ الأفق بالإبعاد
وكأنما وردا على ميعاد
أبدأ وهذا فيضه لنفاد
ليها ، وطيرٌ في الغصون ينادي
بيدي الرضا ويوح بالاحماد

(١) المناد : المعوج .

فأسعد بدنياً قد نظمت أمورها
ورعية أصلحتها بتألف
داويت من سقم النفاق قلوبها
فنصبت للإسلام أكرم راية
وأفضت عدلك في البلاد وأهلها
وضربت دون الظلم بالأسداد

ومنها في الإذكار والاستعانة والاستزادة وشكوى الخراج ، ومسألة التسوية ، وما منها إلا ما لا غبار عليه ، ولا شوب فيه ، ولا مزيد على حسنه :

يا خير من يدعى لخطب فادح
عمت فواضلك البرية واغتدت
ووسائلتي ما قد علمت ولاية
ومنقبات في البلاد غريبة
تروى ولم يسمع لهنّ بقائل
من كلّ رائقة المحاسن حلوة
لم يكسها الإكفاء في أكفائها
هذا وحرمة خدمة مرعية
ما زلت من أبرادها متوحشاً
يا حلية الوزراء حلّ قصائدي
ما لي ظمئت وبحر جودك زاهر
وريت زناد السائلين بسيله

ويحلّ عقد الحادث المناد^(١)
طوع العنان لحاضر أو بادي
مذ كنت أعهد لها وصفو وداد
وصلت سرى الاتهام بالإنجاد
تعزى إليه سوى حذاء الحادي
رياً الرواية غصة الإنشاد
عيباً ولا أزرى بها لسناد^(٢)
للأبعدين قديمة الميلاد
بمفوّق يزهى على الأبراد
بمحاسن الإرفاد والإصفاد
سهلّ مشارعه على الوراد
وبفيضه وخصصت بالإصلاح^(٣)

(١) الجبر : الكفر .

(٢) الحادث : المصاب ، والمناد : المعقد .

(٣) الأكفاء والسناد : من عيوب القوافي في الشعر .

(٤) وريت : اشتعلت من قبه ، والإصلاح : يقال : أصلد الزند : أي صوت ولم يوره يعني أنه منع العطاء أو أن عطاءه أمسك .

وأعفُ في ظلّ القنّاعة زادي
نوبُ تراوح تارةً وتغادي
وكذا البغاث كثيرة الأولاد^(١)
غرر الليالي عدن وهي دادي^(٢)
في مفرقي فأنار بعد سواد
صفعاً أوافقه من المستادي^(٣)
من صادرٍ أو رائحٍ أو غادي
غصّت مدارجهم برجل جراد
عبل لال ربيعة أو عاد
خضبوا الرؤوس بياض الفرصاد^(٤)
فوق إثره ثانٍ وآخر بادي
ويقوم هذا من وراء العادي
أبدأ من الإخفاق والإرعاد
عند المساء سواي في الأوراد
ضربي وذقّ الجيد دون جياد^(٥)
ونذاك صوبا أنعم وأيادي
أو لا فعاودني على الإبراد^(٦)

ما كان أجمل في التجمّل ملبسي
لولا زمانٌ أزمّنت حالي له
وأذى فراخٍ ضاق بي أوكارها
وأذى خراجٍ لو سرى لأدائه
أبدت نجوم الليل سود نجومه
حصّة حصّت مني جوانب هامتي
ووفود سوء يآلفون زيارتي
ورجالة مترادفون كأنما
من كل متفش الشّوارب مسمع
صهب اللحى سود الوجوه كأنما
ما غاب عني واحدٌ إلّا ويق
هذا يواجه شاربِي متهدداً
ففرائصي من خوفهم مملوءة
وإذا أصدر غدوة لم يرتفع
ما في يد النّقّاد من ضربي سوى
يا حلية الوزراء حقّي واجبٌ
وقّع بتسويغي خراجي كلّه

(١) البغاث : طائرٌ أغبر ، وشرار الطير .

(٢) دادي : شديدة الظلمة .

(٣) الحص : حلق الشعر ، والحصّة : من الحصى ، والمستادي : طالب الأداء ، وأصله المستادي بالهمز .

(٤) الفرصاد : التوت ، واليانع : الأحمر من كلّ شيء ، والصهب : جمع أصهب ، وهو الذي لونه الصهبه وهي حمرة أو شقرة في الشعر .

(٥) الجيد : العنق ، أو موضع القلادة ، والجياذ : جمع جواد .

(٦) التسويغ : تجويز من السلطان بمنحة أو عطاء وهي مولدة .

وامننْ عليّ بفضل جودك واكفني دار الخراج وجهمة الحدّاد^(١)

وله من أخرى [من المنسرح] :

قولوا لو سنانَ نام عن أرقى فيه وحاشا جفونه الأرقُ
ارث لمن قد رثى لمقلته الـدَمع ورقت لقلبه الحرقُ
لم يبق من جسمه سوى رمقٍ ينتظر الموت ذلك الرمقُ
يا أبّي منه طرّةٌ سبجٌ إذا تبدّت وغرةٌ يقق^(٢)
ولؤلؤٌ من لسانه بردٌ ولؤلؤٌ في لباته نسق
وجهٌ به الجَلَنار مبتسمٌ يفتّرُ والأقحوان متّسق
شعلة نارٍ ملاحّةٌ وسناً يكاد منه الجليس يأتلق
غنى فجلى الظلام غرته عنا وغصّت بشدوه الأفق
فودّت العين أنّها أذن تسمع والأذن أنّها حدق

زاد على من قال [من المنسرح] :

غنتُ فلم يبقَ في جارحةٍ إلاّ تمنّتُ بأنّها أذن
رجع :

والله لو كانت الأزاهر والـ أوتار ناساً وأبصروا عشقوا
شأنى أيامه يذوب شجىً من كملٍ والحسود يزدهق^(٣)
كذلك النار حين أعوزها ما أحرقتّه تبيت تحترق

سرقه من قول ابن المعتز حيث قال [من مجزوء الكامل] :

كالنار تأكل نفسها إن لم تجد ما تأكله

(١) الجهمة : التقطيب والعبوس .

(٢) السّج : الأسود ، واليقق : الشديد البياض .

(٣) الشأنى : المبغض ، وزهق وازدهق سواء : ومعناه : اضمحلّاله وخروج روحه .

رجع :

وإن ذكرنا اسمه لطيبته
والناس لولا سناه ما رمقوا
إسعدُ بشهرٍ وافتك مقبلةً
ثلاثةً قد قرَنَ في قرنٍ
مقدماتُ من الربيع غدتُ
أما ترى المزن حلَّ حبوته
فنوره من سناك مقتبسُ
فاعمرُ لدنياً لولاك ما خلقتُ
وعدُ جديداً على الزمان كما
ما صحبتك الأيام دمتَ لها

يبقى بأفواهنا له عبقُ
والناس لولا نداه ما رزقوا
أعياده بالسعود تستبق
خوةً روزٍ والنضحُ والسدقُ^(١)
وفودها من صبايةً سبقوا
في الروض فالروض زاهرُ أنقُ^(٢)
ونوءه من نذاك مسترق
وأهل دنياً لولاك ما خلقوا
عاد جديداً في عوده الورق
فليس في صفو عيشنا رنقُ^(٣)

وله من قصيدة في نهاية الحسن وكثرة الملح والنكت ، أولها [من الطويل] :

عزيزُ علينا أن تشطَّ منازلَه
ولا زال حاديه دميثاً فجاجه
يحلّ عزالي الغيث حيث يحلّه
ومهجورةٌ خافت عليها يد النوى
سوى كحلٍ عينٍ ما اكتحلت بنظرةٍ
وقفتُ فأما دمع عيني فسائلُ

سقته الغوادي من عزيزٍ تزايله
وقمراً لياليه وصفواً مناهله^(٤)
ويغشى كما يغشى الربيع منازلَه^(٥)
فلم تبق في حافاتها ما أسأله
إلى جفنه إلا شجتي مكاحله
عليه ، وأما وجد قلبي فسائله

(١) السدق : ليلة الوقود الشديدة البرد، وقرف: أمسكن وغدون، وقرن : شرك أو عقد أو سيلك ، والنضح : رشاش الماء ونحوه .

(٢) الحبرة : الخطوة والعطية ، أو ما يشتمل عليه .

(٣) الرنق : المتكدر .

(٤) الدمث : السهل اللين .

(٥) العزالي : جمع عزلاء ، وهي مصب الماء .

عليه ، وطرفاً ما تجفُّ هوامله^(١)
 بأرجائه شبهاً لريّاً أواصله
 كما ودّعت شمس النهار أصائله
 وغودر منّي عازب اللبّ زائله^(٢)
 وأبصر غاويه وأقصر عاذله
 صبا الريح غصن البان فاهتزّ مائله
 وقد جاش من حرّ الفراق مراحلها
 من الدمع في جفنيّ للبين جائله^(٣)

أقلّب قلباً ما يخفُّ غرامه
 لعلّي أرى من أهل ريّاً وإنّ نأتُ
 فأصيحّتُ قد ودّعت ريّاً ووصلها
 بكُرهي زال الحيّ من بطن عازبٍ
 وقلبٍ إذا ما قلت خفّ غرامه
 دعاه الهوى فاهتزّ يهوي كما دعا
 وهاجرة من نار قلبي شبيبته
 صليت بها والآل يجري كما جرى
 ومنها :

إذا لم يكن أحلى من العرف باذله
 ولا السّمح إلا ما تبرّع نائله
 لديه ، وأنوار الربيع فضائله
 وهان عليه ما يقول عواذله
 ولاح كما لاح البروق شمائله
 فيلقى ابتذال الوجه للبذل سائله
 وسائله عند الرجاء وسائله^(٤)
 كأني وريّاً ماله وأنامله

وبعض مذاق العرف مرٌّ وإنّ حلا
 وما الجود إلّا ما تطوّع أهله
 وأروع أنواء الربيع صنائعُ
 أهان مصونات الذخائر كفّه
 وفاح كما فاح الرّياض فعالة
 يسيل على العافين عفّو نواله
 شفيق الذي يرجوه حسن صنيعة
 ولم يجتمع كفّاه والمال ساعة

(١) الطرف: العين ، والهوامل : الدموع .

(٢) عازب الأول : اسم جبل والثانية إسم فاعل من عزب بمعنى غاب .

(٣) صليت بها : احترقت ، والآل : السراب أو ما أشرف عليه البعير ، وقيل إنّّه خاص بما يكون أول النهار .

(٤) وسائله الأولى : مؤلّفه من واو العطف وسائل بمعنى الطالب المستجدي ، وأما الثانية فهي جمع وسيلة والواو فاء الكلمة .

هذا البيت من إحسانه المشهور السائر ، ومنها :

أصبح مثلي في جنابك صادياً
ولولا فراخُ زعزع الدهر وكرها
أعرت ظلال الحرّ نفس ابن حرّة
فخذني من أنياب دهري بعاجلٍ
بقيت مدى الدنيا لمجدٍ تشيده
وهاتيك أمثال النجوم جلوتها
قريضٌ كساه المزن أثواب روضةٍ
تطيب على الأيام رياءً نشيده

وله من أخرى [من الطويل] :

وحسنا لم تأخذ من الشمس شيمةً
وإني لأهوى الشيب من أجل لونه
وأروع يستحيي الحيا من يمينه
أقام قنا الأيام بعد اعوجاجها
عزائم لو ألقى على الأرض ثقلها
وجود بنانٍ سبّح الغيث عندها
يدٌ كلّ ما تحوي يدٌ من نوالها
تأملُ فما لاحظته من هباتها
من النفر العالين في السّلم والوغى
إذا نزلوا اخضرّ الثرى من نزولها

سوى قربِ مسراها وبعدِ منالها
وإن نفرت عني الدّمي من فعالها
فيرتدّ فوق الأفق حيران والها
وحاط ذرى الإسلام بعد ابتذالها^(١)
شكتُ منه ما لم تشكه من جبالها
وهلّل صوب البحر عند انهلالها
وبيضُ أياديها وغرزُ سجالتها
لدينا وما لاحظته من عيالها
وأهل العوالي والمعالي وآلها^(٢)
وإن نازلوا احمرّ الثرى من نزالها

(١) القريض : الشعر .

(٢) أقام : أصلح وسوّى ، وحاط : حمى وحرس .

(٣) العوالي : الرماح .

بيضٍ كأنَّ الملح فوق متونها ودهمٍ كأنَّ الزَّنج تحت جلالها
انظر الى حسن هذا التصرف وشرف هذا الكلام :

مساميح كلِّ الغيث بعض نوالها وکلّ المعالي خلّة من خلالها
سمتُ فوق آفاق السماء فأصبحتُ ثراها الثرياً والسُّهى من نعالها
إليك ابن عباد بن عباس إنثنتُ أعنةُ شكر الدهر بعد انفتالها^(١)
بك افتترُ ثغر الملك واهتزَّ عِظفه وجرّتُ بك الدنيا ذبول اختيالها
تشكى الثرى إظلامها ومحولها فأغنيها عن مزنها وهلالها

وله من قصيدة كأنه جمع محاسنه ولطائفه فيها ، أولها [من الطويل] :

سلامٌ على رمل الحمى عدد الرَّمْل وقفل له التسليم من عاشقٍ مثلي
وقفت وقوف الغيث بين طلولة بمنسكبٍ سحٍّ ومنسجمٍ وبل^(٢)
وما رمت حتى خالني الرِّيم رِمةً وأذرف آجال الحمى الدمع من أجلي^(٣)
خليلي قد عذبتما ني ملامةً كأن لم يقف في دمنةٍ أحدٌ قبلي^(٤)
ومما شجاني والعواذل وقَّف ولي أذنُ صمّت هناك عن العذل
ظباءُ سرت بالأبطحين عواطلاً وكنتُ أراها في الرعاث وفي الحجل^(٥)
تبدلكن أسماءٌ سوى ما عرفتها لهنّ ، فلا تدعي بسعدي ولا جمل
تشابهن أحداً وطول سوافٍ وخصّ الغواني بالملاحه والدل
ومكحولة الأجفان مخضوبة الشوى ولم تدر ما لون الخضاب من الكحل
ذكرت بها من لست أنسى ذنوبها وإن بعدتُ والشَّيء يذكرُ بالمثل

(١) انفتالها : اجتماعها ، والأعنة : الأزمة .

(٢) الوبل : المطر الشديد ، والسحّ : الصبّ السائل ، والمنسجم : القطر المتوالي .

(٣) رمت : انصرفت ، والرمة : البالي من العظم وغيره ، والآجال : قطعان النعام والإبل .

(٤) الدمنة : الموضع القريب من الدار .

(٥) الرعاث : جمع رعثة بضمّ الراء ، القرط .

سواجمُ تغني جانبيه عن الوبل
بدمعٍ على تلك المناهل منهلٌ
ومأوى الموالي والعشيرة والأهل
ولا شجرات الأبرقين بلا ظلٌ
ولكنني أمسي بغير الهوى شغلي
كما هاج ليث الغاب وعوغة الشبل^(١)
فلما بكت سعدي حططت لها رحلي
قرى عندها غير النزول بلا نزل
ولست بأهلٍ للذي سامني أهلي
فما لي أسعى منه في مدرج النمل
لمن عزمه عزمي ومن فضله فضلي
وأطوي الدجاحتى أرى صبحها المجلي^(٢)
ولم يخلُ من أفضاله كفٌ ذي فضل
فأعطاك لم يعتدَّ ذاك من البذل
إليه وخلصى كاهل الشكر ذا ثقل
ونقذ بلا وعدٍ ووعدٍ بلا مظل^(٣)
يميلون زهواً غير ميلٍ ولا عزل^(٤)
إذا افتخروا لاراضة الشاء والابل
وعالمهم موفٍ على العالم الكلي

سقى الدمع مغنى الوابلية بالحمى
ولا برحت عيني تنوب عن الحيا
مغاني الغواني والشبيبة والصبا
ليالي لا روض الكثيب بلا ندى
وما كان يخلو أبرق الحزن من هوى
فراخُ نباني وكرهنٌ وهاجني
وكم قد رحلت العيس في طلب العلا
نزلت على الأيام ضيفاً فلم أجدُ
وقد سامني أهلي المقام بذلةٍ
سبيل الغنى رحبٌ على كلِّ سالكٍ
أينكر نصُّ العيس والبيد والدجا
دعوني أصل إرقالها بزميلها
حياً لم يفت مناً ولياً وليه
ومبتدو الجدوى إذا ما سألته
فتى حاز رقَّ المجد من كلِّ جانبٍ
بعفوٍ بلا كدٍ وصفوٍ بلا قذى
من النفر الأعلين في حومة الوغى
هم راضة الدنيا وساسة أهلها
محلهم عالٍ على السبعة العلا

(١) نباني : ابتعد عني ، وعوغة الشبل : تصويته .

(٢) الإرقال : ضرب من المشي السريع ، والذميل سير آخر في لين وتؤدة .

(٣) المظل : من المماطلة ، وهو التسويف وعدم الوفاء بالوعد في حينه .

(٤) غير ميلٍ ولا عزل : أي أنهم مكتملون خلقة وقوة فالميل : من كان في خلقة ميل ، والعزل : الضعف .

إذا أنت رتبت الملوك وجدتهم
مساميح عند العسر واليسر ، لاتني
ولم يغلقوا أبوابهم دون ضيفهم
ولا شدّوا دون العفاة حجابهم
لتهن ابن عبادٍ قوافٍ كأنها
أبى لي حسناً أن أبالي بعده
وقل له ما قال في هرم الندى
وما كنت لولا طيب ذكرك شاعراً
ولكنني أقضي به حقّ نعمة
إذا لم تكن لي أنت عوناً ومعدياً
من الناس من يعطي المزيد على الغنى
كما ألحقت واوً بعمرٍ زيادةً
أعر من ورائي من عبيدك لحظةً
فما لي رجاء في سواك ولا يرى
وهل بارقٌ يشتام إلا من الحيا
وقاك بنو الدنيا جميعاً صروفها

وله من أخرى [من الكامل] :

كفتك عن عدلي الدموع الوكفُ
لله عيشٌ بالمدينة فاتني

همُ الاسم والباقون من حيز الفعل
مراجلهم في كلّ أحوالهم تغلي
ولا شتموا خدامهم ساعة الأكل
وقالوا لباعي الخير نحن على شغل
جنى لؤلؤٍ رطبٍ من العقد منسلٌ
بشعرٍ ولو أنشدت للنمر العكلي^(١)
زهيرٌ وأعشى قيس في هودة الذهلي
ولا منشداً بين السماطين في حفل
سرت مثلاً لما وسّمت به عقلي
على الزمن العادي عليّ فقل من لي^(٢)
ويحرم ما دون الغنى شاعرٌ مثلي
وضويق بسم الله في ألف الوصل
بعين العلا واجمعُ على شكرها شملي
يمرّ قريضي عند غيرك أو يحلي
وهل عسلٌ يشتار إلا من النحل^(٣)
جميعاً فإنّ الجفن من خدم النّصل^(٤)

ونهتك عن عتبي الضلوع الرجفُ
أيام لي قصر المغيرة مألّفُ

(١) النمر العكلي : هو النمر بن ثولب بن زهير بن أقيش العكلي شاعر مخضرم ، من المعمر بن الأجواد .

(٢) العادي : الجائر .

(٣) يشتام ، يرى ، ويشتر : يستخرج ويحني .

(٤) الجفن : الغمد .

حَجَّيْ إِلَى الْبَابِ الْجَدِيدِ وَكَعْبَتِي الْبَابَ الْعَتِيقَ وَبِالْمَصْلَى الْمَوْقِفُ
 وَاللَّهُ لَوْ عَرَفَ الْحَجِيجَ مَكَانَنَا مِنْ زَنْدَرُوزَ وَجَسْرِهِ مَا عَرَفُوا
 أَوْ شَاهَدُوا زَمْنَ الرِّبْعِ طَوَافَنَا بِالْخَنْدَقِينَ عَيْشَةً مَا طَوَّفُوا
 زَارَ الْحَجِيجَ مَنْى وَزَارَ ذُووِ الْهَوَى جَسْرَ الْحُسَيْنِ وَشَعْبَهُ وَاسْتَشْرَفُوا
 وَرَأَوْا ظُبَاءَ الْخَيْفِ فِي جَنْبَاتِهِ فَرَمُوا هُنَالِكَ بِالْجِمَارِ وَخَيَّفُوا^(١)
 أَرْضُ حَصَاهَا جَوْهَرٌ وَتَرَابُهَا مَالِي وَلِلْوَاشِيشِ لَا يَهْنِيهِمْ
 أَعْيَاهُمْ سَبَبُ التَّهَاجِرِ بَيْنَنَا فَتَفَاءَلُوا لِي بِالْفِرَاقِ وَأَرْجَفُوا
 لَا وَاعْتَلَا قِي بِالْوَزِيرِ وَحَبْلِهِ مَا أَحْسَنُوا مَا أَجْمَلُوا مَا أَنْصَفُوا
 مَا لِلْوَزِيرِ عَنِ الْمَعَالِي مَصْرَفٌ أَبَدًا وَلَا لِي عَنْ هَوَاهُ مَصْرَفٌ
 يَا مَنْ نَعُوذُ مِنَ الْمَكَارِمِ بِاسْمِهِ وَنَعَزَهُ وَهُوَ الْأَعَزُّ الْأَشْرَفُ
 وَنَجَلٌ عَنْ خَطَرِ الْيَمِينِ حَيَاتِهِ فَبِفَضْلِ نِعْمَتِهِ عَلَيْنَا نَحْلِفُ
 وَعَظِيمٌ مَا أَوْلَيْتَنِي مِنْ نِعْمَةٍ مَا لِلسَّمَاكِ سِوَاكَ رَبُّ يَعْرِفُ
 يَا ابْنَ الذِّينِ إِذَا بَنَوْا شَادُوا وَإِنْ حَارِبُوا لَمْ يَحْجَمُوا ، أَوْ قَارِبُوا
 وَإِنْ حَارِبُوا لَمْ يَحْجَمُوا ، أَوْ قَارِبُوا وَمَتَى اسْتَنْيَلُوا أَنْسَرَفُوا وَمَتَى اسْتَعِيدُوا أَضَعَفُوا
 إِنْ عَاهَدُوا لَمْ يَخْفَرُوا ، أَوْ عَاقَدُوا لَمْ يَغْدُرُوا ، أَوْ مَلَكَوْا لَمْ يَعْسَفُوا^(٢)

ومنها التهنة بالخلعة :

تَهْنِيْ ابْنَ عَبَادِ بْنِ عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ نَعْمِيْ بِالْكَرَامَةِ تَرْدُفُ
 يَهْنِيهِ زَائِدٌ نِعْمَةٌ مُتَجَدِّدٌ أَبَدًا وَحَادِثٌ نِعْمَةٌ يَسْتَطْرَفُ

(١) خَيْفٌ : نَزْلٌ مُنْزَلًا ، وَالْمُرَادُ بِهِ هَهُنَا مَسْجِدُ الْخَيْفِ . ، وَالْجِمَارُ : الرَّجْمُ .
 (٢) لَمْ يَخْفَرُوا : أَي لَمْ يَخْلَوْا بِمَا عَاهَدُوا عَلَيْهِ ، وَلَمْ يَعْسَفُوا : أَي لَمْ يَظْلَمُوا أَحَدًا .

خلعُ كأنوار الربيع مديحُ
 بهرتُ عيون الناظرين وأبرزتُ
 لو نالت الشمس المنيرة حسنها
 ولئن كبرت عن الملابس والحلى
 فالبيت يكسى وهو أشرف بقعةٍ
 ألمٌ فيه بقول من قال [من الكامل] :
 تزهى بك الخلعة الميمون طائرُها
 رجع :

كالشَّمس حَفَّت بالسعود وحوله
 وكأنَّ مجلسه عروسٌ تجتلى
 ما تشتهي الأذان تسمعه وما
 أو ما ترى حسن الزمان وطيبه
 عاد الربيع إليك في كانونهِ
 شمسٌ محجَّبةٌ وظلٌ سَجَسَجِ
 وعلى الجبال من الثلوج أكاليلُ
 نبأً تابشرت القلوب لذكره
 فلكلَّ عينٍ قرَّةٌ ومسرَّةٌ
 خدمُ كأمثال الكواكب وقَفُ
 والمادحون به قيانُ تعزفُ
 تهوى العيون من المناظر تطرفُ
 والجوَّ صافٍ والجنان تزخرفُ
 فشتاؤه للحسن صيفٌ صيْفُ
 وغمامةٌ سحٌّ وروضٌ رُفْرُ^(١)
 وعلى السماء من السحائب مطرُفُ^(٢)
 أذكى من المسك الذكيُّ وأعرفُ
 ولكلِّ نفسٍ عزَّةٌ وتغطرفُ^(٣)

(١) خلع : عطاء ، وثوبٌ ، ومقوَّفٌ : موثى ومزِين .

(٢) يسجفٌ : من سَجَفَ البيت : أي أرسل عليه السجف ، وهو الستر ، أو الستران المقرونان . بينهما فرجة ، والمراد بالبيت : الكعبة الشريفة .

(٣) السجسج : الذي لا حرَّفيه ولا برد .

(٤) المطرُف : الرداء من الحرير ذي الأعلام .

(٥) التغطرف : العجب والخيلاء .

وله من قصيدة في علي بن أبي القاسم [من المتقارب] :

| | |
|-----------------------------|---|
| معانٍ نظمت بهنّ الصبا | كما نظم الغانيات العقود |
| يباب الجديد لنا موقفاً | لبسنا به العيش غصّاً جديداً |
| وكم بالمحصب من ليلةٍ | شفعنا إلى الصبح أن لا يعودا |
| ويومٍ قصيرٍ بتلك القصو | ر تحسبه الغيد للحسن عيدا |
| تراه عبيراً وحصباءه | عقيقاً وأشجار واديه عودا |
| عليّ بن أبي القاسم أرفق بنا | فقد عاقنا الشكر أن نستريدا |
| لئن لم تملّ ندىً أن تفيد | لقد ملّ راجيك أن يستفيدا |
| وقالوا انتجعت حياً نازحاً | وهل عاق بعد الحيا أن يجودا ^(١) |
| سنا البدر يغشى الثرى والورى | جميعاً وإن كان منهم بعيدا |
| قوافٍ إذا ما رآها المشو | ق هزت لها الغانيات القدودا |
| كسون عبيداً ثياب العبيد | وأمسى لبيد لديها بليدا ^(٢) |
| ولو لم أكن محسناً نظمهنّ | لحسن قصدي إليك القصيدا |
| عرفنا بعرفك كيف الطريق | وجودك علّمنا أن نجيدا |

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي من نتفه [من الرمل] :

ثُقلاء الأرض عندي خمسةٌ صالح والابن منهم أربعة

ومن نتفه [من الوافر] :

تركت الشعر للشعراء، إنّي رأيت الشعر من سقط المتاع

وأنشدني له في أبي الحسن الغويري [من مجزوء الرمل] :

في حرٍّ أم الشعر أيرى لست أعني أير غيري

(١) انتجعت : قصدت ، والحيا : المطر .

(٢) عبيد : يريد عبيد بن الأبرص ، ولبيد : يريد : لبيد بن ربيعة ، وبليدا : مستقلا .

إنما يرفع قول الشعر أمثال الغويري

* * *

٢٠ - أبو القاسم غانم بن أبي العلاء الإصبهاني

شاعر ملء ثوبه ، محسن ملء فمه ، مرغوب في ديباجة كلامه ، متنافس في سحر شعره ، ولم يقع إلى ديوانه بعد ، وإنما حصلت من أفواه الرواة على قطرة من سبيح غرره ، وغيض من فيض ملحه ، ولا يأس من وجدان ضالتي المنشودة من مجموع شعره ، وقد مرت في الصاحبيات أبيات له قلائل إلا أنها قلائد ، وهذا مكان ما أحضر به من أخواتها الرائقة الفاتقة الشائقة .

أنشدني المعروف بالقاضي الإمام الأصبهاني قال : أنشدني أبو القاسم بن أبي العلاء لنفسه [من مجزوء الرجز] :

أصبحت صَبّاً دنفاً بين عناءٍ وكمد
أعوذ من شرّ الهوى بقلّ هو الله أحد

وأنشدني أيضاً قال : أنشدني أبو القاسم لنفسه [من الكامل] :

المستغاثُ من الهوى بالله من شادنٍ فتن الورى تيّاه
ما كنت أعلم قبله حرّ الهوى والوجد ما هو والصّبابة ماهي
حتى بليت أغنّ مدلاً كالريم يعصي في هواه الناهي
فمدا معي عبري وقلبي واله وجوانحي حرّى وصبري واهي

وله [من الخفيف] :

أيها الخشف كم أودّ وأجفى وأسام الهوان صنفاً فصنفاً
لو كشفت الغطاء عن سرّ قلبي لقرأت الأحزان حرفاً فحرفاً

إِنَّ نَفْسِي مَوْقُوفَةٌ بَيْنَ شَيْئَيْنِ — رَجَائِي عَلَيْهِمَا بَاتَ وَقَفَا
بَيْنَ أَنْ يَنْصَفَ الزَّمَانُ وَأَعْطَى أَمَلِي فَيْكَ أَوْ أَمُوتَ فَأَكْفَى

وَمِنْ قَصِيدَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

الطِّفْ بِطَرَفِكَ مَا أَرَدْتَ وَدَارِهِ لَا يَفْضَحَنَّكَ إِنْ مَرَرْتَ بِدَارِهِ
وَأَنْشَدَنِي لَهُ فِي نَفْسِهِ [مِنْ الْمَجْثُثِ] :

رَجَلِي وَأَيَّرِي وَبِيضِي فِي إِسْتِ أُمِّ الْقَوِيضِي
لَمَّا أَرَادَ هَجَائِي وَفِيضُهُ دُونَ غِيضِي^(١)
وَرَامَ تَدْنِيسَ عَرْضِي فَصَارَ خَرْقَةً حَيْضُ^(٢)

وَأَنْشَدَنِي أَبُو الْقَاسِمِ عَلِيِّ بْنِ الْكَرْخِيِّ لَهُ فَقَالَ [مِنْ الطَّوِيلِ] :

وَقَائِلَةٌ قَالَتْ فَلَانَةٌ طَلَّقَتْ فَقُلْتُ وَنَفْسِي أَطْلَقْتُ بِانْطِلَاقِهَا
تَزَوَّجَ قَلْبِي الْهَمُّ يَوْمَ تَزَوَّجْتَ وَطَلَّقَ قَلْبِي الْهَمُّ يَوْمَ طَلَّقَهَا

وَأَنْشَدَنِي الْأَمِيرُ أَبُو الْفَضْلِ لَهُ مِنْ قَصِيدَةِ يَعَاتِبُ فِيهَا الصَّاحِبَ وَيَسْتَبْطِئُهُ [مِنْ
الطَّوِيلِ] :

فَإِنْ قِيلَ لِي صَبْرًا فَلَا صَبْرَ لِلَّذِي غَدَا بِيَدِ الْأَيَّامِ تَقْتُلُهُ صَبْرًا
وَإِنْ قِيلَ لِي عَذْرًا فَوَاللَّهِ مَا أَرَى لِمَنْ مَلَكَ الدُّنْيَا إِذَا لَمْ يَجِدْ عَذْرًا

وَأَنْشَدَنِي أَبُو النُّصْرِ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ الْجَبَّارِ الْعَتَبِيُّ لَهُ مِنْ قَصِيدَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

وَرَدَّ الْبَشِيرُ بِمَا أَقْرَّ الْأَعْيُنَا وَشَفَى النُّفُوسَ فَنَلَنَ غَايَاتِ الْمَنَى
وَتَقَاسَمَ النَّاسُ الْمَسْرَةَ بَيْنَهُمْ قَسَمًا فَكَانَ أَجْلُهُمْ حَظًّا أَنَا

* * *

(١) دُونَ غِيضِي : أَيُّ أَقْلٍ تَمَّا يَجْبِسُهُ وَغَاضُ الْمَاءِ : ذَهَبَ فِي الْأَرْضِ وَغَابَ .

(٢) خَرْقَةُ حَيْضٍ : أَيُّ خَرْقَةٍ تَسْتَعْمَلُهَا الْمَرْأَةُ أَوَانِ الْحَيْضِ أَيُّ الْعَادَةِ الشَّهْرِيَّةِ .

٢١ - أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن

من حسنات أصبهان وأعيان أهلها في الفضل ، ونجوم أرضها وأفرادها في الشعر. ومن خراسان صاحب ومشاهير صنائعه ، وذوي السابقة في مداخلته وخدمته. وكان في اقتبال شبابه وريعان عمره ، يتولى خزانة كتبه وينخرط في سلك ندمائه ، ويقتبس من نور آدابه ، ويستضيء بشعاع سعادته فتصرف من الخدمة فيما قصر أثره فيه ، عن الحد الذي يحمده صاحب ويرتضيه كالعادة في هفوات الشبيبة وسقطات الحداثة . فلما كان ذلك يعود بتأديبه إياه وعزله ، ذهب مغاضباً أو هارباً ! وترامت به بلدان العراق والشام والحجاز في بضع سنين ، ثم أفضت حاله في معاودة حضرة صاحب بجرجان إلى ما يقتضيه ويحكيه في كتاب كتبه إلى أبي بكر الخوارزمي ، وذكر فيه عجزه وبجره^(١) ، وقد كتبت تنبيهاً على بلاغته وبراعة كلامه ، واختصاراً للطريق إلى معرفة قصته ، وهذه نسخته :

كتابي أطال الله بقاء الأستاذ سيدي ومولاي من الحضرة التي نرحل عنها اختياراً ، ونرجع إليها اضطراراً ، ونسير عن أفيائها إذا أبطرتنا النعمة^(٢) ، ثم نعود إلى أرجائها إذا أدبتنا الغربة ، ومن لم تهذب الإقالة هذبه العثار ، ومن لم يؤدبه والداه أدبه الليل والنهار . وما الشأن في هذا ، ولكن الشأن في عشر سنين فأت بين علم ينسى وغم لا يحصى ، وإنفاق بلا ارتفاق ، وأسفار لم تسفر عن طائل ، ولم تغن عني ريش طائر ، وبعد عن الوطن ، على غير بلوغ الوطن . ورجعت يشهد الله صفر اليدين من البيض والصفر^(٣) ، أتلو « والعصر إن الإنسان لفي خسر » ، وأنا بين الرجاء في أن أقال العثار ، والخوف من أن يقال زار الليث فلا قرار ، إلا أنني كنت قدمت تطهير نفسي فلججت حتى حججت ، وعدت بغبار

(١) عجزه وبجره : ما يديه ويخفيه من أحواله .

(٢) أبطرتنا : من البطر .

(٣) البيض والصفر : الدراهم والدنانير أو الفضة والذهب .

الإحرام ، وبركة الشهر الحرام ، وحين خيِّمت بأصبهان أنهى سيدنا الأستاذ الفاضل أبو العباس أدام الله تمكينه خبري إلى الحضرة العالية ، حرس الله بهاءها وسناءها ، والناس ينظرون هل أقبل فيتلقوني بأكبر الرتب ، أم أسخط فيتحاموني كالبعير الأجرب ، فورد توقيع مولانا الصاحب الجليل ، كافي الكفاة أدام الله مدته ، وكبت أعداءه وحسدته ، بعالي خطّه ، وقد نسخته على لفظه ، ليعلم مولانا الأستاذ أدام الله عزه أن الكرم صاحبي لا برمكي ، وعبّادي لا حاتمي ، وأنا نتجرّم ثم نتندّم ، ونميل على جانب الإدلال ، ثم لا نروى من الماء الزلال ، والتوقيع .

ذكر مولاي أدام الله عزه عود أبي محمد الخازن أيده الله للفناء الذي فيه درج ، والوكر الذي منه خرج . وقد علم الله أن إشفاعي عليه في اغترابه ، لم يكن بأقل منه عند إياه ، فإن أحب أن يقيم مديدة يقضي فيها وطر الغائب ، ويضع معها أوزار الآيب . فليكن في ظلّ من مولانا ظليل . ورأي منه جميل ، وبرّ من ديواننا جزيل . وإن حفزه الشوق فمرحباً بمن قربته التربية لدينا ، فأفسدته الغرّة علينا^(١) ، وردته التجربة إلينا . وسيله أن يرفد بما يزيل شغل قلبه بعياله ، ويعنيه على كل ارتحاله ، إن شاء الله تعالى .

هذه نسخة التوقيع الوارد على سيدنا الأستاذ أبي العباس ، أدام الله عزه في معنای ، فلا جرم أني أخذت مالا ، وأغنيت عيالا ، وقلت ليس إلاّ الجمّازة والمفازة^(٢) ، فصبحت جرجان مسی عاشرة أهدي من القطا الكدری ، كأنني دميمص الرمل أستاف أخلاف الطرق^(٣) ، وأنا مع ذلك أحسب العفو عني حلماً ، ولا أقدر ما جنيت يعقب حلماً ، فكأنني ما خطوت إلاّ في التماس قربه ، وما أخطأت إلاّ لتأثيل حرمه^(٤) ، وكأنني لم أفارق الظل الظليل ، وأخذ في بقول الله

(١) الغرّة : الجهل .

(٢) الجمّازة : الإسراع في الأرض ، والمفازة : الأرض الكثيرة الهلكة .

(٣) الدميمص : التلّ والكثيب الصغير ، وأستاف : أضرب بعضها ببعض .

(٤) تأثيل : تمجيد ، والأثيل : الأصل .

تعالى فاصفح الصفح الجميل ، فقد روى في التفسير أنه عفو من غير عتب ، وعدنا للقرب في المجلس ، وكرم اللقاء والمشهد ، وراجعت أيدينا ثقل الصرر ، وجلودنا لين الحبر^(١) . وركبنا صهوات الخيل ، وسبحنا الى دورنا بفضلات الخير . وأقبلنا على العلم ، وصافحنا يد النثر والنظم . وراجع الطبع شيئاً كان يدعي الشعر ، كذلك آدم أسكن الجنة بمنّ الله وفضله ، ثم خرج عنها بما كان من جرمه . وهو عائد إليها بفضل الله وطوله ، هذا خبري ، وأما كتاب سيدي الأستاذ أدام الله عزه فورد وذكرت قول سلم الخاسر * طيفٌ ألمٌ بذي سلم * لأنه حل محل الخيال ، وورد بأخصر المقال ، وما تركت السؤال عن خبره ساعة وردت . فعرفت من سلامته ما بشرت به فاستبشرت . وعلمت كيف كانت النكبة ، وكيف انحسرت المحنة ، وكيف اتفق الخروج إلى بخار المزن من المزني صاب ، بعد أن أصابه الدهر بما أصاب ، وشوقي إلى سيدي الأستاذ الشوق الذي كنت أصلى بناره ، وداري إزاء داره . ولم أستطع في التقريب أكثر من أن خرجت عن الموصل إلى جرجان ، وشارفت أدنى خراسان ، والله اللطائف التي تخلصتني من الموصل ، فإني كنت في وقعة باد أباده الله وعراني ممّا ملكت ، وهتكني فتهتكت ، وخرجت على مذهب مشايخنا في ضرب الحراب ، على صفحة المحراب . وهذا حديث طويل ، والكثير منه قليل . ذكر الأستاذ سيدي أن الشيخ أبا الفتح الحسن بن إبراهيم أخرّ عنه نسخة الرسائل مع خروج الأمر الناجز ، وقد عجبت من ذلك ، فإن أوامر الحضرة أقدار جارية ، وسيوف ماضية . وأنا أجري حديثاً ، وأنتجز كتاباً جديداً . فأما شعري فليس يروى إلا في ديوان باد ، منذ فارقت آل عباد ، وفجعت بكتبي جملة ، وضرب عليها أولئك اللصوص ضربة . بل عملت في تهنئة مولانا أدام الله سلطانه ، وحرس مكانه ، حين رزق سبطا نبويّاً علويّاً فأشرق الأرض ، ودعت السماء ، وأمنت الكواكب ، وقال الشعراء . وذلك أنه لما سمع الخبر قال [من البسيط] :

(١) الحبر : جمع حبرة وهي الثوب الناعم الجديد الموشى .

الحمد لله حمداً دائماً أبداً إذ صار سبط رسول الله لي ولداً
 فعلمت على ذلك ما قد أثبتته ، فإن يكن ليس بالمسخوط فمن بركة الحضرة
 والخدمة ، وإن يكن ممقوتاً فمن بقايا الغربة . ومن خبري أن لي ضيعة بأصبهان
 مقطعة ، وقد برقت لي في حلّها بارقة مطمعة^(١) ، لأن مولانا أدام الله مدته أمرني أن
 أعمل في السلطان العظيم ، أطال الله بقاءه مدحاً نيروزياً أشقّ بسموطه
 السماطين^(٢) ، هذا ولو كنت عاملاً لكنت اليوم في مرموق الدرجات ، فقد وردت
 ورأيت جماعة لم أكن يومئذ دونها ، وقد صارت في منازل أحتاج إلى خافية
 العقاب حتى ألحق بها ، زادهم الله ولا نقصني ، وهنامهم ولا نغصني . ومنهم
 شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله ، وما أقول إنه ليس بأهل لأضعاف ما خول
 وتخول به ومول . إذ قد تفضل الله عليه بما أعلم أنه لو حكم بما تحكم فيه وقد
 قرنت بالقصيدة في المولود المسعود أخرى عيدية أبقى الله مولانا ما عاد عيد ،
 وطلع نجم جديد ، وسقى الله سيدي الأستاذ العهاد ، والرذاذ ، والطل ، والوبل ،
 والديمة ، والتهتان^(٣) ، وجميع ما في كتاب المطر للنضر بن شميل ، فما رأيت أتمّ
 منه ، وحسي الله ، وصلواته على محمد وآله الطاهرين .

فهذا كلام كما تراه يجمع بين الجزالة والحلاوة ، وحسن التصرف في
 لطائف الصنعة ، ويملك رق الإتيان ، والإيداع والإحسان ، ويعرب عما وراءه
 من أدب كثير ، وحفظ غزير ، وطبع غير طبع ، وقريحة غير قريحة . فأما شعره
 فجار مجرى عقد السحر ، مرتفع الحسن عن الوصف ، وما أصدق قوله [من
 البسيط] :

لا يحسن الشعر ما لم يسرق له حرّ الكلام وتستخدم له الفكر

(١) برقت : ظهرت وخطرت .

(٢) السماطين : السباط : الصفّ ، وسباط الطريق جانبه .

(٣) العهاد والرذاذ والطل والوبل والديمة والتهتان جميعها من صفات هطول المطر .

انظرُ تجد صور الأشعار واحدةً وإنما لمعانٌ تعشق الصّور
والمقدمون من الإبداع قد كثروا وهم قليلون إن عدّوا وإن حصروا
قومٌ لو أنّهم آرتاضوا لما قرضوا أو أنّهم شعروا بالنقص ما شعروا
وكان أبو بكر الخوازمي أنشدني لمعاً يسيرة من شعر أبي محمد ، كقوله في
وصف غبار الركب ، وذكر أنه لم يسمع في معناه أملح منه . وأجمع لأقسام الحسن
والظرف ، وهو [من الخفيف] :

إنّ هذا الغبار ألبس عطفِي سواداً ودينِي التّوحيد
وكسا عارضِي ثوب مشيبٍ ورداء الشّباب غصّ جديد
وقال في الغزل [من الكامل] :

حُثّ المطيّ فهذه نجدُ بلغ المدى وتزايد الوجد
يا حبّذا نجدُ وساكنُها لو كان ينفع حبّذا نجد
وبمنحني الوادي لنا رشاً قد ضلّ حيث الضال والرند^(١)
هندُ ترى بسيفٍ مقلتها ما لا ترى بسيفها الهند

وأعطاني نسختي القصيدتين اللتين ذكرهما في الكتاب الصادر ، فشوقني
إلى سائر شعره ، وبقيت أسأل الرياح عنه ، إلى أن أتحنني أبو عبد الله محمد بن
حامد الحامدي في جملة ما لا يزال يهديه إليّ من ثمرات أرضه ، ولطائف بلده
بالعقيلة الكريمة ، والدرّة اليّيمة ، من مجموع شعر أبي محمد ، وقد كانت حضرة
الصاحب جمعتهما ، ومناسبة الأدب ألقت بينهما ، فأوجب من الاعتداد ، وفر
الأعداد ، وجمعت يدي منه على العلق النفيس ، فرتعت في روضته الأنيقة فيينا أنا
أباهي به ، وأهتز لحصوله ، إذ أصابه بعض آفات الكتب ، وامتدت إليه يد بعض
الخونة [من الطويل] :

(١) الرشأ : الغزال ، والضال ، والرند : من الأشجار الطيبة الرائحة .

وسهم الرزايا بالذخائر مولعٌ وأيُّ نعيمٍ لا يكدره الدهرُ
فصنع الله تعالى في القوارع من إخراج ما يصلح لكتابي هذا منه ، فمن ذلك
قوله من قصيدة في الاستعطاف والاعتذار عند تغير الصاحب عليه واستمرار الأسفار
بأبي محمد [من الوافر] :

| | |
|--|--|
| <p>أيا من عفوه داني السحابِ مديدُ الظلِّ معقود الأواخي فكيف حجبت عنك وأنت شمسٌ أيرتج باب عفوك دون ذنبي وإعراض الوزير أشدُّ مساً ثنى غربي وقلَّ شبا شبابي ولم تبق الليالي في بُقياً فهب لزيارتي خطئي ، وعمدي فما في الأرض إلّا من يراني كأنّي قد أثرتُ بهم ذئاباً حصلت وكنت ضيفك في الثريّا أعدني للقري واجعل جوابي وجُدْ برضاك فهو العيش غضاً ولو زعت الحسام العضب سخطاً</p> | <p>صديق البرق ثقاب الشهابِ على الجانين مضروب القباب تجلُّ عن التستر بالحجاب وعفوك لم يشن برتاج باب^(١) على الأحرار من ضرب الرقاب وصبّ عليّ أسواط العذاب^(٢) لعتب منك فضلاً عن عقابي لقصدي ، واغتراري لاغترابي بعين المحنق الضرم الضباب^(٣) أو استفرت منهم أسد غاب وصرت ولست ضيفك في التراب وإيجابي جفاناً كالجوابي^(٤) وكلّاً فهو ريعان الشباب لذاب ذبابه بين القراب^(٥)</p> |
|--|--|

(١) يرتج : يقفل ، ويشن : يعاب .

(٢) الغرب : الحدة والنشاط ، وفلّ : قطع .

(٣) الضرم : الغضب ، والضباب : العابس .

(٤) الجفان : القصع ، أو ما يسكب فيه الطعام من الآنية ، والجوابي الجران : الواسعة التي تسقى منها الحيوانات .

(٥) الذباب من السيف : طرفه الذي يضرب به .

أعيزك أن تصيخ إلى عدوي وسمعتك عن هنات القول نابي^(١)
على أنني أتوب إليك ممّا كرهت فرقاً لي وأقبل متابي
وإن لم تغف عن ذنبي سريعاً فها إنني وحقّ أبي لمابي
سألثم من ثراك الروض غصّاً ومن يملك منهلّ السحاب
أصبت بخاطري فأتى بشعرٍ عليلٍ مسّه ألم المصاب
وما لي غير مدحٍ أم ثناء مشيدٍ أم دعاءٍ مستجاب

وقوله من قصيدة في معناها هي أحسن عندي من اعتذارات النابغة إلى
النعمان وإبراهيم بن المهدي إلى المأمون وعلي بن الجهم إلى المتوكل [من
الوافر] :

لنار الهمّ في قلبي لهيبٌ فغفواً أيها الملك المهيّبُ
فقد جاز العقاب عقاب ذنبي وضجّ الشعر واستعدى النسيب
وفاضت عبرة مهجّ القوافي وغصصها التذلل والنحيب
وقد قصمت عراها واعتراها بسخطك بعد نضرتها شحوب
وقالت ما لعفوك ليس يندى لنا وسماء مجدك لا تصوبُ
ومن يك شوط همته بعيداً فمئني عطفه سهل قريبُ
تجاوزت العقوبة منتهاها فهبّ ذنبي لعفوك يا وهوب
وأحسن إنني أحسنت ظني وأرجو أن ظني لا يخيب
أترضى أن أكون لقي مقيماً على خسفٍ أذوب ولا تثوب^(٢)
أبيت ومقلتي أبق كراها وفي ألحاظها صاب صيب^(٣)
وقيذاً لا يلائمني طعامي ولا ينساع لي الماء الشروب^(٤)

(١) تصيخ : تستمع ، وهنات القول : أي القول المعيب .

(٢) اللقي - كفتى - المطروح ، وجمعه ألقاء .

(٣) أبق : هارب ، والصاب : عصارة شجر الصاب الشديد المرارة .

(٤) الوقيد : المريض .

صَبَّيْتُ عَلَيَّ سَوْطاً مِنْ عَذَابٍ
وَأَرْهَقْنِي نَكِيرَكَ لِي صَعُوداً
وَمَا عَوْنِي عَلَى بِلَوَايَ إِلَّا
فَإِنْ تَعَطَّفَ عَلَى رَجُلٍ غَرِيبٍ
عَلَيْكَ أَنْيَخَ آمَالِي فَرَحْبُ
وَأَخْطَرُ مَا يَرِيبُ إِذَا دَهَنِي
فَأَيُّ طَرَبَةٍ لِلْعَفْوِ إِنَّ الْكَرِيمَ
فَإِنِّي نَشَأُ دَارَكَ وَالْمَغْدَى
وَأَبْتُ إِلَيْكَ مِنْ عَفْوٍ مَدلاً
وَلَذْتُ بِيَابِكَ الْمَعْمُورَ عِلْماً
وَأَنْ شَعَابَهُ أُنْدَى شَعَابٍ
وَسَقَتْ بَنَاتِ آمَالِي إِلَيْهَا
فَبُوثْنِي اخْتِصَاصَكَ حَيْثُ تَجْنِي
وَلَكِنْ كَادَنِي خَبٌ حَقُودُ
وَمَا لَجْمُوحِ أَلْفَتِهِ جَنِيبُ
وَلَا يَشْفِيهِ مَنِّي لَوْ رَأَنِي
بَلُوتِ النَّاسِ مِنْ نَاءٍ وَدَانٍ
فَكُلُّ عِنْدَ مَغْمَزِهِ رَكِيكُ
فَجَدْتُ لِي بِالرُّضَا وَاقْبَلْ مَتَابِي

يَذُلُّ لِبَاسِهِ الدَّهْرَ الْغُلُوبَ
مِنَ الْأَشْجَانِ لَيْسَ لَهُ صَبُوبُ
رَجَائِي فِيكَ وَالذَّمْعُ السَّكُوبُ
فَإِنِّي ذَلِكَ الرَّجُلَ الْغَرِيبَ
بِهَاءٍ، وَإِلَيْكَ مِنْ ذُنُوبِي أَتُوبُ
غَوَامِضُهُ إِلَى مَا لَا يَرِيبُ
وَأَنْتَ مَعْنَاهُ طُرُوبُ
بَسِيكَ وَالصَّنِيعَةُ وَالرَّيْبُ
بِمَا يَقْضِي عِلَاكَ لِمَنْ يُوُوبُ^(١)
بَأَنَّ ذَرَاكَ لِي مَرَعَى خَصِيبُ
إِلَيْهَا يَلْجَأُ الرَّجُلُ الْأَدِيبُ
وَقَدْ حَفِيتُ وَأَنْضَاهَا الدَّءُوبُ^(٢)
ثَمَارَ الْعِزِّ وَالْعِيشَ الرَطِيبُ
لِعَقْرِبِ كِيدِهِ نَحْوِي دَبِيبُ^(٣)
وَمَا لَشِمَالِ فَرْقَتِهِ جَنُوبُ^(٤)
وَقَدْ أَخَذَتْ بِحَلْقُومِي شَعُوبُ^(٥)
وَخَالَطَنِي الْقَبَائِلُ وَالشُّعُوبُ
وَكُلُّ عِنْدَ مَشْرَبِهِ مَشُوبُ^(٦)
وَعَذْرِي، إِنَّنِي أَسِيفٌ كَثِيبُ

(١) أبَت : عدت .

(٢) أنضاهها : عرّاهها .

(٣) الخَبُ : المخادع .

(٤) جنِيب : مرافق وجنوب : الريح التي تهب جنوباً .

(٥) الشُّعُوب : الموت والهلكة .

(٦) المغمز : التجربة والاختبار ، ومشوب : ممزوج .

طريحٌ في فنائك مستضامٌ
أأمنعُ من بوادي العلم منعاً
وأحرمُ من كلامك كلَّ بدعٍ
فلم لا ينتهي ويكفَّ عني
وغاية ما يصير إليه شعراً
ومن سقيا سحابك جاد طبعي
غريبٌ لا يكلمني غريب
كأني ليس لي فيها نصيب
تناهيه النواظر والقلوب
عقابك بعد ما انتهت الذنوب
إذا استعطفْتَ أو مدحُ مصيبُ
ولولا الغيث لم ينبع قلب^(١)

وكتب إلى أبي العلاء بن سهلويه وقد ورد بغداد رسولاً وأبو محمد بها قصيدة منها
[من الكامل] :

أبأ العلاء وردت أكرم موردٍ
وحويت في الحاليين شأوَ مبرِّزٍ
وخدمت شاهنشاه أحسن خدمةٍ
أبلغ رسالتِي الوزير وقلْ له
ويضيءُ آفاقي ويمرع مرتعي
بحياته قسم الكرام وعهدهم
واذكر موالاتي الصريحة إنها
وكفاك علمك بي ووَدِّي شاهداً
خذها إليك شذور طبعٍ لاعبٍ
وكأنَّه في حسنه وروائه
أهديت من حلواء باب الطلق ما
وأشدَّ منه حلاوة شعري الذي

وله من أبيات عملها بديهة لينشد صاحب [من المتقارب] :

(١) القلب : البئر .

أبيتُ قديتك إلاَّ الغضبُ
وأمرضت شعري وأحرضته
بل اشتكت الغرر السائراتُ
وحال الجريض دوين القريض
وقد كان شعري قضى نحوه
وأنتك تحنو على سرحه
وتوقد من ناره ما خبا
بكى غزلي حسن ورد الخدود
وأعرض منخزلاً بعد ما
فلا توحش المهرجان الذي
وأنظم باسمك عقد العلا
فهب لي ذنبي فأنت الشفيـع لا غير والمرء مع من أحب
وردٌ إليَّ نعيم الرضا
وما لي ذنبٌ فإن كان لي
متى يرض عني كافي الكفاة

على أخويك الندى والأدبُ
وشيّت تشبيبةً المقتضب^(١)
وصاحت دواوين شعر العرب
وضرب العاسيب دون الضرب^(٢)
فامسكه عفوك المرتقب
وتغزر من مائه ما نضب
وتطلع من نجمه ما غرب
وضرب بين اللَّمى والشنب^(٣)
تألق من حسنه والتهب
بنظمي يرى السامعين العجب
وأنشر عنك نضار الحسب
فأنت الشفيـع لا غير والمرء مع من أحب
ولا تصلني بجحيم الغضب
فذنـب حقيرٍ قصير الذنب
بلغت المراد ونلت الأرب

وله من صاحبة ذكر فيها براءه من مرض عرض له [من الكامل] :

كذبت سعود المشتري فلو أنها
ما مسّه ألمٌ ولكن هزةً
حرمتُ سعادة جدّه لم تنجح^(٤)
ما هزَّ إفرنـد الحسام المصفح

(١) الجرض : الهلاك .

(٢) الجريض : الغصة ، من الجرض وهو الريق يغصّ به ، والقريض : الشعر ، و « حال الجريض دون

القريض » مثل يضرب للأمر يقدر عليه أخيراً حين لا ينفع ، وأوّل من قاله : عبيد بن الأبرص قاله
للنعمان . وقد ورد عليه في يوم يؤسه .

(٣) اللَّمى : سمرة في الشفة ، والشنب : عذوبة الأسنان .

(٤) الجدّ : الحظ .

نفض الأذى عن جسمه والروض قد
ما بحث عنه سوى قذى والعين لا
عادت سلامته وأظهر دهره
ومن أخرى [من الكامل] :

ما زلت أعتسفُ المهامه والفلا
حتى نأيت عن الحواضر ملقياً
فاذا بسعدي وهي بدرٌ طالع
وطرقتها وعداتها رقبأوها
فحللت منها حيث كان وشاحها
وجنأوها حصني وساحر طرفها
وعقاصها الموصول زهرة روضتي
حيث الصبأ عبق الحواشي مونقٌ
والروض أحوى والحمائم هتفٌ
ولها ديارٌ غير شرقيّ الحمى
دارٌ بذى الأرطى ودارٌ بالغضا
لو فاخرت ذات العماد بيوتها
لا تكذبنّ فما لها دارٌ إذا

ينفي الهشائم وهو غير مصوّح^(١)
تصفو من الأقداء ما لم تضرح^(٢)
ندم المنيب وتوبة المستصفح

وأواصل الأغوار بالأنجاد^(٣)
رحلي بوادٍ في تخوم بوادي
من فوق غصنٍ في نقاً منهاد^(٤)
في صورة المرتاب لا المرتاد
درعي وساعدها الوثير وسادي
سيفي وفاحمها الأثيث نجادي^(٥)
ورضاها المعسول صوب عهادي^(٦)
ترهى بناعم غصنها المياد
والظلُّ ألقى والقيان شوادي^(٧)
شحطت وشطّت عن لقاء أعادي
أخرى ودارٌ باللوى المنقاد
عادتُ مقوَّضةً بغير عماد
أنصفتني إلا صميم فؤادي

(١) مصوّح : محطّم .

(٢) تضرح : تنحّى وتبعد .

(٣) المهامه : الصحاري ، والأغوار والأنجاد : أي المنخفضات والأعلى .

(٤) منهاد : أي ناهد وهي المرأة التي ارتفع ثديها .

(٥) الفاحم : الشعر الأسود ، والأثيث : المتداخل والنجاد : ما يعلّق به السيف .

(٦) العقاص : خصلات الشعر المضفورة .

(٧) أحوى : من كانت به حوة وهي لون صدأ الحديد سمرة إلى حمرة . وألقى : من كان في شفته سمرة مائلة

إلى السواد .

فلذاك لا تسقي السحاب أرضها إلا بردن حرارة الأكباد
 ما أبدع هذا المعنى وأبرع هذا اللفظ !! وقد سبق إلى معنى البيتين ولكنه
 أبدع في الجمع بينهما وأحسن ما شاء .
 ومنها :

| | |
|-----------------------------|----------------------------|
| ولرب ليلٍ لم أنمهُ، ومقلتي | مطروفةً مطروقةً بسهاد |
| شوقاً إلى نادٍ جنى ريحانه | لمع القريض ونغمة الإنشاد |
| نادٍ تجلّى عن مقرّ سريره | قمر أناف على البسيطة بادي |
| كافي الكفاة المستجار بظله | والمستضاء بعزمه الوقاد |
| ملكٌ محبته سلافة مزنة | ملكٌ مع الأرواح في الأجساد |
| ملكٌ يقال له حماد إذا التقت | قحم السنين ولا يقال جماد |

وهي طويلة ، وما من أبياتها إلا غرة أودرة .
 ومن أخرى [من الطويل] :

| | |
|-----------------------------|---|
| ولما تنسّمنا صبا صاحبية | تعيد عجاج الجوّ وهو عبيرٌ |
| تركنا لظى الرمضاء وهي حديقة | ندىٌ وحصى المعزاء وهي شذور ^(١) |
| ونلنا هشيم النبت وهو منورٌ | وردنا قتاد الأيك وهو حرير ^(٢) |

ومنها :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| وزيرٌ ومما يعجب المجد أنه | وزيرٌ عليه للسّماح أمير |
| ويخطب من فوق الثريّا بفخره | فلا تعجبوا إنّ الخطيب خطير |

(١) الرمضاء: شدة الحرّ، والمعزاء: الأرض الكثيرة الحصى . وشذور: القطع من الذهب تلتقط من معدنه .

(٢) القتاد : الشوك .

لوى الراسيات الشمَّ أيسر سخطه ويكفي من السمِّ النقيع نقيراً^(١)
وذلل أعناق الليالي بهمةٍ لها مرقبٌ فوق الأثير وثيرٌ
وخمرَ رأياً لم يشطَّ ثباته فطورٌ ورأي الأكثرين فطير^(٢)
له القاضيات الماضيات مهتدٌ مبيرٌ وعزمٌ كالشهاب منير^(٣)
وما كان للجوزاء لولا جوازه مجازٌ وللشعري العبور عبور
تساعده الأقدار فيما يريده وتسعده الأفلاك كيف تدورُ
أواري بكرٌ أبداً صفٌ صعداته وقد عقدت منها عليك حبور
وصفٌ بأسه إذ ظلَّ يصدم وحده ثلاثين ألفاً والجسور جسور

سبحان الله ! ما أشرف هذا الكلام وأعلاه وأجله !!

ومنها :

وألوية النصر المبين خوافقُ تطيح بأشتات العدا وتطير
وقد كشرت عن نابها أم قشعمٍ وللموت في وجه الكمّي هرير^(٤)
وفي يده اليمنى ثوابٌ وجنةٌ وفي يده اليسرى ردىٌ وسعيرٌ
ولي مدحٌ فيه غواجرٌ روائحُ أشيد مدى عمري بها وأشير
ووصف نسيبٍ لو أعير كثيراً لوفّي تعظيماً وقيل كثير

وله من قصيدة في فخر الدولة [من الطويل] :

سقى الله أياماً بشرقيٍّ منبجٍ إلى العلم الأقصى بغربي منبجٍ
إلى الحيرة الغناء مطمح ناظري ومسرح آمالي ومسرى تفرّجٍ

(١) النقيع : القليل .

(٢) يشطّ : يتوه ويفارق ، فطورٌ : خالقٌ .

(٣) مبير : مهلك .

(٤) أم قشعم : الضبع ، والهرير : صوت القوس والكلب دون النباح .

لما اهتزَّ غصنٌ في نقا مترجرج^(١)
ولا راع سحرٌ تحت أكحل أدعج
على صفحتي تَفَاح خدٌ مضرج
محاسنها أعطاف جذعٍ مدبج
حدا طرباً والليل غضبان مدجي
هوى عامرٍ ما بين حجلٍ ودملج^(٢)
وفاحت غوالي روضها المتأرج
ويا سابقي عرجٍ ويا صاحبي عج
ويا شيبتي احتجي ويا صبوتي ادرجي
بخطٌ على فودي غير مسبج^(٣)
لقد صرت في طمرٍ من الشيب منهج^(٤)
تحاط بأطراف الوشيج المزجج^(٥)
وتزري بأنواع الربيع المشجج^(٦)
بكابٍ ولا باب العطاء بمرتج

منازل لو لم تخطُ سعدي بأرضها
ولا راق درٌ فوق أشنب واضح
ولم يتحدّرَ ظلٌ نرجسٍ مقلّة
عشية هزّت للوداع فأودعت
فكم غردٍ لَمّا استقلَّ ركابها
وكم ثملٍ من نشوة الحب يرتعي
أقول وقد لاحت عوالي خيامها
أيا طارقي أحججٍ ويا رائدي ابتهج
ويا عبرتي كَفّي ويا ناقتي قفي
فقد كتبت أيدي المشيب مواعظاً
لئن كنت في بردٍ من العيش مبهج
ولذت من الدهر العسوف بحضرة
هي الحضرة الغناء تهتزُّ نضرة
هنالك لا زند الرجاء لمرتج

هكذا فلتمدح الملوك ، وأبيات هذه القصيدة فرائد كلها ، وقد كتبت
أنموذجاً منها .

وله من أخرى في وصف الربيع [من الكامل] :

-
- (١) النقا المترجرج : الكتيب المتموج .
(٢) الحجل والدملج : أي الخلاخيل والأساور .
(٣) غير مسبج : أي بخط أبيض لأن السبج هو السواد .
(٤) الطمر : الثوب البالي ، والمنهج : الرث .
(٥) الوشيج المزجج : أي الرماح .
(٦) المنجج : الذي تسقيه الأمطار الغزيرة .

نعم السماء وأبدئي وأعيدي
 بلسان كل مطوق غريد
 طويت لها أبراد آل يزيد
 في ظلها إلاّ بورد حدود
 أحسن بنظرة عائِد ومعود
 من مزنة حثت بجيش رعود
 تركت عبيداً وهو بعض عبيدي
 زهراً طوالع في سماء قصيدي
 يتناثر العقيان حول نشيدي
 وليضرع الراقود للناجود^(١)
 فوق الحدود طلائع التوريد
 عليها مفرقها بتاج خلود

طلع الربيع فقال للأرض أشكري
 فغدت حدائقها تواصل شكرها
 روض إذا نشرت طرائف وشيه
 ريان لم يعثر نسيم صبايتي
 واعتل نرجسه فعادته الصبا
 وبيل مسكي الصعيد معنبر
 وزففت حرة مدحة فخرية
 وأنا الذي أجلو معاني مدحه
 يتنافس السحر الحلال ، وتارة
 فليفترع أبكار لذات المنى
 راحاً إذا كمنت جلت من حجبها
 ولتجل دولته عروساً كللت
 وله من أخرى [من الكامل] :

وتميس بين ربائب أو ربرب
 شمس الضحى وتردّها في مغرب
 في موكب الفتیان أعجب موكب
 لم ينتطق خصر السماء بكوكب
 مغروسة في أرض عاج مذهب
 لتغير فقد انثنى لتغيّب^(٢)
 رجل متى أصف المعالي أطيب^(٣)

سمراء تخطر في الوشاح المذهب
 هيفاء تعذل كل يوم مرة
 عقدت لواء الحسن ليلة أقلت
 في ليلة لو لم تجد بتسم
 خجلت وقد وجلت فهك شقائقاً
 وأرى الشباب إذا تطامن شرخه
 ولئن أطلت فقد أطبت وإنني

(١) يفترع : يفتض ، والراقود : إناء كبير عميق والناجود : الإناء الذي يجعل فيه الشراب .

(٢) شطا من شرخه : انخفضت قوته وحدته .

(٣) أطيب : أطيل .

أطري وأطرب منشداً فليستمع شاهانشاه نشيداً مطرب مطرب^(١)

* * *

٢٢ - أبو العلاء الأسدي

قديم الصحة للصاحب ، شديد الاختصاص به . ممتد الغرة والتحجيل في شعرائه وصنائه وندمائه . وكان يحبه ويأنس به . ويكاتبه نثراً ونظماً كقوله له [من السريع] :

قلبي على الجمرة يا أبا العلاء فهل فتحت الموضع المقفلا
وإياه يعني بقوله [من البسيط] :

أبا العلاء هلال الهزل والجدد كم النجوم التي يطلعن للجدد
وإليه كتب « أبا العلاء شيخي ، أين ذلك الميعاد ؟ وأين تلك العهود سقتها
العهاد ؟ وأين ليالينا بحزوى ، وتصايينا على أروى ؟ بل أين الصبا وما ملك ؟
وأين الشباب وأية سلك ؟ وإذ قد غاب جميع ذلك مغيب الخيال الطارق ،
والضيف المفارق ، فأين كتبك التي هي ألد من انتهاء النفس إلى رجائها ، وابتداء
العين في إغفائها » من كتاب غير قصير .

فأما شعر أبي العلاء فليس بالمحل العالي ، لا سيما في المدح ، وقلة عيونه
تمنع من إيراد بعد قلائد ولديه أبي سعيد وأبي محمد ، ولما كان بعيد الصيت في
أصحاب الصاحب لم أجد بداً من ذكره وكتابة ملح من أملح شعره .

أنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني أبو العلاء لنفسه ، قال : وأراه
عرّض بالصاحب [من الطويل] :

(١) مطر : أي مدح .

وربُّ كريمٍ تعتريه كزازةٌ كما قد رأيت الشوك في أكرم الشجرِ
وربُّ جوادٍ يمسك الله جوده كما يمسك الله السحاب عن المطرِ

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

سيسألني صديقي عنك فيما يدور من المسائل والحكاية
فأطرقُ إن سئلت لغير شكوى وإطراقِي أشدَّ من الشكاية

وله أيضاً ، وهو ما يتغنى به [من الخفيف] :

لا لعمرى ما أنصفوا حين بانوا حلفوا لي أن لا يخونوا فخانوا
شتتوا بالفرق شملِي ولكنَّ جمعَ الله شملهم أين كانوا

وله في المجون [من الخفيف] :

أنا والله أشتهيك فكن عــــــنــــترأ أن شئت أو كعمرو بن معدي
وتفارسٌ إن شئت أو فتراجلُ ليس هذا مما يضرُّك عندي

* * *

٢٣ - أبو الحسين الغويري

هو في الاختصاص بالصاحب ، والاشتهار في أصحابه ، كأبي العلاء ،
وكان كثير الشعر ، قليل الملح ، وكانت في خزانة الأمير أبي الفضل عبيد الله بن
أحمد مجلدة ضخمة الحجم من شعر الغويري بخطه ، فاستعرتها واجتمعت أنا
وأبو نصر سهل بن المرزبان على إخراج ما هو شرط كتابي هذا منها ، فما أقل ما
حصلنا عليه من ذلك . ولم نجد له خيراً من الأبيات الدارية التي مرت في
أخواتها ، ومن أشف ما وقعت العلامة عليه من ذلك قوله في الاعتذار من هفوة
السكر [من المجتث]

| | |
|------------------|--------------------------------|
| بالله ربّ السماء | بخاتم الأنبياء |
| بسيّد الأوصياء | بزوجّه الزهراء |
| بالييت والبطحاء | بالقبر في كربلاء |
| حلفت ما لي ذنبٌ | الذّنْب للصهباء |
| وليس لي من شفيعٍ | إليك غير رجائي |
| فكنّ محقّق ظنّي | يا غرّة الوزراء |
| فجرح سكري جبارٌ | كالجرح من عجماء ^(١) |

وقوله في الصاحب والبيت الأخير مضمن [من الكامل] :

| | |
|----------------------------|------------------------------|
| قل للوزير مقالةً عن واجدٍ | يا من نداه كالفرات الزائد |
| ما لي حرمت من الأمير نواله | وسواي يكرع في الزلّال البارد |
| ما ضاقت الدنيا عليّ بأسرها | حتى تراني راغباً في زاهد |

وقوله من قصيدة رباعية [من الخفيف] :

| | |
|--|----------------------------|
| أيّها الصاحب الربيع تجلّى | في رياضٍ تحارّ فيها العقول |
| نرجسٌ ناضرٌ وأحمر وردٍ | وشقيقٌ يزينه التكهيل |
| وغصونٌ تجرّ أذيال نورٍ | في حواشي جداولٍ وتميل |
| للزرازير في خلال الأزاهير صفيرٌ وللحمام هديل | |
| فأقيمُ رسمنا صبيحة نيرو | ز به ربع أنسنا مأهول |
| بكؤوسٍ مملوءةٍ من مدامٍ | أنت فيها لمن حساها عذول |
| واجتنبُ جلسة الثقليل إليها | فعلى الشرب لا يخفّ الثقليل |

وله من مهرجانية [من مجزوء الرمل] :

(١) الجبار : سدّ الحاجة ، وإصلاحها ، والعجماء : البهيمة أو الرّملة التي لا شجر فيها .

أسيوفُ الهند سلَّتْ أمَ ظبا أجفان هند^(١)
يا لأيام الصِّبا والعيش في أكناف نجد
ربَّ حَسناء رداحٍ ألصقت خدًا بخد^(٢)
أطبقتُ صفرة دينا رٍ على حمرة ورد
أيُّها الصاحب عليا ك على الأيام تعدي
وعلى جدواك قد عوّلت في حلِّي وعقدي
مهرجانُ ثغره يفتترُّ عن يمنٍ وسعد
ورده وردُّ جسادٍ فاح عن مسكٍ وند
فابق ما شئت كما شئت لتنويلٍ ورفد

وله [من مجزوء الكامل] :

يا أيُّها الشيخ الذي هو مشتكاي من البشر
أصبحت أختار العمى في ناظريَّ على البصر
أسفأ على عمرٍ يكـدُّه لقاء أبي عمر

* * *

(١) سلَّتْ : شهرت ، والظُّبا : الحد من السيف والرمح والسهم .
(٢) رداح : الضخمة الثقيلة الأوراك .

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطارئين على حضرة الصاحب من الآفاق

سوى من يقع ذكره منهم في أهل خراسان وطبرستان فإن لهم باباً مفرداً في هذا الربع الثالث ، وسوى أبي طالب المأموني ، وأبي بكر الخوارزمي ، وبديع الزمان أبي الفضل الهمداني ، فإن لذكر كل منهم مكاناً في الربع الرابع .

٢٤ - أبو الحسن علي بن محمد البديهي

من شهرزور كثير الشعر ، نابه الذكر ، خليفة الخضر^(١) . سمعت أبا بكر الخوارزمي يقول : وقد جرى ذكره بين يديه ، إنه كان لا يرجع من البديهة التي انتسب إليها وتلقب بها إلا إلى لفظة الدعوى ، دون حقيقة المعنى ، وفي ذلك يقول له الصاحب [من الوافر] :

تقول البيت في خمسين عاماً فلم لُقبْتَ نفسك بالبديهي
ثم أقبل عليّ وقال : أنا أقول في البديهي ما قاله الجاحظ في عمرو
القصافي زعم أنه قال الشعر ستين سنة فلم يسر له إلا هذا البيت الواحد [من البسيط] :

(١) خليفة الخضر : أي كثير الترحال والمعمّر طويلاً .

خوصٌ نواجٍ إذا جدَّ الحداة بها رأيت أرجلها قدَّامَ أيديها^(١)
وكذلك البديهي قال شعراً كثير العدد ، في زمان طويل المدة ، فلم يستملح
له إلا هذا البيت [من الخفيف] :

أتمنى على الزمان محالاً أن ترى مقتلتي طلعة حرّاً
وهذا الحكم منه فيه حيف شديد على البديهي ، فليس شعره في سلامة
المتون وقلة العيون على ما ذكره ، والبيت الذي أشار إليه من أبيات بديعة أولها
[من الخفيف] :

ربّ ليلٍ قطعتَه باجتماعٍ معَ بيضٍ من الأخلاءِ غرّاً
وكانَ الكؤوسُ زهرُ نجومٍ والثريا كَأَتْهَا عقدٌ درّاً
مرّ من كنتَ أصطفيه وللدهرِ صروفٌ تشوب حلواً بمرّاً^(٢)

ومن سائر شعر البديهي قوله [من البسيط] :

يا شهرزور سقيت الغيث من بلدٍ نوذٍ - وجداً به - أنا نقابلُهُ
طال الفراق فلا وافٍ يرأسلنا على العباد ولا آتٍ نسائلُهُ
وله من قصيدة صاحبة وكان صاحب أخذَه معه من بغداد إلى أصبهان أولها [من
الخفيف] :

قد أطعتُ الغرامَ فاعصِ العذولا ما عسى عائبُ الهوى أن يقولَا
وصحبناه في فيافٍ قفارٍ كاد فيها الخليل يجفو الخيلا^(٣)
فبلونا منه دماءة أخلا قِ أعادت تلك الحزون سهولا^(٤)

(١) الخوص : النوق ، والنواجي : السراع .

(٢) الصروف : الأحداث والغير، وتشوب : تمزج .

(٣) الفيافي : الفلوات ، والخليل : الصاحب .

(٤) بلونا : وجدنا واختبرنا ، والدماءة : اللين والسهولة ، والحزون : الأرض الصعبة المسالك .

وأوينّا إلى رحابِ رحابٍ لم نجد للعفاة عنها عدولا

وله من تشبيب قصيدة [من الطويل] :

ولم أرَ لي يومَ الرحيل مساعداً على الوجد حتّى أقبل الدّمع مسعدا
وكان دماً فابيضٌ منه احمراره بنار التّصابي حين فاض مصعدا

أخذه من قول من قال [من الطويل] :

أرابك دمعي إذ جرى فحملتني من الضّرّ والبلوى على مركبٍ صعب
فلا تنكرنّ تلك الدموع فإنّما يبيّضها تصعيدها من دم القلب
وللمعروفي بالفارسية في معناه .

خون سيّد بارم بردورخان زردم آرى سيّد باشد خودل معد

وله من قصيدة أخرى ذكر فيها حسن أيامه [من الخفيف] :

كيف تقضي ليّ الليالي قضاءً يشبه العدل والليالي خصومي
ربّ ليلٍ قطعته في هوى الشعر كأنّ الشعرى العبور نديمي
فتأمّل فلست في الخلق والخلق المرادين بالذمّيم الذمّيم
أنا من آلة الندى فلو أحضرتني لم يعب نداماك خيمي^(١)
يرتضى مشهدي ويؤمن غيبي وأرى في الملمّ غير مليم

ومن نوادر شعره قوله [من الكامل] :

لمّا أتيتك زائراً ومسلماً خرج الغلام وقال إنّك نائمٌ
فأجبتّه أبلا لحافٍ نائمٌ هذا المحال وأنت عندي ظالمٌ

(١) الخيم بكسر الخاء : السجية والطبع .

أنت اللّحاف فكيف تطعم عينه طعم الرّقاد وأنت عنه قائم
فتضحك الرشأ الغرير وقال لي أو أنت أيضاً بالفضيحة عالم
والله ما أفلت منه ساعة حتى حلفت له بأنّي صائم

وما يتغنى به من شعره قوله [من الطويل] :

ذريني أوصل لذتي قبل فوتها وشيكاً لتوديع الشباب المفارق^(١)
فما العيش إلّا صحّةً وشيبةً وكأسٌ وقربٌ من حبيبٍ موافق
ومن عرف الأيام لم يغترّر بها وبادرَ باللذات قبل العوائق^(٢)

* * *

٢٥ - أبو القاسم الزعفراني عمر بن إبراهيم

من أهل العراق ، شيخ شعراء العصر ، وبقية ممن تقدمهم ، واسطة عقد ندماء الصاحب ، وما هم إلا نجوم الفضل وهذا منهم كالبدر ، وكانت له في صحبته وخدمته هجرة قديمة ، وله حرمة وكيدة ، وحاله عنده كما قرأت في كتاب له وأما شيخنا أبو القاسم الزعفراني أيده الله فصورته لدى صورة الأخ ، أو وده أرسخ . ومحلّه محل العم ، أو اشتراكه أعم .

وكان - مع حسن ديباجة شعره ، وكثرة رونق كلامه ، واختلاط ما ينظمه بأجزاء النفس لنفاسه - لين قشرة العشرة ، ممتع المؤانسة ، حلو المذاكرة ، جامعاً آداب المنادمة . عارفاً بشروط المعاقرة ، حاذقاً بلعب الشطرنج ، متقدم القدم فيه ، وحين سرى في طريق الرشد بمصباح الشيب ، وساعد الصاحب على رفض الشراب ، ونفض تلك الأسباب ، أرادته فخر الدولة على مجالسته وأخذته بنفض

(١) الوشيك : السريع العاجل .

(٢) بادر : بدأ وباشر ، والعوائق : الموانع .

ختام توبته ، ودرت عليه بحسن رأي صاحب سحائب إنعامه ، وأجنت له ثمرات
إكرامه ، ففي ذلك يقول من قصيدة [من الخفيف] :

هاتها لا عدمت مثلي نديما قهوة تنتج السرور العقيما
قد أطعت الأمير إذ سامني الشر ب ولم أعص أمره المحتوما
وتخطيت توبتي في هواه فوصلت التي هجرت قديما
قرقفا تنتمي إلى الشمس لا تعرف في جنسها الكرى والكروما
خالفت دنها الغليظ فرقت واستفادت من السموم نسيما^(١)
كُرمت عنصراً فلو مت فيها أبخل الناس غادرته كريما^(٢)
وكأني لما رجعت إليها كنت من كل لذة محروما
كم عقار صليت منها بنار فحكيت الخليل إبراهيم
وكؤوس شربت منها سروراً كاد يهوي والجلد ينمي هموما
قد وجدت الروض الأريض حميماً ووجدت الخسيف عاد حموما^(٣)
شافهت بي مناي بالقرم فخر الدولة اليوم جنة ونعيما^(٤)
وبلغت الذي تمنيت واستخدمت فاخترت مجلساً مخدوما
ورآني الأمير أيده الله ليباً فقال كن لي نديما
جهل الرزق موضعي ورأى آ ثار شاهنشاه فصار عليما
أرشدته إلي كفو كريم ألزمته أن لا يكون لثيما

وكان قد نادى أخاه عضد الدولة ، وله فيه القصيدة الشطرنجية التي لم يسبق

إلى مثلها ، وهي نهاية في الحسن والظرف ، فمنها [من الخفيف] :

(١) السموم : الريح التي تهب صيفاً وهي شديدة الحرارة .

(٢) مت : مُدَّ ووصل بها .

(٣) الحميم : الماء الحار : والخسيف : البثر التي تحفر في مكان متحجر فتنبع بماء كثير .

(٤) شافهت : أوجدت وحصلت ، والقرم : السيد .

لي فؤادٌ لو أنَّه لي غريمٌ كان عذري لديه أنِّي عديم
 وأنا مبتلىٌ بقلبي الذي أقعد فيما يسومني وأقوم
 ليس يدري لجهله وهو يقضي أنَّ كلِّي بما جناه زعيم
 غصبتني عليه خودٌ وقالت أنا من قد عرفت واسمي ظلومٌ
 هو ثأرٌ نالته يمناي فاطلبه بحربٍ يشيب فيها الفطيم^(١)
 وانشئتُ بي إلى مجالٍ فسيحٍ تدمنُ الرُّكض فيه زنجٌ وروم
 فأقمنا صدور فرسان حربٍ خلف رجالة لها لا تريم^(٢)
 وإذا استقدمتُ تقدمتُ الخيل وطاب الطراد والتصميم
 فالتقى العسكران في حومة النقع أسودٌ على أسودٍ تحوم
 كلُّ فيلٍ نُجَّت من الصلَم أذنا ه وأودى ناباه والخرطوم^(٣)
 وطمرٌ إذا علتَه العوالي غاب فيها وعاد وهو سليم
 فاختلفنا وجال في الحرب فرزا ني وقال الكميُّ من لا يخيم^(٤)
 ثم نادى شاهي برخيه كبراً ليس بعد الوقوف إلّا الهجوم
 فأحاطا بشاهنا في مضيقٍ ضاق ذرعاً بمثله المكظوم
 ثم أزعجته بفيلي فولَّى مستكيناً كما يولِّي اللثيم
 وكشفت العراء عن وجه رخي فعراه الحمام وهو ملیم
 فتخفَّت من الحياء وغطَّت ورد خدٌّ كأنَّه ملطوم
 ثم قالت خذِ الفؤاد سليماً إن حبس المرهون عارٌ ولوم
 ولشتان بين خيلي في الغيِّ وخيل صراطها مستقيم
 قارع الدهر فوقها عضد الدو لة حتى انتهى إلى ما يروم

-
- (١) الفطيم : الطفل الذي فصل عن الرضاع .
 (٢) لا تريم : لا تفارق ولا تبعد أي تثبت في المواجهة .
 (٣) نُجَّت : نزعت وسلخت، والصلَم : القطع .
 (٤) الفرزان : من حجارة الشطرنج ، ويخيم : يتراجع .

فأباد العدا وقام به الدين وركن الخلافة المهذوم
وَسْتَقَرَّتْ بِهِ زَلَّازِلُ بَغْدَا د وَعَادَ الْخَلِيفَةُ الْمَظْلُومُ
وَمِنْ غَرَرِ قِصَائِهِ فِي فَخْرِ الدَّوْلَةِ [مِنْ الْكَامِلِ] :

لو عاينتُ عيناكَ بركةَ زلزلٍ
عمرتَ دورَ قيانها بك جامعاً
وبسطتَ كفيَّ باذلٍ متخرِّقٍ
وسمعتَ ما يدعو النفوس إلى الهوى
وشربتَ صافيةً كأنَّ شعاعها
وغدوتَ مخموراً جنب هوى إلى
فسرحتَ بين قدودها وخدودها
وملكتَ منهنَّ التي لو أنَّها
وثويتَ في قفرٍ بشاطيءٍ دجلةٍ
متنقلاً من روضةٍ مهضوبةٍ
ورقدتَ بالنجميَّ رقدةً شاربٍ
وسباك صوتَ خريرِ ماءٍ سائحٍ
وسعيتَ سعيّاً في البطالة والصبا
ولقلتَ وأسفاً على القصف الذي
لا أتبعُ الأعراب إنَّهم قوَّضوا

ونزلت من عرصاتِها في منزلٍ^(١)
بين الغزالة والغزال الأكحلِ
فأقمت غير محلىءٍ عن منهلٍ^(٢)
طرباً ويفتح كلَّ قلبٍ مقفلٍ
لهبُ الحريق من الرحيق السلسلِ
جُجِرَ الجواري غدوة المتغزلِ^(٣)
ونهودها طرف الشَّجي المتأملِ
طيفُ لفزت بقربه المتخيِّلِ
ما بين مزمارٍ وعودٍ معملٍ^(٤)
حلَّت إلى الروض الذي لم يحلِ
تحت الغصون وحملها المتهدِّلِ^(٥)
وشجاك تغريدُ الحمام المهدِّلِ
لم يدر دمعك في محلٍ محولِ
لم أجنه بالقفص أو قطربُلٍ^(٦)
من مجهلٍ حتى أخطَّ بمجهلٍ

(١) العرصات : الساحات .

(٢) المتخرِّق : المتلف ، ومحلَّى : حابس ومانع .

(٣) المتغزل : المشبَّب والمتودَّد .

(٤) معمل : أي يضرب عليه .

(٥) المتهدِّل : اليانع المتدلي .

(٦) القفص وقطربُل : إسمان لمكانين .

وصرير أرجاء السرير بمسمعي
 فالكرخ دارُ اللهو أعذبُ مشرعاً
 لا درُّ درُّ العيش في مترجِعِ
 خفضُ عليك وكلُّ خفضٍ إنما
 والعيش عندي ما حبيت بدره
 قد ألفت الدنيا أزمتهَا إلى
 فاطربُ سروراً بالزمان وحسنه
 وقوله من نيروزية [من الخفيف] :

بي سكرٌ ما ولَّدتهُ العقار
 أنا من غادرته أيدي المطايا
 أيها الليل عَقَّهم بدياجيك وهيهات ذاك فيهم نوار
 عادةٌ ما دجا عليها ظلامٌ قطُّ إلاَّ ليلٌ علاه خمارٌ
 يا ربيع الربيع للعيش من بعد اصفرارٍ براحتيك اخضرارٌ
 لا يحول الذي بكفك يسقي بل يحول الذي سقاه القطار^(١)
 فهنيئاً بطيب فصلٍ ويومٍ زار فيه نيروزك الزوار
 يخصب المجد في ذراك وتخصُّرُ الأيادي وتورق الأخبار
 وتغنِّيك في الندي طيورٌ أنا وحدي من بينهن الهزار^(٢)
 ومن غرر قصائده صاحبة قوله من قصيدة [من الطويل] :

(١) الصرير : الصوت .

(٢) دارة جلجل : أي تلك التي ذكرها امرؤ القيس في شعره .

(٣) حال : تغيَّر وزال ، والقطار : جمع قطر ، وهو المطر .

(٤) الندي : مجتمع القوم ، والهزار : وهو طائر العندليب ، وفارسيته : هزارستان ، وله أسماء أخرى بالفارسية .

وليلٍ دعاني فجره فلقيته
إذا شئت خضنا في حديث منمنمٍ
يردّ شبابي وهو عنيّ شاسعٌ
ومنها في المدح [من الطويل] :

لقد أعتقتني نعمةً لك أطلقتُ
فإنّ أنتسب كان انتسابي إلى أبي
ومن أخرى [من الطويل] :

وصرت إلى الباب الذي ليس دونه
فما شمت إلّا بارقاً كان صادقاً
وقوله من أخرى [من البسيط] :

مُسَدَّدٌ ضربت أيام دولته
هدى إلى الحقّ وانهلّت يداه ندىً
لي عند جرجان ثارٌ سوف أطلبه
حتى أراه فأستغني برؤيته
وقوله فيه ، وقد أزمع الورود عليه والطريق مخيفة [من مجزوء الكامل] :

يا شوقٌ قد قُرَبَ السفر ودنا الرحيل المنتظر
وغداً بإذن الله أو تاليه يظهر ما استترُ
ويسير بي التيسير في زمرٍ بأيديهم زبر^(٤)

(١) عِمْنَا : تنعمنا وشربنا، وإلّرحيق : الخمر، والمعنّى : القديم .

(٢) القد : أصله الجلد الذي تخصف به النعال ، وأراد هنا ما تغلّ به اليد .

(٣) المعنّى : المحرّر .

(٤) الزبر : جمع زبرة وهي القطعة العظيمة من الحديد .

سيراً يشتر بالسعا دة والسّلامة والظّفر
 سينيّف بي الفرس الأغــــر غداً على الملك الأغـر^(١)
 يا حاديي تيقّنا أني أفارق من فتر^(٢)
 وينال رفدي منكما ماضٍ يقهقه إن عثر
 لا يقشعر إذا دنا منه الغضنفر أو زار
 وردي ووردكما سري ينسيكما ذكر الصدر^(٣)
 إن جال في عيني الكرى رفقاً فأعقبها العور^(٤)
 لا زلت أبدع في السرى فعلاً تعاضمه القدر^(٥)
 وأشقّ قلب الليل عن ولدٍ يقال له السّحر
 حتى يقول الحزن لي والسّهل لست من البشر
 وتقول خوص تجائي لا خاب سعيك يا عمر
 إن الجليل من الثوا ب لمن يدقّق في النّظر
 سأغضّ عن زهر الكوا كب أو يعنّ لي القمر
 إني أخفّ إلى البحو ر ولا أسفّ إلى المطر^(٦)
 وإذا لقيت الصاحب المأمون أدركت الوطر
 وإذا جلست علوت ديباجاً وسائده بدر^(٧)
 وإذا ركبت مشى عبيدي في المناطق والحبر^(٨)

(١) ينيف : يشرف .

(٢) فتر : ضعف وسكن .

(٣) الورد : الاشراف على الماء ، والصدر : الرجوع عنه .

(٤) رفقاً : أي من أجل رفيقي بنفسي .

(٥) السرى : المسير ليلاً .

(٦) أسفّ : أطلب وأقصد ، وأسف الرجل : أي طلب الأمور الدنيئة .

(٧) بدر : أكياس من المال .

(٨) المناطق : جمع منطقة وهو ما يشدّ به الوسط من الثياب ، والحبر : الأنوب الناعمة الجديدة المقوّفة .

وأقيم مبتسماً إقاً مة من ي زاد إذا شكر
 في نعمة تصفو عليّ به وأخرى تنتظر
 ذكروا فساداً طريقنا واستشعروا منه الحذر
 قلتُ أركبوه على الذي فيه وإن عظم الخطر
 فالله خيرُ حافظاً واسمُ الوزير لنا وزر^(١)
 إن كان غاب فخوفه في كلِّ قلبٍ قد حضر
 ملكٌ تخرُّ له الملو ك الصيّد من مدِّ البصر
 فالطيب فوق لحاهمُ وجباههم تحت العفر^(٢)
 وأجلّهم من جدٍّ منـه إليه في وقت النّظر
 جرجان ما نصبي ولا دأبي إليك على غرر^(٣)
 فيك الذي من ماله لحمي وجلديّ الشّعـر
 لولا ابنُ عبادٍ رأيتُ الصّبرَ أفضلَ مدّخر
 وسلكت في زهدٍ عن الـ دنّيا سبيلُ من انزجر

واعتل قبل ورده فقال ووصله بهذه القصيدة [من مجزوء الكامل] :

قد كنت أحسب أن عيني سوفُ تظفر بالنظر
 وفي سبيلهم أحمصيك وما وطئت من العفر^(٤)
 وإذا بلغتكَ سالماً في النفس أدركت الوطر
 حتّى منيت بعائقٍ ينهى العليل عن السّقر
 حمى يعاضدها السّعا ل وما برجلي من خدر
 ولعلّ سيدنا إذا عرف المعوّق لي عذر

(١) وزر : عونٌ وحى .

(٢) العفر : ظاهر التراب .

(٣) النصب : التعب والجهد .

(٤) الأخص : ما لم يصب الأرض من باطن القدم .

وقوله من أخرى في فخر الدولة [من الطويل] :

حبيبٌ عليه من سناه رقيبٌ يصدُّ الدُّجى عن وجهه فيغيبُ
تيمَّمني والليل في طرقاته فلمَّا تبدَّى حال عنه مريبٌ^(١)
تحمَّل لوم الشمس فيه وجاءني هلالٌ عن البدر المنير ينوب
فكان لراحي وارتياحي ومجلسي وكلِّي بطيبِ الوقت منه نصيب
وساعدني ليلي وأرعى سدوله وهبٌ نسيمٌ للحياة نسيب
وأنعمتَ حتى ليس يشاق عاشقٌ حبيباً ولا ينوي الإياب غريب

ومنها في المدح [من الطويل] :

ومزمعٍ حجٍّ ينثني عنك ماضياً ويذكر ما أوليته فيؤوب^(٢)
عممت الورى بالبرحى كأنما يردُّ عليهم من لهاك غصوب^(٣)
وعرَّفتهم طرق الثناء فكلُّهم على طبقاتٍ شاعرٌ وخطيب
رأى المزن ما تعطي فضمَّ على الأسى فؤاداً كأنَّ البرق فيه طيب
وكم لاح برقٌ وابتسمت لشائمٍ فكنت صدوق الوبل وهو كذوب

وقوله من أخرى فيه [من المنسرح] :

يا سامع الزُّور فيَّ لي ذِمٌّ منها الضنى في هواك والسَّقمُ
أنت الذي دُنت بالسَّجود له حتى لقد قيل ربُّه صنمٌ^(٤)
ولي فؤادٌ غدوت ماله بلا شريكٍ فليس ينقسم
حتى إذا صرت في ذرى فلك الـ أمة حيت التقت به الأمم

(١) تيمَّم : قصد نحوي ، وتبدَّى : ظهر .

(٢) المزمع : إسم الفاعل من أزمع ، وهو المجمع على الأمر الثابت عليه .

(٣) اللهى : العطايا أو أفضلها وأجزؤها .

(٤) دنت : خضعت واعتقدت .

خِيَّمْتُ فِي دَوْلَةٍ مُجَدَّدَةٍ خِيَمَ فِيهَا الْوَفَاءُ وَالْكَرَمُ
وَقُلْتُ لِلسَّفَرِ قَدْ وَصَلْتُ إِلَى مَنَاسِكِ ، رَحَلِي ، وَنَاقَتِي لَكُمْ
أَكْرَمَ بِحَظِّي لَقَدْ أَتَى فَمَحَا مَا خَطَّهُ فِي جِينِي الْعَدَمُ
وَلَهُ مِنْ قَصِيدَةٍ فِي الصَّاحِبِ يَصِفُ فِيهَا عِلَّتَهُ بِجَرَجَانٍ وَتَأْذِيَهُ بِهَوَائِهَا وَبِرَاغِيهَا
وَبَقِهَا وَيَسْتَأْذِنُهُ لِلْعُودِ إِلَى أَصْفَهَانَ [مِنْ الْوَافِرِ] :

أَلَا يَا حَيُّ جَادَتَكَ الْغَوَادِي مَجْلَلَةَ الْعِزَالِي وَالْمَزَادِ^(١)
وَلَا زَالَتْ رَبَّكَ تَفُوحٌ مَسْكَاً يَضُوعٌ نَسِيمُهُ فِي كُلِّ نَادِي
فَاتِكَ جَنَّةُ الدُّنْيَا لَثَاوِ أَقَامَ بِخَيْرِ أَمْصَارِ الْبِلَادِ
وَأُمٌّ لِلْغَرِيبِ فَكُلُّ آتٍ نَظِيرُ بَنِيكَ عِنْدَكَ فِي الْوِلَادِ
فَوَاسَفِي عَلَى زَمَنِ جَنَى لِي وَدَادُكَ وَاجْتَنَى لَكَ مِنْ وَدَادِي
كَذَا الْمَلِكُ ابْنُ عِبَادٍ عِمَادِ الْهَدَى وَرَدَى الْعِدَا وَحَيَا الْعِبَادِ
وَمَنْ بَرَقَاهُ دُونَ ظَبَاهِ أُسْرَى فَأُصْلِحَ بَيْنَ غِيْكَ وَالرَّشَادِ
وَجَادَ فَكَانَ أَجْرِي مِنْ سَحَابٍ سَقَى زَهْرَ الرُّوَابِي وَالْوَهَادِ
وَقَدْ أَصْبَحْتُ بَعْدَكَ فِي بَلِيدٍ دَرِيَّةٌ كُلٌّ دَاهِيَةٌ نَادِي^(٢)
وَلَوْلَا أَنْ سَيِّدَنَا بِهِ لَمْ تَكُنْ جَرَجَانُ تَشْنَى مِنْ قِيَادِي
أَقَمْتُ بِهَا أَعَالِجَ كُلِّ بَوْسٍ مِنْ الْأَعْلَالِ لَا الْعِيشِ الْمَهَادِ
تَحَدَّثْنِي بِحُمَى لَوْ تَبَدَّتْ بِخَيْرِ الْحَقَّتْهَا بِالْبَوَادِي
مَلَاذِمَةٌ إِذَا لَسَعْتَ شَقِيًّا فَكُلُّ زَمَانِهَا وَقْتُ الْعِدَادِ^(٣)
تَعَاوَنَهَا عَلَيَّ سَمُومُ صَيْفٍ بَلْفَحٍ مِنْ لَظَاهُ وَاتَّقَادِ
وَذَبَّانُ أَشْرَدَهَا فَتَابِي وَتَرْجَعُ كَالْمَرَاغَمِ ذِي الْكِيَادِ

(١) جادتك : حلَّتْ بِدِيَارِكَ ، والغوادي : السحاب الممطر ، والعزالي : جمع عزلاء وهي مصب الماء .

(٢) الدرية : على زنة فعيلة - ما يتعلَّم عليه الطعن ، والنادي : النازلة .

(٣) وقت العداد : وقت الموت ، أو وقت احتياج الألم .

أفرق بين ذي سغب وزاد^(١)
فأني حين يطرق في جهاد
يطلُّ عليَّ إطلال الجراد
براغثه وخمشي في طراد
فعالُ النار في يس القتاد^(٢)
بعوج كالمباضع في الفصاد
عليَّ وهنٌ كالهيم الصوادي^(٣)
دمى فأنال ثاراً من أعادي^(٤)
وتجمع بين جفني والسهاد
لحالت بين طرفي والرقاد
وعطف الردن وهو لهنٌ بادي
بوجه مجدرٍ قلقٍ الوساد
فيحسبني جربت ذوو عنادي
بما ضاقت به حيلي وآدي^(٥)
ولا ليلٌ يقيني منه فادي
وعبدي لا يجيب إذا أنادي
فأذكر ضيق لحدي وانفرادي
أزود بها وما يغني ذيادي^(٦)

كأنني حين أطردها وتأبى
ويا ويلي من الليل الموافي
له جيشاً براغيثٍ وبقٌ
ولي فرشٌ هي الميدان فيه
وبقٌ فعله في كلِّ عضوٍ
عصائبٌ ينتحين على عروقي
فتروى ثم ترجع عاطفاتٍ
وأنقف بعضهنَّ وفي حشاها
تفرق بين جنبي والحشايا
ولو أتني ثملت وملت سكرًا
وأستر دونها وجهي بكفي
وأظهر في صباحي كلَّ يومٍ
وأدمن حكَّ ما تركت بجسمي
وقد وقف الوزير وزير على بلائي
وإنني لا نهار أقرُّ فيه
صديقي في دجا ليلي عدوي
وأترك في ظلام دجاء وحدي
وفي يمناي مروحةً فطورًا

-
- (١) السغب : الجوع .
(٢) القتاد : شجر صلب شوكه كالإبر .
(٣) الهيم : الأبل العطاش .
(٤) النقف : كسر الهامة عن الدماغ ، والمراد : أخذها وإماتها .
(٥) الآد : الصلب والقوة .
(٦) الذياذ : الدفع والطرء ، كالذود .

وطوراً أستريح إلى انتصابي وطوراً أنثني ويدي اعتمادي
وعلمني البعوض بلطم خدي خلّاق لسنّ من شيمي وعادي^(١)
فهل للصاحب المأمول عطفٌ على عجزني عن الكرب الشّداد
بإذنٍ لست أسأله اختباراً ولكنّ اضطراري في ازدياد
شقاءٌ لا يعاقبه رخاءٌ وبلوى تستنيم إلى التّماذي
وسيدنا أدقُّ الناس حدساً وأعرفهم بدخلةٍ من يصادي^(٢)
وحسبي ما بلّاه في اختياري وشاهد من ولائي واعتقادي

وأنشدني أبو بكر الخوارزمي ، قال : أنشدني الزعفراني لنفسه [من الخفيف] :

لي لسانٌ كأنّه لي مُعادي ليس ينبي عن كنه ما في فؤادي^(٣)
حكم الله لي عليه فلو أنصف قلبي عرفت قدر ودادي
وأنشدني له من قصيدة فصلية هذين البيتين ، وأظهر إعجاباً شديداً بهما ، [من الوافر] :

وفصلٍ فيه للأرض اختيالٌ لأنّ جميع ما لبست حرير
وللأغصان من طربٍ ثنٌّ إذا جعلت تغنيها الطيور

* * *

٢٦ - أبو دلف الخزرجي الينبوعي

مسعر بن مهلهل

شاعر كثير الملح والظرف ، مشحوذ المدية في الجدية ، خنق التسعين في

(١) الخلائق : أي أخلاق ، وشيمي : صفاتي .

(٢) الحدس : قوة التوقع ، والدخلة : الإضرار والبطوة ، يصادي : يداري .

(٣) ينبي : يخبر ، وكنه : معنى ونية .

الإطراب والاعتراب ، وركوب الأسفار الصعاب ، وضرب صفحة المحراب
بالجرب . في خدمة العلوم والآداب . وفي تدويخه البلاد يقول من أبيات أنشدنيها
أبو الفضل الهمذاني [من الهزج] :

وقد صارت بلاد الله في ظعني وفي حلّي
تغايرن بلبشي و تحاسدن على رحلي^(١)
فما أنزلها إلّا على أنسٍ من الأهل

وكان يتتاب حضرة صاحب ، ويكثر المقام عنده ، ويكثر سواد غاشيته
وحاشيته ، ويرتفق بخدمته ، ويرتزق في جملته ، ويتزود كتبه في أسفاره ،
فتجري مجرى السفاتج في قضاء أوطاره^(٢) ، وكان صاحب يحفظ مناكاة^(٣) بني
ساسان حفظاً عجيباً ، ويعجبه من أبي دلف وفور حظه منها ، وكانا يتجاذبان
أهدابها ويجريان فيما لا يفتن له حاضرهما ، ولما أتخفه أبو دلف بقصيدته التي
عارض بها دالية الأحنف العكبري في المناكاة وذكر المكدين والتنبية على فنون
حرفهم وأنواع رسومهم وتنادر بإدخال الخليفة المطيع لله في جملتهم وقد فسرهما
تفسيراً شافياً كافياً اهتز ونشط لها وتبجح بها وتحفظ كلها وأجزل صلته عليها ، وقد
كتبت معظمها بأخرة ، وكان السلامي هجاه بالأبيات التي أولها [من الخفيف] :

قال يوماً لنا أبو دلفٍ أــــبرّدُ من تطرُقُ الهموم فؤادَـ
لي شعراً كالماء قلت أصاب الــــشيخ لكن لفظه برّاده
أنت شيخ المنجمين ولكنّ لست في حكمهم تنال السّعادة
وطبيبٍ مجربٍ ما له بالــــحــــذق في كلّ من يجربُ عادة

(١) اللبث : الإقامة ، والتغاير : التحاسد من الغيرة .

(٢) السفاتج : من السفنجة ، وهي أن تعطي مالا لشخص ما على أن تسترده من عميل له في بلد أنت
تقصده .

(٣) يحفظ مناكاة : أي القصيدة التي تجمع حيلهم وألاعيبهم .

مرَّ يوماً إلى مريضٍ فقلنا قرَّ عيناً فقد رزقت الشَّهادة

فقال له أبو دلف [من البسيط] :

ظلَّ السَّلاميُّ يهجوني فقلت له حيث قلبي ومعشوقي وأستاذي
إن لم تكن ذاكرةً بالريِّ صحبتنا فاذكر ضراطك من تحتي ببغداد

وأنشدني عون بن الحسين الهمداني ، قال : أنشدني أبو دلف الخزرجي
الينبوعي لنفسه في أبي عبد الله العلوي [من مجزوء الكامل] :

لولا النبيُّ محمدٌ ووصيُّه ثمَّ البتول^(١)
لعلمت أنِّي شاعرٌ أسمُ الرِّجال بما أقول^(٢)
لكنني أعرضت عن ذاك الحديث وفيه طولُ
وتركت للخمر الخما ر ، وجبَّذا تلك الشمول

وأنشدني أبو علي محمد بن عمر البلخي ، قال : أنشدني أبو دلف
الخرزجي لنفسه في إنسان كاتب بالدينور يقال له المشقاع [من الكامل] :

يا من يسألني عن المشقاعِ قد ضاق شعري عنده ورقاعي
كاتبته في حاجةٍ عرضتُ لنا فكأنني كاتبٌ وحش القاع
نعم الفتى لو لم تكن أخلاقه ممزوجةً بتوابل الفقاع^(٣)
أنا مثله في جنسه من طرزه إن لم أضرَّطه على الإيقاع

وأنشدني بدیع الزمان لأبي دلف ، ونسبه في بعض المقامات إلى أبي الفتح
الإسكندري [من مخلع البسيط] :

ويحك هذا الزمان زورٌ فلا يغرَّتْكَ الغرورُ

(١) البتول : أي فاطمة الزهراء عليها السلام .

(٢) أسم : أصف وأنعت .

(٣) الفقاع : التوابل الفاسدة الخبيثة .

زَوْقٌ وَمَخْرِقٌ وَكُلٌّ وَأَطْبَقٌ وَاسْرِقْ وَطَلَبِقْ لِمَنْ يَزُورُ^(١)
لا تلتزم حالةً ولكنْ درُ بالليالي كما تدورُ

* * *

وهذا ما اخترته من قصيدته الساسانية^(٢) التي أولها [من الهزج] :

جفونٌ دمعها يجري لطول الصدِّ والهجرِ
وقلبٌ ترك الوجد به جمراً على جمرٍ
لقد ذقت الهوى طعمين من حلوٍّ ومن مرٍّ
ومن كان من الأحرار ر يسلو سلوة الحرِّ
ولا سيما وفي الغربة أودى أكثر العمر
تعريت كغصن البان ن بين الورق والخضر
وشاهدت أعاجيباً وألواناً من الدهر
فطابت بالنوى نفسي على الإمساك والفطر
على أني من القوم السبهايل بنى الغر^(٣)
بنى ساسان والهامي السحمي في سالف العصر
تغرّبنا إلى أنا تناءينا إلى شهر
فظلّ البينُ يرمينا نوى بطناً إلى ظهر
كما قد تفعل الريح بكُثبِ الرمل في البر^(٤)

(١) طلبق : كذّب واختلق .

(٢) نوساسان قومٌ من العيّارين والشطّار لهم حيلٌ ونوادير ، وقد وضعوا لهم اصطلاحات وألفاظاً اخترعوها
تجدها منشورة في هذه القصيدة ، ولصفيّ الدين الحلّي قصيدة أخرى اسمها القصيدة الساسانية في خمسة
وأربعين ومائة بيت ، وفي مقامات بديع الزمان الهمذاني مقامة اسمها « المقامة الساسانية » فيها كثير
من حيلهم .

(٣) السبهايل : السادة الكرام .

(٤) الكُثب : جمع كتيب ، وهو التلّ من الرمل .

فطبنا نأخذ الأوقا ت في العسر وفي اليسر
فما نفكك من صمّي وما نفترّ من متر
فأحلى ما وجدنا العيش بين الكمد والخمر
الصمّي : الشرب ، والمتر ، والكمد : هو النيك .

فنحن الناس كلّ الناس في البرّ وفي البحر
أخذنا جزية الخلق من الصّين إلى مصر
إلى طنجة بل في كلّ أرض خيلنا تسري
إذا ضاق بنا قطرٌ نزلُ عنه إلى قطر
لنا الدنيا بما فيها من الإسلام والكفر
فنصطاف على الثلج ونشتو بلد التمر
فنحن الميزقانيون لا ندفع عن كبر^(١)
همّ شتّى فسلني عنهم ينبيك ذو خبر
فمنا كل كمّاذ اللبوسات مع الهرّ
ومنا كل صلاحٍ بكيدٍ وافرٍ نكر

الكمّاذ : النيك ، واللبوسات : الأحراح ، والهر : الدبر ، والصلاح :
الذي يصلح أي يجلد عميرة ، والكيد : الأير .

قد استكفى بكفّيه عن الثيّب والبكر
فلا يخشى من الإثم ولا يؤخذ بالمهر
ولا يحذر من حيضٍ ولا حملٍ على طهر
ومنا الكاغ والكاغاة والشيشق في النحر^(٢)

الكاغ والكاغاة : المتجانن والمتجاننة ، والشيشق : الحداثد والتعاويد

(١) الميزقانيون : هم أصحاب الكدية ، وميزق : كدى .

(٢) قال الجاحظ : الكاغ الذي يتجنن ويزيد حتى لا يشك أنه مجنون لا دواء له ، لشدة ما ينزل بنفسه ،
وحتى يتعجب من بقاء مثله على مثل حالته .

التي يلقونها على أنفسهم .

وأشكالٌ وأغلالٌ من الجلد أو الصُّفَر
ومن دروز أو حر زأو كوز بالدغر

دروز : إذا دار على السكك والدروب وسخر بالنساء ، حرز : إذا كتب
التعاويذ والأحراز ، كوز : إذا أقام في المجلس ، والمكوز : هو الذي يقوم في
مجالس القصاص فيأمر القاص أصحابه بإعطائه ثم إذا تفرقوا تقاسموا ما أعطوه .
والدغر : المقاسمة .

ومن درّع أو قشّع أو دمع في القرّ

درع : إذا جاء الهراس وطلب قصعة من الهريسة فإذا أعطاه إياها لحسها ،
قشع : إذا مشى وعينه إلى الأرض لطلب القطع ، دمع : إذا بكى في الأسواق عند
البرد حتى يعطى .

ومن رعس أو كبّسس أو غلّس في الفجر

رعس : إذا طاف على حوانيت الباعة فأخذ من هنا جوزة ومن هنا ثمرة
وتينة ، كبس : إذا دار فإذا نظر إلى رجل قد حل سفتجته كبسه وأخذ منه قطعة ،
غلّس : إذا خرج إلى الكدية بغلّس .

وحاجورٌ وكذابا ت أهل الأوجه الصفر

الحاجور : الذي يثقب بيضة ويجعلها في حجره وهي تسيل ماء أصفر ،
الكذابات : العصابات يشدونها على جباههم فيوهمون أنهم مرضى .

ومن شطّب أو ركب للضربات والعقر

شطب : إذا عقر نفسه بالموسى وجعل يكذب على الأعراب والأكراد
واللصوص ، ركب : إذا طلى جسمه بالشيرج حتى يسود جلده وأوهم أنه جلد أو
لطمته الجن ليلاً .

ومن مَيَسَّرَ أو مَخْطَرٌ واستنَغَرَ للشَّغَرِ
ميسر : إذا كدى على أنه من الثَّغَرِ، ويقال له : الميسراني . مخطر : إذا بلغ
لسانه وأوهم أن الروم قطعوه .

ومن ناكذ في القينو ن من جوف أبي شمر
المناكذة : أن يتقاسموا ما يأخذونه من الثياب والسلاح بعلة الغزو.
والقينون : موضع القسمة . أبو شمر : أول من كدى بعلة الغزاة .

ومن رشّ وذو المكوى ومن درمك بالعطر
رش : إذا كدى بعلة ماء الورد يرشه على الناس . ذو المكوى : الذي يبخر
الناس . درمك : إذا باع العطر على الطريق .

ومن دكك أو فكك أو بلغك بالحر
المدكك : الذي يخرج اللوى من العصيان ويحتال على من به وجع
الضرس حتى يجعل دود الجبن فيما بين أسنانه ثم يخرجهم ويوهم أنه أخرجه
بالرقية ، فكك : إذا فك السلاسل على الطرق . بلغك : إذا جر الخواتيم
بالإبريسم الرقيق .

ومن قصّ لإسرائيـل أو شبراً على شبر
من قص : هو الذي يروي الحديث عن الأنبياء والحكايات القصار ويقال
لها الشبريات .

ومن بشرك أو نوّ ذك أو أشرك بالهبر
بشرك : تزيا بزي الرهبان تزهداً . نوذك : إذا كدى على أنه من الحجاج ،
أشرك بالهبر : إذا قاسم شركاءه ما يأخذه .

ومن قدّس أو نمّس أو شولس بالشعر

قدس : إذا أكل الكبد المطحونة المجففة في شهر رمضان خاصة وأوهم أنه يطوي ولا يفطر في الشهر إلا مرة أو مرتين . نمس : من الناموس . شولس : من الشالوسة ، وهم الزهاد يكدون بلباس الشعر .

ومنا العشيريون بنو الحملة والكرّ

العشيريون : الذين يتشاقفون على دوابهم كالغزاة يكدون .

ومنا المصطبانو ن من ميزق بالأسر

المصطبانو ن : قوم يزعمون أنهم خرجوا من الروم وتركوا أهاليهم رهائن عندهم فطافوا البلاد ليجمعوا ما يفكونهم به ، وتكون معهم شعورهم ويقال لذلك الشعر : المصطبان ، ميزق : كدى .

ومنا كلّ زمكدان غدا محدودب الظهر

ومنا كلّ مطراش من المكلوذة البتر

المطراش : الذي معه يده يكدى عليها ، ويقال اليد المقطوعة : المكلوذة .

وفي المدرجة الغبرا ء منا سادة الغبر

المدرجة : هؤلاء قوم يقعدون وينامون في السكك والأسواق على طريق المارة ومدرجة الرياح فتعلوهم غبرة التراب حتى يرحموا ويعطوا .

ومنا كلّ قنّاء على الإنجيل والذكر

القنّاء : الذي يقرأ التوراة والإنجيل ويوهم أنه كان يهودياً أو نصرانياً فأسلم .

ومن ساق الولا بالما ء أو قوسٍ أبي حجر

ومن ساق : هؤلاء قوم يسقون الناس الماء ، والولا : أن يقف فيقول : أنا المولى الأبطحي ، ومنهم من يكون معه قوس عربية ، وأول من فعل ذلك في الحضر أبو حجر .

ومن طفُشَلْ أو زَنَكَلْ أو سَطْلُ في السر

طفشل : إذا علق لسانه وتشبه بالأعراب ، زنكل : إذا احتال في سلبهم ، سطل : إذا تعامى وهو بصير ، يقال للأعمى : الإسطيل .

ومن زَقَى الشغاثات غداءاتٍ وبالعصر

زقى : صلى . والشغاثات : المساجد ، واحدها شغائة ، يكدون فيها إذا صلى الناس .

ومن دَشَّش أو رَشَّش أو قَشَّش يستدري

دشش : إذا جعل في استه شبه حشو كحقنة وينام على الطريق ويخرج من استه كالدهيشة ، رشش : إذا كانت معه مبولة مع خصاه فإذا جاءه البول رششه على الناس ، ويقال له : المرشش ، قشش : إذا فسا في المساجد فيتأذى به المصلون فيعطونه حتى يخرج .

ومن يزنُقُ أو يخنُقُ أو يذلُقُ بالدبر

يزنق : يثقب في بدنه ثقبه وينفخ فيها حتى يتورم بدنه ، يخنق : يصنع المنديل في رقبة نفسه ويفتله حتى ينتفخ رأسه ووجهه ، يذلُق : يمشي عريان الاست .

ومنّا كلُّ مستعشٍ من النّعارة الكدر

مستعش : قوم يدورون على أبواب الدور فيما بين العشاءين ويقولون :

رحم الله من عشى الغريب الجائع ، وينعرون بذلك حتى يأخذوا من كل دار كسرة ويرجعوا بها .

ومن شدد في القول ومن رمّد في القصر

ومن شدد : قوم يكون معهم دفاتر حديث يروونها ويشددون على الناس في اللواط وشرب الخمر ، القصر : هو الأتون يدخله الواحد من القوم فيطرح نفسه في الرماد ثم يخرج وعليه غبرة الرماد ، ويوهم أنه أوى إليه من شدة البرد وعدم الملبوس .

ومن يزرع في الهادو ر تكسيحاً من البذر

ومن يزرع في الهادور : قوم ينظرون في الفال والزجر والنجوم ويعطون قوماً دارهم حتى يأتوهم ويسألوهم عن نجمهم وعما هم فيه فينظروا لهم ثم يردون الدراهم عليهم وربما أخذوها وقالوا لا نأخذها لأن نجمك ما خرج كما تريده . الهادور : كلام الحلقة التي يجتمع الناس عليها ، والتكسيح : الممانعة .

إلى أن يقع التنبـل في محصدة الجزر

التنبل : هو الأبله الذي يقبل المخاريق على نفسه ، ويغتر بما يورد المنجم عليه ، فيخرج هو أيضاً دراهمه طمعاً في ردها فيأخذها منه ويسخر به .

ومن قنُونْ أو بنو نَ أو طينَ بالشعر

وقنون : من المقنون ، وهو الذي يقول : كان أبي نصرانياً وأمي يهودية وإن النبي ﷺ جاءني في النوم وقال : لا تغتر بدين أبويك واتبع ملتي ، فأسلمت . بنون : إذا انتسب إلى البانونية وهم الشطار وقال : كنت محبوساً فاحتلت بكذا حتى خرجت ، طين : إذا طين وجهه وساعديه بطين الحمرة وروى الأشعار على رءوس الأشهاد في الأسواق .

ومنا منفذ الطين وأصحاب اللّحي الحمر

منفذ الطين : قوم يخضبون لحاهم بالحناء ، ويدعون أنهم شيعة ويحملون السبح والألواح من الطين ويزعمون أنها من قبر الحسين بن علي رضي الله عنهما فيتحفون بها الشيعة .

ومن شقّف بالماء ومن شقّف بالجمر

والمشقّف : هو الذي يأخذ ماء النوشادر فيكتب بها الرقاع ويتركها بين يديه فإذا مر به الأبله قال له جرب بختك وخذ رقعة من هذه فيأخذها ثم يعطيه إياها فيقذفها في النار فيظهر المكتوب أسود ، وقد يعمل هذا الجنس بماء العفص فإذا غمس في ماء الزاج خرج أسود ، ويقال للرقعة : الشقيفة .

ومن كدى على كيسا ن في السرّ وفي الجهر

كيسان : قوم عرفوا قوماً من الكيسانية والغلاة فيجيبونهم ، ويكدون عليهم بالمذهب .

ومنا النائح المبكي ومنا المنشد المطري

والناائح المبكي : قوم ينوحون على الحسين بن علي ، ويروون الأشعار في فضائله ومراثيه ، رضي الله عنه ! .

ومن ضرب في حبّ عليّ وأبي بكر

ومن ضرب في حب : قوم يحضرون الأسواق فيقف واحد جانباً ويروي فضائل أبي بكر رضي الله عنه ، ويقف الآخر جانباً ويروي فضائل علي رضي الله عنه ، فلا يفوتهما درهم الناصبي والشيعي ، ثم يتقاسمان الدراهم .

ومن يروي الأسانيد وحشو كلّ قمطر

ومن يروي الأسانيد : هؤلاء قوم يروون الأحاديث على قوارع الطرق .

ومنا كلّ مرورٍ غدا غيظ بني البظر

كل مرور : قوم يلبسون الثياب المخرقة ويحلّقون لحاهم ويوهمون أنهم
موسوسون وأن المرار غلب عليهم فيروون ما يريدون من فضائل أهل البيت
وينسبهم العامة إلى الجنون فلا يؤاخذونهم بما يقولون ويأخذون من الشيعة ما
يريدون .

ومن يكحل من مستعرضٍ دمعته تجري

ومن يكحل : هو الذي معه قطنه مغموسة في الزيت يمرها على عينيه لتدفع
ويأخذ في شكاية حاله واستعراض الناس في مسألته وذكر قصته ، وأنه قطع عليه
الطريق أو غصب على ماله ، والمستعرضون أمهر القوم .

وفي الموقف منا كلّ جبارٍ أخى الصبر

كل جبار : هو الذي يقف في المقام قائماً أو قاعداً ولا يبرح أو يأخذ ما
يريد .

متى يحفّ [يقل] بشبا شبة الخشنى في خصر

البشباشة : اللحية ، والخشنى : الذي لا يكدي ، وهو عندهم عيب كبير .

وقرّاع أبي موسى لديه دبّة البزر

وقرّاع رأس أبي موسى : هو الخشنى ، يقول : إن رأس هذه السفلة عنده
أهون من دبّة البزر استخفافاً به وبجفائه .

ولا ينطسُ أو يلحنن ما يطلب بالقسر

وجرار عيالاتٍ عليهم أثر الضرّ

ولا ينطس : لا يذهب ، أو يلحن : يعطي . وجرار عيالات : هو الذي
يكتري الصبيان والنساء ويكدي عليهم .

ومن ينفذ سباحٍ وحلوى وأبا شكر

ومن ينفذ سباحات : هو الذي يطرح على أبواب الحوانيت السباحات وأقراص الحلوى ، فمنهم من يعطي ويرد عليه ، ومنهم من يلقي الملح ، ويقال للملح : أبو شكر .

ومنّا حافر الطرس بلا خرط ولا جهر

حافر الطرس : هو الذي يحفر القوالب للتعاويد فيشترها منه قوم أميون لا يكتبون وقد يحفظ البائع النقش الذي عليه فينفذ التعاويد إلى الناس ويوهم أنه كتبها ، ويقال للقالب : الطرس .

وبركوشٌ وبركك ومعطى هالك الجزر

بركوش : هو الذي يتصامم ويقول للإنسان تكلم على هذا الخاتم باسمك واسم أبيك فيسمع ما يقول وينبئه به ، وبركك : هو الذي يقلع الأضراس ويداوي منها ، والهالك : الدواء ، والجزر : البصر ، ويقال للعين : الجزارة .

ومن قرمطٌ أو سرمطٌ أو خطط في سفر

قرمط : هو الذي يكتب التعاويد بالدقيق والجليل من الخط ، وسرمط : كتب ، والسرماط : الكتاب .

وحراقٍ وبزاقٍ بني الشَّخير والنشر

ومن ذكّر والقوم الزكوريون في الصدر

الحراق : الذي تكون معه مرآة تشعل منها النار وتسمى حراقة . والبزاق : الذي يرقى المجانين وأصحاب العاهات ويتفل عليهم ، ذكر : كدى على الأبواب ، وهو من أجلائهم .

ومن دهشم بالكرش ويستبرد في النهر

ومن دهشم : مخرق وموه بأنه صائم . والكرش الصوم والجوع أيضاً
ويكون قد أكل في منزله فإذا عطش نزل في النهر بركة الاستبراد وشرب ما أراد .

ومن يعطي الضمانات من الزنكلة العفر

الزنكلة والعفر : واحد ، وهم المعافرون يأخذون الحجيج ويضمنون
الجنة .

ويشري عش رضوان بنذر الثمن النزر

ويشري عش رضوان : يعني أنه يقول : إن لم أحج عنك فحظي من الجنة
وقف عليك اللهم اشهد بشراء البيع ، والعش : البيت ، يريد به الجنة .

ومن حنن كفيه وحف الطست كالحر

حنن : هو الذي يخضب كفيه بالحناء ، وحف شاربته فيتركه كالطست
المجلوة وكالحر المنتوف ، فيدعى أنه من الصوفية العلماء الزهاد فيتشبث به
لذلك .

ومنّا الشيخ هفصويه ويحيى وأبو زكر

هفصويه : هؤلاء الذين سماهم قوم نبط وعجم ، يكدون ولا يتكلمون
العربية .

ومن كان على رأي ابن سيرين من العبر

ومن كان على رأي ابن سيرين : هؤلاء من البصرياء يعبرون الرؤيا ويكدون
من هذه الجهة .

وشكّاك وحكّاك ومعطى بلح الأجر

الشكّاك : الذي يبيع دواء الفار واسمه الشك ، والحكّاك : الذي يكون معه

حجارة محمولة من دربند يظهر فيها الحديد من الدراهم والدنانير ، يقال للواحد منها المحك ، بلح الأجر : هو السبح التي تحمل من الجبل يقال لها دموع داود عليه وعلى نبينا أفضل الصلاة وأتم السلام .

وسمقون عليه السر مل الكحل وذو الغزر

سمقون : الصبي الذي يأخذ بيد الضرير يوهم أنه ابنه ، والسرمل : القميص المخرق .

ومن ربى ومن فتى وأجرى عقد الزرّ

ومن ربي : هؤلاء قوم شطار يقولون بالصاحب والغلام فيربون الصبيان .

ومنا قافة الرزق وأهل الفال والزجر

وقافة الرزق : قوم يتعاطون التنجيم .

ومن يعمل بالزيج وبالتنور والجفر

الجفر : الذي يكون بين أيديهم على هيئة الفلك يدور .

ومنا البشتداريو ن تحت الرّحل كالحر

والبشتداريون : قوم يستأجرهم المكدون الذين يخرجون إلى القرى

فيحملون رحالاتهم وما يجمعون بها من الحب والصوف وغيره .

ومن مرقّ في مصطبة الفتيان في قدر

ومن مرق : يطبخون المرق في دار القوم فيبيعونها من المرضى والضعفاء

منهم .

ومنا كلّ مراسٍ جورٍ جاهلٍ هزر

المراس : الحواء معه سلال فيها حيات .

يرى الخشّ فيأتيه بلا خوفٍ ولا دعر
الخش : الأفعى .

فيستل الذي يخشا ه من شصوصة الخزر
الشوص : الأنياب بقلعها ويترك واحدة .

ويبقى منه ما يصلح للمحنة والسّبر
فقد أنزل فيه ملك الموت على قبر
فهذا هالكٌ لسعاً وهذا كفّه ييري
وقد يلتمس الخبز بمكروو من الأمر
ومنّا كلٌ نطّاسٍ على البزرك مستجري

النطاس : القوي القلب من الدستكارين تراهم على الدواب ومعهم
الكلايب والمباضع يداوون الرمدي وغيرهم من الأعلال ، والبزرك : المواضع .

ومنّا كلٌ من شرشر بالهلاب والكسر

الشرشرة : القمار ، والهلاب : الثياب ، والكسر : الدرهم والمرجان
والدينار .

إذا حاف عليه بخته سقّف بالنّحر

وحاف عليه : يعني أنه إذا قمر فانقلب الفص عليه رفع طرفه إلى السقف
ونحر نحو السماء وتكلم بالكفر .

ومنّا كلٌ إسّطيلٍ نقيّ الذهن والفكر

الإسّطيل : الأعمى .

ومنّا كلٌ سبّاعٍ عظيم اللّيث والبير
ومن قرّد أو دبّاب من كلّ فتى غمر

ومن قرد أودب : هم الذين يكدون على الدبة والسباع والقردة :

وسمّانٍ ووسنانٍ ومن قتّت كالكبر

والسمان : الذي يعطي النساء دواء السمن ، والسنان : الذي يعطي دواء الأسنان ، وقتت : أكل القت بين أيدي الناس كالجمل .

ودكّاكٍ السفوفات لريح الجوف والخصر

الدكاك : الذي يرقى من القولنج ، ويكون معه حب مصنوع يحتال حتى يبلعه العليل فيزعم أنه انحل بالرقية .

ومنا ذو الوفا الحرّ المدلّج ذو الكرّ

والمدلج : الذي يأخذ حاجته من البقال والجبان ويحصل عليه أجرة الشهر لبيته فيهرب ليلاً ويفوز بما يلزمه أداؤه .

ومنا شعراء الأر ض أهل البدو والحضر

ومنا سائر الأنصار والأشراف من فھر

ومنا قيّم الدين المطيع الشائع الذكر

يكدى من معزّ الدو لة الخبز على قدر

ومن يطحن ما يطحن بالشّدة والكسر

ومن يطحن : هم الذين يطحنون النوى والحديد والزجاج بأيديهم

وأضراسهم .

ومطليّ دم الأخّ مع المصموغ كالبشر

ومطليّ دم الأخ : هم الذين يضربون دم الأخوين والكثيراء والصموغ

وينفخونها على أجسادهم فتخرج بهم بثور يمرضون منها فيكدون .

ومنا كلّ مشقاعٍ من الفتيان كاللغر

المشقق : الأرعن الذي يكتري الثياب البيض ويلبسها . واللغر : هم السفلى من الناس .

يلذ الشورز الوجدا ن بالخبّ وبالمكر
الشورز : الأمرد . ويلذ : يدور به العرب من المكدين فيؤدبه ، ويقول :
هذه الفتوة ، ولا يجوز أن تكون وحدك ، فإما أن تصير غلاماً لأحدنا وإما أن تخرج
من دار الفتیان ، فإذا صار مع أحدهم طبخ له قدر الدسكرة ، ويقال للقدر بما
فيها : الخشوب .

إلى أن يأكل الخشبو ب كرساً أكل مضطر
وما في البيت غير البست أو بارية القفر
وما للشورز سوء سوى الغيلة والغدر
وأن يصميه حتى تراه طافح السكر
يصميه : يسقيه الصمى ، وهو الخمر .

فتجري فيه كيزات البهاليل ولا يدري
الكيزات : الأيور : البهاليل : رؤساء المكدين .

ومنّا سعة الريح لضرب الكلب والهـرّ
وسعة الريح : قوم يرددون رعدة شديدة تهتز لها مفاصلهم وتصطك
أسنانهم ، ويقول أحدهم : إنه قتل سنوراً أو كلباً فلطمته الجن .

وذو القصعة والمسرا د والمكناس والعشر
وذو القصعة والمسراد : هؤلاء قوم ينخلون التراب في الطرق ويعلقون على
أنفهم القصاع ويغسلون الأسواق بالماء ويخرجون إلى البيادر فليقطن القصرى
وهو ما بقي في السنبلى من الحب [بعد أن يداس] .

وفي الأسواق والأنها ر والييدر والقصر
ومن يقرأ بالسبع وإدغام أبي عمر [و]
وأصحاب المقالات من الفاجر والبر
ومن علفة ركب الباز مع الصقر

ومن علفة : هذه امرأة تتزوج بمن يحسن أن يكدي فيشد يدها مجموعة
الأصابع ويدعى أنها مقطوعة ويسمى الباز ، وربما عوجها كأنها مفلوجة ،
والصقر : هو أن يشد عينيها ويقول : إنها رمدي أو عوراء ويقال لها أيضاً النعلة .

ومن الكابليون ومن يلعب بالجر
ومن يمشي على الحبل ومن يصعد بالبكر
ومن الزنج والزط سوى الكباجة السمر
والكباجة : اللصوص ، كبح إذا سرق .

ومن صما يوماً فقد هرب في المصر
ومن صما : يقول إن من شرب منا الخمر وعرف به فقد أفسد على نفسه
البلد ، والشئ الرديء الفاسد يقال له الهريب ، والشئ الجيد يقال له الكسيح .

ومن كل ذي سمت خشوع القن كالحبر
يرقي وتراه با كياً دمعته تجري
فإن كبن في السر فبالمذقان يستذري

كبن : خري ، والكبن الاسم منه ، يقول : إنه يظهر الورع والزهد فإذا خلا
المسجد وأخذ البطن يخري تحت السارية أو خلف المنارة ويمسح استه بالمذقان
وهو المحراب .

وإن كرس لا والله لا تم إلى الظهر
ومن صاح بآمين من المزلق والذعر

من المزلق : يريد هؤلاء العراة ، الواحد مزلق ، يصيحون بآمين من
الأسواق .

سخام القصّ قد نَقَّـعهم مثل بني النّمر
سخام القصي : سواد الأتون .

فذا بقالنا سطلٌ وذا استأذنا خري
فذا بقالنا سطل : يقول إذا صاحوا بآمين دعوا على أصحاب الحوانيت ذا
بقالنا أعمه يارب .

وذا فصابنا عسمٌ وذا البزاز لا تبري
وعسم : من العسوم وهو المفلوج .

ومن ردّهم غُلّف من غالبه الحجر
ومنّا كل من يمرح في الإسّطيل كالمهر
ومن كدّة بهلولٍ تخطى ثمّ كالحجر
الإسّطيل : الجامع ، والكدة : المرأة التي تسأل الناس ومعها زوجها في
الجامع .

ومن يخرج باليابس يوم الفطر والنحر
من يخرج باليابس : قوم يخرجون في أيام الأعياد إلى المصلى عراة حفاة
يكدون .

ومنّا من تمشّى يمسح البلدان كالنّسر
ومن يأوي المصاطيب مع المذلّة الضّمّر
ومن يأوي الشغائات مع العقّة في السّتر
وأصحاب التجافيف من الثامولة الصبر

أصحاب التجافيف : قوم يأوون المساجد عليهم مرقعات كالتجافيف
بعضها مركبة فوق بعض ، يقال لهم الثامولة الصبر لصبرهم على شدة فقرهم .

وأصحاب الشقاعات من المشاطح العكر

الشقاعات : جمع شقاع ، وهو الوطاء إذا كان من ألوان أو لون واحد يكون
مع جنس منهم ، فيدورون في المواضع ويبسطون الشقاع ويصلون عليها ولا
يأوون إلى موضع فلهذا يقال لهم : المشاطح ، لأن المشطح هو الذي يطوف دائماً
لا يفتر .

بنو التضريب والتدريب والتقيق والأطر

بنو التضريب والتدريب : قوم ليس لهم عمل إلا جمع الخرق معهم فهم
أبداء في رتق أو فتق .

تري للقميل في كل شقاع مائتي وكر
ومن دمّج في الثلج وفي الوحل بلا طمر
دمج : إذا قام في البرد .

ولا ينظر إلا كما لحاً ذا نظري شزر
فلا يبرح أو يأخذ ما يأخذ بالصقر
وفي الغمّيز منافية من رغلٍ قذر
هم بيت المشاميل مع القنابر الحفر

المشاميل : الرغفان ، واحدها مشمول ، والقنابر : جمع قنبرة ، وهو الكسرة
من الخبز .

غدوا مثل الشياطين عليهم أثر الفقر
فيأتون ببربازا ر كالفقيا من المجري
بربازار : لأنه ذو ألوان ، والفقيا : هو خبز السبيل الذي يجريه الأعداء على

الفقراء والضعفاء فيكون لهم رجل مجرى .

وعبّوه أنابير من الزغبل والبر

وعبّوه أنابير : يعني أنهم إذا جمعوا الخبز جعلوه كالأنبارات بين أيديهم من ألوان وكل ما خالف الخنطة فهو الزغبل ، ثم يتقاسمون ما يجتمع لهم منها .

كما يقتسم اليد ر بالقفزان والكسر
وظلّوا يفتنون على مالك بالعسر
وخصّوه بجوازات ونصف فجلة تمري

وخصّوه بجوازات : يعني أن ما يبقى من المأكول يجعلونه لصاحب الموضع ، وإن كانوا في أتون جعلوه للوقاد .

سقى الله بني ساسا ن غيثاً دائم القطر
ترى العريان منهم ظا هر السُّمرة والخطر
كنمرود بن كنعان قوي الصدر والأزر
رجال فطنوا للثقل والأغلال والإصر
خلنجيون ما حاضوا ولا باتوا على طهر

الخلنجي : الذي يخرى ولا يغسل استه ، ما حاضوا : أي ما تطهروا .

رأوا من حكمة خراط السِّقْلادات مع العذر
يقولون لمن رقى تحوّل فينا تزري
وراحوا خارج الدار بوارية مع الحصر
فحيثما آكثروا قالوا من الخشني لا نكري
إذا ما سمّروا القشقا ش ذا العشون والزجر

سمّروا القشقاش : أي رأوه وهو الشيخ الطويل اللحية ، ذو الزجر : العالم المتكشف الورع .

لقوه بنثاراتٍ من البندق والبسر
وحيّوه بآلافٍ من القنّادر الفطر

يعني أنهم إذا رأوا شيخاً يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر شرطوا عليه ،
والقنادر : الضراط ، والفطر : الذي لم ينضج بعد ، من الفطير ، ويصيح الواحد
إلى الآخر بندقة بسرة ويضطرط .

وكم بين الغرايب وبين البغ والقمر
ألا إني حلبت الدهر من شطرٍ إلى شطر
وجبت الأرض حتى صرت في التطواف كالحضر
وللغربة في الحرّ فعالُ النار في التبر
وما عيش الفتى إلاّ كحال المدّ والجزر
فبعضُ منه للخير وبعضُ منه للشرّ
فإنّ لمت على الغربّة مثلي فاسمعنْ عذري
أمالي أسوةً في غرّ بني بالسّادة الطُّهر
همُ آل الحواميم هم الموفون بالندر^(١)
هم آل رسول الله أهل الفضل والفخر
بكوفان وطيّ كرّ بلاكُم ثمّ من قبر
وبغداد وسامرا وباخرى على السّكر
وفي طوس مناخ الركب في شعبان في العشر
وسلمان وعمارُ غريبُ وأبو ذرّ
قبورُ في الأقاليم كمثل الأنجم الزهر
فإنّ أظفر بأمالي شفيتُ غلّة الصّدر

(١) آل الحواميم : آل الكساء الخمسة .

وَأَمَلْتُ بِأَوْطَانٍ قَوِيٍّ النَّهْيِ وَالْأَمْرِ
 وَقَدْ تَخَفَّقَ فَوْقِي عِزَّةُ أَلْوِيَةِ النَّصْرِ
 وَإِمَّا تَكُنِ الْآخِرَى وَعِزُّ جَائِزِ الْكُسْرِ
 فَلَا أُبْتُ مَعَ السَّقَرِ غَدَاةَ أَوْبَةِ السَّقَرِ^(١)
 وَلَا عَدْتُ مَتَى عَدْتُ بِلَا عِزٍّ وَلَا وَفَرِ
 وَحَسْبِي الْقَصَبُ الْمَطْحُورُ فِيهِ وَرَقُّ السِّدْرِ
 وَأَثْوَابُ تَوَارِينِي مِنَ الْإِيْذَاءِ وَالْأَزْرِ

* * *

٢٧ - أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ بَابِكٍ

شاعر شعاره إحسان السبك ، وإحكام الرصف ، وإبداع الوصف ، يشبه
 كلامه مرة في الجزالة والفصاحة كلام المفلّحين ، من الشعراء المتقدمين ، ويناسب تارة
 في الرشاقة والملاحة قول المجيدين ، من المحدثين والمولدين ، وهو القائل في وصف
 شعره [من الوافر] :

أَزْرَتَكَ يَا ابْنَ عِبَادٍ ثَنَاءً كَأَنَّ نَسِيمَهُ شَرْقُ بَرَاكِ
 وَلَفْظاً نَاهَبَ الْحَلِيَّ الْغَوَانِي وَأَهْدَى السَّحَرَ لِلْحَدَقِ الْمَلَاكِ
 وَلَهُ فِي اسْتِعْطَافِ الصَّاحِبِ [من الخفيف] :

أَيَّ جَرْمٍ لَوَاتِقٍ بِكَ رَاجِي خَبَطَتْهُ غَوَارِبُ الْأَمْوَاجِ
 وَطَنِي أَنْتَ وَالْمَكَارِمُ زَادِي فَلَمَنْ أَزْجَرَ الْقَلَاصِ النَّوَاجِي^(٢)
 فَارَعٌ يَا كَافِيَ الْكَفَاةِ ثَنَاءً نَفَثَ السَّحَرِ فِي الْعَيُونِ السَّوَاجِي^(٣)

(١) أبت : عدت .

(٢) القلاص النواجي : النوق السريعة .

(٣) السّواجي : الساكنة .

لو أذرتَ الحرابَ ملعب طوقي لارتشفن الشاء من أوداجي^(١)
 أنا مذَّ حرَّقت سمومك ظلِّي جمرَةً في شواطك الوهاج
 لا تقابل زيارتي بازورارٍ ومجاجةً عسلته بأجاج
 ليس في الشرط جنس حظِّي فوقَّع في عيون الحساد بالإخراج

وكان أيامَ الصاحب يشتي بحضرته ويصيف بوطنه ، كما قال من قصيدة جرجانية يتسحب فيها على كرم الصاحب ويقرع باب استبطائه ويستأذنه للعود إلى بلده [من الوافر] :

ألا يا أيها الملك الرؤوف إلى كم يعصي بالنفس اللهيف^(٢) ؟
 أسحب في ذراك فضول ذيلي ويسحب ذيل نعمتك الضيوف
 فإنَّ يملك سواي عنانَ حظِّي ولي من دونه اللَّفظ الشريف
 فكلُّ مطرَّقٍ مالٌ ، ولكنَّ تعود بها إلى القيم الصروف
 لواني عن طريق اليأس أنِّي على ثقةٍ بأنَّك لا تحيفُ
 فحِزُّ إرث الزمان وعشْ حميداً يُناخ ببابك الهمُّ العكوف^(٢)
 وحادثٌ بالسَّراح أخا اشتياقٍ يلاعب ظلَّه جسدٌ نحيف
 له بالريف من جرجان مشتى وبالنَّخلات من غمِّي مصيف

وقرأت للصاحب فصلاً في ذكره واستملحته ، وهو : وأما ابن بابك ، وكثرة غشيانه بابك . فإنما تغشى منازل الكرام ، والمنهل العذب كثير الزحام .

قال مؤلف الكتاب : وقد كانت تبلغني لمع يسيرة من شعره فتروقني وتشوقني إلى أخواتها ، حتى استدعى أبو نصر سهل بن المرزبان من بغداد مجموع شعره كعادته في استنساخ الظرف واستجلاب الغرر ، وبذل النفائس في استحداث

(١) الأوداج : عروق في العنق .

(٢) العكوف : المقبل الملازم ، وعكف في المكان : أقام فيه .

الملح ، فأهدى إليه ابن بابك مجلدة من شعره بخطه يسحب ذيلها على الروض المطور . والوشي المنشور . واللؤلؤ المنشور ، فلم أدر الدفتر أملح أم الخط أحسن أم الشكل أصبح أم اللفظ أبرع أم المعنى أبدع ، وجمعت يدي منها على الضالة المنشودة ، والغريبة الموجودة ، فأخرجت منها غرراً ما هي إلا أنس المقيم وزاد المسافر ومنية الكاتب وتحفة الشاعر ، كقوله في وصف الشراب من قصيدة [من الطويل] :

عقارٌ عليها من دم الصبّ نفضةٌ ومن عبرات المستهام فواقعٌ
معوّدةٌ غصب العقول كأنما لها عند أرباب الرجال ودائعٌ
تحيرٌ دمع المزن في كأسها كما تحيرٌ في ورد الحدود المدامع
وقوله من أخرى في وصف إضرام النار في بعض غياض طريقه إلى الصاحب [من البسيط] :

ومقلّة في مجرّ الشمس مسحها أرعيتها في شباب السدقة الشها^(١)
حتّى أرتني وعين النجم فاترةٌ وجه الصباح بذيل الليل منتقبا
وليلةٌ بت أشكو الهمّ أولها وعدت آخرها أستنجد الطربا
في غيضةٍ من غياض الحزن دانيةٍ مدّ الظلام على أرواقها طنبا
يهدى إليها مجاج الخمر ساكنها فكلّما دبّ فيها أثمرت لها
حتى إذا النار طاشت في ذوائبها عاد الزمرّد من عيدانها ذهباً
ومنها :

مرّقتُ منها وثغر الصبح مبتسمٌ إلى أغرّ يرى المذخور ما وهبا
ذو غرّةٍ كجبين الشمس لو برقتُ في صفحة الليل للحرباء لانتصبا
يا أغزر الناس أنواءً ومحتلباً وأشرف الناس أعراقاً ومتنسبا

(١) شباب السدقة : أي أوان النشاط والفتوة .

أصبحت ذائقةً بالوفر منك وإن
 إنّ المنيّ ضمنت عنك الغنى فأجب
 فحسن ظنيّ قد استوفى مدى أمني
 قال العواذل ظنُّ ربّما كذبا
 فالحبر يمنح فضل الريّ من شربا
 وحسن رأيك لي لم يبق لي أربا
 ومن أخرى [من الوافر] :

حجبت وما حجبت عن الصّباح
 وبات السقم يكمن في عظامي
 ومنها [من الوافر] :
 وليلُ الصّبِّ ممطول البراح^(١)
 كمون الموت في حدّ الصفاح^(٢)

كسوت الحمد ذا عرضٍ مصونٍ
 مزوحُ اللفظ مجذوعُ العطايا
 إذا اشتجرت على الملك العوالي
 يُريق على الطُّبا ريق المنايا
 وقوله من أخرى يمدح ويعاتب ويستبطن^(٣) [من الوافر] :

أرى الأيام تسرف في عقابي
 ألا يا عامر الآمال مالي
 أفوت مطارح الأمل انتظاراً
 أراعُ ولا أراعي والأمانِي
 وكم كسرٍ جبرّت فكان طوقاً
 ودون رياضتي شيب الغراب
 أسير الطرف في أملٍ خراب
 وأسرح بين سقمٍ واغترابٍ
 لقيّ بين اكتئابٍ وارتيابٍ
 على نحرٍ الدّعاء المستجاب

(١) البراح : الزوال والانتهاه والمفارقة .

(٢) حدّ الصفاح : أي حدّ السيوف .

(٣) اشتجرت : كثرت وتشابكت وتخاصمت .

وقوله من أخرى [من الطويل] :

لقد نشر النيروز وشياً على الربا من النور لم تظفر به كف راقم
كان ابن عباد سقى المزن نشره فجاد برشاش من الوبل ساجم^(١)

ومن أخرى يهنئه بالأضحى [من الطويل] :

ليهنك عيداً لو تناجت سعوده لما اقترحت إلا سماءك مطلعاً
فضح بمن ماطلته عدة الردى فما اكتن صدر السيف إلا ليقطعا^(٢)

وله من قصيدة يذكر خلعة أمرله صاحب بها [من المنسرح] :

وخلعة فاجأت بلا عدة من منعم في عطائه سرف
غلّت لسانى عن الثناء فما يجري ولكن لشأنها يصف

ومن أخرى [من الكامل] :

أقبلت في شرف اللباس فأبلسوا نظر البغاث إلى انقضاض الجارح^(٣)
إشتق من خلع الفخار عمامة ورفاء تهزأ بالكئيب البارح
ومزىر الأردن ناقلني الضنا وافتر عن سمطي شتيت واضح
كالزبرقان تهافت أنواره ليلاً بمضطرب الخليج السابح
ومهلل النهدين نازع عطفه علم كمنعطف العذار الجامح
لأنلتني شرف المقام، ورعت بي قلب الزمان، وصنت وجه مدائحي
لله منزلنا التي من شأنها جرّ الرماح على السّماك الرامح^(٤)

(١) النشر : العبق والطيب ، والوبل : المطر، والساجم : الهاطل .

(٢) اكنن : ستر ، أو ابيض من الصقل .

(٣) أبلسوا : احتاروا ولم يستطيعوا جواباً أو قراراً .

(٤) السّاك : نجم في السماء .

ومن قصيدة في فخر الدولة [من السريع] :

| | |
|---------------------------------------|-----------------------------|
| موقر الجأش جموح الجنان | خلقت يقظان مروح العنان |
| وعشت من أحداثه في أمان | لا أظلم الدهر فقد سرّني |
| فشأن أيامي البواقي وشاني | فإن تكن أيام دهري خلت |
| وصمّ عن طاعتي العاذلان | لقد تغيّت ظلال الصبا |
| وانتهبت عقلي حضور الدنان | واستوقفت طرفي في حضور الدمي |
| والصبح كالنار خلال الدخان | أفتق جلد الليل عن ضوئها |
| أغنّ معقود حواشي اللسان | يسعى بها في سقطات الندى |
| مؤثّ الدلّ مريض البنان | مروّع المقلّة طاوي الحشى |
| عن موجة يجذبها غصن بان ^(١) | مقرطق تنفر أذياله |
| كأئما زرّ على خيزران | مزئّر يقلق سرباله |
| ترفل في ملحفتي أرجوان | في يده شمطاء مقتولة |
| عن شررٍ وابتسمت عن جمان | إذا استدارت فرقاً صرّحت |
| طلاً على أرضٍ من الزعفران | إذا طغا لؤلؤه خلته |
| والليل والصبح طليقا رهان | تذكرني أنفاسها سحرة |
| أدرك ما شاء برغم الزمان | نشوة أنفاس الأمير الذي |

لم يحسن في تشبيه طيب رائحة الشراب بنفس الممدوح وهو ملك معظم
لأنه إنما يشبه بنفس المعشوق ، وقد مر مثل هذا النقد في شعر المتنبي ، وكان
ينبغي أن يقول :

نسيم أفعال الأمير الذي أدرك ما شاء برغم الزمان
رجع :

(١) مقرطق : يلبس الأقراط أي الحلّي ، ويجذبها : يحركها ويمسكها ، والموجة : يقصد بها حركة الردف .

تهوى فقد دان لك المشرفان
كفاه إلا للندى والطعان
والمال والسيف له جنتان
فارقم حواشي جامك الخسرواني^(١)
باللهو والقصف وعزف القيان
تبسم عن مثل وجوه الغواني
واسكن مدى الأيام ظلّ التهاني

يا فلك الأمة درُ بالذي
مقبل الراحة ما صوّرت
فالحزم والعزم له عدّة
قد رقم النيروز وشي الرُّبا
واقبل اللذات واستدعها
واجتل وجه الرّاح في روضة
وارع رياض العزّ في غبطة

ومن أخرى في مهرجانية [من الوافر] :

بتجديد البشائر والتهاني
سبوت الدهر سبت المهرجان^(٢)
فعاتبها بقهقهة القناني
بها خصر المرافش والبنان^(٣)
يصفق بالرحيق الخسرواني

أيا شاهانشاه صل الأمانى
فقد جرت السعود وجاء يحدو
وإن طغت المثالب والمثاني
فقد برد النسيم وجاء يسعى
فلا عدمت يداك سقيط مزن

ومن أخرى يصف مجلس إملاك نثرت فيه الدنانير [من الوافر] :

كأن قد أشربت حلب العصير
شئت الورق كالورق النّير
جلوت الشمس في يوم مطير
لقد أذكرتنا عام الهرير^(٤)

وهزّ العقد متن الأرض حتّى
وأرسلت السماء رشاش تبر
لقد أمطرتها ذهباً ولكن
كواكب زرن وجه الأرض حتّى

(١) رقم : خطط وسطّر ، والجام : الإناء من فضة .

(٢) سبوت الدهر : سكونه وإقباله .

(٣) الخصر : البارد .

(٤) الهرير : البرد القارس .

ومن أخرى [من البسيط] :

يا ساقِيْ قُضِيْبُ الرِّندِ رِيَّانُ
وللصبا عْشْرَاتُ لَا تَقَالُ ، وَفِي
فَغَالِباً نَفْثَتِي بِالرَّاحِ وَاخْتَلَسَا
وَاسْتَرْجِعَا لَمَتِي وَاسْتَفْدَا طَرِييَ
وَعَرَضَا بِهَوَى لَبْنِي فَلِي وَلَهَا
الْيَاسُ وَرَدِي إِذَا سَحَبُ الْمَنَى هَظَلْتُ
هَا إِنَّ حَلْبَةَ أَرْضِ اللَّهِ شَوِطَ فَتَى
لِلَّهِ ثُمَّ لِشَاهِنْشَاهِ خَلَفْتَهَا
إِنْ كَانَ لِلْفَلَكَ الْعُلُويُّ مَرْتَكُضُ

والبدر ملتحفٌ والصبح عريانُ
سجع الحمايم ترجيعُ وإرنان
عقلي فقد نفح النسرين والبان
قبل الشروق فللأطراب أوطان
وللزجاجة إن عرّضتما شان
والصبر زادي إذا أهل الحمى بانوا
في بسطتي يده بطشٌ وإحسانُ
ما طلّ في رملات القاع حوذان^(١)
فيها فللفلك الأرضي سلطانُ

ومن أخرى في أبي علي الحسن بن أحمد لما تقلد الوزارة هو وأبو العباس الضبي
على سبيل المشاركة والمشاطرة [من الكامل] :

بَرَقَ الثَّنَاءُ وَشَقَّ ذَاكَ الْقَسْطُ
وَرَأَىكَ لِلتَّشْرِيفِ أَهْلاً فَاجْتَبَى
فَأَعْرَتِ شَطْرَ الْمَلِكِ ثَوْبَ كَمَالِهِ

وجرى عنانك والسّمَاكُ الأعزلُ
بوفائيه ملكٌ يقول ويفعلُ
والبدرُ في شطر المسافة يكملُ

أنظر إلى حسن وصفه لوزارته المشتركة ، وتديريه نصف المملكة لفخر الدولة .

ومن أخرى [من البسيط] :

ذَنبِي إِلَى الدَّهْرِ أَنْتِي مَا خَضَعْتَ لَهُ
قَدْ كُنْتُ أَوْقَفُ مِنْ عَنَسٍ عَلَى طَلَلٍ

ولا طويت له ثوبي على درنٍ
فصرت أسرع من عدلٍ على أذن^(٢)

(١) الخوذان : نبات عشبي له زهر أحمر في أصله صفرة .

(٢) العنس : النوق ، والعدل : اللوم .

هذي بقيَّةُ نفسٍ فارقتِ وطناً
نَقَلْتُ عن عَقْرِ دَارٍ كُنْتُ آلفَهَا
حَتَّى تَرْنَحْتُ فِي أَفْيَاءِ دَوْلَتِهَا
فَالآنَ قَصَّرَ بَاعِي وَانْتَهَى طَرَبِي

وفرقه النفس تتلو فرقة الوطن
إلف القرارة صوب العارض الهتن^(١)
ترنح الظل بين الماء والغصن
وشمرت في عقابي سطوة الزمن

وقوله من أخرى [من الخفيف] :

رَبُّ لَيْلٍ مَرَقْتُ مِنْ فَحْمَتِيهِ
وَرَقَادٍ كَخَفَقَةِ النَّبْضِ يَغْشَى
وَاسْتَهَلْتُ لِمَصْرَعِ اللَّيْلِ وَرَقٌ
فَتَضَاكُتُ شَامِتاً وَكَأَنَّ الْـ
سَبْكَ الشَّرْقِ مِنْهُ تَبْراً مَذَاباً
وَتَمَشَّتْ عَلَى الرِّيَاضِ النِّعَامِ
فَكَأَنَّ التَّرَابَ مَسْكُ فَرِيكُ
لَيْسَ إِلَّا تَطْرُفُ الْعَيْشِ حَتَّى
إِنَّمَا الْعَيْشُ رَنَّةٌ مِنْ حَمَامٍ
وَمَهَبٌ مِنْ الشَّمَالِ عَلِيلُ
وَمَلَأَ مِنْ الشَّبَابِ جَدِيدُ
وَجَمَالُ مِنْ الرِّذَاذِ نَثِيرُ
لَا تَرْدُ مَشْرَعَ الصَّبَابَةِ فَالْيَا
شَافَهُ الْهَمُّ إِنَّ طَغَى بِحَرِيقِ

أنا والعيس والقنا والبروق
مقلّة راعها الخيال الطروق
ثاكلات حدادها التطويق^(٢)
صبح جيب على الدجا مشقوق
لفرند الشعاع فيه بريق
وثنى قدّه القضيبي الرشيق
وكأنّ الأصيل صبح فتيق
يتوشى لك المراد الأنيق
وسلاف يشجّه معشوق^(٣)
ووشاح من الرياض أنيق
ورداء من النسيم رقيق
في مروج ترابهنّ خلق
س رفيق إذا استقلّ الفريق
سلّه من زناده الراووق^(٤)

(١) القرارة: القاع المستدير الذي يجتمع فيه ماء المطر ، والعارض الهتن : السحاب المطر .

(٢) الورق : الحثائم ، والتطويق : أي إلباسها الطوق .

(٣) يشجّه : يفضّ ختمه .

(٤) الراووق : المصفاة ، الكأس أو الإناء يروّق فيه الشراب .

صَفَّقْتَهُ يَدٌ كَأَنَّ عَلَيْهَا صَدْفًا فِيهِ لَوْلُؤٌ وَعَقِيقٌ
وَلَهُ أَيْضًا [من السريع] :

لَمْ أَرْضَ بِالْيَأْسِ وَلَكِنِّي أَسُوِّفُ الْخُسْرَانَ بِالرَّيْحِ
تَأَلَّفْتَنِي خَطَرَاتُ الْمَنَى تَأَلَّفَ الْمَسْبَارُ فِي الْجَرَحِ^(١)

وَمِنْ أَبْيَاتٍ فِي غِلَامٍ يَشْتَكِي مِنْ قُرُوحٍ بِهِ [من البسيط] :

يَا أَيُّهَا الرِّشَاءُ الْمُوفِي عَلَى شَرَفٍ مَاذَا دَعَاكَ وَلَمْ أَذْنَبْ إِلَى تَلْفِي
لَا تَشْكُونُ قُرُوحًا أَلَمْتُكَ فَقَدْ سَرَقَتْهَا مِنْ فَوَادِي الْهَائِمِ الدَّفْنِ
أَحَبُّ مِنْكَ وَإِنْ لَجَّ الْعَوَاذِلُ فِي لُومِي دَلَالِ الرِّضَا فِي نَخْوَةِ الصَّلَفِ

وَمِنْ أَبْيَاتٍ فِي الْإِعْتِذَارِ مِنْ تَرْكِ التَّوْدِيْعِ [من السريع] :

إِنْ لَمْ أُوَدِّعْكَ فَعَنْ عَذْرَةٍ فَائِنِ إِلَيْهَا أَذْنًا وَاعِيهِ
قَرَرْتُ بِكَ الْعَيْنَ فَنَزَّهَتْهَا عَنْ نَظَرَةٍ لَيْسَ لَهَا ثَانِيهِ

* * *

٢٨ - أَبُو إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَحْمَدَ الشَّاشِي الْعَامِرِي

قَدْ كَانَ يَقَعُ التَّعَجُّبُ مِنْ إِخْرَاجِ الشَّاشِ مِثْلَ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَطْرَانِي فِي حَسَنِ
شِعْرِهِ وَبِرَاعَةِ كَلَامِهِ ، فَلَمَّا أُخْرِجَتْ مِنْ إِسْمَاعِيلَ مِنَ الْقَى إِلَيْهِ الْقَوْلُ الْفَصْلُ زَمَامَهُ ،
وَمَلَكَهُ الْمَعْنَى الْبَدِيعُ عَنَانَهُ ، كَانَ كَمَا قِيلَ : « جَرَى الْوَادِي فَطَمَّ عَلَى الْقَرَى »^(٢)
وَهُوَ أَحَدُ الْأَفْرَادِ بِحَضْرَةِ الصَّاحِبِ ، وَمِمَّنْ رَفَعَتْهُمْ سُدَّتُهُ ، وَشَرَفَتْهُمْ خِدْمَتُهُ .
وَلَوْلَا أَنَّ الْفَالَجَ أَبْطَلَهُ الْآنَ ، لَكَانَ قَدْ بَلَغَ مِنَ التَّبَرُّيزِ أَعْلَى مَكَانٍ . وَلَكِنَّهُ بِالرِّي
لَقَى ، وَفِي طَرِيقِ الْمَنِيَةِ لَقِيَ . وَعِنْدَهُ بَقِيَّةٌ مِمَّا اسْتَفَادَهُ فِي أَيَّامِ الصَّاحِبِ تَتِمَّاسُكُ

(١) الْمَسْبَارُ : مَا يَسِيرُ بِهِ الْجَرَحُ ، أَيْ يَمْتَحِنُ عَمَقَهُ .

(٢) طَمَّ : غَمَرَ .

معها حال معيشته . وتنزاح بها علل نفسه . وهذا أنموذج من شعره قال في
الصاحب من قصيدة شبب فيها بشكاية الإخوان وذكر مرضاً عرض للصاحب [من
الطويل] :

سرينا إلى العليا فقليل كواكبُ
وفاضت لنا فوق السنين نوافلُ
خلقنا أشدَّاء القلوب على الهوى
فمن دأبه مئاً نحولُ ودقةُ
أبيت أنادي الدهر جدلي بصاحبِ
فما جاد لي منه بغير مجانبِ
خليلُ تحامته الأبعاد والتوتُ
عقارب لا يجرحن غير مودِّ
وما كان ظني أن تبين شبيتي
فمذ راعني شرخ الشباب بفرقةِ
أخلاي أمثال الكواكب كثرةُ
بلى كلُّهم مثلُ الزمان تلوناً
مضى الودَّ والإنصاف والعهد منهمُ
وكنت أرى أنَّ التجارب عدَّةُ
تدرُّعُ لإخوان الزمان مفاضةُ
إذا لم تكن مندوحةً من مصاحبِ

وثرنا إلى الجلى فقليل قواضبُ^(١)
فما شكُّ محلُّ أنهنَّ سحائبُ
فما تزدهينا الأنساتُ الرِّبائبُ
فمما جنى أحبابنا لا الحبابُ
وجلُّ طلاب الدهر ما أنا طالبُ
وآخرُ خيرٍ منه ذاك المجانبُ
على مهج الأذنين منه العقاربُ
فهنَّ لحيات القلوب لواسبُ^(٢)
وإن بان جيرانُ وشطَّت أقاربُ
تيقنْتُ أنَّ لا يستدام مصاحبُ
وما كلُّ ما يرمي به الأفق ثاقبُ^(٣)
إذا سرَّ منهم جانبٌ ساء جانبُ
فما بقيت إلا الظنون الكواذبُ
فحانت ثقات الناس حتَّى التجاربُ
ولا تلقهم إلا وأنت محاربُ^(٤)
فسيفٌ ورمحٌ والفلا والركائبُ

(١) الجلى : العظيم من الأمور ، القواضب : السيوف القواطع .

(٢) اللواسب : جمع لاسبة من اللسب وهو اللدغ إلا أنه عام في الحية وغيرها .

(٣) الثاقب : المرتفع على النجوم ، أو اسم زحل .

(٤) المفاضة : الدرع الواسعة .

فهنَّ إلى وفد الخطوب كتائبُ
إلى ملكٍ مذ أشرقت شمس جوده
إلى من حمى عود العلا فهو ناضِرُ
إلى من رعى بالجد سرب نعيمه
وكلُّ نعيمٍ لم يعودْ بشاكِرٍ
لعمري بني عبادِ المجد راسياً
زرارة لم يحلُّ بواديه مفخرُ
وحلَّت قريشُ في اليفاع بهاشم
فديناك يا كهف البرية ما الذي
عليها من الإشفاق ثوبُ كآبةٍ
وفي كلِّ دارٍ للأرامل ضجَّةُ
ولو شئت تأديب الليالي فعلته
ولم تقرب الحمى حماك ، ولم يكنْ
وحوشيت أن تضري بجسمك علةُ
ولاعج تدبيرٍ وجائش همّةٍ
فلا تعذروها أن رأت أشرف الورى
لقد كانت الأيام حجَّباً شمسها

وهنَّ إلى كافي الكفاة صواحب
تبسّم في وجه الرجاء المطالبُ
وردُّ إليه ماءه وهو ناضب
فلا تتمطى في ذراه النواثب^(١)
تفننَ فيه للذهاب مذاهب
ولكن لإسماعيل منه المناكب^(٢)
ولكن حوى غرّ المفاجر جانب
وإن كان سباقاً إلى المجد غالب^(٣)
أعار المعالي سقمك المتناوب
وخطبُ يدانيه الضنى متقاربُ
بأدعية ضوضاؤها متجاوب
فلم ير منها في جنابك خارب^(٤)
لسورتها في سورة المجد سارب^(٥)
ألا إنَّها تلك الغروم الثواقب^(٦)
سرى منهما بين الجوانح لاهبُ
وحلَّت به فالحرّ في الشمس ناشب^(٧)
دياجي هموم دجنها متراكب^(٨)

(١) السرب : الطريق .

(٢) المناكب : كبار الريش في مقدّمة الجناح أو المكان الأرفع .

(٣) اليفاع : المرتفع والذروة .

(٤) الخارب : اللص .

(٥) السورة : عضبها ، وسارب : ممرّ .

(٦) تضري : تغرى وأضرّاه : أغراه وبثه عليه . والغروم : الأثقال ، والمغرم : المولع بالشيء والدّين .

(٧) ناشب : مقيم وحال .

(٨) الدجن : ظلامها .

فلما انتضاك البرء عادت كأنها
نظرت إلى دنياك نظرة قادرٍ
سواي فأني سائلٌ أن تغبَّ لي
فما في لساني شكرٌ ما أنت منعمٌ
أنلني بقدري لا بقدرك ، إنما

وقال من أخرى [من البسيط] :

مستوقفي بين ذلَّ الصددِّ والملل
أرضي بطيفك بل أرضى بذكرك أن
لا ترحلنَّ فما أبقيت من جلدي
ولا من الغمض ما أقري الخيال به
نعم لي العزمة الغراء إن وخذت
تحوي مرادي على رغم العواذل منْ
قد زدت يا ليلة التوديع في حزني
وأنت يا جسداً لجَّ القضاء به
كيف احتملت الضنا في الظاعنين ضحىً
عجبت أنى يحلَّ السقم في بدنٍ
لم يبق منه سوى قلبٍ يقلِّبه
مقسَّم قلبه في كلِّ مرحلةٍ

غياهب بأسٍ قشعتها مواهب
فلم يبق فيها سائلٌ ومغالب
سحائب نعمى كلهن ربائب^(١)
ولا في بناني حصرٌ ما أنت واهب
تجود على قدر الأتني المذائب^(٢)

لاحظ لي منك إلا لذة الأمل
يتلى وذاكراي مقرونين في الغزل
ما أستطيع به توديع مرتحلٍ
ولا من الدمع ما أبكي على طلل
لم تحتفل بوجيف الخيل والابل^(٣)
ربَّ الأكاليل لا من ربَّة الكلل
ولم تزل يا صباح الوصل في جذل^(٤)
حتى برته يدُ الأوجاع والعلل
وكنيت للشوق فيهم غير محتمل
لو شاء جاز الردى سراً من الأجل
في مطلب العزِّ بين البيض والأسل
شوقاً إلى العزِّ لا شوقاً إلى الغزل

(١) تغبَّ : تمطر تعقب .

(٢) الأتني : السيل .

(٣) الوجيف : الخفقان والاضطراب .

(٤) وفي نسخة « ولم تزد يا صباح الوصل في جذل » .

للأعين الخزر لا للأعين النجل^(١)
 على الحوادث والأسقام والوجل^(٢)
 ويقرع الخطب مني صفحة الجبل
 ويحمل الدرع مسلوباً عن البطل
 كادت تؤلف أعلاماً على السبل
 سير الجنوب بصوب العارض الهطل
 فيشهد المجد أن المدح فيه ولي
 راسلت طبعي ومن إحسانه رسلي
 في مقلة الريم أعلى بغية الكحل
 الشمس تكبر عن جلّي وعن حلل
 بالجود فهو يروم البذل بالحيل^(٣)
 بخلاً به فوجدنا الجود في البخل
 يغني ويقني ولم يورث ولم يسـل
 إن لم يبت والليالي منه في وجل
 يوم القراع ويلقى القرن في الفضل^(٤)
 ومن يصيد البزاة الشهب بالحجل
 ولا يفرّق غير الملك في الثقل
 فما ورودك ظمناً على وشل^(٥)

نفسى الفداء إذا ما الرّوع صبّحني
 لله جسمي فما أبقى حشاشته
 يعدو سقامي على مثل الخيال ضنيّ
 ولا يرى في فراشي عائدي شبحاً
 أنا المقيم وأشعاري على سفر
 سارت شوارد أوصاف الوزير بها
 يروي القريض ولمّا يسم قائله
 إذا سهرت لتحبير المديح له
 ما بعده لشذور القول مدّخر
 وما به حاجة في المدح تنظمه
 لكنّه ملك هامت عزائمه
 ما قال «لا» قطّ مذ حلت توائمه
 أولى الملوك بتدبير الممالك من
 ومن يبيت من الأيام في خجل
 ومن يطبّق وجهه الأرض عسكره
 ومن يقود الأسود السود بالوعل
 ومن يهّم فلا يغزو سوى ملك
 يا راحلاً عنه إنّ البحر معترض

(١) الخزر : ضيق العين وصغرهما أو حول إحدى العينين ، والنجل : سعة العين .

(٢) الحشاشة : الروح والنفس ، والوجل : الخوف .

(٣) يروم البذل : يبيغ ، وبالحيل : أي يمتال لبذله بكثير من الأسباب .

(٤) الفضل : البقية من الشيء ، أو الثوب الذي يتخذ في العمل أو يلبس أثناء النوم وهذا دليل على شجاعته وثقته بنفسه .

(٥) الوشل : الماء القليل .

وتطلب النصر عند الجفن والخلل^(١)
وأرجف الأرض بالغارات والغيل^(٢)
ومن دمائهم يرحضن في وحل^(٣)
ومن ذوائبهم يقمصن في شكل^(٤)
من طول ما حملت سبياً على الكفل^(٥)
تكاد تعثر أخراهم على الأول
غزون بالبحر لم يعلقن بالبلل
لمفرد الرأي أمرٌ ليس بالجلل
حاشا لما أنت راعيه من الخلل
فاخلق برأيك أجفاناً على المقل

لا تترك السيف مشحوداً مضاربه
قد وقر الدهر بالتدبير هيته
تجري الجياد من القتلى على جبل^(٦)
ومن جماجمهم يصعدن في نشز^(٧)
تحملت صهوة أخرى شواكلها
قومٌ إذا ابتدروا يوم الوغى فرقاً
قومٌ أعفَاء عن غير العدو فلو
إنَّ التحكُّم في الدنيا بأجمعها
يا من دعته ملوك الأرض راعيها
إنَّ الملوك على أيّامنا مقلٌ

ومن أخرى [من الطويل] :

يرى كلُّ ما يبقى من المال مغرماً^(٨)
وننقضُ عقباناً ، ونطلع أنجماً
وتركز أعلام العلا حيث خيماً

رأيت على أكوارنا كلَّ ماجدٍ
ندومٌ أسيفاً ، ونعلو عوالياً
إلى من يسير الدهر تحت لوائه

ومن أخرى في فخر الدولة [من البسيط] :

فقد حمدنا ولم نذمم شبا القلم
أسوسها والخطوب الربد من خدمي^(٩)

أمّا شبا السيِّف مسلولاً على القمم
لا أشتكي الدهر والأيام من حولي

(١) الجفن : الغمد .

(٢) الرحض : الغسل .

(٣) النشز : المرتفع من الأرض ، ويقمصن في شكل : يقفزن ويثبن في قيودهن .

(٤) الكفل : الردف .

(٥) مغرماً : غرامة أو ديناً .

(٦) الربد : جمع ربداء وهي هنا المنكرة .

فلو رماني بعد النوم ناظرها
 فالآن أورد ذودي غير محتشم
 ولا أؤخذ أيامي بما صنعت
 فإن برتني غواديها فلا عجب
 ما زلت منغمس الآمال في عدم
 حتى طلعت وعين السعد ترمقني
 أوي إلى ظل شاهنشاه من زمي
 زرت الملوك لتدنيني إليه كما
 خلقتهم وهم خطاب خدمته
 يرون بي حشرات في قلوبهم
 وكم نصحت لمن بغداد موطنه
 فكان ذا رمد لج الأساة به
 هي القرابة من لم يرع حرمتها
 له تطاع ملوك الأرض قاطبة
 حاشا له أن أسمي غيره ملكاً
 كل يدل بأشباح يسوسهم
 ما قام من سوق أهل الفضل لم يقم
 أعطى فأحيا موات الجود نائله

برية أطبقت أجفانها قدمي
 وأنزع الغرب ريانا إلى الودم^(١)
 في نعمة البرء ما يعفو عن السقم
 على النفوس جنايات من الهمم
 أو في وجود يداني رتبة العدم
 كالصبح منبلجاً عن حالك الظلم
 كما أوى الصيد مذعوراً إلى الحرم
 يبغي إلى الله زلفى عابد الصنم^(٢)
 ومثل ما بي من وجد بها بهم
 لكنما ثمرات السعي بالقسم
 والنصح من أجلب الأشياء للثم^(٣)
 وما آهتدوا أن يداووا عينه فعمي
 فالسيف أولى به وصلاً من الرحم
 وللشباب تراعي حرمة الكتم
 وأن أقر بفضل الباز للرخم^(٤)
 وما سواه رعاة البهم لا البهم
 لو أن ما دام من نعماء لم يدم
 فالخصب من فعله والاسم للديم

ومنها في ذكر تطهير ابنه [من البسيط] :

-
- (١) الذود : ثلاثة أبعة إلى العشرة ، أو خمس عشرة أو عشرين إلى ثلاثين ، والغرب : الدلو العظيمة ، والودم : آذانها .
 (٢) زلفى : قربي .
 (٣) في نسخة « للبهم » ولعل ما ذكر أصح .
 (٤) الرخم : طائر من الجوارح يشبه النسر كثير الريش ، أبيض اللون مبقع بسواد .

أمسست شبليك في حقّ الهدى المأّ
جلوت سيفاً ليرتاح الشّجاع له
وله من أخرى [من المتقارب] :

بلوت الليالي فلم يتّرنُ
فلا تحمدنها على وصلها
بأدنى الإساءة إحسانها
ففي نفس الوصل هجرانها
وأنشدت له [من مجزوء الوافر] :

تنكّبُ حدةً الأحد ولا تركنُ إلى أحدٍ^(١)
فما بالريّ من أحدٍ يؤهل لاسم لا أحد

* * *

٢٩ - أبو حفص الشهرزوري

من ظرفاء الأدباء والشعراء ، ولشعره وحلاوة ، وعليه طلاوة ، ولا عيب فيه إلا قلة ما وقع لي منه ، وكان في بصره سوء فلما ورد حضرة صاحب قدمه إليه بعض كتابه فجاراه صاحب في مسائل لم يحمد أثره فيه . فقال له مداعباً [من مخلع البسيط] :

وكاتبٍ جاءنا بأعمى لم يحوِ علماً ولا نفاذا
فقلّت للحاضرين كفّوا فقلب هذا كعين هذا

ثم استنشدته من ملحه ، فأنشدته أبياتاً أعجب بها ، فلما أنشدته [من المتقارب] :

دعوت على ثغره بالقلح^(٢) وفي شعر طرّته بالجلح^(٣)

(١) تنكّب : إعدل وملّ .

(٢) القلح : صفرة الأسنان ، والجلح : الصلع .

لعلَّ غرامي به أن يقل فقد برحتُ بي تلك الملح

قال : نسجت على منوال جميل في قوله [من الطويل] :

رمى الله في عيني بثينة بالقذى وفي الغرِّ نم أنيابها بالقوادح^(١)

وما أحسنت بعض إحسان ابن المعتز في قوله [من البسيط] :

يا ربُّ إن لم يكن في وصله طمعٌ وليس لي فرجٌ من طول هجرته
فاشفِ السقام الذي في جفن مقلته واسترْ ملاحه خديهِ بلحيته

ثم أنشده قوله [من الرجز] :

يستوجب العفو الفتى إذا اعترف بما جناه وانتهى عما اقترف
لقوله قلُّ للذين كفروا ﴿إِنْ يَنْتَهُوا يَغْفِرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ﴾

فأمر أن يكتب في سفينة الملح مع ما أنشده إياه .

ومن قوله في غلام مختط [من البسيط] :

الآن أحسن ممّا كان بستانهُ طابت فواكه فيه وريحانهُ
فيه من الورد محمراً جوانبه ونرجسٌ كحلت بالغنج أجفانهُ
غطتُ عناقيدَ أصداغٍ مهدلةٍ تفّاح حسنٍ به قد زين بستانهُ
خاف القطاف على بستان وجنته فشوكتُ حذر السراق حيطانهُ

وقوله [من مجزوء الكامل] :

حكّت السماء ندى يديك فلم أطق سعيّاً إليك^(٢)

وحكيّتها يا سيدي بالدمع من أسفي عليك

* * *

(١) بالقوادح : جمع قَدَح ، وهو مرضٌ يأكل الأسنان .

(٢) حكّت السماء : ماثلت وشابهت ، وندى يدك : كرمك .

٣٠ - بنو المنجم

قد تقدم ذكر بعضهم في أهل العراق ، وهذا مكان من يحضرني شعره
منهم ، وما منهم إلا أغرنجيب ، ولهم وراثة قديمة في منادمة الملوك والرؤساء ،
واختصاص شديد بالصاحب ، وفيهم يقول [من الكامل] :

لبنى المنجم فطنةً لهيةً ومحاسنٌ عجميةً عربية
ما زلت أمدحهم وأنشر فضلهم حتى اتهمت بشدة العصبية

وضرب السلامي المثل في السماع بأحدهم في قوله لعضد الدولة [من الكامل] :
عبدٌ رمى يفعاً إليك مقشعاً فالآن قد وخط المشيب عذاره
ولطالما أثنى عليك فظنَّ أنَّ بني المنجم منطقٌ أوتاره

* * *

أنشدت لهبة الله بن المنجم [من مجزوء الرجز] :

| | |
|-------------------------|----------------------------------|
| شكى إليك ما وجد | من خانة فيك الجلد ^(١) |
| حيران لو شئت اهتدى | ظمان لو شئت ورد |
| يا أيها الطَّبِيُّ الذي | أحافظه تُردى الأسد |
| أما لأسراك فدى | أما لقتلاك قود |
| الراح في إبريقها | أحسن روح في جسد |
| فهاتها نصلح بها | من الزمان ما فسد |

* * *

ولأبي عيسى بن المنجم [من الخفيف] :

(١) الجلد : الصبر .

آخِرَ مَنْ شَتَّتْ ثَمَرٌ مِنْهُ شَيْئاً تَلَفَ مِنْ دُونِ مَا تَرُومُ الثُّرَيَّا^(١)
وسمعت أبا الفتح علي بن محمد البستي ، يقول : أنشدت لأبي عيسى
[من الوافر] :

رغيف أبي عليٍّ حلٌّ خوفاً من الأسنان ميدان السِّمَّاءِ
إذا كسروا رغيف أبي عليٍّ بكى يبكي فهو باكي
فبنيت عليه قولي لبعض من أطايه [من الوافر] :

لنا شيخٌ بفقحته يواسي ويحلق شاربيه بالمواسي^(٢)
إذا بأيّته في جوف بيتٍ فسا يفسو فسَاءٌ فهو فاسي
ولأبي عيسى [من مجزوء الكامل] :

لوم النديم منغصٌ طيب المجالس والتّدام
وسماحة الحرّ الكريم تزيد في طيب المدام
فإذا شربت الراح فاشربها مع النّفر الكرام
وتنكبن ما اسطعت أخلاق اللّثام بني اللّثام

* * *

ولأبي الفتح بن المنجم [من الخفيف] :

كنت أدعو عليه بالشّعْر حتّى زاده الشعر في الأنام جمالا
وإذا كان هكذا كان خذلا ني دقيقاً وكان شؤمي جلالا
وأضرّ الأشياء أنّ عذولي في هواه أشدّ منّي خبالا^(٣)

* * *

(١) رم : ابتغى واطلب ، تَلَفَ : تجدد .

(٢) الفقحة : حلقة الدّبر .

(٣) عذولي : لائمي ، وخبالاً : أي فساداً وعناء .

ولأبي محمد بن المنجم [من المتقارب] :

إذا لم تنل همم الأكرمين وسعيهم وادعاً فاغترب
فكم دعة أتعبت أهلها وكم راحة نتجت من تعب

* * *

ولأبي الحسن بن المنجم [من الطويل] :

هو الدهر لم تبدع عليّ صروفه ولم يأت شيئاً لم أكن أتخيله
وما راعني المكروه إذ هو عادتي لديه ، ولكن راع قلبي تعجّله
تعجل حتى كاد آخر فعله يجيء ولمّا ينقطع بعد أوله

وعمى ابن بابك على أبي الحسن بن المنجم بيتاً ، هو [من مجزوء الكامل] :

بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي

فأخرجه أبو الحسن وكتب إليه [من مجزوء الكامل] :

بأبي وأمي أنت من خلّ أعزّ أخِي سماح
عميت لي بيتاً وجدّ ثك فيه عفت بكور لاهي^(١)
فنقرته نقرأ فطنّ ولاح من كلّ النواحي
ووجدته من قول مغرّ بالخلاعة والمزاح
بكرُ العواذل في الصبا ح يلمن من فرط اصطباحي
فانشط وأبهم غيره ليجوب ظلمته صباحي
ويصحّ عندك في الحجي أنّ المعلّى من قداحي^(٢)

فأجابه ابن بابك [من مجزوء الكامل] :

(١) اللاحي : اللاتم .

(٢) المعلّى : سابع سهام القهار .

بأبي محاسنَ زرتني وبديعةٍ سلّت مزاحي
 وخلّاقٍ كالنورِ با ح بسرّه نفس الصباح
 وخلّاقٍ لو صوّرتُ سكنتُ أنابيبُ الرّماح
 كشفت ضباب حديقتي وأجابها مزن اقتراحي
 فأنت تخاليل في نظا م هزّ أعطاف ارتياحي

* * *

٣١ - أبو طاهر بن أبي الربيع

هو عمرو بن ثابت بن سعد بن علي الذي ذكره صاحب في كتاب له وقال
 « وأما قصيدة أبي طاهر بن أبي الربيع ، فأحسن من الربيع ، ومن قطعة الربيع ،
 وإنها لوثيقة الجزالة ، أنيقة الأصالة . تنطق عن أدب مهيد الأسر . شديد الأزر .
 وله عندنا أسلاف برأرجو أن لا تبقى في ذمتنا حتى نقضيها ، فوعد الكريم ألزم من
 دين الغريم » . وأول قصيدته التي وصفها صاحب [من الطويل] :

أما لصحابي بالعذيب معرّجُ على دمنٍ أكنافها تتأرجُ
 وصهباء بكرٍ يرسب الدرُّ قعرها ومطفاه أعلى كأسها حين تمزجُ
 سلامٌ على عهد التصابي فإني إلى الرتبة العليا بظلك أحوجُ
 إليك ابن عبادٍ شددنا غروضها وضوء النهار في دجا الليل يولجُ
 وعبر عن مكنون ما في ضمائري خلوص ولائي والثناء المديجُ

وقوله من قصيدة [من الكامل] :

سحبت دلادها على الغبراء سحبٌ تشجٌ ودائع الأنواء

والشمس تلحظ من خروق حجابها
وكأنما هتك الحجاب متيم
وكان مولى الرياض ضرائر
قد أبرزت زهراتها وازينت
والنور منحسر القناع كما بدت
والنبت ريان المهزة مائل
مسحت بأجنحة الصبا أعرافه
فترى الطباء إذا وردن حيالها
أخذه من قول ابن المعتز [من الكامل] :

وترى الرياح إذا مسح غديره صفينه ونقين كل قذاة
ما إن يزال عليه ظبي كارع كتطلع الحسناء في المرأة

* * *

٣٢ - أبو الفرج الساي

أشهر كتاب صاحب بحسن الخط ، مع أخذه من البلاغة بأوفر الحظ ،
وكان صاحب يقول : خط أبي الفرج يبهز الطرف . ويفوت الوصف ، ويجمع
صحة الأقسام ، ويزيد في نخوة الأقلام . وأما شعره فمن أمثل شعر الكتاب
كقوله ، في مرثية فخر الدولة [من الوافر] :

هي الدنيا تقول بملء فيها حذار حذار من بطشي وفتكي
فلا يغركم حسن ابتسامي فقولني مضحك والفعل مبكي
بفخر الدولة اعتبروا فاتني أخذت الملك منه سيف هلك

وقد كان استطال على البرايا
فلو شمس الضحى جاءته يوماً
ولو زهر النجوم أبت رضاه
فأمسى بعد ما قرع البرايا
أقدر أنه لو عاد يوماً
دعي يا نفس فكرك في ملوك
فلا يغني هلاك اللث شيئاً
هي الدنيا أشبهها بشهد
هي الدنيا كمثل الطفل، بينا
ألا يا قومنا انتبهوا فإننا

ونظّم جمعهم في سلك ملك^(١)
لقال لها عتواً ألفاً منك
تأبى أن يقول رضيت عنك
أسير القبر في ضيقٍ وضنك
إلى الدنيا تسربل ثوب نسك^(٢)
مضوا بل لانقراضك ويك فابكي
عن الطّبي السليب قميص مسك
يسمّ، وجيفة طليت بمسك
يقهقه إذ بكى من بعد ضحك
نحاسب في القيامة غير شك

وأنشدت له في وصف البرغوث [من السريع] :

وأصهبَ في قدّ شونيزة أفضز من فهدٍ على خشف^(٣)
يسهرني تخمشه دائماً وعبثه يعمل في حتفي

* * *

٣٣ - أبو الفرج بن هندو

وهو الحسين بن محمد بن هندو ، من أصحاب الصاحب ، وممن تخرجوا
بمجاورته وصحبته ، فظهر عليهم حسن أثر الدخول في خدمته ، أنشدني أبو
حفص عمرو بن علي المطوعي ، قال : أنشدني أبو الفرج لنفسه بالري [من
البيسط] :

(١) السلك : العقد .

(٢) تسربل : لبس .

(٣) الأصهب ، من كان في شعره حمرة أو شقرة ، والشونيزة : الحبة السوداء ، والخشف : ولد الغزال .

لا يوحشَنَّك من مجدِّ تباعده
إن القناة التي شاهدت رفعتها
وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

يسرّ زمانِي أن أناط بأهله
ويعجبني أن أخرتني صروفه
فإنّا رأينا قائم السيف كلّما
وله أيضاً في الغزل [من المنسرح] :

تقول لو كان عاشقاً دنفاً
لا تنكريه فإنّ صفرته
إذا بدت صفرةً بخديه
غطّت عليها دماء عينيه
وله [من مخلع البسيط] :

عابوه لما التحى فقلنا
هذا غزالٌ وما عجيبٌ
عبتم وغبتم عن الجمالِ
تولّد المسك في الغزالِ

وقال [من مخلع البسيط] :

كم من ملحٍّ على أذاه
صبّ قذى القول في صماخي
يسلُّ من فكّه حساماً
فصار حلمي له فداماً^(٢)

قال مؤلف الكتاب : قد كان اتفق لي في أيام صباي معنى بديع لم أقدر أني سبقت
إليه ، ولا ظننت أني شوركت فيه ، وهو قولِي في آخر هذه الأبيات الأربعة [من
مجزوء الرجز] :

(١) أناط : أقرن .

(٢) الصّباح : خرق الأذن الباطن الذي يؤدّي إلى الرأس ، والقدام : المصفاة التي تجمل على فم الابريق
ليصفى بها ما فيه .

قلبي جداً مشتعل على الهموم مشتمل
وقد كستني في الهوى ملابس الصبّ الغزل
إنسانةً فتانةً بدر الدجى منها حجل^(١)
إذا زنت عيني بها فبالدموع تغتسل

وأنشدني أبو حفص من قصيدة لأبي الفرج [من الطويل] :

يقولون لي ما بال عينك مذ رأيت محاسن هذا الطيبي أدمعها مطل
فقلت زنت عيني بطلعة وجهه فكان لها من صوب أدمعها غسل
فصح عندي تشارك الخواطر وتواردها في المعاني ، إذ لم يكن مجال للظن
في سرقة أحدنا من الآخر ، والله أعلم بحقيقة الحال .

ومن غرر صاحبياته قصيدته التي أولها [من الطويل] :

لها من ضلوعي أن يشب وقودها ومن عبراتي أن تفضّ عقودها
بذلت لها الدّمع المصون وإن غدت تمانعني في نظرة أستفيدها
سلامٌ عليها حيث حلّت فأنّني عدمت فؤادي منذ عزّ وجودها
وكم ليلة زارت وقد لان أهلها وسامح واشيها ، وغاب حسودها
فحلّت بتضييق العناق عقودها وحلّي من درّ المدامع جيدها
وركب أطار والنوم عنهم وأجّجوا من العزم ناراً مستتيراً وقودها
على كل هوجاء النّجاة كأنّها تطير فما يؤذي الصخور وخودها^(٢)
تؤم بهم بحر الفضائل والعلّا ولا سفنٌ إلّا رحلها وقودها
يجوزون أجواز السبابس باسمه فيصفرّ داجيها ويدرج بيدها^(٣)

(١) حجل : غار واختفى .

(٢) الوخد : ضرب من السير .

(٣) السبابس : الفلوات والقفار ، ويدرج : يقطع .

ولن يملك العليا إلا عبيدها
على ثقة أن النجاح يجودها

فقد ملكوا العليا إذ عبدوا السرى
إليك تحملنا أمانى أجذب

ومنها في وصف الجيش والحرب :

إذا قارعت والكمث شهباً كديدها^(١)
بماء الطلى أغوارها ونجودها
كؤوس المنايا حين غنى حديدها
قراها وهامات الكماة سهودها
لديها وإرزام الخيول رعودها^(٢)
بنوء الظبا حمر المنايا وسودها
عليك نجوماً ما تغيب سعودها
وتبدأ أفعال الندى وتعيدها
فخيم بين الشعريين قصيدها
ولولاك ما جاز اللهاة نشيدها

وشهباء يثني الشهب كمتاً نجيعها
تبدت لنا في روضة تنبت القنا
أدارت سقاة البيض والسمر بيننا
شفيت غليل الطير منها موسعاً
غمائم إيماض السيوف بروقها
ولا غيث إلا أن يصب على العدا
يشرك النيروز باليمن مطلعاً
فدم تدفع الجلى وتفترع العلا
كسونا بك الأشعار فخراً وزينة
وسار بها الركبان في كل بلدة

وملح أبي الفرج كثيرة ، ولا يسع هذا الباب إلا هذا الأنموذج منها :

* * *

(١) الكمت : الخيل ، لونها أحمر إلى اسود ، والكديد : الأرض الغليظة .

(٢) إرزام : صهيلها وقد شبهه بصوت الرعد .

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل والطارئين عليه من العراق وغيرها
وملح أخبارهم وأشعارهم

٣٤ - أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا المقيم

كان بهمدان من أعيان العلم وأفراد الدهر ، يجمع إتقان العلماء ، وظرف الكتاب والشعراء ، وهو بالجبل كابن لنكك بالعراق وابن خالويه بالشام وابن العلاف بفارس وأبي بكر الخوارزمي بخراسان ، وله كتب بديعة ، ورسائل مفيدة ، وأشعار مليحة ، وتلامذة كثيرة ، منهم بديع الزمان ، وأنا أكتب من رسالة لأبي الحسين كتبها لأبي عمرو محمد بن سعيد الكاتب فصلاً في نهاية الملاحاة يناسب كتابي هذا في محاسن أهل العصر ، ويتضمن أنموذجاً من ملح شعراء الجبل وغيرها من العصريين وظرف أخبارهم ، كأبي محمد القزويني وابن الرياشي والهمداني المقيم بشيراز وابن المناوي ، وأبي عبد الله المغلسي المراغي وغيرهم ، ثم أورد ما وقع إلي من ملح أبي الحسين ، إن شاء الله تعالى .

الفصل من الرسالة المذكورة

ألهمك الله الرشاد ، وأصحبك السداد ، وجنبك الخلاف ، وحبب إليك الإنصاف . وسبب دعائي بهذا لك إنكارك على أبي الحسن محمد بن علي العجلي تأليفه كتاباً في الحماسة وإعظامك ذلك ، ولعله لو فعل حتى يصيب الغرض الذي يريده ، ويرد المنهل الذي يؤمه ، لاستدرك من جيد الشعر ونقيه ومختاره ورضيه كثيراً مما فات المؤلف الأول ، فماذا الإنكار ؟ ولمه هذا

الاعتراض ؟ ومن ذا خطر على المتأخر مضادة المتقدم ؟ ولمه تأخذ بقول من قال :
 ما ترك الأول للآخر شيئاً ، وتدع قول الآخر : كم ترك الأول للآخر ؟ وهل الدنيا
 إلا أزمان ولكل زمان منها رجال ؟ وهل العلوم بعد الأصول المحفوظة إلا خطرات
 الأوهام ونتائج العقول ؟ ومن قصر الآداب على زمان معلوم ، ووقفها على وقت
 محدود ؟ ولمه لا ينظر الآخر مثل ما نظر الأول حتى يؤلف مثل تأليفه ويجمع مثل
 جمعه ، ويرى في كل ذلك مثل رأيه ؟ وما تقول لفقهاء زماننا إذا نزلت بهم من
 نواذر الأحكام نازلة لم تخطر على بال من كان قبلهم ؟ أو ما علمت أن لكل قلب
 خاطراً ولكل خاطر نتيجة ؟ ولمه جاز أن يقال بعد أبي تمام مثل شعره ولم يجر أن
 يؤلف مثل تأليفه ؟ ولمه حجرت واسعاً ، وحظرت مباحاً ، وحرمت حلالاً ،
 وسددت طريقاً مسلوكة ؟ وهل حبيب إلا واحد من المسلمين له ما لهم وعليه ما
 عليهم ؟ ولم جاز أن يعارض الفقهاء في مؤلفاتهم ، وأهل النحوي مصنفاتهم ،
 والنظار في موضوعاتهم ، وأرباب الصناعات في جميع صناعاتهم ، ولم يجر
 معارضة أبي تمام في كتاب شذ عنه في الأبواب التي شرعها فيه أمر لا يدرك ولا
 يدري قدره ؟ ولو اقصر الناس على كتب القدماء لضاع علم كثير ، ولذهب أدب
 غزير ، ولضلت أفهام ثاقبة ، ولكلت ألسن لسنة ، ولما توشى أحد الخطابة ، ولا
 سلك شعباً من شعاب البلاغة^(١) ، ولمجت الأسماع كل مردّد مكرّر^(٢) ، وللفظت
 مقلوب كل مرجع ممضغ ، وحتام لا يسأم .

* لو كنت من زمان لم تستبح إبلي^(٣) *

وإلى متى

* صفحنا عن بني ذهل^(٤) *

(١) الشعب : الطريق .

(٢) مجت : استغفلت وكهرت .

(٣) تنمة البيت « بنو اللقيطة من ذهل بن شيبان » .

(٤) تنمة هذا قوله : « وقلنا القوم إخوان » .

ولمه أنكرت على العجلي معروفاً ، واعترفت لحمزة بن الحسين ما أنكره
على أبي تمام في زعمه أن في كتابه تكريراً وتصحيفاً وإبطاء وإقواء ونقلًا لأبيات عن
أبوابها إلى أبواب لا تليق بها ولا تصلح لها إلى ما سوى ذلك من روايات مدخولة ،
وأمر عليلة ، ولمه رضى لنا بغير الرضى ؟ وهلا حسبت على إثارة ما غيبته
الدهور ، وتجديد ما أخلقته الأيام ، وتدوين ما نتجت خواطر هذا الدهر ، وأفكار
هذا العصر ، على أن ذلك لو رآه رائم لأتعبه ، ولو فعله لقرأت ما لم ينحط عن
درجة من قبله ، من جد يروعك ، وهزل يروك ، واستنباط يعجبك ، ومزاح
يلهيك !

وكان يقزوين رجل معروف بأبي محمد الضرير القزويني حضر طعاماً وإلى
جنبه رجل أكل فأحس أبو حامد بجودة أكله ، فقال [من الرجز] :

وصاحب لي بطنه كالهوايه كأن في أمعائه معاويه

فانظر إلى وجازة هذا اللفظ ، وجودة وقوع الأمعاء الى جنب معاوية ، وهل
ضر ذلك أن لم يقله حماد عجرد وأبو الشمقمق ؟ وهل في إثبات ذلك عار على
مثبته ؟ أو في تدوينه وصمة على مدونه ؟

وبقزوين رجل يعرف بابن الرياشي القزويني ، نظر إلى حاكم من حكامها
من أهل طبرستان مقبلاً عليه عمامة سوداء وطيلسان أزرق وقميص شديد البياض
وخف أحمر ، وهو مع ذلك كله قصير ، على برذون أبلق^(١) هزيل الخلق طويل
الحلق ، فقال حين نظر إليه [من السريع] :

وحاكم جاء على أبلق كعقعق جاء على لقلق^(٢)

فلو شاهدت هذا الحاكم على فرسه لشهدت للشاعر بصحة التشبيه وجودة

(١) أبلق : الذي في لونه بياض وسواد .

(٢) العقعق : طائر يشبه الغراب ، والقلق : طائر بحجم الأوزة طويل العنق والساقين « البجع » .

التمثيل ، ولعلمت أنه لم يقصر عن قول بشار [من الطويل] :

كأنّ مشار النقع فوق رءوسنا وأسيافنا ليلٌ تهاوى كواكبه

فما تقول لهذا ؟ وهل يحسن ظلمه في إنكار إحسانه وجحود تجويده ؟

وأنشدني الأستاذ أبو علي محمد بن أحمد بن الفضل لرجل بشيراز يعرف بالهمذاني ، وهو اليوم حي يرزق ، وقد عاب بعض كتابها على حضوره طعاماً مرض منه [من المتقارب] :

وفيت الردى وصروف العلل ولا عرفت قدماك الزلل
شكا المرض المجد لما مرضت فلما نهضت سليماً أبل^(١)
لك الذنب لا عتب إلاّ عليك لماذا أكلت طعام السفل
طعامٌ يسوي يتبع النبيذ ويصلح من حذر ذاك العمل^(٢)

وأنشدني له في شاعر هو اليوم هناك يعرف بابن عمرو الأسدي ، وقد رأيته فرأيت صفة وافقت الموصوف [من المنسرح] :

وأصفر الليون أزرق الحدقه في كلّ ما يدّعيه غير ثقه
كأته مالك الحزين إذا همّ برزق وقد لوى عنقه
إن قمت في هجوه بقافية فكلّ شعير أقوله صدقه

وأنشدني عبد الله بن شاذان القاري ليوسف بن حمويه من أهل قزوين ويعرف بابن المنادى [من الوافر] :

إذا ما جئت أحمد مستميحاً فلا يغرك منظره الأنيق
له لطفٌ وليس لديه عرفٌ كبارقة تروق ولا تريق

(١) أبل : شفي وتعافى .

(٢) البتع : صنع العسل من النبيذ .

فما يخشى العدو له وعيداً كما بالوعد لا يثق الصديق
وليوسف محاسن كثيرة ، وهو القائل ، ولعلك سمعت به [من الخفيف] :

حجٌ مثلي زيارة الخمار واقتنائي العقار شرب العقار
ووقاري إذا توقّر ذو الشيبة وسط الندى ترك الوقار
ما أبالي إذا المدامة دامت عذل ناهٍ ولا شناعة جاري
ربّ ليل كأنه فرع ليلي ما به كوكبٌ يلوح لساري
قد طويناه فوق خشف كحيل أحور الطرف فاتر سحّار
وعكفنا على المدامة فيه فرأينا النهار في الظهر جاري

وهي مليحة كما ترى ، وفي ذكرها كلها تطويل ، والإيجاز أمثل ، وما أحسبك ترى بتدوين هذا وما أشبهه بأساً .

ومدح رجل بعض أمراء البصرة ثم قال بعد ذلك وقد رأى توانيا في أمره قصيدة يقول فيها كأنه يجب سائلاً [من مجزوء الكامل] :

جوّدت شعرك في الأمير فكيف أمرك قلت فاتر

فكيف تقول لهذا ؟ ومن أي وجه تأتي فتظلمه ؟ وبأي شيء تعانده فتدفعه
عن الإيجاز والدلالة على المراد بأقصر لفظ وأوجز كلام ؟ وأنت الذي أنشدتني
[من مجزوء الكامل] :

سدّ الطريق على الزمان وقام في وجه القطوب

كما أنشدتني لبعض شعراء الموصل [من المتقارب] :

فديتك ما شبت عن كبره وهذي سني وهذا الحساب^(١)
ولكن هُجرت فحلّ المشيب ولو قد وُصّلت لعاد الشباب

(١) كبره : تقدّم في السن .

فلم لم تخاصم هذين الرجلين في مزاحمتها فحولة الشعراء وشياطين الإنس ومردة العالم في الشعر؟

وأنشدني عبد الله المغلسي المراغي لنفسه [من الطويل] :

غداة تولّت عيسهم فترحلوا بكيت على ترحالهم فعميتُ
فلا مقلتي أدّت حقوق ودادهم ولا أنا عن عيني بذاك رضيت
وأنشدني أحمد بن بندار لهذا الذي قدمت ذكره ، وهو اليوم حتى يرزق [من
الخفيف] :

زارني في الدُّجى فمّمّ عليه طيب أردانه لدى الرُّبَاءِ^(١)
والثَّريّا كأنّها كفّ خود أبرزت من غلالة زرقاء
وسمعت أبا الحسين السروجي يقول : كان عندنا طيب يسمى النعمان
ويكنى أبا المنذر ، فقال فيه صديق لي [من الطويل] :

أقول لنعمان وقد ساق طبه نفوساً إلى باطن الأرض
أبا منذر أفيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشرّاهون من بعض

* * *

وهذه ملح من شعر أبي الحسين بن فارس ، منها قوله في الشكوى [من
الطويل] :

سقى همذان الغيث لست بقائل سوى ذا ، وفي الأحشاء نارُ تضرّم
وما لي لا أصفى الدعاء لبلدة أفدت بها نسيان ما كنت أعلم
نسيت الذي أحسته غير أنني مدين ، وما في جوف بيتي درهم

(١) نمّ عليه : دلّ وأشار .

وله [من الوافر] :

وقالوا كيف حالك قلت خيرُ
إذا ازدحمت هموم الصدر قلنا
نديمي هرتي وأنيس نفسي
دفاتر لي ومعشوقي الشراب
وقوله [من مجزوء الرمل] :

كلُّ يومٍ لي من سلمى عتابٌ وسبابُ
وبأدنى ما ألاقى منهما يودي الشبابُ

وقوله [من البسيط] :

يا ليت لي ألف دينارٍ موجهةٍ
قالوا : فما لك منها؟ قلت : يخدمني
وأنَّ حظِّي منها فلس إفلاسٍ
لها ومن أجلها الحمقى من الناس
وقوله [من السريع] :

مرّت بنا هيفاءُ مقدودةً
ترنو بطرفٍ فاترٍ فاتنٍ
تركيّةٌ تُنمي إلى التركِ
أضعف من حجةٍ نحوي

وقوله [من المنسرح] :

قالوا لي اخترتُ فقلت ذا هيفٍ
بدرٌ مليح القوام معتدلٌ
بي عن وصالٍ وصدهُ برحُ
قفاه وجهٌ ووجهه ربحُ
وقوله [من مجزوء الكامل] :

اسمع مقالة ناصحٍ جمع النصيحة والمِقة^(١)
إياك واحذر أن تبـيـت من الثقات على ثقـه

(١) المقة : المحبة .

وقوله [من المتقارب] :

إذا كان يؤذيك حرّ المصنّف
ويلهيك حسن زمان الربيع

وكرب الخريف وبرد الشتا
فأخذك للعلم قل لي : متى ؟

وقوله [من البسيط] :

صاحب لي أتانِي يستشير وقد
قلت أطلب أي شيء شئت واسع ورد

أدار في جنبات الأرض مضطربا
عند الموارد إلا العلم والأدبا

وقوله [من المتقارب] :

إذا كنت في حاجة مرسلأ
فأرسل حكيمأ ولا توصه

وأنت بها كلف مغرم
وذاك الحكيم هو الدرهم !

وقوله [من الطويل] :

عتبت عليه حين ساء صنيعه
فلما خبرت الناس خبر مجرب

وآليت لا أمسيت طوع يديه^(١)
ولم أر خيراً منه عدت إليه

أخذه من قول القائل [من الطويل] :

عتبت على سلم فلما هجرته
وجربت أقواماً رجعت إلى سلم

وقوله [من المتقارب] :

تلبس لباس الرضا بالقضا
تقدّر أنت وجاري القضا

وخلّ الأمور لمن يملك
مما تقدّره يضحك

* * *

(١) آليت : أقسمت .

٣٥ - براكويه الزنجاني المعروف بالثلول

كل ما سمعت من شعره ملح وظرف ، ونكت لا يسقط منها بيت ، أنشدني
بديع الزمان له [من الوافر] :

مضى العمر الذي لا يستعادُ ولمّا يقض من ليلي مرادُ
بليت وذكرها عندي جديدُ وشاب الرأس واسودّ الفؤادُ
تواصى للرحيل بنو أبيها فقلت لغير رأيكم السّداد

وأنشدني أبو نصر المغلسي قال : أنشدني براكويه لنفسه في غلامه يوسف [من
الطويل] :

مضى يوسف عنا بتسعين درهماً وعاد وثلت المال في كفّ يوسف
وكيف يرجى بعد هذا صلاحه وقد ضاع ثلثا ماله في التصرف ؟

وأنشدني غيره له [من الوافر] :

وأهيفَ نالت الأيام منه غداة أظللّ عارضه السواد
تعرّض لي ومرّض مقلتيه فما ورّيت له عندي زناد
وقلت ارجع وراءك وابغِ نوراً أجئت الآن إذ ظهر الفساد
فغيرك من يصيد بمقلتيه وغنجها وغيري من يصاد

وقوله [من البسيط] :

أقسم زمانك بين الورد والآس واطلب سرورك بين الكيس والكاس
واجعل طبيبك ذا ، واجعل أنيسك ذا واخطب إلى الناس ودّ الناس بالياس
وقد مضى الناس فانظر ما الذي صنعوا ولا تكن لرسوم الناس بالناسي^(١)

(١) رسوم الناس : آثارهم .

وقوله [من الوافر] :

خرجت مباركاً من باب داري أحاول حاجةً فإذا زهيرُ
فلم أثن العنان وقلت أمضي فوجهك يا زهير خراً وخيرُ
وقوله [من الطويل] :

هلمَّ إلينا يا أخا الفضل والحجى فإنَّ لدينا من صنوف الأطيابِ
أطيابٍ لهمٍ من سرورٍ ولذَّةٍ ومن طيِّبات الرزق قدرٌ لطالبِ
مطيَّبةٌ بكرٌ بخاتم نارها وخطابها يأتون من كلِّ جانبِ
وأنت لها أولاهم بافتضاها فحيَّ عليها الآن يا خير صاحبِ

* * *

٣٦ - أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري

أنشدني عون بن الحسين الهمداني ، قال : أنشدني ابن مأمون الأبهري
لنفسه [من المتقارب] :

ألا يعجب الناس ممّا دعو ت ، يا للأنام لفقد الكرمِ
تيمّمت أحمد في حاجةٍ فقابلني بحجابٍ أصمّ
وإنّ الفتى لحقيقٌ بأن يهان إذا خفّ منه القدم
ومستخبرٍ كنه ما بيننا من الحال قلت أخُ وابن عم
كلانا إلى منسبٍ نعتري وتجمعنا آصرات الرحم^(١)
ولكنّ له الفضل في أنّه يصول بقرنٍ وأنّي أجم^(٢)

وأنشدني أيضاً له [من الطويل] :

(١) آصرات الرحم : روابط القربى .
(٢) أجمّ : الذي لا قرن له والرجل بلا رمح في الحرب .

خليليّ ماذا أرتجي من غدٍ امرئٍ
وإن امرءاً قد ضنّ عنك بمنطقٍ
طوى الكشح عنيّ اليوم وهو مكين^(١)
يسدّ به فقرُ امرئٍ لضنينُ
وله [من المنسرح] :

ما كلّ من جدّد الزمان له
إن كنت يا سيدي ويا أُملي
حسبك أنّي من طول هجرِكَ لا
أدري نهاريّ أم ليلتي أطولُ
وله [من الهزج] :

| | |
|-----------------------|----------------------|
| متى ترغب إلى النَّاسِ | تكنُ للنَّاسِ مملوكا |
| وإن أنت تخفّفت | على النَّاسِ أحبوكا |
| وإن ثقلت عافوك | وملّوك وسبّوكا |
| إذا ما شئت أن تعصي | فمرُ من ليس يرجوكا |
| وسلُ من ليس يخشاك | فيدمي عندها فوكا |

* * *

٣٧ - أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي

من بعض كور الجبل ، يقول في وصف مجمرة ومدخنة [من الطويل] :

ومنحوتةٍ من جنس قلبك قسوةٌ
حوت جمرةً في لون خدك حمرةٌ
يذكرني ما فاح من عرف ندها
شهوراً مضت في وصلنا وسينا
وله في وصف المجمرة [من الطويل] :

(١) طوى الكشح عن الأمر : أي أخفاه، والكشح : ما بين الخاصرة والسرة ووسط الظهر من الجسم .

ومبرقة والبر تنوي وما نوت
 لها قسطل في كل نادٍ تثيره
 أتت حاملاً شمساً توقد في دجاً
 كأن دخان الند من فوق جمرها

وله [من الطويل] :

ولما عدتني عنه بادرة النوى
 فسرت وقد خلقت قلبي عنده

وله في غلام تركي [من البسيط] :

أضيغم أم غزال ذاك أم بشر
 لقد تحير وصفي في حقيقته

وله [من مجزوء الرمل] :

أنا مملوك لمملوك وللدهر صروف
 أيها السائل عن مو لاي مولاي وصيف
 يا غزلاً لحظ عينيه منياً وحتوف
 ما الذي ورد خديك ربيع أم خريف

* * *

٣٨ - أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمداني

من عليّة العلوية ، ومحاسن الحسينية ، وكان صاحب صاهره بكريمته التي

(١) البرّ : المعروف والخير ، والعقوق : نكران الجميل .

(٢) أبناء حام : الزنوج شبه به الفحم ، لسواده .

(٣) الحور : شدة بياض العين وشدة سوادها .

هي واحده ، فرزق منها عباد بن علي الذي تقدم ذكره ، ولما قال صاحب قصيدته المعرة من الألف التي هي أكثر الحروف دخولاً في المنظوم والمثور وأولها [من المجتث] :

قد ظلَّ يجرح صدري من ليس يعدوه فكري
وهي في مدح أهل البيت ، تبلغ سبعين بيتاً - تعجب الناس منها ، وتداولتها الرواة [من الطويل] :

فسارت مسير الشمس في كلِّ بلدةٍ وهبَّتْ هبوب الريح في البرِّ والبحر
فاستمر صاحب على تلك المطية ، وعمل قصائد كل واحدة خالية من حرف من حروف الهجاء ، وبقيت عليه واحدة تكون معرة من الواو، فانبرى أبو الحسين لعملها ، وقال قصيدة فريدة ليس فيها واو ، ومدح صاحب في عرضها ، أولها [من مجزوء الكامل] :

| | |
|----------------------|------------------------------------|
| برقُ ذكرت به الحبايب | لما بدا فالدمع ساكبُ |
| أمدامعي منهلةٌ | هاتيك أم غزر السحابُ |
| نثرت لآلي أدمعٍ | لم يفتزعها كفٌ ثاقبُ |
| يا ليلةٌ قد بثُّها | بمضاجعٍ فيها عقاربُ |
| لما سرت ليلى تخبُّ | لنآيها عنا الركائبُ ^(١) |
| جعلتُ قسيَّ سهامها | إن ناضلته عقد حاجبُ |
| لم يخط سهمٌ أرسلته | ، إن سهم اللّحظ صائبُ |
| تسقيك ريقاً سكره | إن قسته للخمر غالبُ |
| كم قد تشكَّى خصرها | من ضعفه ثقل الحقايبُ |
| كم أخجلت بصفائري | أبدت لنا ظلم الغياهبُ |

(١) الخبب : ضرب من العدو .

| | |
|----------------------|--------------------------------------|
| إخجال كفّ الصاحب الـ | قمر المرجى للسحاب |
| ملكٌ تلاًّ من معا | قد عزّه شرف المناصب |
| نشأت سحاب رفده | في الخلق تمطر بالرغائب |
| خذها إليك فإنني | نقحتها من كلّ عائب |
| ألفت ما لاقيت من | إلقائه إحدى المصاعب |
| حرفاً يعلل كلّ حر | فـ حلّ من لفظ المخاطب |
| هاذاك ترب الهاء إنّ | لم أبدّه فالتّهج لاحب ^(١) |
| لكنّ له تمثال قا | فـ خطّه في السطر كاتب |
| أني اغترفت خليجها | من بحرك العذب المشارب |
| فانعم بملكٍ دائماً | ما حجّ بيت الله راكب |

وله في دار بعض الملوك [من الكامل] :

| | |
|-------------------------|--------------------------|
| دار علت دار الملوك بهمة | كعلو صاحبها على الأملاك |
| فكانها من حسنها وبهاها | بنيت قواعدها على الأفلاك |

* * *

٣٩ - أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني

أحد أفراد الزمان الذين ملكوا القلوب بفضلهم ، وعمرؤا الصدور بودهم يرجع إلى أدب غزير ، وفضل كثير ، ويقول شعراً بارعاً كأنما أوحى بالتوفيق إلى صدره ، وحبس الصواب بين طبعه وفكره ، وكان الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي جاز به عند منصرفه من الحج ، فخدمه أبو سعد بنفسه ونظمه ونثره . وانعقدت بينهما معاودة المشالكة ، وصدافة المناسبة . ولما أنشد الأمير

(١) اللاحب : الطريق الواضح .

أبياتاً لأبي الفتح علي بن محمد البستي مشابهة القوافي ، قال أبو سعد أبياتاً فيه ،
على سبيل أبي الفتح فيها نهج ، وعلى منواله نسج ، فمنها قوله [من السريع] :

ما سرّ مولاي نبيّ الهدى بوحى جبريلٍ وميكال
إلاّ قريباً من سروري بما رزقت من ودّ ابن ميكال
لكن نواه قد أطاشت دمي فالله فيه لدمي كالي^(١)

وقوله [من الطويل] :

أبي الفضل أن يحظى به غير أهله من الناس فاخصّ الأمير أبا الفضل
وإني وإن أصبحت حرّاً فإنني عبيد عبيد الله ذي المنّ والفضل
هل الفضل إلاّ ما حوته خلّاله وما بعده فضلٌ يعدّ من الفضل

ومما وقع إلي بعد ذلك من غرر شعره التي رضي فيها عن طبعه قوله [من
الطويل] :

أصرّح بالشكوى ولا أتأولّ إذا أنت لم تجمل فلم أنجمل؟
أفي كلّ يومٍ من هواك تحاملّ عليّ ومنّي كلّ يومٍ تحمّل؟
وإني على ما كان منك لصابرٌ وإن كان من أدناه يذبل يذبل
وما أدعي أنّي جليدٌ، وإنّما هي النفس ما حملتها تتحمّل

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي له [من مجزوء الرجز] :

زاد غرامي لها فطر غمامٍ سكبا
فعاقني عن قصدكم كما تعوق الرّقا
وكان عهدي قبل ذا بالماء يظفي اللهبا
فكيف قد فارق لي طباعه وانقلبا

(١) أطاش السهم : أمال عن الهدف ، أطاش الدم : أخرجه وبّده ، وكالي : حافظ وواقى .

وهكذا الدهر يُرى في كلِّ يومٍ عجباً

* * *

٤٠ - أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني

شاعر حسن الشعر ، كثير الملح والنكت ، أنشدني غير واحد له [من المنسرح] :

عينيَّ مذ شطَّتِ الدِّيارَ بكمْ تحكي سماءً والدَّمعُ أنجمها
كأنَّ في وجنتي أبالسةٌ تسترق السَّمعَ وهي ترجمها

وأنشدني أبو منصور اللجيمي الدينوري ، قال : أنشدني أبو عليُّ لنفسه في العنب
[من الطويل] :

نهاني عدولي بل لحاني إذ رأى ولوعي بالأعنان أكثر قضمها^(١)
فقلت له الصهباء كانت عشيتي فقد ألزمتني رقةً الحال صرمها^(٢)
فعللت بالأعنان نفسي كمنعظٍ نأت عرسه عنه فواقع أمها^(٣)

وأنشدني أيضاً ، قال : أنشدني أيضاً لنفسه [من البسيط] :

يا ليلةً جمعةً بي والمدام ومن أهواه في روضةٍ تحكي الجنان لنا
لأشكرنك ما ناحت مطوقةً على الغصون كما طوقتني منناً

وأنشدني غيره لأبي علي [من الطويل] :

أليس عجيباً أنَّ جسمي ناحلٌ نحول خلالٍ بل نحول هلالٍ
وأحمل ثقلًا في الهوى لا تقله متون جمالٍ بل متون جبال^(٤)

(١) قضمها : أكلها والتهامها .

(٢) صرمها : جفائها وقطمها .

(٣) المنعظ : « يريد الواقعة » واقع : جامع ، وأنعظ : انتصب وقام .

(٤) المتون : الظهور .

وأنشدني أبو حفص عمر بن علي ، قال : أنشدت بالري لأبي علي [من
المنسرح] :

قل للذي يظهر التبرُّم بي وبالرقاع التي أسطَّرها
حاجة مثلي إليك عارفةٌ عندك بالله لست تشكرها

* * *

٤١ - أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي

أنشدني الأمير أبو الفضل عبيد الله بن أحمد الميكالي له [من مجزوء الكامل] :

الريحُ تحسدني عليك ولم أخلها في العدا
لَمَّا همت بقبلةٍ ردَّت على الوجه الرِّدا

وأنشدني له [من الوافر] :

وقالوا أيُّ شيءٍ منه أحلى فقلت المقلتان المقلتان
نعم والطرتان هما اللتان على عمر الهرندي فنتتان

وأنشدني هرون بن جعفر الصيمري ، قال : أنشدني عمر الهرندي لنفسه [من
الخفيف] :

لا أحبُّ المدام إلا العتيقا ويكون المزاج من فيك ريقا
إنَّ بين الضلوع منِّي نارا تتلظى فكيف لي أن أطيقا
بحياتي عليك يا من سقاني أرحيقاً سقيتني أم حريقا

وعلى ذكر الحريق والرحيق فقد قال بعض أهل نيسابور [من مجزوء الرمل] :

وعقارٍ عيشٌ منَّ عا قرها عيشٌ رشيقٌ
فهي للأنس نظامٌ وإلى اللهو طريق

وهي للأرواح في أبداننا نعم الصديق
قلتُ لما لاح لي منها شعاعٌ وبريق
أشقيقٌ أم عقيقٌ أم رحيقٌ أم حريقٌ؟

وأنشدت له في ذم المتصوفة [من مجزوء الرجز] :

تَبَّأْ لِقَوْمٍ جَعَلُوا دِيناً لِدُنْيَا مَأْكَلِهِ
تَسْتَرُوا بِأَنَّهُمْ صُوفِيَةٌ مُحِبُّلِهِ
وَمَا يَسَاوِي نَسَكُهُمْ قِمَامَةٌ مِنْ مَزْبَلِهِ
إِتَّخَذُوا شَبَاكُهُمْ إِحْفَاءَهُمْ لِلْأَسْبَلِهِ^(١)

وله من قصيدة في أبي الفتح بشر بن علي [من الكامل] :

رؤياك في أمري روية حازمٍ ذي حكمةٍ فأقول قولاً مبرماً
إن تقصني أمسيت مضغة ضيغمٍ أو تدنني أصبحت ذاك الضيغماً
وله فيه من قصيدة وقد كتبت به دابته في نهر عميق فهلكت وسلم أبو الفتح من
المتقارب] :

بنحسٍ أعاديكَ دار الفلك وما دار يوماً بسعدٍ فَلَكَ^(٢)
وإن همَّ دهرٌ بما لا أقول فنفسى الفدا وعليَّ الدَّرَكُ^(٣)
بقيت جواداً فلا تحزننُ لفقد الجواد الذي قد هلك
فإنْ أذنب الدهر في أخذه فخيرٌ من الطرف ما قد ترك

* * *

(١) إحفاءهم الأسبلة : إزالتهم للشوارب ، والسبال : الشعر الذي ينبت فوق الشفة العليا .

(٢) الفلك : الفضاء ونجومه وفلك : الثانية مؤلفة من الفاء ولك ، أي أن السعد لك .

(٣) الدَّرَك : أي تبعة العمل .

٤٢ - أبو عبد الله المغلسي المراغي

قد تقدم له ذكر في الفصل من رسالة أبي الحسين بن فارس ، وهو القائل في
محك الذهب [من الطويل]

ومشتمل من صبغة الليل بردة يفوف طوراً بالنضار ويطلس^(١)
إذا سأله عن عويص ومشكل أجاب بما أعا الورى وهو أخرس^٢
وله في اللواء [من الطويل] :

ومرتفع للناظرين محارب ترى رأسه في بسطة الباع مائلا
حكى ثملاً أصغى إلى الين فلفتني يشق عن الأذيال منه الغلائلا

وأخبرني أبو الحسين النحوي أن له في الأوصاف وما يجري مجرى العويص
شيئاً كثيراً ، وإذا وقع إلي منه ما يصلح للإلحاق بهذا الفصل ألحقته ، إن شاء الله
تعالى .

* * *

٤٣ - القاضي أبو بكر الأسي

من أهل الري ، بلغتني له أبيات يسيرة في نهاية خفة الروح ، كقوله [من
مجزوء الرمل] :

يا غزلاً هو للحسد من مقرر ومحط
لم تكن أنت بهذا الحسن والبهجة قط
مذ بدا في عجاج خديك من العنبر خط

وقوله [من المنسرح] :

وزائر زار خائفاً رصداً لم أرج منه زيارة أبداً

(١) النضار : الذهب الخالص : ويطلس : يحو ، وطلس الكتاب : مجاه .

لو جاز أن يعبد امرؤُ أحدًا من دون ربِّ الورى إذا عبدا
قمت لإكرامه فباس يدي أكرم بها في الهوى عليّ يدا
يا قيلةً أصبحت لها شفتي تموت من غيظِ راحتي كمدا

* * *

فصل

في ذكر نفر من الطارئين على بلاد الجبل

٤٤ - أبو عبد الله البطحاوي

قال [من مجزوء الرمل] :

يا حمامي وحميمي وغراممي وغريمي
وسقيم الودِّ والعهد لذي جسمٍ سقيم
لم يزل ذكرك مذفا رقت ندماني نديمي
وجهك الزاهر لي رو ضُ وريّاك نسيمي
غير أنّي أشتكي منك إلى غير رحيم
معرض عن وجه إقبا لي خليّ عن معومي

* * *

٤٥ - ابن حماد البصري

قال [من البسيط] :

إن كان لا بدّ من أهلٍ ومن وطنٍ فحيث آمنُ من ألقى ويأمنني
يا ليتني منكرٌ من كنت أعرفه فليست أخشى إذا من ليس يعرفني
لا أشتكي زمني هذا فاظلمه وإنما أشتكي من أهل ذا الزمن

قد كان لي كنزٌ صبرٌ فافتقرتُ إلى إنفاقه في مزاراتي لهمْ وقتي
وقد سمعتُ أفانينَ الحديثِ فهلْ سمعتُ قطْ بحرٌ غيرَ ممتحنِ

* * *

٤٦ - شمسويه البصري

قال في غلام يبيع الفراني [من الخفيف] :

قلت للقلب ما دهلك : أجيني قال لي : بائع الفراني فراني^(١)
ناظره فيما جنى ناظره أو دعاني أمت بما أو دعاني

* * *

٤٧ - أبو الفضل النهر عاسي

قال [من الكامل] :

لولا تعاليل النفوس وأنها مخدوعةٌ ما سرَّها محبوبُ
خاب امرؤٌ محضُ النصيحة نفسه كلُّ يشوبُ لنفسه ويروب^(٢)

* * *

٤٨ - أحمد بن بندار

قال [من الطويل] :

وقالوا يعود الماء في النهر بعد ما عفتْ منه آثارٌ وجفتْ مشاعةٌ

(١) الفراني : جمع فرني أو فرينة ، وهو نوع من الحلوى تحبب في الأفغان ، وفراني الثانية : شقني أو جرحني .

(٢) يشوب : يمزج ، ويروب : يخلط عقله ورأيه ، وراب اللبن : تخن واشتد ، والروب : الكذب .

فقلتُ إلى أن يرجع الماء عائداً ويعشب شطأه تموت ضفادعه

٤٩ - أبو عبد الله الروزباري

قال في وصف الثلج [من البسيط]

| | |
|--|-------------------------------|
| فهاتها قهوة فرجة الكرب | ما لابن هم سوى شرب ابنة العنب |
| على الغيوم فقد جاءتك بالطرب ^(١) | أدهق كؤوسك منها واسقني طرباً |
| يما نثرن عليها وهي لم تشب | أما تري الأرض قد شابت مفارقها |
| فاشرب على منظر مستحسن عجب | نثار غيث حكى لون الجمال لنا |
| فجد لنا بالتي في اللون كالذهب | جاد الغمام بدمع كاللجين جرى |

.....

.....

.....

.....

(١) ادهق : إملاً ومنه « كاسا دهاقا » .

الباب الثامن

في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل فارس والأهواز
سوى من تقدم ذكرهم في ساكني العراق

كعبد العزيز بن يوسف وأبي أحمد الشيرازي ، وسوى من يتأخر ذكرهم في
الطائفتين على خراسان كأبي إسحاق المتصفح كان ببخارى وأبي الحسن محمد بن
الحسين النحوي المقيم الآن بإسفرائين من نيسابور وأبي الحسين الأهوازي
صاحب كتاب القلائد والفرائد المقيم كان بالصغانيات

* * *

٥٠ - أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي

المعروف بابن العلاف

كان بفارس للأدب مجمعا ، وللشعر مفزعا ، مع التصرف في مدارج
الأحكام ، والمعرفة بشعب الحلال والحرام ، والقبول التام ، عند الخاص
والعام ، حق التسعين ولم تبيض له شعرة ، وهو القائل في الترم بثبانه من قصيدة
[من الوافر] :

إلامَ وفيمْ يظلمني شباي ويلس لمتي حلل الغراب
وآمل شعرة بيضاء تبدو بدو الصدر من خلل السحاب
وأدعى الشيخ ممثلاً شاباً كذي ظمأ يعلل بالسراب

فيا هللكي هنا لك من مشيبي ويا خجلي هنا لك واكتلبي
 ألا يا خاضب الشيب المعنى أعني في الشباب على الخضاب
 فكافور المشيب أجلُّ عندي وفي فودي من مسك الشباب
 وأين من الصباح ظلام ليل وأين من الرباب دجى ضباب^(١)
 ألا من يشتري مني شيباً بشيب واسوداداً باشهاب^(٢)

ومما يستحسن من شعره في عضد الدولة قوله [من السريع] :

يا عَلمَ العالم في الجود مثلك جوداً غير موجود
 بَيَّضت من وجه الندى بالندى ما اسودَّ في أيامه السود
 كم لك في كسبك للحمد من سعي على الأيام محمود
 بين مطيع لك أصفده^(٣) وبين عاصٍ لك مصفود^(٤)
 بك استوى الجود على خدمة كما استوى الفلك على الجودي^(٥)
 كم مورد منك ندى أو ردى بين الرضا والسخط مورد
 وسؤد منك بعز العلا يا عضد الدولة معضود
 والدهر طوع لك في كل ما تحده من كل محدود
 وكل جار لك من جوره في ظل أمن بك ممدود
 فعش وعيد سالماً آمناً ما عاد لطف الماء في العود
 واسعد يد الدهر بما شئت من ملكك لأبنائك موطود

ومما يستجاد من شعره قوله في الغزل [من البسيط] :

خدأك للخنس السبع العلا فلك ومقلتك لشرد الهوى شرك^(٦)

(١) الرباب : السحاب الأبيض ، يعني به الشيب .

(٢) اشهب : وهو السواد الذي خالطه اليأس .

(٣) الأصفاة : العطاء ، وأصفده : أعطاه ، والمصفود : المقيد للشدود .

(٤) الجودي : جبل في العراق رست عليه سفينة نوح عليه السلام .

(٥) الخنس : الكواكب ، والشرك : حال يعطاه من وقع فيها .

وفيك نفعٌ وضرٌّ يجريان كما
فالضرُّ أجمع مخصوصٌ به بدني
وقوله [من الطويل] :

أبعد دنو الدار من داركم أجفى
وكنتم إذا سلسلت في كأس ذي هوى
فقيم يخون العهد من صنت عهده
وقوله في الزهد [من المنسرح] :

ما عذر من جرَّ غاويًا رسته
أكلما طالت الحياة به
قل لي إذا مت كيف تنقص من
ما عذره بعد أربعين سنة
أطال عن أخذ حذره رسته
سيئة أو تزيد في حسنه



٥١ - أبو بكر بن شاذبة الفارسي

وجدت في سفينة بخط الشيخ الرئيس أبي محمد عبد الله بن إسماعيل
الميكالي لأبي بكر بن شاذبة الفارسي [من الطويل] :

إذا لم يكن ممن يؤوب هدية
وإن يهد أقلاماً ونقشاً وكاغداً
وإن يهد يرداً أو ردةً محبباً
فلا لقيته بالسعادة داره
فلا قر يوماً بالمقام قراره^(١)
فلا زال عنا ظله وجواره
وله [من الخفيف] :

(١) العرف : الخالص الصافي .

(٢) النفس : الحبر ، والكاغد : الورق .

طال شوقي فما ترى في التلاقي
إن هذا الربيع ليس ببقاء
وكسوف المحب يوم الفراق

يا صماني على الربيع وشرطي
استرني بحرمتي ، أو قزني
آفة البدر ما علمت كسوف

وله [من الكامل]

وله [من الكامل]

يوم أتاك به الزمان جديد
وأتى الخريف ووقته المحمود
فبقاء عمرك كل يوم عيد
سماع أهيف في يديه عود

أنعم بيوم المهرجان فإنه
ومضى المصيف وحره وعجابه
إن كان هذا اليوم عيداً للورى
والراح طيبة إذا ما علّت

وله [من السريع]

وله [من السريع]

أوسع من نعمة إخوانه
يبدلها في بعض أحيانه
مشرف شيد بأركانه^(١)
على أدانيه وخلانه

أكل من كان له نعمة
أم كل من كانت له كسرة
أم كل من كان له جوسق
يرى بها مستكبراً تائهاً

* * *

٥٢ - أحمد بن الفضل الشيرازي

كان يهوى قتي من أولاد الأغنياء المثرفين بشيراز ، فقال فيه [من الكامل] :

علقت واحد أمه وأبيه
يتلقطان كلامه من فيه
من نخوة مشتقة من تيه

ومن البلية والعطائم أنني
فهما ذوا حذر عليه تراهما
قد دللاه وأورثاه رعونة

* * *

(١) الجوسق : القصر .

٥٣ - المعروف المنبسط الشيرازي

سمعت أبا نصر سهل بن المزربان يقول : أضاف المنبسط بعض إخوانه ثم خرج وخلاه في منزله ، فكتب إليه [من البسيط] :

يا خالي الجيب من عقل ومن أدب وإن تحليت من خال ومن نسب
تركتني ومعني في البيت واحدة وأنت تعلم ما يجري به لقبي

* * *

٥٤ - أبو رجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي

قال [من البسيط] :

غضبت من قبله بالكوه جئت بها فهذا فمي لك فاقتصيه أضعافا
لم يأمر الله إلا بالقصاص فلا تستجوري ما يراه الله إنصافا

* * *

٥٥ - أبو عبد الله الخوزي

قال [من السريع] :

ويل لمن عدله القاضي والله عنه ليس بالراضي
تمضي القضايا بشهادته وهو إلى النار غداً ماض

* * *

٥٦ - أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني

قال [من المتقارب] :

مدحت ابن كلثوم صهر الوصي فأنزلني بالمحل القصي

فأطعمه الله سلح الخصى وكَلَّلَ يافوخه بالعصي^(١)

* * *

٥٧ - أبو علي بن غيلان السيرافي

قال [من مجزوء الكامل] :

قد كنت ألتبس الشرا ب فقد بدا لي في الشراب
وأهمني خبز الشعير ولم يكن ذا في حسابي

* * *

٥٨ - ابن خلاد القاضي الراهمزمي

هو أبو محمد الحسن بن عبد الرحمن بن خلاد .

من أنياب الكلام ، وفرسان الأدب ، وأعيان الفضل ، وأفراد الدهر ، وجملة
القضاة الموسومين بمدخلة الوزراء والرؤساء ، وكان مختصاً بابن العميد
تجمعهما كلمة الأدب ولحمة العلم ، وتجري بينهما مكاتبات بالثر والنظم ، كما
تقدم ذكر صدر منهما ، وهكذا كانت حاله مع المهلبى الوزير ، وهو الكاتب إليه
لما استوزر [من البسيط] :

الآن حين تعاطى القوس باريتها وأبصر السمت في الظلماء ساريتها^(٢)
الآن عاد إلى الدنيا مهلبها سيف الوزارة بل مصباح داجيتها
تضحى الوزارة تزهى في مواكبها زهو الرياض إذا جادت غواديتها^(٣)

(١) السلح : الغائط ، والياوخ : الرأس .

(٢) السمت : الطريق .

(٣) جادت غواديتها : هطلت أمطارها .

تأملت علينا بيمينون نقيته قلت لمقداره الدنيا وما فيها
معز دولتها ههنا فلقد أيدتها بوثيق مهن رواسيها
فأجابه المهلب بهذه الأبيات [من السبط] :

مواهب الله عندي ما يدانيها سعي ومجهود وسعي لا يوازيها
والله أسأل توفيقاً لطاعته حتى يوافق فعلي أمره فيها
وقد أتتني آيات مهذبة طريفة جزلة رقت حواشيها
ضممتها حسن إبداع وتهته أنت المهنأ بيادها وتاليها
فثقت بنيل المنى في كل منزلة أصبحت تعمرها مني وتبينها
فأنت أول موثوق بنيت وأقرب الناس من حال ترجيها
ومن ملح ابن خلاد قوله في نفسه [من السريع] :

قل لابن خلاد إذا جئت مستنداً في المسجد الجامع
هذا زمان ليس يحظى به حدثنا الأعمش عن نافع
وقوله وقد طوّل بالخراج [من الرجز] :

يا أيها المكثّر فينا الزمجره ناموسه دفتره والمحبّه^(١)
قد أبطل الديوان كتب السّحره والجامعين وكتاب الجمهوره
هيهات لن يعبر تلك القنطره نحو الكسائي وشعر عترة
ودغفل وابن لسان الحمرة ليس سوى المنقوشة المدوره^(٢)
وقوله [من الطويل] :

غناء قليل مالك ومحمد إذا اختلفت سمر القنا في المعارك

(١) ناموسه : شريعته .

(٢) ابن لسان الحمرة : خطيب بلخ نسابة ، اسمه عبد بن حصين ، ويقال : ورقه بن الأشعر .

تَجَمَّلُ بِمَالٍ وَاعْدُ غَيْرَ مَذْمُومٍ بِمَشْرَاطِ حِجَامٍ وَمِنْوَالِ حَائِكٍ

وما يتعنى به من شعره قوله في غلام من أبناء الديلم [من معزوء الرجز] :

| | |
|-----------------------|---|
| يا مَنْ لَصَبٌ قَلَقِ | بات يراعي الفلکا |
| جار به مَسْلُطٌ | يجور فيمن ملكا |
| يهزأ من عاشقه | يضحك منه إن بكى |
| مر بنا يخطر في | سريحة دلُّكا |
| كشادنٍ ريع من الـ | صَيَّادِ أَبْدَى شَرِكَا ^(١) |
| فقلت يا أحسن من | تبصر عيني من لكا |
| فقال لي بغنة | إليك لا أجرحكا |
| تبأ لقاضٍ يبتغي | من المعاصي دركا ^(٢) |
| فقلت والله الذي | صيرني عبداً لكا |
| ما إن أردت ربيعة | ولم أزد سوءاً يكا |
| وأنت في قولك ذا | أثم ممَّنْ أشركا |

وقوله من قصيدة في عضد الدولة أبي شجاع رحمه الله تعالى [من الكامل] :

| | |
|-------------------------------------|---|
| جِاديتُ عِراصِكَ مِزْنَةً يَا دَارُ | وكيساك بعد قطنك النوار ^(٣) |
| فليكم أرقبُ بعقبوتيك صِيَابَةً | ماء المدامع والجوانح نار ^(٤) |
| ولقد أدبل من الجهالة والصبا | زمنٌ على زينة العقبول عيار ^(٥) |

ومنها في المدح :

(١) الشادن : الغزال ، وريع : خاف ، والشرك : المصيدة .

(٢) تبأ : قطعاً وملاكاً ، دركا : نيلاً .

(٣) العراص : الساحات ، والقطين : الساكن .

(٤) العقوة : شجر ، أو ما حول الدار والمحلة .

(٥) أدبل : غلب ، وأدال الشيء : تداوله .

فعلت به لذوى الحصى أقدارُ
ودنا من الكرم البعيد مزارُ
ظهراً وناضل عنهما أنصارُ
تبنى القوافي يعربُ ونزارُ
والقائلين بفضلِه أبحارُ
والأعشيان وأقبل المزارُ
وكثيرُ ومزردُ وضرارُ
يعزى الصليب إليه والزنارُ^(١)
والآخرون يقودهم بشارُ
والأصمعي ولم يغبُ عمارُ
كالأرض ناشرة لها الأمطارُ
فما القريض وعاشت الأشعارُ

كرَّ الفرار بيمنه وسعوده
عمرت من الأدب الفقيده
والفقه والنظر المعظم شأنه
عادت إلى الدنيا بنوها واعتدت
وسمت إلى فصل الخطاب وأمله
آب الحصين وعنتر ومهلل
والنايفان وجرول ومرقش
وسما جرير والفرزدق والذي
وغدا حبيب والوليد ومسلم
وأتى الخليل وسيبويه ومعمّر
نشرت بفنا خسرو أربابها
أحيا الأمير أبو شجاع ذكرهم

ولما توفي ابن خلاد رثاه صديق له بقصيدة في نهاية الحسن ، أولها [من
الكامل] :

وسرور أبناء الزمان غمومُ
أقصى المنى حنف عليه يخوم
مرٌّ وعقد وفاتها مذموم
جذبُ ، وناضع عيشها مستموم^(٢)
يفشى ، ولا فيها التعيم مقيم^(٣)

همم النفوس قصارهن همومُ
ومصير ذي الأمل الطويل وإن حوى
وسعادة الإنسان على استخلائها
وهنيئها برح ، وخضب ربيعها
لا سعدتها يبقى ، ولا لأواؤها

(١) يعزى الصليب إليه : ينسب إليه وضع الصليب في صدره ، وهو الأخطل الكبير ثالث المثلث الأموي المشهور .

(٢) السنيح والبارح : السنيح : الطائر الذي يمر من يسار الراي إلى يمينه ، والبارح : الطائر الذي يمر من اليمين إلى اليسار « رمزان للتشاور والتفؤل » عند العرب .

(٣) اللأواء : الشدة .

محسودها مرحومها، ورئيسها
 وبقلوها سبب الفناء، ووعدنا
 أما الصحيح فإنه من خوف ما
 وسلمها طي السلامة دائماً
 وغنيها حذر الحوادث والردي
 سيان في حكم الحمام وريه
 أودي ابن خلاد قريح زمانه
 لو كان يعرف فضله صرف الردي
 عظمت فوائد علمه في دهره
 إقليم بابل لم يكن إلا به
 أنى اهتدى ريب المنون لساتر
 ظلم الزمان فبرز عنه كماله
 لا تعجب من الزمان وغدره
 لو كان ينجو ماجد لتقية
 لكنه أمر الإله وحكمه
 روض من الآداب غص زهره
 وحديقة لما تزل ثمراتها
 شماعة الوزراء حلو حديثه
 ريحانة الكتاب من أفاظه
 أما العزاء فما يحل بساحتي

مرعوسها، ووجودها معدوم
 إيعادها، وودادها مصروم
 يمتاده من سقمه لسقيم
 يرنو إلى الآفات وهو سليم
 في ظل أكناف اليسار عديم
 عند التناهي جاهل وعليم
 بحر العلوم وروضها المرهوم^(١)
 لانحاز عنه ونابه مظلوم
 فمصابه في العالمين عظيم
 فالיום ليس لبابل إقليم
 فوق النجوم محلّه المرسوم
 ومن المعائب ظالم مظلوم^(٢)
 فحديث غدرات الزمان قديم
 نجى ابن خلاد التقى والخيم^(٣)
 وفضلوه في خلقه المحتوم
 ركذ الهجير عليه فهو هشيم
 تحف الملوك أصابهن سموم^(٤)
 تحف لهم دون النديم نديم
 يتعلم المشور والمنظوم
 والصبر عنك كما علمت ذميم

(١) المرهوم : الذي يقيه المطر الدائم .

(٢) يز : سلب .

(٣) الخيم : السجاي والصفات .

(٤) السموم : الرياح الحارة التي تهب صيفاً .

وإذا أردت تسلياً فكأنتي فيما أدت من السلو ملیم
فعليك ما غنى الحمام تحية ومع التحية نضرة ونعيم

٥٩ - محمد بن عبد العزيز السوسي

أحد شياطين الإنس ، يقول قصيدة تربي على أربعمئة بيت في وصف حاله وتنقله
في الأديان والمذاهب والصناعات ، أولها [من المنسرح] :

| | |
|------------------------------|--|
| الحمد لله ليس لي بخت | ولا ثياب يضمنها تخت |
| سيان بيتي لمن تأمله | والمهمة الصحصان والعمرت ^(١) |
| أمنت في بيتي اللصوص فما | للص فيه فوق ولا تحت |
| فمنزلي مطبق بلا حرس | صفر من الصفر حيثما أدت |
| إبريق الكوز إن غسلت يدي | والطين سعدي وداري الطست |
| وعاجل الشيب حين صيرني | فرزدقي المشيب إذ شبت |
| سلكت في مسلك التصوف | تسمياً فكم للذبول قصرت |
| سويت سجادة بينوم | وأحلفت سبالاً قد كنت طولت |
| وفي مقام الخليل قمت كما | قام لأنني به تبركت |
| وقلت إنني أحرم من بلدي | وفي حرامي إن كنت أحرم |
| ثم كتبت العطوف حتى بتد | ييري بين الرؤوس ألفت |
| حتى إذا رميت عطف بعلى على | عرس عكست المعنى وطلقت |
| حرفي منقى من التراب فكم | ذريته مرة وغربلت |
| يا ليت شعري مالي حرمت ولا | أعطي من إن رأيت غتظت |
| بل ليت شعري لما بدا يقسم الـ | أرزاق في أي مطبق كنت |

(١) المهمة : القفر ، والصحراء الواسعة التي لا ماء فيها ، والصحصان : الأرض الجرداء ، والمريت :
الأرض بلا نبات .

والحمد لله قاسم الرزق في المخلقي كما اختار لا كما اخترت

٦٠ - أبو محمد السوسي

قال [من المجتث] : بكر

بناكر علي بكي حمراء من كف بكر

وأحي بالقص قصفي وأفن في العمر عمري^(١)

روح براحك روحي وحز بسكري شكري^(٢)

فساعة لم أعشها في القصف تقصف ظهري

* * *

٦١ - أبو الحسن بن غسان

سمعت أبا الحسين محمد بن الحسين الفارسي النحوي يقول : ورد أبو

الحسن بن غسان البصري الشاعر الطيب على أبي مضر عامل الأهواز في جملة

شعراء امتدحوه ، ومرض في أثناء ذلك ، فعالجه أبو الحسن حتى برىء من

مرضه ، وكتب للشعراء ولأبي الحسن خطوطاً بصلات ، فأخرت رويجها فكتب إليه

[من الوافر] : رفيع

هب الشعراء تعطيهم رقاعاً مزورة كلاماً من كلام

فلم صلة الطيب تكون زوراً وقد أهدى الشفاء من السقام ؟

(١) القصف : الشراب والمجون .

(٢) الراح : الخمر ، وحز : من حاز : أي حصل .

قد تمت - بحمد الله تعالى وحسن توفيقه - مراجعة الجزء الثالث من كتاب
« يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر » لأبي منصور عبد الملك بن محمد بن
إسماعيل الثعالبي النيسابوري ، ويليه - إن شاء الله تعالى - الجزء الرابع مفتتحاً
بالباب التاسع في ذكر من هم شرط الكتاب من أهل جرجان وطبرستان ، نسأل الله -
جلت قدرته - أن يعين على إكماله ، بمنه وفضله .

فهرس الجزء الثالث

من كتاب « يتيمة الدهر ، في محاسن أهل العصر »
للإمام أبي منصور عبد الملك الثعالبي النيسابوري
المتوفى سنة ٤٢٩ من الهجرة

فهرس

| الموضوع | ص |
|---|----|
| ابن سكرة الهاشمي أبو الحسن محمد بن عبد الله بن محمد | ٣ |
| توطئة فيها بعض خبره | ٣ |
| الغزل والنسيب من شعره | ٤ |
| المجنون وما يجري مجراه | ١١ |
| أهاجيه في جاريته «خمرة» خاصة | ١٤ |
| المختار من سائر أهاجيه | ١٨ |
| خمرياته | ٢٢ |
| الشكوى والتفجع | ٢٦ |
| المدائح | ٣٠ |
| الملح والنوادر | ٣١ |

التياب المتابع

| | |
|--------------------------------------|----|
| أبو عبد الله الحسن بن أحمد بن الحاج | ٣٥ |
| تهيد في أنه مستهتر بالمجون | ٣٥ |
| وصفه لشعره ، وما يشتمل عليه من السخف | ٣٦ |
| قطعة من نوادره | ٤٠ |

الموضوع

ص

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٤٠ | مقادر شعره وأماجيه |
| ٥٢ | ملح مما يتمثل به من أحوال السلف |
| ٥٨ | ملح من سائر أمثاله جداً وهزلاً |
| ٦٠ | أمثاله في أنصاف أبيات ، وفي أبيات |
| ٦٣ | الشكوى وسوء الحال |
| ٦٦ | نبذ من نوادره في أنواع الكدية |
| ٧٤ | خمرياته وما ينضاف إليها |
| ٨٠ | خرافات ومفاحشات |
| ٨٨ | ملحه القصار |
| ٩٥ | نوادره في ذكر الصقع |
| ٩٧ | سرقاته |
| ٩٩ | مكرر معانيه |
| ١٠٢ | ما وقع في شعره من التضمين |
| ١٠٦ | ما أخرج له في التخلص |
| ١٠٨ | نبذ من ملحه |
| ٢١٠ | نوادره في سائر الفنون |
| ١١٦ | أبو القاسم علي بن جلبات |
| ١٢٠ | محمد بن الحسين الحاتمي |

الباب الثامن

في ملح المقلين من أهل بغداد

| | |
|-----|-------------------|
| ١٢٥ | القاضي ابن معروف |
| ١٢٧ | أبو الفرج الأصمعي |
| ١٣٣ | أبو الحسن بن مقلة |

| الموضوع | ص |
|--|-----|
| أبو الحسن علي بن هرون المنجم | ١٣٤ |
| أبو الحسن الأحنف العكبري | ١٣٧ |
| ابن العصب الملحي | ١٤٠ |
| أبو علي الحسن بن علي الخالغ | ١٤١ |
| أبو محمد عبد الله بن محمد النامي الخوارزمي | ١٤٢ |

الباب التاسع

فيما أخرج من مجموع أشعار أهل العراق وغيرهم
في الوزير أبي نصر سابور بن أردشير

| | |
|--------------------------------|-----|
| قصيدة السلامي | ١٤٥ |
| قصيدة الحمدوني | ١٤٥ |
| قصيدة أبي الفرج البيضاء | ١٤٦ |
| قصيدة ابن بابك | ١٤٧ |
| قصيدة ابن لؤلؤة | ١٤٧ |
| قصيدة الخليل النامي | ١٤٨ |
| قصيدة الخاقي | ١٤٨ |
| قصيدة الخالغ | ١٥٠ |
| قصيدة محمد بن بلبل | ١٥١ |
| قصيدة أحمد بن علي المنجم | ١٥١ |
| قصيدة السفياي | ١٥١ |
| قصيدة أحمد بن المغلس | ١٥٢ |
| قصيدة سعيد بن محمد الأزدي | ١٥٢ |
| قصيدة الحسن بن محمد بن العضيدي | ١٥٣ |
| قصيدة عون بن علي العنبري | ١٥٣ |

الباب العاشر

في ذكر الشريف أبي الحسن الرضي الموسوي ١٥٥

القسم الثالث من كتاب « يتيمة الدهر » حسب تقسيم المؤلف

الباب الأول

في ذكر ابن العميد ، وإيراد لمع من أوصافه وأخباره

توطئة في منزلته ١٨٣

رسائله ١٩٠

فصول له قصار تجري مجرى الأمثال ١٩٦

مكاتبات بالشعر جرت بينه وبين ابن خلاد القاضي ١٩٧

إخوانياته ٢٠٢

مقارضاته ٢٠٦

شعره في الغزل ٢٠٩

شعره في سائر الفنون ٢١٠

شعره في المعنى ٢١٢

الباب الثاني

أبو الفتح ذو الكفائتين ابن ابن العميد ٢١٥

الباب الثالث

في ذكر الصاحب أبي القاسم إسماعيل بن عباد

تمهيد في بيان منزلته ٢٢٥

لمع من أخباره ونوادر توقيعاته ٢٢٦

القصائد الداريات ٢٤٠

الموضوع

ص

| | |
|-----|--|
| ٢٤١ | قصيدة أبي العباس الضبي |
| ٢٤١ | قصيدة أبي الحسن صاحب البريد |
| ٢٤٢ | قصيدة أبي الطيب الكاتب |
| ٢٤٣ | من قصيدة أبي سعيد الرستمي |
| ٢٤٥ | قصيدة أبي الحسن الجرجاني |
| ٢٤٦ | قصيدة أبي القاسم الزعفراني |
| ٢٤٧ | قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء |
| ٢٤٧ | من قصيدة أبي محمد بن المنجم |
| ٢٤٨ | من قصيدة أبي عيسى بن المنجم |
| ٢٤٨ | قصيدة عبيد الله بن محمد بن المعلى |
| ٢٤٩ | قصيدة أبي العلاء الأسدي |
| ٢٥٠ | من قصيدة أبي الحسن الغويري |
| ٢٥٢ | قصيدة أبي بكر الخوارزمي |
| ٢٥٣ | البرذونيات |
| ٢٥٣ | قصيدة أبي القاسم الزعفراني |
| ٢٥٥ | قصيدة أبي الحسن بن عبد العزيز الجرجاني |
| ٢٥٦ | قصيدة أبي القاسم بن أبي العلاء |
| ٢٥٨ | قصيدة أبي الحسن السلامي |
| ٢٥٩ | قصيدة أبي محمد الخازن |
| ٢٦٠ | قصيدة أبي سعيد الرستمي |
| ٢٦٢ | قصيدة أبي العباس الضبي |
| ٢٦٥ | قصيدة أبي محمد محمود |
| ٢٦٧ | قصيدة أبي عيسى بن المنجم |
| ٢٦٩ | الفيليات |

الموضوع

ص

| | |
|-----|---|
| ٢٧٠ | قصيدة أبي القاسم عبد الصمد بن بابك |
| ٢٧١ | قصيدة أبي الحسن الجوهرى |
| ٢٧٣ | قصيدة أبي محمد الخازن |
| ٢٧٧ | خبر أبي الحسن عباد بن علي الحسينى سبط إسماعيل بن عباد |
| ٢٨١ | غرر من فقر ألفاظ الصاحب |
| ٢٨٣ | ملح وظرف من ألفاظه |
| ٢٨٤ | فصول له ورقاع |
| ٢٩٦ | ملح شعره في الغزل وما يتعلق به |
| ٣٠٢ | ملح شعره في الصدغ والخط والعدار |
| ٣٠٦ | ملح من شعره في الأوصاف والتشبيهات |
| ٣٠٨ | ملح من إخوانياته |
| ٣١٢ | ملح من مدائجه |
| ٣١٤ | ملح من أهاجيه ومجونه |
| ٣٢٠ | ما أخرج له من سائر الفنون |
| ٣٢٣ | سرقاته |
| ٣٢٦ | ما هجى به الصاحب |
| ٣٢٧ | آخر أمره |
| ٣٢٩ | مراثي الشعراء له |
| ٣٢٩ | مرثية أبي القاسم بن أبي العلاء الأصبهاني |
| ٣٢٩ | من مرثية أبي الفرج بن ميسرة |
| ٣٣٠ | عن مرثية أبي سعيد الرستمي |
| ٣٣٠ | عن مرثية أبي الفياض الطبري |
| ٣٣٢ | من مرثية الشريف الرضي |
| ٣٣٦ | من مرثية أبي العباس الضبي |

الباب الرابع

في ذكر أبي العباس أحمد بن إبراهيم الضبي

| | |
|-----|----------------------|
| ٣٣٩ | تمهيد في بيان منزلته |
| ٣٤٠ | لمع من نثره |
| ٣٤٤ | ملح من نظمه |

الباب الخامس

في محاسن أهل العصر من إصبهان

| | |
|-----|-----------------------------------|
| ٣٤٩ | توطئة |
| ٣٥٠ | عبدان الأصبهاني ، المعروف بالخوزي |
| ٣٥٥ | أبو سعيد الرستمي |
| ٣٧٧ | أبو القاسم غانم بن أبي العلاء |
| ٣٧٩ | أبو محمد عبد الله بن أحمد الخازن |
| ٣٩٤ | أبو العلاء الأسدي |
| ٣٩٥ | أبو الحسين الغويري |

الباب السادس

في ذكر الشعراء الطائرين على صاحب من الآفاق

| | |
|-----|---|
| ٣٩٩ | أبو الحسن علي بن محمد البديهي |
| ٤٠٢ | أبو القاسم الزعفراني ، عمر بن إبراهيم |
| ٤١٣ | أبو دلف الخزرجي اليبوسي ، مسعر بن مهلهل |
| ٤١٦ | المختار من قصيدته الساسانية |
| ٤٣٦ | أبو القاسم عبد الصمد بن بابك |

الموضوع

ص

| | |
|-----|--|
| ٤٤٥ | أبو إبراهيم إسماعيل بن أحمد الشاشي العامري |
| ٤٥٢ | أبو حفص الشهرزوري |
| ٤٥٤ | بنو المنجم |
| ٤٥٧ | أبو طاهر بن أبي الربيع |
| ٤٥٨ | أبو الفرج الساوي |
| ٤٥٩ | أبو الفرج بن هندو |

الباب السابع

في ذكر سائر شعراء الجبل

| | |
|-----|---|
| ٤٦٣ | أبو الحسين أحمد بن فارس |
| ٤٧١ | بزاكويه الزنجاني المعروف بالثلول |
| ٤٧٢ | أبو الحسن علي بن محمد بن مأمون الأبهري |
| ٤٧٣ | أبو علي الحسن بن محمد الضبيعي |
| ٤٧٤ | أبو الحسين علي بن الحسين الحسني الهمداني |
| ٤٧٦ | أبو سعد علي بن محمد بن خلف الهمداني |
| ٤٧٨ | أبو علي الحسين بن أبي القاسم القاشاني |
| ٤٧٩ | أبو القاسم عمر بن عبد الله الهرندي |
| ٤٨١ | أبو عبد الله المغلسي المراغي |
| ٤٨١ | القاضي أبو بكر الأسدي |
| ٤٨١ | فصل في ذكر نفر من الطائرين على بلاد الجبل |
| ٤٨٢ | أبو عبد الله البطحاوي |
| ٤٨٢ | ابن حماد البصري |
| ٤٨٣ | شمسويه البصري |
| ٤٨٣ | أبو الفضل النهرعاسي |

| الموضوع | ص |
|------------------------------|-----|
| أحمد بن بندار | ٤٨٣ |
| أبو عبد الله الروزباري | ٤٨٤ |

الباب الثامن

في شعراء فارس والأهواز
سوى من تقدم منهم في ساكني العراق

| | |
|---|-----|
| أبو بكر هبة الله بن الحسين الشيرازي ، المعروف بابن العلاف | ٤٨٥ |
| أبو بكر بن شاذبة الفارسي | ٤٨٧ |
| أحمد بن الفضل الشيرازي | ٤٨٨ |
| المعروف المنبسط الشيرازي | ٤٨٩ |
| أبورجاء أحمد بن عفو الله الكاتب الشيرازي | ٤٨٩ |
| أبو عبد الله الخوزي | ٤٨٩ |
| أبو الحسن بن أبي سهل الأرجاني | ٤٨٩ |
| أبو علي بن غيلان السيرافي | ٤٩٠ |
| ابن خلاد القاضي الرامهرمزي | ٤٩٠ |
| محمد بن عبد العزيز السوسي | ٤٩٥ |
| أبو محمد السوسي | ٤٩٦ |
| أبو الحسن بن غسان | ٤٩٦ |
| خاتمة الجزء الثالث | ٤٩٩ |

تمت فهرس الجزء الثالث من « يتيمة الدهر »
والحمد لله أولاً وآخراً ، وصلواته على سيدنا محمد وآله